

حلف الإرهاب

تنظيم القاعدة

من عبدالله عزام الى أيمن الظواهرى
١٩٧٩ - ٢٠٠٣



أسامة بن لادن

الجزء الثانى

عبدالرحيم على



حلف الإرهاب

تنظيم القاعدة

من عبد الله عزام إلى أيمن الظواهرى

١٩٧٩ – ٢٠٠٣

الجزء الثانى

أسـامـة بـن لادن

عبد الرحيم على



الطبعة الثانية ٢٠٠٥م

عنوان الكتاب : حلف الإرهاب - تنظيم القاعدة من عبد الله عزام
إلى ايمن الظواهرى ١٩٧٩ - ٢٠٠٣
أسامة بن لادن
اسم المؤلف : عبد الرحيم على
الغلاف والإشراف الفنى : للفنان أنس الديب
الناشر : مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات
٤ ش ٩ب المعادى- القاهرة
ت : ٣٨٠٢٠٣٣، ت / ف : ٣٥٩٣٠٦٢
c.mail : mahrosa@ hotmail.com
المدير العام : فريد زهران
صف وتوضيب داخلى : هشام صلاح
تنفيذ ومتابعة الطباعة : محمد مسلم محمد
الطباعة : العروبة للطباعة
رقم الإيداع : ٢٠٠٤/٢٩٦٠
الترقيم الدولى :٢-٠٩٣-٣١٣-٩٧٧

إهـــداء

إلى والدى الشيخ / على عبدالرحيم

المقاتل الذى خاض أربع حروب

ضد إنجلترا وفرنسا وإسرائيل

وانتصر عليهم جميعاً دون أن يكفرهم

عبد الرحيم على

محتويات الكتاب

مقدمة الكتاب

توقفنا في الجزء الأول من "حلف الإرهاب"، أمام شخصية وأفكار الدكتور عبد الله عزام، المؤسس الحقيقي للتنظيم، والأب الروحي لقائدي المسيرة من بعده : أسامة بن لادن وأيمن الظواهري.

أسامة بن لادن، هو موضوع هذا الجزء، الجزء الثاني من الثلاثية، ولا شك أنه الاسم الأكثر شهرة، وتفرداً بين رموز وقيادات القاعدة.

يجمع الرجل بين عدة فعاليات : مادية وفكرية وتنظيمية، تجعله الرمز الحقيقي للقاعدة، والزعيم الأكثر شهرة بين الزعماء الثلاثة.

لا تختلف رؤية أسامة الفكرية مع ما يبشر به أستاذه عبد الله عزام، لكن القاعدة على يديه اكتسبت نفوذا متزايدا متصاعدا، وتحولت من ظاهرة ذات تأثير محدود، يتعلق بالعالم الإسلامي وحده، إلى عنصر فعال في تشكيل خريطة الإرهاب الدولي، الذي يتجاوز واقع المسلمين وحدهم. وبفضل هذه التحولات الجذرية الساخنة، انتقل أسامة من خانة الرجال المحسوبين - موضوعيا - على الولايات المتحدة، إلى العدو الأول لنفوذها ومخططاتها.

وقد سبق لكاتب هذه السطور أن أفرد لبن لادن كتاباً خاصاً، ومن المفيد هنا أن أشير إلى ما كتبته من قبل :

" بانسحاب الاتحاد السوفييتي، انتهي دور المجاهدين الأفغان، والعرب علي حد سواء، وفكرت أمريكا في خطة جهنمية، تخلصها من هذا الخطر، وبمساعدة من المخابرات الباكستانية، قامت بتنفيذ مؤامرتها، حيث أوعزت لعدد كبير من قادة فصائل المجاهدين، الذين لا يدينون بالولاء الكامل لها، والذين يمتلكون إرادة خاصة بهم بإعادة الهجوم علي جلال آباد الفائقة التحصين، وكانت إسلام آباد تدرك تماما أنها بهذه الخطة تدفع المجاهدين لأتون مذبحة مروعة، حيث كانت جلال آباد مكدسة بمواقع المدفعية الثقيلة، بينما كان تسليح المجاهدين لا يتعدى الكلاشينكوف والأسلحة الخفيفة، وبالفعل كانت الخسائر مروعة، وتخلصت باكستان في هذه المعركة من مجاهدين أرادوا أن يحتفظوا لأنفسهم بقرار أكثر استقلالا، وكان أسامة بن لادن ممن شاركوا في هذه المعركة، وشاهد المذبحة المروعة التي حصدت أرواح رفاقه، بتواطؤ مشبوه من المخابرات الباكستانية، وعدد من قادة المجاهدين الأفغان المقربين منها ".

الألـــــم :

"عـاد بن لادن إلي بيشاور، يعتصره الألم من الخيانة، والإحساس المرير بالخديعة، وأخـذ صديقه الدكـتور عـزام يندد بهذه الفجيعة علنا، ويطالب بإحياء روح الجهاد، مذكـرا مـريديه بـأن تحريـر أفغانستان مجرد بداية في حرب طويلة الأمد. كان عزام وبـن لادن، و غيرهمـا مـن قـادة المجاهدين، مدركـين أنهـم ضحية مؤامـرة، دبـرتها الولايات المتحدة الأمريكية، وتم تنفيذها بـأيد باكستانية. استمر عزام في التنديد بأمـريكا وعملائها، حـتى جاء الـرابع والعشـرين مـن نوفمـبر ١٩٨٩، وأثـناء اسـتقلال الدكـتور عـزام لسيارته في أحـد الشـوارع الضيقة بمديـنة بيشاور، ومعـه اثـنان من أبـنائه، وصـديق آخـر، انفجـرت قنبلة تحت سيارته، ليلقى الجميـع حتفهم في الحال، مـات الشـيخ وبقيـت كـلماته ثـأره في قلب وعقل وذاكرة تلميذه أسامة بن لادن، الذي تحـول في تلـك الـلحظة الفاصلة من الحليف رقم واحد، لجهاز الاستخبارات الأمريكي، إلـي العـدو رقم واحد، لا لجهاز الاستخبارات الأمريكي وحده وإنما للمجتمع الأمريكي بأسره".

أمـريكا - مرة أخيرة :

" يـبدو أن الأقـدار كانـت تصـر علـي وضـع بن لادن، في مواجهة أمريكا علي طول الخط، فلم يكد يمضي علي كارثتي اغتيال أستاذه عبد الله عزام، ومذبحة جلال آباد، أقـل مـن عـام، إلا واجتاحـت العـراق دولـة الكويـت لـيـتخلق علـي خلفية هذا الحدث، وتحـت دعـوى حمايـة دول الخلـيج، وعلـي رأسـها السـعودية، تواجـد أمـريكي مكـثف ودائـم في المـنطقة، وخاصـة علي الأراضي السعودية. أقل من عام حاول فيه بن لادن، الـذي اسـتقبل اسـتقبال الأبطـال، في موطـنه الأم - السـعودية-، بعـد أن اسـتحال رمـزا للتضـحية والفـداء، أن يتعايش مع واقعه الجديد بعد عشرة أعوام من الجهاد المقدس في أفغانسـتان. ابـتعد بـن لادن في هـذه الفـترة عن السياسة نهائيا، ولم يوجه، ولو لمرة واحـدة، أيـة انـتقادات للـنظام الحـاكم في السعودية، حصـل بـن لادن خلال هذه المدة القصـيرة علـي عـدة عقـود سـخية مـن الحكومـة والقطاع الخاص، وبدا للجميع أن بن لادن دخـل مـرحلة جديـدة في حياته، عاد فيها كما بدأ مقاول إنشاءات، بعد أن سكنه شـخص آخـر طوال عشـرة سـنوات كاملـة، ولكـن الـرياح تـأتي بمـا لا تشـتهي السـفن، والأقـدار تسـعي لصـنع شـبح يـثير الرعـب والخـوف في قلب أمـريكا، سيدة العالم بلا منازع".

الــــغـــــزو :

" في الـثاني من أغسطس ١٩٩٠، غزت القوات العراقية الكويت، وساد الرياض شعور هـائـج مـن السخط والغضب، ولم تفلح الرسائل العديدة التي وجهها صدام حسين إلي

الملك فهد، في التخفيف من حدة هذه المشاعر، فقد تأكد شعور قوي لدى الملك، بأن المملكة عرضة لهجوم عراقي، وتوجه أسامة إلي الرياض، والتقى مع الأمير سلطان، وزير الدفاع، وقدم بن لادن للوزير خطة للدفاع عن المملكة، شملت تحريك معدات ثقيلة علي الحدود الشرقية للمملكة، لإقامة تحصينات عسكرية علي الفور، واقتراح بتدعيم القوات المسلحة السعودية، بالمئات من المجاهدين السعوديين، الذين أحرزوا خبرة قتالية عالية في أفغانستان، بالإضافة إلي اقتراح آخر قدمه، للأمير تركي بن عبد العزيز، رئيس جهاز الاستخبارات السعودي، يقضي باستعداد بن لادن والأفغان العرب، للتسلل إلي الكويت، والمشاركة في خوض حرب شعبية ضد القوات العراقية، موضحا قدرة رجاله علي إلحاق الهزيمة بصدام حسين، وإرغامه علي الانسحاب من الكويت، كما أرغموا السوفييت علي الانسحاب من أفغانستان من قبل، وحذر أسامه في نفس الوقت من مغبة الاستعانة بالأجانب، خصوصا الأمريكان، الذين وصفهم بالكفار، من أجل الدفاع عن المقدسات الإسلامية، موضحا أن هذا يتنافى مع تعاليم الإسلام، فضلا عن حساسية هذه المشكلة بالنسبة لمعظم السعوديين، ولمجمل المسلمين بوجه عام، وحذر بن لادن في مداولاته مع أفراد الأسرة المالكة في الرياض من أن الاستعانة بالأجانب ستنال من مصداقية النظام، وعلي الرغم من كل الحجج التي ساقها بن لادن للدفاع عن وجهة نظرة، فلم تلق دعوته وتحذيراته، أية استجابة من أي نوع، وفتحت المملكة أبوابها لاستقبال قوات التحالف بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية في مطلع عام ١٩٩١".

" لم يكن أسامة وحده المعارض لنشر قوات أمريكية في المملكة، فقد أجمع المعارضون من رجال الدين علي رفض الوجود الأجنبي في الخليج، وبعد مداولات مستفيضة مع الشيخ عبد العزيز بن باز مفتي السعودية، وبعد تصريح واضح من وزير الدفاع الأمريكي، ديك تشيني، بأن القوات الأمريكية لن تمكث دقيقة واحدة بعد انتهاء الحاجة إليها، نجح الملك أثناء اجتماع عقد بمكة، وحضره ٣٥٠ عالما من انتزاع موافقة، علي ضرورة استدعاء القوات الأمريكية، للدفاع عن المملكة، وردع صدام حسين".

هـــــــروب :

وعلي عكس ما أراد لنفسه، في العامين الأخيرين من نهاية ١٩٨٩، وحتى نهاية ١٩٩٠، يجد أسامة نفسه مدفوعا إلي عالم السياسة من جديد، ويخطب بن لادن، مطالبا بمقاطعة البضائع الأمريكية، ومقاومة التواجد الأمريكي في الخليج، كانت الشعبية الجارفة التي يتمتع بها بن لادن مصدرا للخطر بالنسبة للأسرة الحاكمة في السعودية، فلم تستطع أن تستوعب موقفه، الأمر الذي دفعها إلي إرسال رسائل واضحة، تحمل تهديدا قاطعا، بإلغاء تعاقدات الحكومة السعودية معه، وإمكانية

مصادرة أمواله، واحتمال احتواء المصادرة لأموال الأسرة بالكامل، بمن فيهم والده وأشقائه، وتحولت هذه التهديدات إلي عداء صريح، خاصة بعد أن قررت السعودية استمرار القوات الأمريكية علي أراضيها، غير عابئة لأية معارضة، من أي جانب، مما اضطر بن لادن للفرار بأسرته من السعودية متوجها إلي السودان، وقبل خروج بن لادن من السعودية أجرى عدة اتصالات بالبنوك، التي يودع فيها أرصدته حيث أمّن تلك الأرصدة وحول أجزاء كبيرة منها إلي أماكن سرية، ووصل إلي الخرطوم في نهاية ١٩٩١، حيث استقبله الدكتور حسن الترابي، المرشد الروحي للنظام آنذاك، زعيم الجبهة القومية الإسلامية بالسودان، ليبدأ بن لادن مرحلة جديدة من مراحل بناء تنظيم القاعدة، والتي سوف نتحدث عنها باستفاضة فى هذا الجزء من الكتاب، عبر خمسة فصول، نستعرض فيها المسيرة الشخصية والفكرية والتنظيمية لبن لادن، ثم نقدم ملحقا يضم مجموعة من الوثائق والنصوص الكاملة، لأهم ما خطه بن لادن فى هذا الإطار، وهي خلاصة ما رأينا أنه يعبر عن اجتهاداته بشكل مباشر وصريح*.

والله، وقيم العدل والحق والحرية، من وراء القصد.

عبد الرحيم علي
القاهرة ٢٨-١٢-٢٠٠٣

* عبد الرحيم على: أسامة بن لادن..الشبح الذي صنعته أمريكا (دار ميريت ٢٠٠١).

الفصل الأول

اختـــــراق

في أول مقابلة تليفزيونية تجري مع أسامة بن لادن، في أواخر مارس ١٩٩٧، مع شبكة CNN الإخبارية، وجه محررها بيتر أرنت سؤالا لبن لادن جاء فيه : لقد أعلنتم الجهاد ضد الولايات المتحدة الأمريكية ؟ هل تقول لنا لماذا؟ وهل هذا الجهاد ضد الولايات المتحدة أم القوات الأمريكية الموجودة في المملكة العربية السعودية؟ وما هو الموقف من المدنيين الأمريكيين المقيمين في السعودية أو الشعب الأمريكي بصفة عامة؟

ورد بن لادن بقوله: لقد أعلنا الجهاد ضد حكومة الولايات المتحدة الأمريكية لأنها غير عادلة وعدوانية وطاغية، ارتكبت العديد من الأفعال الإجرامية بصورة مباشرة و غير مباشرة، من خلال تأييدها للاحتلال الإسرائيلي لفلسطين، مسرى رسول الله، كما أننا نؤمن أن أمريكا مسئولة مسئولية مباشرة وكاملة عن قتل الفلسطينيين والعراقيين واللبنانيين، وهذا يذكرنا قبل كل شئ بالأطفال الأبرياء الذين قاموا بفصل رؤوسهم وأذرعتهم عبر الانفجار الذي وقع في قانا بلبنان، والذي قامت الحكومة الأمريكية على أثره بتعطيل حتى إعلان المشاعر الإنسانية وردود الأفعال العالمية تجاه تلك الجرائم، وتصرفت وكأن أحدا من القوي العالمية لم يشاهد تلك الأحداث، وعلي الأمريكان أن يعلموا تماما أن مكة تشكل بالنسبة للعالم الإسلامي أهمية كبيرة، وترتبط مشاعرهم بها بشكل لا يمكن تخيله، فماذا يحدث في رأيك عندما يقوم النظام الأمريكي الذي يرضخ تماما للسيطرة والعجرفة اليهودية باحتلال قبلة المسلمين وكعبتهم التي يتوجه إليها أكثر من مليار مسلم في العالم، لهذه الأفعال الإمبريالية غير العادلة أعلنا الجهاد ضد أمريكا، لأن عقيدتنا تنص على إعلاء الجهاد في سبيل الله لطرد كل الأمريكان من الأقطار الإسلامية.

أما بالنسبة لما أثرت عما إذا كان هذا الجهاد موجها للقوات الأمريكية أو المدنيين على أرض الجزيرة أو حتى موجه إلى المدنيين في الولايات المتحدة نفسها، فأقول: إننا نركز فقط على ضرب القوات الأمريكية المرابطة على أرض الجزيرة، لما لهذا المكان من مكانة خاصة بالنسبة لبقية الدول الإسلامية، كما أنه يوجد في عقيدتنا ما ينص على عدم السماح لغير المسلمين بالإقامة في بلدنا، ومع ذلك فإن المدنيين الأمريكيين ليسوا هدفا لخطتنا، ولكن يجب أن يرحلوا لأننا لا نستطيع أن نضمن أمنهم، فنحن في مجتمع يضم مليار مسلم ولابد من رد فعل تجاه ما تفعله الحكومة الأمريكية من ضرب للمدنيين المسلمين وقتل لأكثر من ٦٠٠ ألف طفل مسلم في العراق، من خلال منع الطعام والدواء من الوصول إليهم، ولذلك فالولايات المتحدة مسئولة عن أي رد فعل، لأنها مدت الحرب حتى طالت ليس فقط العسكريين بل المدنيين. أما بالنسبة لسؤالك حول الشعب الأمريكي، فلا يمكن إعفاءهم من المسئولية، فهم الذين اختاروا تلك الحكومة وصوتوا لها في الانتخابات رغم علمهم بجرائمها تجاه الفلسطينيين واللبنانيين والعراقيين. وعندما سأله المحرر عن خطط المستقبل، رد بن لادن بثقة شديدة : سوف تسمعها وسوف تراها بنفسك في وسائل الإعلام بمشيئة الله.

ومنذ عام ١٩٩٧، أصدر بن لادن عدة بيانات تحمل اسم "الجبهة الإسلامية لجهاد اليهود والصليبيين" ،كان آخرها البيان رقم (٣) الصادر بتاريخ ١٩٩٨/٥/٢٩، وحمل عنوان "قنبلة الإسلام النووية"، والذي دعا فيه الأمة الإسلامية إلى امتلاك القنبلة النووية، وعدم الاستسلام لضغوط الأمم الصليبية التي تعمل على منع المسلمين بالذات من امتلاك هذا السلاح، وقبل هذا البيان بنحو ثلاثة أشهر، وبالتحديد في ١٩٩٨/٢/٢٢، أصدر بن لادن بيانا يحمل توقيع الجبهة الإسلامية لجهاد اليهود والصليبيين، ووقع عليه بجانب بن لادن خمسة من قادة جماعات العنف"الإسلامية"، على رأسهم د. أيمن الظواهري أمير جماعة الجهاد المصرية، الساعد الأيمن الحالي لبن لادن، ورفاعي أحمد طه أحد قادة الجماعة الإسلامية بمصر، الذي انشق عنها مؤخرا لينضم لجبهة بن لادن أيضا، ومنير حمزة سكرتير جمعية علماء باكستان، وفضل الرحمن خليل أمير حركة الأنصار بباكستان، والشيخ عبد السلام محمد خان أمير حركة الجهاد ببنجلاديش.

جاء في البيان الذي أثار حفيظة الحكومة الأمريكية والمجتمع الغربي: " إن حكم قتل الأمريكان وحلفائهم من المدنيين والعسكريين فرض عين على كل مسلم أمكنه ذلك في كل بلد تيسر فيه ذلك، حتى يتحرر المسجد الأقصى والمسجد الحرام من قبضتهم، وحتى تخرج جيوشهم من كل أرض الإسلام مشلولة اليد كسيرة الجناح عاجزة عن تهديد أي مسلم، امتثالا لقوله تعالى: "وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة". وعلل البيان الدعوة لقتل المدنيين الأمريكيين إلى جانب العسكريين، بأن العدوان الأمريكي ينال من المدنيين المسلمين وليس العسكريين فقط.

وفي أواخر مايو من عام ١٩٩٨، وبالتحديد في ٢٨ مايو، أجرت شبكة C.B.A. الإخبارية حديثا مع بن لادن، سأله فيه محررها حول الفتوى التي أصدرها والتي تدعو المسلمين إلى قتل الأمريكان في كل مكان، وهل المقصود بهذه الفتوى العسكريون فقط أم المدنيين أيضا؟ "كما ذكر البيان"، ورد بن لادن : بأن الله سبحانه وتعالى أمرنا بإعداد القوة والطاقة لنصرة دينه، وأمرنا أن نقاتل أعداءه، والأمريكان بعد الحرب العالمية الثانية ازداد دورهم في إذلال شعوبنا، وأضاف بن لادن بأننا نستغرب لهذا السؤال أن يأتي منكم، فأنتم الذين اعتديتم، ولكل فعل رد فعل، والمعاقبة بالمثل مطلوبة، فتاريخ الأمريكان شاهد عليهم، وأمريكا ليس لها دين يردعها، فهي التي ألقت القنابل على هيروشيما وناجازاكي ولم يميزوا بين عسكري ومدني، فضلا عن أن يميزوا بين نساء وأطفال، وأوضاعها مع الفلسطينيين معروفة، ففي فلسطين كانت تهدم المعدات الأمريكية والبلدوزارات المهداة منها إلى إسرائيل البيوت على رؤوس النساء والأطفال والعجائز، وفي الخليج قتلوا ما يقارب المليون طفل، لا لشيء إلا لأخذ أموال الناس ورغبة في أخذ ثروات المسلمين، تقولون هذه مصالح أمريكا العليا!! أمريكا هي أكبر إرهابي وهي أكبر لص في العالم.

لقد تعذر دفعكم بالمثل، لا تمييز بين رجل يلبس ملابس عسكرية وآخر يلبس ملابس مدنية، بل هم جميعا نعتبرهم هدفا للفتوى.

أي مدني يجمع معلومات عن المسلمين وعن الشباب الملتزم، ويبلغها لسفارته، لا فرق بينه وبين العسكري، فالفتوى عامة، لكل من يعاون على قتل المسلمين أو يعاون اليهود.

وردا على سؤال لمحرر الشبكة حول أن كثيرا من الأمريكيين يقولون : جيش لجيش بطولة، كما كنتم تقاتلون الروس، ولكن تفجير القنابل وزرع الألغام، مثل تفجير مبني مركز التجارة العالمي، ضد المدنيين، هذا إرهاب!! يقول بن لادن : هذا أنتم لستم ملتزمين به، فنحن بعد أن منّ الله علينا في أفغانستان وبمجرد أن انتصرنا على الروس، بدأ الإعلام الروسي والأمريكي يشن علينا حملة عنيفة لم تنته حتى الآن، تصفنا بأننا إرهابيون، دون أن يكون قد حدث أي فعل منا ضد الإرهابيين الحقيقيين وهم الأمريكان.

وأضاف بن لادن : ومن جهة أخرى فإن السياسة الأمريكية لا تعترف بهذا، فهم لا يفرقون بين مدني وعسكري ولا بين طفل ورجل ولا بين إنسان وحيوان، وذكرت لكم أفعالهم في هيروشيما ونجازاكي.

أما بالنسبة للمسلمين، فهذه شهادات المنظمات الغربية، التي تشهد بأن أطفالنا قتلوا في العراق وفي صبرا وشاتيلا ودير ياسين وفي قانا وفي البوسنة. لقد كانت القوات الأمريكية تترك الجزار الصربي يذبح أمهاتنا وأخواتنا، بينما لا هم لأمريكا سوي أن تمنع السلاح عن البوسنة، وهي في ذات الوقت تسربه للصرب، وهي تعلم أن المتضرر من الحصار هم المسلمون وحدهم، أنتم الذين ارتكبتم كل المخالفات، وبالتالي ليس لكم أي حق في الاعتراض إذا اتبعنا معكم نفس السياسة.

نيروبي ودار السلام :

وبعد أقل من ثلاثة أشهر على هذه التصريحات لأسامة بن لادن، هز العاصمتين الكينية "نيروبي" والتنزانية "دار السلام" انفجاران استهدفا سفارتي الولايات المتحدة الأمريكية في البلدين، وقد قتل وأصيب في الانفجارين ما يقرب من ألف شخص بينهم السفيرة الأمريكية "برونس باشنيل"، وقد تزامن الانفجاران مع تسليم أمريكا لأربعة من قادة جماعة الجهاد المصرية عن طريق ألبانيا، على رأسهم أحمد إبراهيم النجار المحكوم عليه غيابيا بالإعدام في قضية خان الخليلي، بالإضافة إلى ماجد مصطفي ومحمد مهدي ومحمد حسين محمود، الأمر الذي دفع بأمير الجماعة د. أيمن الظواهري إلى إصدار بيان تعهد فيه بالانتقام من أمريكا قبل ثلاثة أيام من وقوع الانفجارين.

وقد جاءت التفجيرات في كل من نيروبي ودار السلام لتحدث صدمة كبيرة لدى المسئولين الأمريكيين، وأبدى الجميع في واشنطن دهشتهم، لتنفيذ مثل هذين الاعتداءين الكبيرين، اللذين يتسمان بمستوي جيد من التنسيق والتنفيذ واختيار الأهداف، ضد المصالح الأمريكية في بلدين لم تدرجهما الولايات المتحدة الأمريكية ضمن لائحة البلدان التي تدعو وزارة الخارجية موظفيها ومواطنيها إلى تجنبها، وفي ذات الوقت أكد مسئولون

أمريكيون كبار في وحدة مكافحة الإرهاب بوزارة الخارجية الأمريكية أنه لم تكن هناك معلومات استخبارية تشير إلى أن أيا من السفارتين في كينيا أو تنزانيا معرضة للخطر.

وعلي الرغم من هذه التصريحات، فقد كشفت التحريات التي أجريت عقب الحادث، من قبل أجهزة الأمن الأمريكية، أن الإعداد للهجوم على سفارتي الولايات المتحدة في نيروبي ودار السلام قد بدأ قبل نحو عام تقريبا من تنفيذ العمليتين، ففي منتصف مايو ١٩٩٧، ألقت السلطات السعودية القبض على "سيدي طيب" وهو رجل أعمال متزوج، من إحدى قريبات بن لادن، وقدم "طيب" بيانات مفصلة عن الحسابات المصرفية المودعة باسم بن لادن في بنوك باكستان وأفغانستان، وعمليات نقل الأموال التي تتم بصورة سرية عبر حسابات وهمية من وإلى البنوك البريطانية والأمريكية، وكذلك كشف "طيب" عن أسماء العديد من الأشخاص الذين يستخدمهم بن لادن في تحريك هذه الأموال بأسمائهم حتى يتفادى أية إجراءات لتجميد الأصول الرأسمالي التي يحتفظ بها، ورغم أن المعلومات التي أدلى بها "طيب" للأمريكان لم تكن دقيقة، إلا أن مكتب التحقيقات الفيدرالي والمخابرات البريطانية راحا يشنان حملة تحقيق دولية شملت جميع أنحاء العالم، في محاولة لتتبع هذه الأموال ومصادرتها مع التركيز على "نيروبي" بكينيا بصفة خاصة، بعد أن أصبحت واحدة من أهم معاقل شبكة بن لادن وجماعات العنف الإسلامية في شرق إفريقيا.

مؤتمر الخرطوم:

وتكشفت خيوط العمليتين، طبقا لما قالت به التقارير الأمريكية، عندما تم الكشف عن مؤتمر سري عقد بالخرطوم برعاية الدكتور حسن الترابي، رئيس مجلس الأمة وقتها والمرشد العام الفكري للثورة السودانية، وحضر المؤتمر عدد كبير من قادة منظمات العنف "الإسلامية" خاصة قيادات شبكة بن لادن في شرق إفريقيا، وجاء الاجتماع، كما أكدت التقارير، لوضع خطة لتخفيف الضغط عن شبكة بن لادن في المنطقة، وذلك بشن حرب حقيقية ضد الولايات المتحدة الأمريكية. تحددت أهداف الخطة في هدفين رئيسيين، الأول: حماية السودان من المؤامرات الأمريكية مع أهمية نقل المعركة إلى أراضي الدول التي تساند حركة التمرد في جنوب السودان، ومن هذه الدول أوغندا وكينيا وتنزانيا وجاء الهدف الثاني، كما تضيف التقارير، حينما اعتبر المشاركون أن تصعيد الموقف ينتج فرصة مناسبة لإعادة تنشيط الشبكة دون انتظار لتلقيها أية ضربات مفاجئة، وتقع أهمية اختيار الأهداف بحيث تنال من هيبة أمريكا ومصداقيتها في المنطقة، وقد تم تحديد الأهداف في سفارتي أمريكا في نيروبي ودار السلام كأمثل اختيار لتحقيق الهدفين، وكمقدمة لشن حرب طويلة الأمد ضد الوجود الأمريكي في شرق إفريقيا.

أهداف أخرى :

ولم تكن الأهمية الاستراتيجية للعمليتين تنحصر في هذين الهدفين فقط، كما توضح التقارير الأمريكية ذاتها ، ولكنها كانت تمتد لتشمل أهدافا أخرى أكثر أهمية، فقد كانت السفارتان تضمان أكبر قواعد لوكالة الاستخبارات الأمريكية (السي. آي. آيه) في شرق إفريقيا وجنوب غرب آسيا، وكان الصدام بين القوات الأمريكية والإسلاميين في الصومال عام ١٩٩٣ بداية لصراع لن ينتهي خلال فترة قصيرة، حيث انحصرت وجهة نظر الإسلاميين في أن الولايات المتحدة الأمريكية هي العائق الوحيد أمام انتشار الإسلام بكثافة، في الدول غير الإسلامية الواقعة في الجنوب من الصحراء الكبرى، وقد انتعشت طموحات الإسلاميين بإمكانية هزيمة أمريكا وإذلالها بعد نجاحهم في إرغامها على الانسحاب من الصومال دون قيد أو شرط، على خلفية الخسائر الكبرى التي منيت بها القوات الأمريكية على أيدي المقاتلين الصوماليين ، وقد بدأ إعادة تنظيم الشبكات الإسلامية السرية في شرق إفريقيا، عقب خروج القوات الأمريكية من الصومال مباشرة، بهدف تعزيز وجودها واستمرارها في هذه المنطقة لفترة طويلة قادمة، وقد تمت عملية إعادة التنظيم تحت إشراف الدكتور أيمن الظواهري الذي قام بزيارات سرية عديدة إلى نيروبي عاصمة كينيا، ومومباسا أحد أهم الموانئ الكينية المطلة على المحيط الهندي، وكانت طلائع الكوادر التي وصلت إلى كينيا من الأفغان الأردنيين والباكستانيين والمصريين والجزائريين، الذين سرعان ما تم استيعابهم ضمن الشبكات المحلية، التي يمولها بن لادن ويشرف على تنظيمها أيمن الظواهري الذراع الأيمن لقائد تنظيم القاعدة العالمي.

وكان محمد صادق عودة - المواطن الأردني الأصل - الذي ألقي القبض عليه في باكستان عام ١٩٩٨، بتهمة المشاركة في تفجير السفارتين الأمريكيتين في نيروبي ودار السلام، من أوائل كوادر شبكة بن لادن الذين انتقلوا إلى كينيا - كما أوضحت التقارير الخاصة بجهاز الاستخبارات الأمريكي - وقد تردد "صادق" على نيروبي مرات عديدة، حيث كان يحمل جواز سفر أردنيا باسم محمد صديق هويدا، وهو مواطن سعودي ولد بالمملكة العربية السعودية، ودخل كينيا في منتصف عام ١٩٩٤ باعتباره طالبا، وكان بن لادن لا يزال يعيش في السودان حيث يدير شبكته من هناك، وطبقا لما ذكرته السلطات الباكستانية عنه، فقد التحق "عودة" بصفوف منظمة التحرير الفلسطينية التي أرسلته عام ١٩٩٠ للتدريب في أفغانستان، وقد أثبت عودة كفاءة قتالية عالية مما أدى إلى لفت انتباه القادة المحليين له وبالتالي تم ترشيحه للانضمام للوحدات القريبة من بن لادن والظواهري.

ولم يكن "عودة" الكادر رقم واحد في كينيا، وإنما سبقه المصري "علي الرشيدي"، المعروف باسم "أبو عبيده البنشيري"، نسبة إلى إقليم البنشير في أفغانستان، وقد أسندت "للبنشيري" قيادة شبكة بن لادن في كينيا عقب خروج القوات الأمريكية من الصومال، التي شارك "البنشيري" في القتال ضدها لمدة عامين، وكانت المهمة المكلف بها تنحصر في إقامة تمركزات جديدة لشبكة بن لادن تضم كوادر من العرب والمصريين والأفارقة. وبسبب

علاقتها بالغرب، شكلت كينيا نقطة ارتكاز متميزة ومهمة بالنسبة لأنشطة شبكة بن لادن في شرق إفريقيا، حيث كان أعضاء الشبكة يتنقلون منها وإليها في سهولة مطلقة، إذ لم تتشدد سلطات الهجرة والجنسية في فحص وثائق السفر لأسباب تتعلق بحرص الكينيين على جذب السائحين والمستثمرين، وقد استثمرت عناصر شبكة بن لادن الكثير من هذه المزايا المرتبطة بجوازات السفر الصادرة من كينيا، وعلي خلفية هذه التسهيلات استقبلت كينيا العديد من الكوادر التي سبق لها القتال في أفغانستان.

البنشيري :

وتستمر التقارير الأمريكية التي أعدت عقب الانفجارين، لتذكر أنه بسبب حادث غامض تعرض له "البنشيري" ، حين غرقت باخرة ركاب في بحيرة بوروندي، في مايو ١٩٩٦، وغرق معها البنشيري، أصيبت خطط شبكة بن لادن بانتكاسة خطيرة في هذه المنطقة من إفريقيا ـ شرق إفريقيا ـ ولم تستطع الشبكة استيعاب الآثار السلبية لمصرع "البنشيري"، أو "علي الرشيدي"، إلا بعد مرور فترة طويلة حاول فيها قياديو الشبكة خاصة بن لادن والظواهري ـ القائد الميداني ـ ملء الفراغ المترتب على رحيل "الرشيدي"، والدفع بعنصر يمتلك نفس المقومات القيادية التي كانت تميز القائد السابق، ووقع الاختيار على محمد عاطف مصطفي ـ صهر بن لادن حاليا حيث تزوج ابنا بن لادن من ابنتي محمد عاطف ـ ويكنى بأبي حفص المصري، وهو أحد الشبان المصريين الذين وصلوا إلى أفغانستان في أواخر الثمانينيات، حيث جمعته صداقة وطيدة بـ"علي الرشيدي"، الذي قدمه إلى أسامه بن لادن وأيمن الظواهري، وعلي مدار عدة سنوات، أصبح محمد عاطف أحد مساعدي الظواهري البارزين، وقد ساعد عاطف "الرشيدي" في إنجاز العديد من المهام السرية وتولى عاطف مسئولية التدريب العسكري في أفغانستان، وأصبح مسئولا عن الجناح العسكري لتنظيم القاعدة فيما بعد، والرجل الأخطر بعد الاثنين الكبار بن لادن والظواهري، وعندما انتقل الرشيدي إلى إفريقيا تبعه عاطف، وتولى مسئولية التدريب العسكري، وقد بدا عاطف الشخص المناسب لاحتلال مكان صديقه الراحل، ونظرا لحاجة بن لادن الشديدة لتواجد عاطف إلى جانبه للتخطيط وإدارة العمل بشكل مركزي، وعلي خلفية اهتمام أجهزة الأمن المحلية والدولية بنشاط عاطف وشبكته في إفريقيا، أضطر عاطف إلى الانزواء بعيدا في أفغانستان بجانب صهره وصديقه بن لادن، الأمر الذي دفع بن لادن للتدخل شخصيا من أجل تنشيط شبكته حتى لا تتعرض للانهيار تحت ضغط المطاردة المحمومة لأجهزة الاستخبارات من ناحية، وغياب القيادة الماهرة من ناحية أخرى. وبعد محادثات بينه وبين حسين عيديد، وافق الأخير على إنشاء سلسلة معسكرات للتدريب تتبع شبكة بن لادن، مع تقديم كافة التسهيلات الميدانية لعناصر وكوادر الشبكة. وقد تم الاتفاق في مدينة بيشاور الباكستانية، أثناء زيارة كان يقوم بها مسئولون من حزب الاتحاد الصومالي الذي يتزعمه

عيـديـد، وقـد مثل بن لادن في المفاوضات القيادي المعروف محمد شوقي الاسلامبولي، «شقيق» خالد الاسلامبولي «قاتل السادات».

وعلـي الـرغم مـن كـل هـذه المعلومـات، الـتي تكشـفت عقـب تفجير سـفارتي أمـريكا في نيروبـي ودار السلام، وعلـي الـرغم مـن تـأكد الإدارة الأمريكـية مـن أن بـن لادن لم يغـادر الأراضـي الأفغانـية مـنذ حـادثي السـفارتين وحـتى الآن، إلا أن بـن لادن وتنظـيمه المسـمى بتنظـيم القـاعدة اسـتطاع، طبقا لما أعلنته أمريكا على لسان رئيسها بوش ووزير خارجيتها كولـن بـاول، أن يصـفع أمـريكا، أقـوي دولـة في العـالم، صـفعة قوية، باختراق كل تحصيناتها الدفاعـية، والاعـتداء بالـتفجير عـن طـريق اسـتخدام طـيارين انـتحاريين عـلى أهم الأماكن حساسـية في أمريكا، من مركز التجارة العالمي حتى البنتاجون مرورا بمبني الكابيتول والمقر الصـيفي للرئـيس الأمـريكي في كامـب ديفـيد، محدثـا دمـارا لم تشهده أمريكا منذ تأسيسها وحـتى الآن، الأمـر الـذي أدى إلى إعـلان الرئـيس الأمـريكي حالـة الحـرب ورفـع الاستعدادات القصـوى وسـط القـوات المسلحة واسـتدعاء أكـثر مـن خمسـين ألـف جـندي من الاحتياطي ومحـاولات عديـدة لعقـد تحالفـات دولـية في مواجهة رجل واحد هو بن لادن !!. وبين إعلان بـوش الحـرب بعـد حـوادث الـتفجير الـتي منيت بها نيويورك وواشنطن في الحادي عشر من سـبتمبر عـام ٢٠٠١، والتصـريحات الـتي أدلى بها كلينـتون، مؤكـدا أن أمـريكا ستسـتخدم كل الوسـائل لجلـب المسـئولين عـن حـادث تفجـير السـفارتين الأمـريكيتين أمام العدالة، وذلك في الحادي عشر من أغسطس ١٩٩٨، جرت في النهر مياه كثيرة.

مجموعة متابعة :

فعقـب هجـوم أمريكا بالصواريخ على ما يعتقد أنها مناطق تواجد تنظيم القاعدة وبن لادن في أفغانسـتان، فـرضت أمريكا حصارا اقتصاديا ودبلوماسيا على حركة طالبان الحاكمة في أفغانسـتان، واتهمـتها بـإيواء وحمايـة الإرهابي بن لادن وطالبتها بتسليمه، الأمر الذي دفع بـالملا محمـد عمـر ـ رئـيس حـركة طالـبان ـ وعقـب جـدل طويـل حـول تسليم بن لادن، إلى التصـريح بأن " تسليم بن لادن يعد تخلٍ عن ركن من أركان الإسلام"، وأوضح زعيم الحركة، في حديـث نشـر عـلى أربـع صـفحات في مجلـة " الإمـارة الإسـلامية"، الـتي تصدر عن الحركة باللغـة الإنجلـيزية «أن ترحـيل بـن لادن الـذي جـاهد ضـد الشـيوعيين أثـناء احـتلالهم لأفغانسـتان يعـد بمـثابة تخلٍ عـن ركـن مـن أركان ديننـا، وأكد "الملا عمر" أن حل مشكلة بن لادن يكمـن في عقـد مؤتمـر لعلماء من أفغانستان والمملكة العربية السعودية ودولة إسلامية ثالـثة لمحاكمـة بـن لادن، على أن يكون القرار الذي سيتوصل إليه علماء البلدان الثلاث نهائيا وملزما للمجتمع الدولي.

وردا على هذا الموقف من قبل حركة طالبان، قامت الولايات المتحدة بشحذ كل جهودها لتشكيل مجموعـة عمـل خاصـة لمـتابعة ملف بـن لادن وتنظـيم القاعدة، واشتركت في هذه المجموعـة بالتنسيق مع المخابرات البريطانية ، التي تم تشكيل المجموعة على أراضيها ـ لندن

ـ عـدد مـن مخابـرات الـدول الغربيـة ـ فرنسا وإيطاليا وألمانيا ـ بالإضافة إلى المخابرات الروسية والإسـرائيلية، وقـد قامـت الأخـيرة بتجنـيد بعض العملاء وإرسالهم إلى باكستان عبر تنظيم يدعـى "أصـدقاء الصـباح الباكسـتاني"، ومقـره في كـابول، ولديـه وجـود قـوي في بلـدة مـزار الشـريف شمـالي أفغانسـتان، وقـد قامـت المجموعـة (٥٥) التابعـة لتنظيم القاعدة الذي ترأسه بـن لادن بكشـف هؤلاء العملاء واغتيالهم. ولم تستطع مجموعة العمل المكونة من عدد كبير مـن أجهـزة الاستخبارات في العالم، الكشف عن خطط وكوادر تنظيم القاعدة، الذي ينتشر في عدد كبير من الدول الغربية بالإضافة إلى الولايات المتحدة الأمريكية ذاتها.

فـجـــوة :

وفي اعـتراف خطـير للجنـرال "مـايك هـايدن"، رئـيس وكالـة الأمـن القومـي الأمريكيـة NSA، أحـد أهـم الأجهـزة التابعـة للمخابـرات المركزيـة الأمريكيـة ، قال "هايدن" : إن بن لادن يمـتلك قدرات تكنولوجية هائلة تفوق مستوي ما تملكه الولايات المتحدة، واعترف هايدن في حديـثه لمجلـة "يـو اس ايـه توداي"، والذي أجرته معه المجلة في بداية هذا العام ـ فبراير ٢٠٠١ ـ بأنـه كـان عاجـزا عـن تـلافي الهجـوم على السفارتين الأمريكيتين في كينيا وتنزانيا عام ١٩٩٨ بسـبب الفجـوة التكنولوجـية الواسعة التي تفصل بين مستوى ما تملكه المخابرات الأمريكية ومستوى مـا يملكـه بـن لادن، وأضـاف هـايدن :أن الوكالـة الأمـريكـية ذائعـة الصـيت في مجال الاسـتخبارات وجمـع المعلومـات، وتقـوم بمراقـبة البـث الإذاعـي والاتصـالات التليفونـية والفاكسـات والـبريد الإلكترونـي في جمـيع أنحاء العالم للتنبؤ بالتهديدات التي قد يتعرض لها المواطـنون الأمريكـيون، وكشـف هـايدن في اعترافاتـه أن الوكالـة لم تتكـيف مع عصر ما بعد الحـرب الـباردة، وأن وكالـته أنشئت في عـالم مخـتلف، والآن تجد نفسها في عالم آخر عليها أن تتأقـلم معـه وتتغير إن كانت تأمل في النجاح في هذا العالم. وفجر هايدن مفاجأة عندما اعلن أن أسـامة بـن لادن أنفـق ٣ مليـار دولار علـى صـناعة وسـائل الاتصـالات، معترفـا بأن وكالته أغلقـت أبوابهـا لعــدة أيـام في يـناير الماضـي ٢٠٠١ بسـبب تعطـل الكمبـيوتر. وتجـرنا هـذه التصـريحات الـتي أدلى بهـا هـايدن إلى مـا يـتردد وسـط قطاعات كبيرة من الخبراء والمهتمين بظاهـرة الإرهـاب الدولـي، مـن أن وراء عمليات الـتفجير الـتي جـرت مؤخـرا في أمـريكا أيـد اسـتخباراتية أمريكـية تهـدف إلى تعزيـز طلـبها زيـادة المخصصات التي يعتمدها الكونجرس لأجهـزة الاسـتخبارات ، والتي تـدنت مستوياتها كثيرا في السنوات الأخيرة، مما أعطى الفرصة لمنظمات عديـدة لتجنـيد عـدد غـير قلـيل مـن ضـباط المخابـرات الأمريكـية لصالح أهدافها. ويكشـف ريتشـارد لابـيفير، في كـتابه "دولارات الرعـب" عن أسرار عديـدة، لعل أهمها ما أورده مـن أن اللجـنة المكلفـة بالتحقـيق في حـادثي تفجـير السـفارتين الأمـريكيتين في نيروبي ودار السـلام، أوشـكت أن تضـع يدهـا علـى حقائق مذهلـة حـول تورط الـ CIA في شـركات بن لادن، وقـد سـبق أن أشـارت الهير الدتريبيون إلى تورط أحد قادة المخابرات الأمـريكية في منظمة بن لادن، وأن شخصـا آخـر يدعـي "علـي محمـد" أمضـي ثـلاث سـنوات بـين أعـوام ١٩٨٦ و١٩٨٩ في

القوات الخاصة الأمريكية، حيث تلقي تدريبات أمريكية مخصصة لمنطقة الشرق الأوسط، وأثناء هذه الفترة قام "علي محمد" بتدريب إسلاميين في عدد من المعسكرات الواقعة في ضواحي نيويورك، الأمر الذي يكشف قدم العلاقة بين المخابرات الأمريكية والجماعات الإسلامية المسلحة. ويكشف "لابيفير"، وهو صحفي بالتليفزيون السويسري من أصل فرنسي النقاب عن قرب وقوع فضيحة جديدة أطلق عليها اسم (بن لادن ـ جيت)، على غرار (إيران ـ جيت)، ويضيف صاحب كتاب "دولارات الرعب" أن الكثير مما هو مستور وفي طي الكتمان حول حقيقة التواطؤ بين بن لادن وجهاز المخابرات الأمريكية، سوف تكشف عنه هذه الفضيحة حال انفجارها، ويؤكد "لابيفير" أن السبب الرئيسي وراء هذه الأزمة، لجوء الإدارة الأمريكية إلى ما يسمى بخصخصة السياسة الخارجية لأمريكا، ويشرح المؤلف ما أورده قائلا: إن الولايات المتحدة وتفاديا لحدوث أزمة من نوع أزمة ـ إيران جيت ـ أوكلت جزءا كبيرا من أنشطتها الخارجية ـ التي كانت تقوم بها وكالة المخابرات والبنتاجون ـ إلى شركات خاصة، حتى لا تقع تحت رقابة الكونجرس، وهذه الشركات تضم ـ في الأغلب ـ قدامي موظفي الـ CIA وضباط على المعاش وموظفين سابقين في البنتاجون، وهي تتصرف وكأنها انبثاق عن الـ CIA والبنتاجون، وإن كانت ليست منهما.

ومن هذه الشركات شركة سوكوم SOCOM، وهي مكلفة بالدفاع والمراقبة والتعاون بين الشركاء الخصوصيين، ومسئولها الأول هو هنري شيلتون الذي يحدد أهدافها قائلا: تهتم الشركة بتقديم المساعدة للعاملين في سفارات الولايات المتحدة في ليبريا والسودان والكونغو برازفيل، كما تهتم بنشر المعلومات، وهي عبارة عن وحدات أمريكية خاصة، وتلعب دورا في الإسهام في القيام بأية مواجهة لاحتواء الصراعات في إفريقيا، وتضم الشركة نحو ٤٧ ألف شخص ممن يطلق عليهم اسم "المحاربون الدبلوماسيون"، لأنهم مكلفون بعمليات حفظ السلام، وحماية المصالح الاقتصادية الأمريكية في العالم، ويكشف "لابيفير" عن أن مثل هذه الشركات التي تتظاهر بالعمل الإنساني، إنما تقوم بأعمال عسكرية تحت هذا الغطاء، فيذكر أن شركة خاصة تعرف باسم شركة "رونكو"، قامت في عام ١٩٩٥ بتسليم دبابات ومتفجرات وأسلحة لرواندا، بينما كان مجلس الأمن قد أصدر سلسلة قرارات تمنع تسليم أسلحة في هذه المنطقة، والخطورة كما يقول لابيفير أن هذه الشركة كانت تتدخل في البداية تحت شعار إنساني، ويذكر صاحب كتاب "دولارات الرعب" أن شركة أخرى هي شركة "MPRIس،التي تأسست عام ١٩٨٧ برئاسة جنرال أمريكي على المعاش هو "فيرنون لويس"، تضم نحو ألفيّ عسكري سابق من أهم خبراء الحرب في العالم، تقدمت بمساعدات كبيرة لصفوف القوات الكرواتية في حرب يوغسلافيا السابقة، وكان لهذه المساعدات تأثير إيجابي، لأنها مكنت كرواتيا بجيشها غير المنظم من تحقيق ضربات وانتصارات غير مسبوقة، مما حدا بالحكومة البوسنية أن تطلب إلى ذات الشركة أن تقدم خدماتها ومعوناتها إليها. ومما يذكر أن برنامج تدريب قوات الشركة يبلغ نحو ٤٠٠ مليون دولار، تدفعه عدة دول ويمضي الكتاب ليذكر أن هناك شركتان أخريان تتوليان بعض الملفات

الساخنة للبنتاجون ووكالة المخابرات الأمريكية الـ CIA، هما شركة «بيتاك فينيل» التي تأسست عام ١٩٨٠ أثناء أزمة الرهائن الأمريكيين في طهران، وشركة "سانج" المكلفة بحراسة بعض النظم السياسية في العالم، وعن طريق هذه الشركات وعالم الخصخصة والمال والمفاهيم الجديدة للعولمة، استطاع بن لادن أن يخترق أكثر الأجهزة حساسية في الولايات المتحدة الأمريكية، وعلي رأس هذه الأجهزة جهاز الاستخبارات والبنتاجون.

الفصل الثانى

التحول الكبير

أسامة بن لادن، الذي يحمل ملفه الأمني رقم واحد في مكتب التحقيقات الفيدرالي الأمريكي، ولد في الرياض بالمملكة العربية السعودية في الخامس من نوفمبر عام ١٩٥٧، لأب من أصل يمني يدعي محمد بن لادن وأم من أصل سوري تدعي عليه عزيز غانم، وهو مهندس حر يجيد التحدث بلغات ثلاث هي الإنجليزية والفرنسية والألمانية، وأسامة واحد من أبناء خمسين أنجبهم محمد بن لادن من عدد كبير من الزوجات، ومن حسن الحظ كان الأب على وعي كبير بأهمية التعليم بالنسبة لأبنائه، فأخذ جميعهم قسطا وافرا من التعليم العالي في أرقى الجامعات، وقد اشتغل بن لادن الأب عندما هاجر من موطنه الأصلي «حضر موت باليمن» إلى السعودية بالمقاولات، وكان وقتها مقاولا صغيرا، ولكن ازدهار النفط في السبعينيات أدى إلى تغير كبير في أحوال أسرة بن لادن المادية، حيث أسفرت طفرة الإنشاءات في الحجاز عن اقتراب محمد بن لادن الأب من النخبة الحاكمة في البلاد، وسرعان ما امتدت صلاته الوثيقة إلى العديد من الشخصيات المهمة، بالمملكة ووثق به الأمراء باعتباره مقاولا متميزا، وقد أتاحت هذه العلاقات لمحمد بن لادن العمل على توسيع إمبراطوريته، حتى أصبحت واحدة من أضخم شركات الإنشاءات في الشرق الأوسط بأكمله، وجاءت فرصة التوسعات التي قامت بها السلطات السعودية في الحرم المكي والمسجد النبوي لترفع أسهم آل لادن إلى عنان السماء، وأخذت بعدها الأسرة تمد نشاطها ليشمل، بجانب بناء المساجد، إنشاء المدن والطرق والمطارات في كل أنحاء الخليج العربي.

كان أسامة معدا ليقتفي خطي الأسرة بوصفه مهندسا معماريا، وكان قد درس الإدارة والاقتصاد قبل الهندسة في جامعة الملك عبد العزيز في جدة، والتي تعد من أفضل المؤسسات التعليمية في المملكة، ويذكر المقربون من بن لادن أن أهم حادثين أثرا عليه في مطلع شبابه كانا قيام شركتهم بعملية توسعة الحرمين المكي والنبوي، وتأثر أسامة بالنفحة الروحية التي حدثت لوالده في ذلك الوقت، واشتعال الحرب الأهلية في لبنان وما ردده بعض المشايخ والدعاة الإسلاميين من أن الحرب عقاب أنزله الله سبحانه وتعالى بلبنان بسبب الممارسات الآثمة التي كانت تجري جهارا نهارا في بيروت العاصمة بأحيائها المختلفة، وكان أسامة قد شاهد وشارك في بعض هذه الممارسات من قبل، الأمر الذي جعله يتأثر تأثرا شديدا بهذه التفسيرات. وخلال دراسة أسامة بجامعة الملك عبد العزيز أصبح زعيما للطلاب من ذوي الاتجاهات الإسلامية الجديدة، والتقى في الجامعة بالعديد من علماء الشريعة، وخاصة من قيادات جماعة الإخوان المصرية الذين كانوا قد خرجوا للتو من السجون المصرية وهرعوا مباشرة للعمل في السعودية، وتركزت محاضرات شيوخ الإخوان ومناقشاتهم حول الشكوك التي تعصف بالشباب العربي، وكانت فكرة العودة إلى الإسلام بمفهومه السلفي الوهابي هو الحل الوحيد الذي أجمع على طرحه العلماء، انطلاقا من أنه الطرح الوحيد القادر على الصمود وحماية الشباب في مواجهة موجات التغريب والعلمنة، الطرح الذي يجنب العالم الإسلامي وشبابه ظواهر الانحلال الخلقي السائدة في الغرب- بمفهوم هؤلاء الشيوخ لظاهرة الانحلال. وفي مارس من عام ١٩٧٥، أقدم الأمير فيصل بن مساعد، أحد أقارب الملك فيصل بن

عبد العزيز، على اغتيال الملك، ونظرا لكون بن مساعد شابا مثقفا كثير التردد بانتظام على العواصم الأوربية، فقد أكد القائمون على المؤسسة الحاكمة أن تحذيرات العلماء الإسلاميين من رياح التغريب التي تهب على المملكة كانت صحيحة وصائبة، وتحولت جموع حاشدة من الشباب بعد هذا الحادث إلى اعتناق الفكر السلفي، خاصة بعد أن اعتبرته الأوساط الحاكمة درعا واقيا في وجه أية معارضة للنظام، خاصة ما يتعلق بأسلوب توزيع الثروة وقضايا الديمقراطية وأسلوب الحكم والإدارة، وهو ما يعد من قبيل العلمانية الفاجرة في عرف مشايخ النفط.

دعم إيراني:

كان أسامة بن لادن على رأس هؤلاء الشباب، الذين ارتموا في أحضان الفكر السلفي الوهابي، خاصة بعد الدعم المعنوي الشديد الذي أعطاه انتصار الثورة الإيرانية، وعودة آية الله خميني إلى إيران في مطلع فبراير من العام ١٩٧٩، وجاء حادث اقتحام الكعبة واحتلالها من قبل جهيمان العتيبي وما طرحه العتيبي من قضايا اجتماعية تخص مسائل توزيع الثروة والظلم الاجتماعي الذي يعاني منه المجتمع السعودي وقضايا العدل والحرية اللتين يؤكد عليهما الدين الإسلامي أكثر من أية قضايا أخرى، جاء الحادث ليزلزل قليلا الأرض من تحت أقدام أسامة، ولكنه ظل مقتنعا بأن حكومة إسلامية أيا كانت يمكنها أن تحمي المملكة والعالم الإسلامي من مخاطر التغريب، هذا الشبح الذي ظلت الحكومة السعودية تستخدمه كفزاعة ضد كل من تسول له نفسه الحديث عن الأسلوب الذي يحكم به آل سعود، حتى جاء اليوم الذي استعانت فيه الحكومة السعودية بهؤلاء الغربيين "الفجرة" لحمايتها من احتمالات اعتداء من دولة إسلامية وعربية مجاورة ـ العراق ـ لتسقط بذلك ورقة التوت التي كان يتستر بها آل سعود.

حي على الجهاد:

كان أسامة بن لادن من أوائل الشباب العربي الذين توجهوا إلى أفغانستان بعد الاجتياح السوفييتي لها، ويعد هذا الحدث نقطة تحول حاسمة في حياته. نزل أسامة أولا في باكستان، وذلك لبحث سبل مساعدة المجاهدين الأفغان، ولدي وصوله صدم الرجل بسبب حالة الفوضى التي تسود حركة المجاهدين الوافدين من البلدان العربية وانعدام أي تنسيق بين الفصائل المختلفة قرر أسامة أن يكرس جهوده في العمل الدعائي والتنظيمي، وكانت هذه هي المرحلة الأولى من مراحل جهاد أسامة بن لادن في أفغانستان، حيث أنشأ قاعدة للإمدادات وبيتا لاستقبال الوافدين أطلق عليه "بيت الأنصار"، بالإضافة إلى معسكر للتدريب سمي معسكر النصر، وتوالت جهود بن لادن في تجنيد الآلاف من المجاهدين العرب للجهاد المقدس في أفغانستان، متكفلا بنفقات انتقال هؤلاء المتطوعين وسبل إعاشتهم وتدريبهم، وخلال السنوات الأولى التي أمضاها بن لادن في أفغانستان، قام بالاتصال

بالدكتور عبد الله عزام، الذي لعب دورا محوريا في حياة بن لادن، منذ أن قابله في إحدى المحاضرات بجامعة الملك عبد العزيز وحتى لحظة اغتياله بأيدي المخابرات الباكستانية، هو واثنان من أبنائه في مدينة بيشاور على الحدود الأفغانية، عقب تنديده بمذبحة جلال آباد ودور المخابرات الباكستانية فيها، وهي المؤامرة التي ديرتها للمجاهدين الأفغان بمساعدة وإيعاز من المخابرات المركزية الأمريكية، وقد لعب اغتيال عزام ومعركة جلال أباد، كما سنري فيما بعد، دورا أساسيا في تحول أسامه بن لادن من الصديق رقم واحد للمخابرات المركزية الأمريكية إلى العدو رقم واحد لها.

المرحلة الثانية :

تبدأ المرحلة الثانية في جهاد بن لادن في أفغانستان تتضح معالمها، عندما يلاحظ ومعه أستاذه الدكتور عزام، ارتفاع معدلات الاستشهاد في صفوف المجاهدين، وذلك بسبب قذائف المدفعية الروسية "DRA"س المضادة للأفراد، ولمواجهة ذلك، وبمساعدة من المخابرات الأمريكية ووساطة من المخابرات الباكستانية، استطاع بن لادن جلب عدد كبير من المعدات الهندسية الثقيلة من الشركات المملوكة لأسرته والخاصة بعمليات الحفر وإقامة الطرق والأنفاق، وعن طريق هذه المعدات استطاع بن لادن إقامة تحصينات للمجاهدين ساعدتهم على التصدي للمدفعية والطيران الروسي، كما أنشأ بن لادن أنفاقا عديدة ومخازن للمؤن والذخيرة وشيد داخل هذه الأنفاق الكثير من المستشفيات، كما شق شبكة من الطرق في المناطق الشرقية من أفغانستان. وبعد مفاوضات طويلة بين بن لادن والمخابرات الأمريكية، استطاع إقناع الأمريكان بفكرة إمداد المجاهدين بصواريخ (ستينجر)، الممنوع استخدامها خارج نطاق الجيش الأمريكي.

تزايد الدعم :

في هذا التوقيت وصل الدعم الأمريكي للمجاهدين إلى ٢٨٥ مليون دولار سنويا، بالإضافة إلى التدخل لدي عدد كبير من الدول العربية وممارسة ضغوط هائلة، لإجبارها على لعب دور أكثر إيجابية، الأمر الذي دفع بالسادات إلى الإعلان عن استعداد مصر مد المجاهدين الأفغان بالسلاح، وارتفع عدد المتطوعين العرب من خمسة آلاف مقاتل إلى ٢٠ ألف مقاتل، يحاربون جنبا إلى جنب مع المجاهدين الأفغان.

وقامت المخابرات الباكستانية خدمة لأهدافها في السيطرة على مسار الجهاد الأفغاني، بإنشاء الحزب الإسلامي بزعامة قلب الدين حكمتيار، كما قامت بلعب دور الوسيط بين المجاهدين الأفغان والمخابرات المركزية الأمريكية الـ CIA.

وقد حقق أسامة بن لادن مكانة مرموقة، بين قادة الجهاد الأفغاني، بسبب شجاعته الفائقة، التي تجلت عندما بدأت المرحلة الثالثة لجهاد بن لادن في أفغانستان، والتي شارك فيها بنفسه في القتال الدائر بين المجاهدين والسوفييت، وشارك عام ١٩٨٦ في معركة جلال

آباد الشهيرة، والتي انتهت بهزيمة فاضحة للقوات الروسية، واستطاع بن لادن مع حفنة من المجاهدين العرب أن يصد الهجوم المتكرر على منطقة جاجي، وفي عام ١٩٨٧ شارك بن لادن في القتال ضد السوفييت في شابان بمقاطعة باكتيا، وتمكنت القوة التي يقودها من اختراق تحصينات السوفييت وإلحاق خسائر كبيرة بها.

عـــزام - بـــن لادن :

وخلال الفترة من ١٩٨٤ وحتى ١٩٨٨، لم يفترق بن لادن عن أستاذه عبد الله عزام، وقد شكلت أفكار عزام وآراؤه الركيزة الأساسية لأفكار بن لادن عن عالمية الجهاد والتصدي لقوي الشر في العالم أجمع، وكان رأي عزام أن الجهاد ليس فقط ضد غير المسلمين، وإنما أيضا ضد النظم القمعية التي قدم منها المقاتلون في أفغانستان، وكان يري أن كلا النوعين من الجهاد يهدفان إلى تمكين كلمة الله في الأرض، وأن على المسلمين توحيد جميع أقطارهم في دولة واحدة تشمل كل أنحاء العالم الإسلامي، أطلق عليها اسم الخلافة.

وفي الوقت الذي راحت فيها الحكومات العربية تصدر جماعات العنف إلى أفغانستان، للتخلص من خطرهم عليها في الوطن العربي، راح بن لادن وعبد الله عزام يلتقطون هؤلاء الشباب، ويشكلون منهم أكبر شبكة إسلامية تتبنى العنف المسلح وأكثرها تنظيما وموارد طوال تاريخ الحركات الإسلامية.

وقد استطاع بن لادن، بجانب ذلك، تعزيز صلاته بعدد كبير من أجهزة الاستخبارات العربية والعالمية، وتجنيد عدد كبير من عناصر هذه الأجهزة لمصلحة التنظيم الذي يترأسه، خاصة من تحول منهم إلى الاستيداع.

عرين الأسد أو مأسدة الأنصار :

يقول ((أبو محمود السوري، أحد أعضاء تنظيم القاعدة))، عن أول رحلة لأسامة بن لادن : إن أسامة بن لادن ، حضر إلى لاهور ، وذهب إلى أمير الجماعة الإسلامية بباكستان، في الليل ، وسلم له مبلغاً من المال تبرعاً للمجاهدين ووعده أمير الجماعة بإيصال هذا المبلغ للمجاهدين ، وفي زيارة تالية أخبره أمير الجماعة بأن المبلغ قد سلم إلى قادة الجهاد الأفغاني آنذاك (رباني و حكمتيار)، لأنه لم يكن في الساحة في ذلك الوقت سواهم (فقد كان سياف في السجن. وأفرج عنه عام ١٩٨٠ خطأ).

توالى حضور أسامة بن لادن متبرعاً، وعندما عرف أماكن تواجد المجاهدين في بيشاور ذهب بنفسه إليهم، وفي كل مرة يحضر فيها إلى باكستان كان يصحب معه أحد الأخوة ، وكان العرب في ذلك الوقت يحضرون إلى ((بيشاور)) فرادي. وفي عام ١٩٨٤ قرر أبو عبد الله أن يكون التواجد العربي منظماً وله أهداف محددة لكي يكون للعرب دور فعال في الجهاد، وفتح من أجل ذلك مكتبا يرعاه ويقوده الشيخ عبد الله عزام ليقوم باستقبال الأخوة العرب الذين يحضرون من الخارج وإعدادهم وإرسالهم إلى داخل أفغانستان.

تجربة مكتب الخدمات :

وعن هذه التجربة يقول (أبو محمود السوري): كان لهذا المكتب إيجابيات وسلبيات ، فأول مسئول تولى هذا المكتب كان شاباً اسمه أبو أكرم - أردني - جلس عدة أشهر وعاد إلى الأردن، لشكوته المستمرة من عدم وجود نظام للعمل بالمكتب والمركزية الشديدة في العمل، من قبل أمير المكتب الشيخ عبد الله عزام، ويضيف السوري: كانت الشكوى الغالبة لكل من تولى إدارة هذا المكتب هو عدم وجود صلاحيات محددة، والفوضى في اتخاذ القرارات، وقد اشتكى كل من تولى إدارة المكتب من نفس الشكوى، وهم على ما أذكر أبو أسامة الفلسطيني، وأبو هاجر العراقي، وأبو داود الأردني، وأبو محمد السوداني، جميعهم أجمعوا على هذه الشكوى.

ويضيف أبو محمد السوري وهو من مؤسسي مأسدة الأنصار : رغم كثرة السلبيات فإن إيجابياته كانت أكثر من سلبياته، لأنها هي التي أوصلت المجاهدين العرب إلى المرحلة التي وصلنا إليها، حيث ازداد العرب وشاركوا مشاركة فعالة في المعارك.

تكوين مكتب الخدمات :

كان مكتب الخدمات عبارة عن بيت ضيافة كبير ، حيث تم استئجار فيلا كبيرة لهذا الغرض ينزل ويقيم بها الشباب العربي، أما إدارته فقد تشكلت من عدة لجان، وهي : اللجنة العسكرية، واللجنة الإدارية، ولجنة التدريب، ولجنة الترحيل(وهي خاصة بترحيل القوافل إلى داخل الأراضي الأفغانية)، وكان أسامة بن لادن يدفع شهرياً حوالي نصف مليون روبية لمصاريف المكتب فقط أي حوالي خمسة وعشرين ألف دولار أمريكي ، وعندما ازدادت أعباء المكتب بين ١٩٨٥-١٩٨٦، قرر أسامة بن لادن الحضور بنفسه والإقامة بشكل دائم، حيث كان حتى هذه اللحظة يحضر من حين لآخر فقط ، وكان يفكر في نفس الوقت بتطوير دعمه للجهاد الأفغاني ، فبدلاً من دفع أموال وإعانات للجهاد ، قرر أن يقوم بمشاريع تنفع المجاهدين ، وذلك بإنشاء الطرق في الجبال وحفر الأنفاق و المخابئ الهائلة لحماية المجاهدين الأفغان من القصف الجوي ، وكانت هذه المشروعات بالتنسيق مع أشقائه أصحاب مؤسسة بن لادن الضخمة الذين ساعدوه مساعدة فعالة بإرسالهم معدات حفر و بلدوزرات ضخمة ومولدات كهرباء إلى داخل أفغانستان.

وقد بدأ أبو عبد الله فعلاً في العمل بنفسه في شق الطرق ، وحفر الخنادق والكهوف عام ١٩٨٦ ، وكان قد اختار مجموعة لتدريبهم على هذه الأعمال، وكان ذلك شهر أغسطس عام ١٩٨٦، واختاروا موقعاً لهم في منطقة (جاجي) أطلق عليه (عرين الأسد)، وكانت هذه هي بداية مأسدة الأنصار أو ما عرف فيما بعد بتنظيم القاعدة.

قصة المأسدة كما يرويها بن لادن :

يقول أسامة بن لادن، في حديث طويل أجراه معه أحد أعضاء القاعدة على عدة مراحل في كل من أفغانستان وجدة، ونشره على عدد من المواقع الأصولية على شبكة المعلومات الدولية "الإنترنت".

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. . .

أما بعد، فمن باب الحديث بالنعمة التي منّ الله سبحانه وتعالى علينا ، وتحريضاً للمؤمنين على هذا الأمر العظيم ، فمن فضله سبحانه وتعالى أنه في عام ١٣٩٩هـ سمعنا أن الروس قد دخلوا إلى بلاد المسلمين في أفغانستان ، وذهبت في تلك الفترة إلى باكستان من أجل نصرة إخواننا المسلمين في أفغانستان، واستمر ذهابي إلى باكستان إلى أن منّ الله علي ودخلت أفغانستان، وكان وضع المجاهدين ضعيفاً في العدد والعدة، خاصة مستلزمات القتال وشعرت بأننا مقصرون في حق إخواننا الأفغان إذا لم نقم بكامل واجبنا نحوهم ، وإن أفضل ما يكفر عن هذا التقصير أن يُقتل الفرد وهو يجاهد في سبيل الله.

ويكمل الشيخ أسامة حديثه قائلاً : لاحظت اهتمام الأفغان وسرورهم بوجود العرب بينهم. وكان الوجود العربي يزيد الأفغان قوة وإيماناً وترتفع معنوياتهم ارتفاعاً كبيراً، وكان من شدة محبة الأفغان للعرب أنهم كانوا يعاملونهم كضيوف، فلم يكلفوا العرب بأي مهام عسكرية و قتالية ، وكان الشباب العربي يتأذى من ذلك لأنهم يريدون العمل كمجاهدين ، ولهذا فكرت في إنشاء مكان لاستقبال الأخوة العرب لإعدادهم للقتال، واستأذنت من أمير الاتحاد الإسلامي لمجاهدي أفغانستان عام ١٤٠٤ هجرية (١٩٨٤ميلادية) في إنشاء معسكر في منطقة قريبة من الحدود حتى يتدرب الأخوة العرب فيه، وقد بلغ عدد الأخوة الذين انضموا للمعسكر في ذلك الوقت حوالي مائة أخ، وكان هذا العدد قليلاً لأن الشباب العربي تربى في بلاده على حياة بعيدة عن العزة الحقيقة بالجهاد والذود عن الدين، وكان كثير من الشباب يعتبر الجهاد نافلة من النوافل وأمرا مندوبا.

كان ذلك في الصيف، وعندما انتهى الصيف وبدأت الدراسة، إذا بأكثر الأخوة الذين كانوا معنا انصرفوا عائدين إلى أوطانهم يراجعون دراستهم، رغم أن الذين حضروا من خير الأخوة، ولم يبق إلا عدد قليل جداً، دون العشرة أفراد ، منّ الله علينا ووجدنا معسكراً في جاجي داخل أفغانستان.

بداية العمل داخل أفغانستان :

أنشأنا معسكراً في منطقة " جاجي " داخل أفغانستان، وذلك للتدريب، وكنا ندرب أنفسنا بالخبرات الموجودة لدينا، واستمر الحال على ذلك، وكنا حوالي خمسين فرداً ولكن تكرر ما حدث في السابق ، فمع الشتاء انصرف معظم الموجودين ، فلم يكن هناك وعي كامل بأهمية نصرة هذا الدين ، وضرورة قتال الكفار حتى يكون الدين كله لله.

بعد ذلك منّ الله علينا في أواخر عام ١٤٠٦هـ وأوائل عام ١٤٠٧ أن عزمنا على البقاء في منطقة جاجي، داخل أفغانستان، حتى لو كنا عدداً قليلاً، وكنا في ذلك الوقت أحد عشر شخصاً ومعظمنا من المدينة المنورة، مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام، أذكر شفيق بن إبراهيم المدني، رحمه الله، وطالب عبد العزيز النجار ((أبو قتيبة)) السوري الحموي المدني، وأخونا أسامة بن ملا حيدر المدني، وأخونا أبو معاذ السعدي مقيم في المدينة وفلسطيني الأصل، وأخونا أبو رجاء حسان الأنصاري من المدينة أيضاً وأخونا عبده أحمد حمود عثمان، وأخونا على السوداني، وأخونا محمد بن عبد السلام المعروف بأبي أنيس، وأخونا أحمد حسين يخشى من سكان المدينة المنورة.

كنا أحد عشر أخاً وكنا نعمل في شق الطرق وإنشاء الأنفاق في بطن الجبال وكذلك المخابئ وذلك لحماية المجاهدين الأفغان، ولكننا كلفنا شفيق رحمه الله وأسامة حيدر لمتابعة الأمور العسكرية في المنطقة، ومما هو جدير بالذكر أن كل هؤلاء الأخوة كانوا في حدود العشرين من العمر، أكرمهم الله، كانوا قد تركوا دراستهم وحضروا للجهاد في سبيل الله، واستمر الحال في العمل، وأخبرنا شفيق وأسامة حيدر أن هناك جبلاً مشرفا على مواقع العدو، وهو خال من المجاهدين، وزرت هذه المنطقة فوجدت أنها فعلاً منطقة خطيرة وحساسة جداً، فسألت عن سبب عدم وجود مجاهدين في هذه المنطقة رغم أهميتها فقيل لي إن الشتاء والثلوج تقطع الطرق، ويتوقف الإمداد لكثرة القصف على تلك المنطقة.

مركز عربي:

كان في نيتنا أن يكون لنا مركز خاص بالعرب ضمن المراكز التي نقوم بإنشائها، ولهذا قررنا إنشاء مركز للعرب في هذا المكان، ولم يبق منا إلا ثلاثة عندما بدأنا العمل، الأخ شفيق، والأخ أسامة ملا حيدر وأنا، أما باقي الأخوة فكانوا إما في إجازة، أو في أشغال أخرى، وكنا في ذلك الوقت في حاجة ماسة لأي أخ يأتي معنا نظراً لوحشة المنطقة وبعدها من المجاهدين الأفغان وقربها من العدو، ولا يمكن أن يتيسر لثلاثة فقط، العمل والحراسة في نفس الوقت.

حاول أحد الأخوة أن يثنينا عن العمل، وكان في زيارة لنا، وحاول مع الأخ شفيق وأسامة، ولكن منّ الله علينا بأخوين آخرين، وكانا متوجهين إلى جبهة أخرى داخل أفغانستان، وكان أحدهم اسمه أبو الذهب، مصري من أصل سوداني، وقبل أن يذهب حضر لي وقال: إننا نحب أن نبقى معكم، فسررت بذلك سرورا عظيما، وأثناء تحركنا للعمل في المنطقة التي أخذناها: كان الطريق مكشوفا وظاهرا للعدو، فكان العدو يقصف علينا، فكنا ننزل وننتشر بين الأشجار، ثم نتحرك من جديد.

اخترنا المنطقة التي أطلق عليها (مأسدة الأنصار) فيما بعد. كانت هذه الفترة من أجمل أيام الإنسان حيث كنا مرابطين بالقرب من العدو. وفي نفس الوقت نقوم بإنشاء الطرق وحفر الخنادق، كنا نعيش في خيمة واحدة، وانضم إلينا الأخ ذبيح من أهل الطائف واسمه محمد بن المبارك، كنا في خيمة واحدة، صلاتنا سوياً قراراتنا سوياً، أكلنا في نفس

المكان، وكنا نتناوب الحراسة وكنا نشعر بوحشة شديدة لأن المكان مخيف للطرفين، للعدو، ولنا، وكان الفرد منا لا يستطيع أن يبتعد كثيراً عن مركز الخيمة لأنها منطقة غابات موحشة، ناهيك عن قربها من العدو، فاستمرينا على ذلك الحال فترة طويلة ثم أرهقتنا الحراسة، فطلبنا أحد الأخوة فحضر أخونا صالح الغامدي، وازداد العدد فوصل إلى سبعة، ومع ذلك كنا متفائلين ومستبشرين بأن يزيد عددنا وبالفعل وصل العدد خلال شهرين إلى أربعين أخ، بعد ذلك جاءنا أخونا أبو حنيفة، وحسين عجيب، ثم جاء محمد الصخري وهو من الناس الذين لم تكن لهم وقفة تردد، رأيته في الحرم النبوي. وكنت عازماً على السفر، ورأيته بعد صلاة الفجر وكان أبو حنيفة قد أخبرني بأن هناك أحد الأخوة يريد أن يذهب إلى أفغانستان، وأن هذا الأخ يريد أن يكمل دراسته هذا العام ثم يحضر في الصيف.

التقيت بالصخري، وتكلمت معه بضعة دقائق فانشرح صدره وعزم على الذهاب معنا غداً، وعلم واجبه، ترك الدراسة والشهادة، والدنيا، ومكث معنا حوالي أربع سنوات إلى أن منّ الله عليه بالاستشهاد في جلال آباد.

ولكن كيف اخترنا اسم المأسدة ؟، يقول بن لادن: تشاورنا في تسمية الموقع، فاختار الأخوة عدة أسماء فانشرح الصدر باسم مأسدة وأخذنا هذا الاسم من بيت شعر لأحد الصحابة رضي الله عنهم، كان يمدح الرسول صلى الله عليه وسلم، يقول بيت الشعر:

من سره ضرباً يمعمع بعضه بعضاً ∴ كمعمعة الإباء المحرق

فليأت مأسدة تسن سيوفها ∴ بين المزاد وجذع الخندق

ويكمل أسامة: رجع أخونا أبو حنيفة لتحريض الشباب، فغاب عنا ثلاثة وعشرين يوماً، ثم عاد ومعه ثلاثة وعشرين رجلاً.

واستمر العدد في الزيادة وكنا نشعر بأهمية هذا التجمع، ويسألني الأخوة هنا، لماذا تميزتم، فإن لذلك التميز أسباباً كثيرة حيث أن الأخ يأتي من بلاده للجهاد، فتجتمع عليه عدة أمور، منها الجهاد والغربة في اللغة، والغربة في الطقس والتضاريس، لهذا فإن وجوده مع إخوانه يزيده صبراً.

المواجهة الكبرى في رمضان سنة ١٤٠٧هـ:

يقول بن لادن:

كنا قد بدأنا نصل إلى مرحلة كبيرة ومتقدمة من إنشاء المأسدة، وسمعنا في شهر رمضان سنة ١٤٠٧هـ أن هناك أخباراً بتحركات للعدو، ولم تكن المعلومات كافية. وقمنا بحفر الخنادق، كنا قد عزمنا على القيام بعملية ضد العدو في ١٤ رمضان تقريباً، وكان القائد الأفغاني قلب الدين حكمتيار في المنطقة، وحضر الشيخ سياف وعزمنا على القيام بهجوم يوم ٢٦ رمضان، وبدأنا ضرب المناطق التي تقع أسفل منا، وإذا بالرد يأتي إلينا من مناطق بعيدة، براجمات الصواريخ (ب م ٢١) وكانت بداية المعركة الطويلة التي استمرت لمدة ثلاثة أسابيع وكان العدو قد خطط لها، ونحن لم نخطط إلا لمعركة تدوم ليوم واحد، وكان

هدف الهجوم تدمير هذه المواقع ، وقفل طريق (حاجي) وهو من طرق الإمداد الرئيسية لداخل أفغانستان.

وكان يوم ٢٩ رمضان أعنف أيام القتال ، وكنا قد علمنا أن القوات المتقدمة عددها حوالي عشرة آلاف جندي ومنها ثلاثة كتائب روسية وكذلك قوة كوماندوز روسية.

أول مواجهة عسكرية _ عملية ١٧ شعبان سنة ١٤٠٧هجرية :

يقول (أبو محمود السوري) : كانت أول معركة يخوضها العرب في تجمع واحد في شهر شعبان سنة ١٩٨٦ في خوست ، حيث تجمع العرب وكونوا كتيبة أسموها كتيبة (الخرساء) وعلى حد قول أبو هاجر العراقي كان يسميها كتيبة(الظرفاء) وقد خاضت هذه الكتيبة معارك شديدة في خوست ، وأصيب من العرب عدد كبير واستشهد فيها عدد آخر ، وكان ذلك قبل إنشاء المأسدة ، وقبل وجود العرين.

فعندما بدأ أسامة بن لادن العمل في شق الطريق والأنفاق ، وحفر الخنادق ، كان قد أرسل شفيق ، وأسامة وأبو قتيبة لاستطلاع المنطقة ، وبعد قيامة بالاستطلاع أخبروا أبو عبد الله بهذا الجبل القريب من العدو والذي يطل عليه من أعلى ، ويكشف حصن (تشاوني) الذي يسيطر على المنطقة يتحصن به الشيوعيون ويتحكم في الوادي الذي يعبر الحدود إلى باكستان.

وذهب (أبو عبد الله أسامة بن لادن) لهذا الجبل واختاره كبداية لإنشاء موقع خاص بالعرب، كان الشتاء على الأبواب ، وهو شتاء بارد ، والثلوج تمنع الحركة تماماً، وقد سأل أسامة بن لادن عن قادة المنطقة للتنسيق معهم ، واتصل بقائد معروف اسمه عبد السميع ، وهو قائد معروف في المنطقة وكان يحتل موقعاً قريباً من العدو ، في المنتصف تقريباً ، اقترح أسامة بن لادن على القائد الأفغاني عبد السميع ألا ينسحب في الشتاء ، ويبقى مكانه ، وسوف يتم إنشاء ملاجئ تحميه من الثلوج ، إلا أن القائد الأفغاني رفض لأن الثلوج تمنع وصول الحياة ، وباقي الإمداد ، وعرض علية بن لادن أن يمده بالماء وكافة الإمدادات بشرط ألا يترك المنطقة في الشتاء ، وبناء على ذلك قام أبو عبد الله بزرع أول خيمة في مأسدة الأنصار وكان ذلك يوم ٢٤ أكتوبر عام ١٩٨٦، وكان هذا التاريخ هو تاريخ شراء أول قطعة سلاح من أسواق باكستان، وهو رشاش جرينوف حمله الأخ (أزمراي) وهو يعتبر أول يوم في إنشاء مأسدة الأنصار.

ويواصل أبو محمد قصة أول مواجهة بين العرب والروس فيقول : وصلت أنا مع الشيخ عبد الله عزام رحمه الله بعد خطوات إنشاء المأسدة بحوالي شهر ، وكان بها فعلاً أربعة عشر شخصاً، وكنت قد حضرت إلى موقع التدريب في منطقة (صدى)، ولكن تقرر أن نذهب مباشرة إلى المأسدة لنتدرب على أرض أفغانستان فعلاً ،

وكان معنا بعض الضيوف عندما وصلنا إلى المأسدة ، وبدأ الحديث من بعض الضيوف لتثبيط الهمم ، وقالوا لأسامة بن لادن وللشباب الذين معه ، إن العدو سيحضر ويأخذكم أحياء، ولكن الله ثبت الأخ (أسامة بن لادن) والشباب الموجودين بالمأسدة.

وتقرر أن تعود المجموعة التي حضرت بدون تدريب إلى صدى لاستكمال التدريب وكنت أنا منهم ، فلم يكن لدينا أي خبرة عسكرية على الإطلاق ، وكان علينا أن نتدرب بسرعة في صدى وننضم إلى المأسدة في أقرب وقت ، وكان مركز تدريب صدى قد أقيم في منطقة صدى ، وهي نقطة قريبة من الحدود بين أفغانستان وباكستان.

طلبت من (أسامة بن لادن) ألا أعود إلى صدى وأن أبقى معه فوافق ، كان الشتاء على الأبواب وبدأ هطول الثلوج وبدأ إنشاء التحصينات حسب الإمكانيات والفترة الزمنية المحدودة ، وخلال خمسة شهور فقط تم إنشاء من ٧-٨ غرف ، بها حوالي سبعين شاباً عربياً مستعدين للتضحية والاستشهاد.

أول عــمــلــيــة :

خلال هذه الفترة كان الأخوة الشباب يلحون في طلب القيام بعمليات عسكرية ، وكان أسامة بن لادن ، يحاول أن يهدئهم ويقنعهم بضرورة إنشاء الموقع وإكمال التحصينات أولاً، كانت في الحقيقة مرحلة صافية ، وارتباط روحي عميق ، وعندما بدأت الثلوج في الذوبان بدأ الأخوة يعدون أنفسهم للقيام بعمليات ضد مواقع العدو في الوادي ، وكان الهدف الأساسي من هذه العمليات اكتساب خبرة قتالية عملية ، وكان أول عملية يقوم الشباب العربي بتنظيمها وإعدادها هي عملية ١٧ شعبان عام ١٤٠٧ هـ الموافق ١٧ نيسان إبريل عام ١٩٨٧م، وكان عدد الأخوة المشتركين في هذه العملية مائة وعشرين شاباً عربياً ، وكنت أنا منهم ، وقد تم تقسيم الشباب إلى مجموعتين مجموعة متقدمة. ومجموعة مساندة ، وكان هدف العملية هو احتلال مركزين مهمين من مراكز العدو في الوادي ، وهما أقرب مركزين للمأسدة ، قسمت المجموعات ، ورتبت مجموعتين ، واحدة لحماية المأسدة من الخلف، وفي نفس الوقت قصف العدو بالصواريخ أرض - أرض وكانت هذه المجموعة بقيادة أبو برهان السوري.

ومجموعة ثانية للقيام بالاقتحام، وكانت بقيادة أبو خالد المصري، بدأت العملية الساعة السادسة مساء، وكان التخطيط لها قد تم منذ عدة أيام سابقة ، وحضر الشيخ سياف خصيصاً لحضور هذه العملية ، وكانت تجربة جديدة للعرب، وكان المرحوم عبد الله عزام موجوداً ، كذلك المرحوم الشيخ تميم العدنان وأسامة بن لادن وكانت هناك لحظات وداع الأخوة مؤثرة والنفوس كلها مشحونة ومتشوقة للاستشهاد.

وبدأت العملية فعلاً الساعة السادسة وعشر دقائق ، ولكن لم تحقق أهدافها ، لعدة أسباب مهمة عندما تقررت العملية وحدد موعدها لم تكن الإمكانيات قد استكملت خاصة الذخائر. فلم تكن الذخيرة قد وصلت إلى كل المجوعات وذلك لعدم وجود خبرة سابقة.

فمثلاً لم تكن وصلت إلى مجموعة المساندة ذخائر كافية ، ولهذا لم تبدأ مجموعة المساندة في العمل في التوقيت المطلوب لعدم وجود ذخائر.

ويقول أبو محمود السوري : كنت أحد عناصر مجموعات الاقتحام ، وتقدمنا وكان مقرراً أن نقوم باقتحام موقع أطلقنا عليه (أم الخنادق)، وقبل وصولنا إلى الموقع حيث حقول الألغام ، وعلى بعد ثلاثين أو أربعين متراً من مواقع العدو ، فوجئنا بأن العدو متيقظ تماماً، لأن القصف من جانبنا ومن جانب المجاهدين كان مركزاً على ١٦ موقعاً للعدو محيطاً بهذه المنطقة عدا الموقعين المحددين للهجوم عليهما ، لهذا كان العدو متيقظاً ، وكان من المفروض أن نقوم بالضرب عليه أثناء الهجوم ضرباً مباشراً.

فمثلاً حارس الموقع كان متيقظاً وشاهدناه ، وشاهدنا ، حيث رأى أشباحاً تتحرك بالقرب منه ، وأطلق علينا عدة طلقات وبمجرد اقترابنا انهمر علينا الرصاص وقد سبقنا العدو بإطلاق النيران ، ولم نتمكن من رفع رءوسنا حتى حلول الظلام ، وقد أصيبت ساقاي في أول لحظة من لحظات الاقتحام وذلك من رشاش جرينوف كان على يسارنا وعلى تربة مكشوفة ، ولم نكن نعرف أن بهذا الموقع رشاش جرينوف ، وفوجئنا به يطلق علينا من الجانب الأيسر أثناء تقدمنا وكانت مفاجأة صعبة لنا وكان ذلك بسبب عدم وجود خبرة ، وبعد عدة دقائق من ضرب العدو علينا أعطيت لنا الأوامر بالانسحاب لمركز قريب ، كان محصناً ، وكنا نطلق عليه مركز المتقدمة. وكان بهذا المركز أبو عبد الله أسامة بن لادن ، فقد أصدر أبو عبد الله أسامة بن لادن هذا الأمر خوفاً على حياة الأخوة من الإصابات بعد انكشاف الهجوم ، ولم يستطع أحد تنفيذ ذلك إلا بعد حلول الظلام ليكون الانسحاب مستوراً.

حملني الأخوة إلى موقع المأسدة، كانت هناك خمس مجموعات مساندة، وصلت أربع مجموعات وتاهت مجموعة لم تصل إلى المأسدة ، وظلت مفقودة حتى منتصف الليل.

الزهراني أول شهيد عربي :

استشهد في هذه العملية الأخ أحمد الزهراني ، وكان يحمل مدفع رشاش ثقيل وأصيب بقذيفة هاون ، وكان رحمه الله من الشباب الممتاز ، ويعتبر أحمد الزهراني أول شهيد من شهداء المأسدة، وكان عمره عشرين سنة وهو من أهل مدينة الطائف ، وجرح في المعركة الأخ إدريس السعودي، وأنا.

والخلاصة أن معركة شعبان كانت نقطة مهمة في تاريخ المأسدة ، وتعلم منها الأخوة دروساً كثيرة ساعدتهم فيما بعد.

ومنذ هذه العملية بدأ الأخوة يقومون بعمليات أخرى ، وذلك لاستكمال التدريب الحي على القتال وذلك في اشتباك مباشر مع العدو ، وقد استشهد في هذه الفترة الأخ أبو الذهب حيث سقطت قذيفة هاون بين ثلاثة من الأخوة أثناء عملية رصد ، واستشهد على الفور أبو الذهب وأصيب أزمراي، واستمرت العمليات تحت قيادة أبو عبيدة المصري شهراً كاملاً ، حتى بدأت معركة ١٧ رمضان، وهذه العملية تم الإعداد لها إعداداً جيداً، ولكن لم تستطع

هذه العملية القيام بفتح أي موقع، لأن قائد العملية، وهو أبو خالد المصري، قد أصيب في بداية العملية بقذيفة آر.بي.جي، كذلك أصيب أبو سهل المصري، وكان لذلك تأثير كبير على سير العملية. وكذلك كانت أقرب مجموعة من العدو مجموعة شفيق، فقد كان معه ثمانية مجاهدين عرب عاد بأربعة مصابين ، وكانت العملية كلها تحت قيادة ومسئولية أبو عبيدة المصري، وكان أسامة بن لادن في بيشاور. وعندما علمنا بالعملية ، وكنت معه، تحركنا بسرعة إلى جبهة القتال يوم ١٧ رمضان لنحضر العملية ، ووصلنا إلى موقع العملية مساء ، وجلسنا في موقع العرين نتابع الأخبار ، ومكثت من ذلك اليوم في موقع المأسدة لأعيش أيضاً أحداث أشهر معارك العرب في أفغانستان.

وقد استسلم في هذه المعركة خمسة وأربعون جندياً وضابطاً إلى المجاهدين الأفغان ، وذلك بسبب شدة القصف الذي وجه إلى موقعهم من قبل المجاهدين وسلموا أنفسهم إلى أحد قادة الحزب الإسلامي التابع (لحكمتيار).

رمضان ١٤٠٧ هـ :

كان ذلك في يوم ٢٩ رمضان، حيث بدأ هجوم القوات الروسية والحكومية الأفغانية، وبدأت الدبابات تتحرك وانتظرنا حتى اقتربت الدبابات إلى مرمى نيران المجاهدين، فلما دنوا جميعاً بدأنا باسم الله وكبرنا وأعطينا الإشارة باللاسلكي لجميع المدافع (مدافع المجاهدين الأفغان العرب) حيث بدأ القصف عليهم في وقت واحد ، وكنت أتابع القصف من المرصد وشاهدت القذائف من فضل الله تسقط على الأعداء وتمزقهم.

واستمر القصف عنيفاً وكانت الجبال تهتز، ولكن من فضل الله لم يصب أحد من الأخوة بسوء ، واستمر هذا الحال إلى المغرب، ورجعت من المرصد والتقيت بالأخ أبو عبيدة المصري، وهو من حفظة كتاب الله، ورأينا أن الروس لن يسكتوا على هذه الضربة لهم ، وتوقعنا أن يكون القصف أشد في اليوم التالي، و قررنا أن نرجع ثلاثين من الأخوة العرب إلى معسكر خلفي لنا وكنا حوالي سبعين مجاهداً، وفي اليوم التالي حدث ما توقعناه ، قصف عنيف منذ أول إشراقة للشمس ، أصبح عدد الأخوة في المأسدة حوالي أربعين أخ ، وكنت مع تسعة من الأخوة في كهف نطلق عليه (المتقدمة) وكان هذا الكهف صغيراً لا يتحمل القصف الثقيل ، وكانت طائرات العدو تقصف بقنابل زنة ألف رطل ، وكانت الجبال تهتز ، وكنا قد اتفقنا على إشارة معينة وهي إطلاق ثلاث طلقات إذا شعروا بأن هناك حصاراً من العدو للمعسكر ، وإذا بنا نتلقى مكالمة هاتفية من الأخ سيف الله المغربي ، من المرصد الأيمن لمركز بدر يقول إنه شاهد ما يقارب مائتي (٢٠٠) جندي من الجنود الروس يرتدون ملابس القوات الخاصة وهم يتسللون باتجاه المعسكر، فأعطى الأخ إنذارا بالخطر وهي ثلاث طلقات، وقمت بإبلاغ المركز الرئيسي للمجاهدين بأن العدو يتقدم لمحاصرة المعسكر، وطلبت من الأخوة حمل الأسلحة والتقدم وكانوا تسعة وأنا العاشر.

ويؤكد بن لادن أنه على الرغم من أن الأخوة سمعوا أن المتقدمين حوالي مائتين ، ولم نكن عسكريين ، وكنا مدنيين ، فلم يتردد أحد ، بل تقدموا أكرمهم الله ، كل واحد أخذ سلاحه وانطلقنا إلى الأمام ، كنا حريصين على أن نأخذ تربة بيننا وبين الكفار وهي تربة مرتفعة ، وأثناء تحركنا كنت أوزع الأخوة ، لكي لا يحدث التفاف علينا أثناء تحركنا ، فتركت الأخ ذبيح وأبو سهل المصري- رحمه الله- ومعهم جهاز لاسلكي في مركز المتقدمة، ثم الأخ أبو حنفية ومعه بعض الأخوة أرسلته للميمنة، ثم تقدمنا حتى وصلنا إلى القمة ، ولم يبق إلا ثلاثة: الأخ خضر وهو من المنطقة الشرقية، والأخ مختار وهو أيضاً من المنطقة الشرقية، وأنا معهم - وانضم إلينا الأخ خالد كردي. وكنت قد طلبت منه أن يحضر لنا ماء وتمر وطلقات "آر.بي.جي" زيادة، فذهب وبقينا نحن الثلاثة. وماذا يفعل ثلاثة أمام مائتي كوماندوز ، ولكن الله ثبتنا نحن الثلاثة ولم نشعر بأي قلق أو خوف. سبحان الله. رغم أن عندي خبراً مسبقاً بأن هذه القوة تريد أن تأسرني أنا شخصياً توزعنا على قمة هذه التربة بحيث كان كل منا يرى الآخر ، والمسافة بين كل منا حوالي عشرة أمتار ، وإذا طلبنا مدداً من الأخوة يستغرق ذلك حوالي ساعة ونصف لطول المسافة.

جاء خضر وقال لي إن مختار سمع أصوات الروس تحت التربة وبالقرب منهم بين الأشجار يتكلمون. وكنا ننتظر المدد، ولم يصل المدد إلينا ، وقد وصل الروس ، فطلبت أن ننضم جميعاً ونصبح على القمة ، وفي هذه اللحظة انضم إلينا خالد، وأتى أيضاً أبو عبيدة. وكان أبو عبيدة قد رتب مجموعة أخرى تذهب من جهة بدر وتتقدم أيضاً لملاقاة القوات المتقدمة.

تقدمنا لاتجاه الميسرة وهم يتقدمون من الميمنة ورأيناهم أسفل من ميمنتنا على تربة تسمى تربة الزهراني. لأن أحمد الزهراني رحمة الله كان على هذه التربة عندما قتل ، في هذه اللحظة وهم يتقدمون أخرجنا القنابل اليدوية ، وكنت أول من أخرج القنابل اليدوية استعداداً لرميها عليهم لأننا كنا أعلى منهم، فاقترح الأخ أبو عبيدة أن نبتعد حتى يصلوا جميعاً إلى منطقة الرمي ، وفجأة يصل إلينا أربعة أخوة ولا واحد منهم يعرف حقيقة الموقف ، وأثناء سيرهم باتجاهنا سمع الروس صوت أقدامهم على الحشائش بين الأشجار ، فتوقفوا عن التقدم وانتبهوا ، فلم يتوقعوا أن يكون في هذا المكان مجاهدين، وكانوا يتوقعون أن كل من في المأسدة جرحى نتيجة القصف الشديد لمدة خمسة أيام متوالية .

عندما فوجئ الروس بالحركة انسحبوا ببطء دون أن نشعر بهم، لقد فوجئوا بوجودنا في هذه المنطقة المتقدمة عن موقع المأسدة ولم يتوقعوا أبداً وجود أحد في هذا المكان، وسمعناهم يتكلمون باللاسلكي (غنمنا جهازهم اللاسلكي هذا فيما بعد) وواضح أنهم أخبروا مدفعيتهم بوجودنا في هذه المنطقة، وكانت مدفعيتهم وهاوناتهم تقوم بالتمشيط أمامهم، وكنت أحمل القنبلة اليدوية في يدي منتظراً تقدمهم فوجئت أنهم بدأوا ينسحبون إلى الخلف حوالي مائتي متر، وفي هذه اللحظة انهمرت علينا قذائف الهاون كالمطر هاونات ثقيلة ، ومن شدة القصف كان من المستحيل أن تتكلم كلمة أو تكمل جملة.

استمر هذا الحال من القصف الشديد المركز لمدة ساعة تقريباً، إلى أن منّ الله علينا بجزء من دقيقة بين القصف فتحركنا إلى أول نقطة في معسكرنا واتخذنا كميناً لهم ، ومن شدة وكثافة القصف كانوا متأكدين أنه لا يمكن أن يكون هناك أي شخص على هذه التربة إلا قتيلاً أو جريحاً ، فصعدوا إليها مطمئنين ، فما أن صعدوا حتى بدأنا الضرب عليهم ، فقتل عدد منهم يقيناً وتراجع الباقي إلى خلف، واستمر الحال على هذا المنوال وطلبوا مساعدة الطيران ، وعاد الطيران يقصف بعنف وشدة مع الصواريخ، وألقت الطائرات قذائف دخان أتعبت الأخوة نفسياً حيث خشينا أن تكون غازات سامة ، ولكن كانت قنابل دخان ، واستمر القصف علينا شديداً ، فقررنا الانحياز إلى موقع خلفي من شدة القصف.

انحزنا في الليل وبقيت مجموعة الأخوة العرب والأخوة الأفغان وسط المأسدة ، ولكن من لطف الله أن وصل مدد من المجاهدين الأفغان وأطلقوا على قوة الكوماندوز الروسية ٣٥ قذيفة (آر. بي. جي) متوالية. وكانت قوة الكوماندوز تعتقد أن المعسكر خال إلا من الجرحى، أعطى ذلك انطباعاً لدى الكوماندوز بأنه لا زالت هناك قوة كبيرة داخل المأسدة ، فتوقفوا عن الهجوم ، وبقوا مكانهم في الليل وهم يخشون الهجوم على المعسكر ، رغم أنه فعلاً لم تكن به قوة كبيرة ، وهذا من فضل الله. وفي الصباح قسمنا الأخوة إلى مجموعتين ووصلت المجموعة الأولى إلى المأسدة فعلاً ، وكنا نتفقد الطريق والمواقع ، والمجموعة الثانية كانت متوقفة في منتصف الطريق ، فطلبنا منهم التقدم ، كان العدو مستميتاً في الهجوم على الموقع ، فالموقع يعتبر مفتاحاً للمنطقة كلها ، اقترح أبو عبيدة أن يذهب هو وثمانية من الأخوة ويلتفون حول القوة الروسية ويهاجمونهم من خلفهم ، فقلت لأبي عبيدة : إن الميسرة خالية ، من يبقى فيها ؟، وكنت مريضاً في تلك الفترة ، وكان يصعب على المشي على الأقدام لمسافة بسيطة وإذا أبو عبيدة يفاجئني بأن أذهب إلى الميسرة ، فنظرت إلى العدو ، لم يبق معي إلا ثلاثة من الأخوة، أخونا محمد العتيبي رحمة الله (أبو الوليد) وأخونا ياسين الكردي وأخونا أسد الله ، في هذه الفترة جاءنا ضيف وهو الأخ أبو الحسن المدني وكان في ذلك اليوم ضيفاً فذهبنا نحن الخمسة إلى جهة الميسرة ، كنا محاطين بالعدو ، وتحركنا إلى الميسرة والطلقات في بيت النار وكل واحد منا يده على زناد البندقية ، وسرنا إلى أن وصلنا إلى النقطة المتقدمة جهة الميسرة ، حتى وزعت الأخوة ميمنة وميسرة ، وهم جميعاً خمسة ، فكان أبو عبيدة ومعه آر. بي. جي في الميمنة، وكانت الميمنة رجلاً واحداً والميسرة كانت أخانا أسد الله ومعه جرينوف (رشاش متوسط)وكان ياسين الكردي ظهراً لنا وبقيت أنا في الوسط مع أبو الحسن المدني ، فما كدت أنتهي من توزيع الأخوة وإذا بنا نفاجأ بأن القوة الروسية على مسافة سبعين متراً من طرف المعسكر ، من الغرفة المتقدمة ، وكنا نحن خلف الغرفة ، وبدأ على الفور الاشتباك معهم بالسلاح الخفيف ووجهنا النيران إليهم وطلبت من الأخ ياسين كردي. ومعه أبو الوليد أن يتقدما ويضربوا في المنطقة اليسرى حيث رأيتهم وبدأ الرد علينا بالأسلحة الكلاكوف. وصوت الكلاكوف مميز عن صوت الكلاشينكوف،

والكلاكوف معروف أنه تسليح القوات الخاصة الروسية. أما الكلاشينكوف فهو تسليح الجنود الأفغان الشيوعيين.

فوجئت قوة الكوماندوز بوجود مقاومة في أول أيام العيد، فخزاهم الله، فبدءوا ينسحبون إلى الخلف مجموعة تغطي مجموعة ، فطلبت من ياسين وأبو الوليد أن يطلقوا النار خلفهم بمسافة حوالي ١٥٠ متراً حيث توقعت أن يكونوا قد وصلوا إلى هذه النقطة ، وكنت حتى هذه اللحظة أظن أن الهجوم من الميسرة ولكن عندما صعدت على قمة تربة لأتكلم باللاسلكي فوجئت بطلقة "آر. بي. جي"، تأتي من اتجاه العدو ومن المحور الأوسط، ومرت بجواري وانفجرت طلقة الـ"آر. بي. جي"، بالقرب مني ولم يصبني منها أي شيء وكأني قد رميت بحفنة من الطين بفضل الله سبحانه وتعالى.

نزلت بهدوء وأخبرت الأخوة أن العدو موجود في المحور الأوسط وليس على الميسرة فقط، في هذه الأثناء كنت أحاول الاتصال بالمجموعة التي تحركت للالتفاف حول الروس بقيادة أبو عبيدة. اتصلت بهم مراراً فلم تكن هناك أية إجابة فأصابني قلق شديد عليهم ، وأوقفت الاتصال ولكن تركت الجهاز مفتوحاً ، وفي هذه الأثناء بدأ العدو من جديد تمشيط المنطقة بالهاونات والصواريخ ، وبدأ قصف الطيران ، وكنا ننزل في الكهف ويظل أحدنا بالخارج ليراقب المنطقة خوفاً من تقدم الروس ، وكنا نراقب رمي المدفعية والهاونات، فإذا كان علينا بالضبط ،كنا ننزل في الكهف، ولكن إذا ابتعد قليلاً كنا نصعد، وهذه خبرة جديدة اكتسبناها من هذه المعركة، إن من الممكن أن يتقدم العدو تحت القصف، لأنه يتصل بالمدفعية ويستطيع نقل الضرب أمامه ، إلى مسافة ٢٠٠ متر أثناء قصف المدفعية والهاونات ظللت في قلق شديد على الأخوة الذين ذهبوا للالتفاف وإذا بصوت الجهاز يأتي كالماء البارد علينا حيث نادى الأخ أبو عبيدة وقال أبو القعقاع: هل تسمعني ؟ ، فأسرعت نحو الجهاز وقلت : (نعم أسمعك جيداً)، فقال أبو عبيدة : (الله أكبر الله أكبر أبشرك بأننا قتلنا الكوماندوز الروس وهم الآن صرعى تحت أقدامنا، الله أكبر).

وانتشر التكبير إلى أن وصل الأخوة جميعاً وانتشر الخبر وسررنا سروراً عظيماً بفضل الله وكان الأخوة قد فاجأوا الروس من الخلف أي من المنطقة التي كان لا يمكن أن يتخيلوا أن يأتي أحد منها ، ولقد استطاع أخونا محمد العزمان المعروف بمختار أن يقتل ستة منهم دفعة واحدة في ثانية واحدة ، وبدأ اشتباك بالرشاشات والقنابل اليدوية وأدى ذلك إلى انهيار معنويات الكوماندوز ، فكان عدد الأخوة تسعة أشخاص فقط في مواجهة مائتي جندي، لكن مع الرعب لم يستطعوا تمييز القوة ، ومع وجود الأشجار والغابات لم يستطعوا أن يحددوا عدد المهاجمين فأصابهم ذعر شديد وقتل في هذا الهجوم المفاجئ من الكوماندوز حوالي خمسة وثلاثون جندياً وضابطاً وفر الباقي إلى مسافة بعيدة حوالي ثلاثة كيلومترات ، وارتفعت معنويات المجاهدين، ليس فقط في منطقتنا،ولكن في كل أنحاء أفغانستان ، وكان ذلك فضل من الله على الأخوة.

معارك جلال آباد :

يقول أسامة بن لادن عن معارك جلال آباد التي خاضتها مأسدة الأنصار: كانت معارك جلال آباد هي أول وأكبر معركة يخوضها العرب ، وكان الاختلاف بين معارك جلال آباد والمعارك الأخرى في أفغانستان في أن المعارك السابقة كانت على مراكز وقلاع للعدو، ما جلال آباد فهي إحدى المدن الرئيسية الكبرى في أفغانستان ، بل هي أقرب مدينة إلى العاصمة كابول ، ولم يكن هناك خيار في معارك جلال آباد ، فبعد سقوط عديد من المواقع حول المدينة وسقوط حصونهم في يد المجاهدين - حتى وصلت قوات المجاهدين الأفغان إلى مطار جلال - استمات العدو في الدفاع عن المدينة، وأمام ذلك ، إذا تركت كل هذا ورجعت فإنك ستخسر كل المعركة، ولهذا بدأت معركة طويلة استمرت بعنف شديد لعدة أشهر متواصلة، أخذ فيها الأخوة خبرات كبيرة، لم تتيسر لهم من قبل في أي معارك سابقة.

كان عندنا حول جلال آباد ١٨ مركزاً للعرب (مأسدة الأنصار) وكان من الصعب أن تدير معركة طويلة لعدة أشهر ، وأن تكون القوة في حالة (شد) مستمرة ، فأنت محتاج لإمداد وتموين مستمر ، ومحتاج لذخائر في الوقت المناسب ، وصواريخ لراجمات الصواريخ ، كذلك تم تكوين أجهزة لإخلاء الجرحى وحمل القتلى، نرجو من الله أن يكونوا شهداء، وكذلك تواجد أخوة في المرصد بصفة مستمرة لرصد أي حركة من العدو ، لتوجيه النيران إليها ، وازدادت خبرات الأخوة في استخدام الصواريخ والهاونات والمدفعية، وقد استخدموا الخرائط في القصف حيث يتم تحديد مسافة واتجاه الهدف ، والقصف عليه بواسطة (الإحداثيات) حسب الاصطلاح العسكري، وأمام هذه التجربة الجديدة ظهرت معادن الأخوة العرب، وثبتوا وصبروا، وهذا أمر ليس بالسهل ، وهو أن تبقى مشدوداً طيلة هذه الأشهر وفي قتال متواصل .

وقد كان الأخوة بفضل من الله أقدر المجموعات على سرعة الحركة، وذلك لتوفر وسائل نقل وأسلحة وذخائر ، وزعنا السيارات على القومندانات، كذلك وزعنا مجموعات قتال فكانت هناك مجموعة اقتحام مع القومندان خالد، وهو من أشهر القادة الأفغان في جلال آباد، وقد فتحت كثير من المواقع على يد هذا القائد، وكانت مجموعة الأخوة العرب من أبرز المجموعات. وفي بعض العمليات كان معظم مجموعة الاقتحام من الشباب العرب وكان هو الأفغاني الوحيد، لأن معظم المجاهدين التابعين له قد استشهدوا في معارك سابقة، كذلك انضمت مجموعة من المجاهدين العرب إلى القومندان سازنور، وقد فتح الله سبحانه وتعالى على أيديهم - بمشاركة الشباب العربي - مراكز عديدة، منها مجموعة تباب (فركند) والتي أطلق عليها مركز سرقة ومركز صخري. وقد غنم الأخوة العرب مدافع الميدان الثقيلة بعيدة المدى (C.D)، وكذلك بعض الدبابات والمدرعات، وقد تم تدريب الأخوة على جميع هذه الأسلحة ومنها الدبابات ، وقد استخدم الأخوة العرب الدبابات في الهجوم الأخير الذي قامت به القوات الشيوعية ضد مواقع العرب، وغنموا في هذه المعارك دبابات جديدة.

الهجوم على العرب :

يحكي أسامة بن لادن أحداث هجوم القوات الحكومية الذي استهدف مواقع العرب فيقول : كان يوم ١٠ ذي الحجة سنة ١٤٠٩هـ (الموافق ٣ يوليو سنة ١٩٨٩م) حيث قام العدو بهجوم ضخم على مواقعنا، وكان هدف هذا الهجوم هو تدمير مواقع الأخوة العرب وحصارهم وأسرهم أحياء، وكان سبب ذلك أن الأخوة العرب كانوا قد توفر لهم كميات كبيرة من الذخائر اشتريناها من أسواق السلاح في باكستان. لقد اشترينا حوالي ثلاثين شاحنة وقمنا بتخزينها ، ولهذا تيسر القيام بقصف شديد ومنظم ضد تجمعات الجيش الأفغاني حول جلال آباد، ففي أحد الأيام وصلت لنا أخبار عن وجود تجمعات كبيرة لقوات العدو ، فقمنا بقصف هذه التجمعات لمدة ثلاثة أيام على التوالي، فقتل فيها ٧٠ رجلاً من الهنود ، وكانت حكومة كابول قد أحضرت قوات هندية لتسد النقص الكبير في الجيش الأفغاني الحكومي، بعد خروج الجيش الروسي ، هذا مع العلم بوجود حوالي عشرين ألف روسي في أفغانستان حتى بعد الانسحاب.

وحدث نقص لدى قوات المجاهدين الأفغان في الذخائر ، لهذا كانت الذخيرة التي لدينا وسيلة للضغط، وقمنا بقصف مستمر طوال ثلاثة أسابيع على النقاط الحساسة للعدو، حتى شعرت القوات الحكومية أن مواقع العرب مصدر إزعاج شديد لهم ، فاستمر الطيران في ضرب مواقع مدافع الميدان (C.D). وضرب راجمات الصواريخ التي معنا ، وكانت راجمتين ، وعندما لم ينجح في إسكات مدفعيتنا بضرب الطيران والصواريخ ، قام بقصف مواقعنا بصواريخ سكود ، ومن المعروف أن صواريخ سكود صواريخ متوسطة المدى تطلق على المدن ، ولكنها استخدمت ضدنا ، وضد مواقع راجمات الصواريخ ، وعندما فشلوا في ذلك، كلفوا قوة ضخمة بالقيام بهجوم كبير على مواقعنا وتولى قيادة هذه القوة رجل اسمه (رحيمي) ونائبه قائد يدعى إسماعيل، وتعهدوا لنجيب الله بأن يصلوا بهجومهم إلى منطقة (طورخم)، وهي نقطة على الحدود بين باكستان وأفغانستان، والمسافة بينها وبين جلال آباد حوالي تسعون كيلومتراً، وتقع على الطريق البري الرئيسي، الذي يربط بين كابول - جلال آباد - بيشاور في باكستان .

وبدأ الهجوم يوم ٣ يوليو وكانت معركة شديدة، وكانت أخطر معركة خاضها الشباب العربي بعد معركة (جاجي) فى رمضان سنة ١٤٠٧، إلا أنها أصعب لأن المناطق المحيطة بجلال آباد مناطق سهول. والسهول هي أرض المدرعات ، بينما المناطق الجبلية لا تقاتل فيها المدرعات بكفاءة .

بدأ الهجوم بإرسال قوة تشغل ميسرتنا، فاتصلت بنا قوة الميسرة بعد الفجر، وقالت إن هناك دبابات تتقدم للهجوم علينا، أرسلوا لنا بعض المدد، فأرسلنا لهم سيارتين فيهما مدد من السلاح والرجال - واتصلت بنا القوة الموجودة بالميمنة وقالت إن هناك مجموعة أخرى من الدبابات تتقدم نحونا، وكانت الميمنة قرب المطار (مطار جلال آباد) والمسافة بين مركز القيادة والميمنة حوالي خمسة كيلومترات وطلبوا مددا، وطلبوا قصف القوات المتقدمة

بالصواريخ فحولنا راجمة صواريخ في اتجاه الميمنة، وراجمة صواريخ تجاه الميسرة ، وكان بين الميمنة والميسرة بعض النقاط فاتصلوا بنا وطلبوا المدد، فأرسلنا إليهم بعض الأسلحة والقوة الاحتياطية التي كانت في المركز الرئيسي ، وكان كل ذلك خدعة من العدو، حتى يهجم على مركز القيادة الرئيسي ، فتقدمت إلينا كتيبة مدرعة (حوالي ٢٧ دبابة)، وكان الطيران في هذه الفترة يقصف المنطقة قصفا شديداً ، وبعد صلاة الفجر كانوا قد أطلقوا سبعة صواريخ سكود.

كان اختيارهم ليوم الهجوم ذكياً، لأنه كان أول أيام عيد الأضحى، وهم يعرفون طبيعة المجاهد الأفغاني حيث إنه يغيب عن أهله طول العام، ولهذا يحرص على قضاء العيد مع أهله.

تقدم العدو نحونا، وكنا في المعسكر حوالي ثلاثين أخاً أو أقل، وهجم علينا ب ٢٧ دبابة، فكان موقفاً صعباً جداً ، وكنا من قبل أرسلنا القوة الاحتياطية إلى الميمنة والميسرة، والغريب أن الدبابة الوحيدة التي كانت معنا قد نقلناها إلى قرب الطريق الرئيسي خوفاً من أن يتقدم العدو من الطريق الرئيسي، أما الدبابة الثانية وكانت ٦٢ فقد أرسلناها إلى أقصى الميسرة، فتقدموا نحونا وما كان في أيدي القوة الباقية في مركز القيادة مدافع "آر.بي.جي" حيث أصيب أحد رماة الـ"آر.بي.جي" ولم يبق في النهاية سوى مدفع ٧٥ ملم مضاد للدبابات

أخذ المدفع شفيق ، أكرمه الله ، وأرجو أن يتقبله شهيداً ونصبه وحده (طاقم المدفع في الحرب خمسة أفراد) وقام شفيق بإطلاق النيران من المدفع ٧٥ ملم بمفرده ، وإطلاق النار من المدفع أصعب من الأسلحة الأخرى المضادة للدبابات الصاروخية ، فلابد من وضع القذيفة في بيت النار وإطلاقها. ثم تفريغ طرف القذيفة الفارغ. ثم إعادة التعبئة ، أما الأسلحة المضادة للدبابات فلا يوجد ظرف فارغ.

لقد كان واضحاً من إصرار العدو على محاصرة الموقع وتطويقه رغبتهم في الإيقاع بالمجاهدين العرب أسرى

ولم تكن هناك مقاومة فعالة بالأسلحة المضادة للدبابات الـ"آر.بي.جي"، فمدى الـ"آر.بي.جي" لا يزيد عن ٣٠٠ متر ، ولهذا كانت تطلق الدبابات نيرانها علينا وهي مطمئنة على مسافة كبيرة ، ولهذا قلت للأخوة لا تطلقوا الـ"آر.بي.جي"، إلا بعد وصول الدبابات إلى مسافة ٣٠٠ متر ، وعند وصول الدبابات لهذه المسافة أطلق الأخوة القذائف إلا أنها لم تكن مؤثرة أمام ٢٧ دبابة متقدمة، وقد أصيب أحد رماة الـ"آر.بي.جي"، من لغم كان مزروعا من قبل ، كانت الدبابات لا زالت تتقدم نحونا ، وفعلاً وصلت إلى أول تربة من تباب المركز الرئيسي وهي تربة صخرية، وكانت هذه التربة هي أول موقع لنا باتجاه العدو .

بدأ شفيق - رحمه الله - يضرب عليهم بالمدفع ٧٥ ملم، وكانت الدبابات على مسافة ٤٠٠ متر فقط منا، وكانت تضرب علينا بمدفعيتها الأساسية بالإضافة إلى الرشاشات. كانوا يمشطون المنطقة تمشيطاً شديداً بالنيران. توزع الأخوة العرب عندما تقدمت بعض المدرعات في الوادي القريب الذي يفصل بين النبتين في موقعنا، ونزل الجنود من المدرعات وبدأوا في الصعود إلينا ، فقمنا بإطلاق نيران مدفع رشاش ثقيل جلاينوف ، واستمر الأمر

على هذا حوالي أربع ساعات، وهي مدة خيالية، أمامك ٢٧ دبابة، ونحن لا نملك إلا مدفعاً واحداً، يستخدمه فرد واحد، ورغم هذا أنزل الله في قلوبهم الرعب، وأمام ذلك قررنا التحرف للقتال والنزول من هذا الموقع إلى منطقة خلفية قريبة كثيرة الأشجار و التباب، وهي نقطة ضعف للدبابات، وطلبنا من جميع النقاط أن يتحركوا إلى هذه المنطقة وهي جهة (ثمر خيل)، وتم إبلاغ المجاهدين الأفغان بالوضع، تقدم العدو إلى موقعنا لاحتلاله، وبفضل من الله لم يكن به أحد، فقد استشهد شفيق وهو على مدفعه، بنفس الهيئة التي تمناها، وعلى نفس الصفة ونرجو من الله سبحانه وتعالى أن يقبله من الشهداء. لقد كان شفيق - رحمه الله - أحد الثلاثة الذين من الله عليهم بتأسيس المأسدة. وقد تأثرت جداً لاستشهاده.

عندما انتقلنا إلى المنطقة الجديدة تقدم العدو بجرأة، وتم صد الهجوم طيلة هذه الأيام، وكذلك قاوم الأخوة الذين كانوا على الطريق الرئيسي هذا إلى أن جاء اليوم العاشر وكان يوماً حاراً جداً، درجة الحرارة وصلت فيه إلى ٥٤ درجة مئوية في منطقة جلال آباد، عندما تقدموا قمنا بهجوم معاكس قبل المغرب بساعة، واستطاع أخونا يعقوب أن يدمر دبابة بمدفع ٨٢ ملم، وتم تدمير دبابة أخرى حيث أطلق عليها أحد المجاهدين صاروخ ميلان، واستمرت الاشتباكات إلى منتصف الليل حيث قام الأخوة بعد الفجر بتفقد مواقع العدو. فإذا بهم يجدون ثماني دبابات سليمة تركها العدو وهرب، فصعد إليها أخونا صالح الغامدي المعروف باسم حمزة، ومعه أمير الفتح وهو مصري، وكانوا مدربين من قبل على الدبابات، وتبادلوا إطلاق النار مع العدو، واستطاعوا أن يحصلوا على دبابة من العدو بعد أن تبادلوا النيران وقادها الأخ حمزة إلى موقع (الزهراني).

كانت خسائر العدو كبيرة (٤٢ دبابة) بينها أكثر من ٢٠ دبابة غنائم، كان نصيب العربي منها خمس دبابات غنيمة، منها دبابتان ت ٦٢، وكانت هذه المعارك نهاية لسلسة معارك جلال آباد والتي سقط فيها من الشهداء العرب ما يفوق عدد الذين استشهدوا طوال سنوات الحرب في أفغانستان، نسأل الله أن يتقبلهم شهداء.

بناظير بوتو :

في عام ١٩٨٩ تولت بناظير بوتو السلطة في باكستان، عقب اغتيال الرئيس ضياء الحق في حادث تحطم طائرته وبرفقته السفير الأمريكي والملحق العسكري وقائد المخابرات الباكستانية، وهي العملية التي قامت بها المخابرات الروسية. وقد أعادت بوتو النظر في جميع العلاقات التي تربط بلادها بقضية المجاهدين الأفغان، وطرح الجنرال حميد، المدير الجديد لجهاز الاستخبارات الباكستانية، أفكارا جديدة حول كيفية التعامل مع الملف الأفغاني الشائك، واتسمت هذه السياسات بالتشدد مع المتطوعين الوافدين، وفي هذه الفترة أعلن الاتحاد السوفييتي عزمه الانسحاب من أفغانستان، بشرط التوصل إلى اتفاق لوقف إطلاق النار، وبحلول الخامس عشر من فبراير ١٩٨٩ اكتمل الانسحاب السوفييتي بالفعل.

المــؤامـــرة :

بانسحاب الاتحاد السوفييتي، انـتهي دور المجاهدين الأفغان والعرب على حد سواء، وفكرت أمـريكا في خطـة جهنمـية تخلصـها مـن هـذا الخطـر، وبمساعدة مـن المخابـرات الباكستانية قامت بتنفيذ مؤامـرتها، حيث أوعـزت لعدد كبير من قادة فصائل المجاهدين الذين لا يديـنون بـالولاء الكامل لها، والذيـن يمـتلكون إرادة خاصة بهم، بإعادة الهجوم على جلال آباد الفائقة التحصين، وكانت إسلام آباد تدرك تماما أنها بهذه الخطة تدفع المجاهدين لأتون مذبحة مروعة، حيث كانت جلال آباد مكتسة بمواقع المدفعية الثقيلة، بينما كان تسليح المجاهدين لا يـتعدى الكلاشينكوف والأسلحة الخفـيفة، وبالفعل كانت الخسائر مـروعة، وتخلصت باكستان في هذه المعركة من مجاهدين أرادوا أن يحتفظوا لأنفسهم بقرار أكثر استقلالا، وكان أسامة بن لادن ممن شاركوا في هذه المعركة وشاهد المذبحة المروعة التي حصدت أرواح رفاقه، بتواطؤ مشبوه مـن المخابرات الباكستانية وعدد من قادة المجاهدين الأفغان المقربين منها.

الألــــم :

عاد بـن لادن إلى بيشاور يعتصره الألم مـن الخيانة والإحساس المرير بالخديعة، وأخذ صديقه الدكتور عزام يندد بهذه الفجيعة علنا ويطالب بإحياء روح الجهاد، مذكرا مريديه بأن تحريـر أفغانستان مجرد بداية في حرب طويلة الأمد. كان عزام وبن لادن وغيرهما من قادة المجاهدين مدركين أنهم ضحية مؤامـرة دبـرتها الولايـات المـتحدة الأمريكية، وتم تنفيذها بـأيد باكستانية. استمر عـزام في التـنديد بأمـريكا وعملائها حـتى جاء الـرابع والعشرين مـن نوفمبر ١٩٨٩، وأثـناء استقلال الدكتور عزام لسيارته في أحد الشوارع الضيقة بمديـنة بيشاور، ومعـه اثـنان مـن أبـنائه وصديق آخر، انفجرت قنبلة تحت سيارته ليلقي الجميع حـتفهم في الحـال. مـات الشيخ وبقيـت كلماته وآثاره في قلب وعقل وذاكرة تلميذه أسامة بـن لادن، الـذي تحـول في تلـك الـلحظة الفاصلة مـن الحليـف رقـم واحـد لجهـاز الاستخبارات الأمـريكي، إلى العـدو رقـم واحـد، لا لجهاز الاستخبارات الأمريكي وحده، وإنما للمجتمع الأمريكي بأسره.

أمريكا - مرة أخيرة :

يبدو أن الأقـدار كانت تصر على وضع بن لادن في مواجهة أمريكا على طول الخط، فلم يكد يمضي عـلى كـارثتي «اغـتيال أستاذه عبد الله عزام ومذبحة جلال آباد» أقل من عام، إلا واجتاحـت العـراق دولـة الكويت، ليتخلق على خلفية هذا الحدث، وتحت دعوى حماية دول الخليج وعلي رأسها السعودية، تواجـد أمـريكي مكـثف ودائـم في المـنطقة، وخاصـة عـلى الأراضي السعودية. أقـل مـن عـام حـاول فـيه بـن لادن، الـذي اسـتقبل استقبال الأبطـال في

موطنه الأم «السعودية»، بعد أن استحال رمزا للتضحية والفداء، أن يتعايش مع واقعه الجديد بعد عشرة أعوام من الجهاد المقدس في أفغانستان. ابتعد بن لادن في هذه الفترة عن السياسة نهائيا، ولم يوجه ولو لمرة واحدة أية انتقادات للنظام الحاكم في السعودية. حصل بن لادن خلال هذه المدة القصيرة على عدة عقود سخية من الحكومة والقطاع الخاص، وبدا للجميع أن بن لادن دخل مرحلة جديدة في حياته، عاد فيها كما بدأ مقاول إنشاءات، بعد أن سكنه شخص آخر طوال عشرة سنوات كاملة، ولكن الرياح تأتي بما لا تشتهى السفن، والأقدار تسعي لصنع شبح يثير الرعب والخوف في قلب أمريكا؛ سيدة العالم بلا منازع.

الأفغان العرب :

مع انتهاء الحرب الأفغانية عام ١٩٩٢م وخروج القوات السوفيتية، كان على المتطوعين العرب الذين شاركوا في الجهاد الأفغاني ضد الروس أن يبحثوا عن ساحات أخرى غير أفغانستان؛ لتصريف الرصيد المعنوي والديني، ولتوظيف الطاقات والخبرات ال قتالية فيها، فلم يكن الوضع بالنسبة لمعظمهم يسمح بالعودة إلى بلادهم كما حدث مع بن لادن، بالإضافة إلى أن بعضهم تصور أنه تحول إلى سيف الله المسلول الذي لا يجب أن يغمد إلا بعد أن يستظل العالم كله بظل الجهاد.

أما الذين مكثوا فى أفغانستان، فقد انخرطوا فى الحرب الأهلية بجانب أحد المجموعات المتحاربة ضد الأخرى، كل بحسب علاقاته السابقة إبان الجهاد ضد السوفييت.

ويرصد الدكتور نشأت عبد الماجد أستاذ العلوم السياسية بجامعة القاهرة، ستة مسارات اتخذتها مجموعات الأفغان العرب عقب انتهاء الحرب بين المجاهدين والقوات السوفيتية أهمها :

١- فريق منهم عاد إلى بلادهم التي أتوا منها بشكل سرى بقصد إشعال المواجهة مع حكوماتهم، كما حدث بالنسبة لجماعتي الجهاد والجماعة الإسلامية المصريتين، وكذلك الجماعة الإسلامية المسلحة، (الجيا) بالجزائر، والأفغان اليمنيين فى اليمن الجنوبي.

٢- فريق سعى لطلب اللجوء السياسي فى عدد من الدول الأوربية (وهم رجال الدعاية والإعلام فى التنظيمات الإسلامية المسلحة) كما حدث مع قادة جماعتي الجهاد والجماعة الإسلامية المصريتين فى كل من لندن وهولندا والدنمارك.

٣- فريق ذهب لاستكمال ما رأى أنها باتت مهمته المقدسة فى الحياة، فانضم للجهاد فى كل من البوسنة والهرسك والفليبين ومنطقة القرن الأفريقي.

وقد استفاد أسامة بن لادن من كل هذه المجموعات عندما عاد وقرر استئناف الجهاد ضد الأمريكان وحلفائهم، استفاد منهم فى السودان والصومال والسعودية واليمن وأفغانستان، وأخيرا أوروبا التي أنطلق منها منفذو تفجيرات نيويورك وواشنطون.

أمريكا وغزو الكويت:

في الثاني من أغسطس ١٩٩٠ غزت القوات العراقية الكويت، وساد الرياض شعور هائج من السخط والغضب، ولم تفلح الرسائل العديدة التي وجهها صدام حسين إلى الملك فهد في التخفيف من حدة هذه المشاعر، فقد تأكد شعور قوي لدي الملك، بأن المملكة عرضة لهجوم عراقي، وتوجه أسامة إلى الرياض والتقي مع الأمير سلطان وزير الدفاع، وقدم بن لادن للوزير خطة للدفاع عن المملكة شملت تحريك معدات ثقيلة على الحدود الشرقية للمملكة لإقامة تحصينات عسكرية على الفور، واقتراح بتدعيم القوات المسلحة السعودية بالمئات من المجاهدين السعوديين الذين أحرزوا خبرة قتالية عالية في أفغانستان، بالإضافة إلى اقتراح آخر قدمه للأمير تركي بن عبد العزيز، رئيس جهاز الاستخبارات السعودي، يقضي باستعداد بن لادن والأفغان العرب للتسلل إلى الكويت والمشاركة في خوض حرب شعبية ضد القوات العراقية، موضحا قدرة رجاله على إلحاق الهزيمة بصدام حسين وإرغامه على الانسحاب من الكويت، كما أرغموا السوفييت على الانسحاب من أفغانستان من قبل، وحذر أسامه في نفس الوقت من مغبة الاستعانة بالأجانب، خصوصا الأمريكان - الذين وصفهم بالكفار - من أجل الدفاع عن المقدسات الإسلامية، موضحا أن هذا يتنافى مع تعاليم الإسلام فضلا عن حساسية هذه المشكلة بالنسبة لمعظم السعوديين ولمجمل المسلمين بوجه عام، وحذر بن لادن في مداولاته مع أفراد الأسرة المالكة في الرياض من أن الاستعانة بالأجانب سينال من مصداقية النظام، وعلي الرغم من كل الحجج التي ساقها بن لادن للدفاع عن وجهة نظرة، فلم تلق دعوته وتحذيراته أية استجابة من أي نوع، وفتحت المملكة أبوابها لاستقبال قوات التحالف بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية في مطلع عام ١٩٩١.

لم يكن أسامة وحده المعارض لنشر قوات أمريكية في المملكة، فقد أجمع المعارضون من رجال الدين على رفض الوجود الأجنبي في الخليج، وبعد مداولات مستفيضة مع الشيخ عبد العزيز بن باز مفتي السعودية، وبعد تصريح واضح من وزير الدفاع الأمريكي ديك تشيني بأن القوات الأمريكية لن تمكث دقيقة واحدة بعد انتهاء الحاجة إليها، نجح الملك أثناء اجتماع عقد بمكة وحضره ٣٥٠ عالما من انتزاع موافقة على ضرورة استدعاء القوات الأمريكية للدفاع عن المملكة وردع صدام حسين.

هـــــروب:

وعلي عكس ما أراد لنفسه في العامين الأخيرين من نهاية ١٩٨٩ وحتى نهاية ١٩٩٠، يجد أسامة نفسه مدفوعا إلى عالم السياسة من جديد، ويخطب بن لادن مطالبا بمقاطعة البضائع الأمريكية ومقاومة التواجد الأمريكي في الخليج. كانت الشعبية الجارفة التي يتمتع بها بن لادن مصدرا للخطر بالنسبة للأسرة الحاكمة في السعودية، فلم تستطع أن تستوعب موقفه، الأمر الذي دفعها إلى إرسال رسائل واضحة تحمل تهديدا قاطعا بإلغاء تعاقدات الحكومة السعودية معه، وإمكانية مصادرة أمواله، واحتمال احتواء المصادرة لأموال

الأسرة بالكامل، بمن فيهم والده وأشقاؤه وتحولت هذه التهديدات إلى عداء صريح خاصة بعد أن قررت السعودية استمرار القوات الأمريكية على أراضيها، غير عابئة لأية معارضة من أي جانب، مما اضطر بن لادن للفرار بأسرته من السعودية متوجها إلى السودان، وقبل خروج بن لادن من السعودية أجري عدة اتصالات بالبنوك التي يودع فيها أرصدته حيث أمّن تلك الأرصدة، وحول أجزاء كبيرة منها إلى أماكن سرية، ووصل إلى الخرطوم في نهاية ١٩٩١ حيث استقبله الدكتور حسن الترابي المرشد الروحي للنظام آنذاك وزعيم الجبهة القومية الإسلامية بالسودان.

التضامن المفقود:

أفاق العالم العربي والإسلامي عقب صدمة حرب الخليج على حقيقة سقوط فكرة التضامن العربي، وارتفع المد الإسلامي المطالب بالتصدي للغرب وضرب مصالحه في محاولة لاسترجاع الحقوق المغصوبة والمشروعة في إقامة مجتمعات وحكومات ذات هوية إسلامية خالصة في جميع أرجاء العالم الإسلامي، وسادت وجهة النظر القائلة بأن النظام العالمي الجديد أداة من أدوات الغرب وخاصة أمريكا لبسط هيمنتها على العالم، وفي سعي محموم من كافة التيارات الإسلامية - المتشددة بخاصة - لمواجهة هذه الهيمنة، تخلقت الأطروحات التي تدعو إلى تفجير ثورة إسلامية شاملة تتجاوز الفروق المذهبية بين السنة والشيعة، ووجد أسامه ضالته في هذه الأفكار التي تلقاها أول مرة على أيدي أستاذه وصديقه عبد الله عزام، وراح أسامة يدعو إلى الثورة الإسلامية العالمية الشاملة «ضد الكفر والطغيان»، وشرع في مد الجسور بين كافة المنظمات الإسلامية «المتشددة» في العالم أجمع، أقام مع بعضها علاقات تنسيقية، وتحالف مع بعضها الآخر، وكون مع جزء منها تنظيما جديدا أطلق عليه اسم تنظيم القاعدة.

التمويل:

عقب قيام بنك إنجلترا في الخامس من يوليو ١٩٩١ بإغلاق بنك الاعتماد والتجارة الدولي، بعد أن ارتبط بفضيحة مدوية في عالم المال والتجارة، لقيامه بغسيل الأموال المملوكة للجماعات «الإرهابية»، شعر بن لادن بضرورة إعادة بناء شبكة تمويل جديدة، فقام بتأسيس مجموعة من البنوك تتولى تمويل الأنشطة الحركية التي شرع ، « كما ادعت تقارير الـ CIA ، في رسم خططها، والتي امتدت لتشمل المصالح الأمريكية في اليمن والصومال والفليبين وشرق إفريقيا - كينيا وتنزانيا - وسرعان ما أصبحت هذه البنوك شديدة الفعالية في جميع أنحاء العالم، فعلي سبيل المثال، وقبل الانتخابات الجزائرية عام ١٩٩١، ترصد التقارير الغربية تبرع أثرياء الخليج من المتعاطفين مع الحركة الإسلامية بـ ١٢ مليون دولار لصالح الحملة الانتخابية لجبهة الإنقاذ، تم تحويل المبلغ من بنك فيصل الإسلامي بالخرطوم إلى الجزائر كذلك تم تحويل عشرين مليون دولار أخرى في مطلع عام

١٩٩٢، وتطور فكر بن لادن خاصة بعد أن تمت الحاجة إلى نظام مصر في أكثر تعقيدا وسرية، كما توضح التقارير، فأنشأ مجموعة من الشركات المالية القابضة في الشرق الأوسط وإفريقيا وأوربا، وأسند العمليات المصرفية لهذه الشركات إلى بنوك متخصصة. حقق بن لادن بهذا العمل عدة مكاسب، فقد رحبت الدول بالاستثمارات الوافدة إليها - خاصة وأنها بالعملة الصعبة - ولم تثر هذه الشركات أية شبهة لدي الدول العاملة على أرضها، الأمر الذي أتاح لها أكبر قدر من المرونة في الحركة، وعلي صعيد الدول الغربية استغل بن لادن المفاهيم الجديدة للعولمة - التي ساعدته من أول لحظة وحتى الآن في الصمود أمام جبروت أكبر دولة في العالم - وأقام شبكة مالية موازية لدعم الأنشطة العلنية للإسلاميين في هذه الدول، حيث أسس مؤسسات مشهرة وفقا لقوانين هذه الدول. من هذه المؤسسات : جمعية المساعدة في بريطانيا، وجمعية النجدة في برلين، وجمعية الدعم الإسلامي في إيطاليا، وجمعية موفق في زغرب، وبيت الأنصار في أفغانستان، وقررت مصادر بريطانية حجم ما تحصل عليه هذه الجمعيات في بريطانيا وحدها ١٠٠ مليون جنيه إسترليني سنويا، توزع على المنظمات والمراكز الإسلامية المختلفة. كما بلغ عدد فروع مؤسسة الإنقاذ التي أنشأها بن لادن نفسه، في منتصف الثمانينيات، ثلاثة عشر فرعا في كل من « ألبانيا وماليزيا وباكستان وهولندا وبريطانيا ورومانيا وروسيا وتركيا ولبنان والعراق وبعض دول الخليج» ويقع المركز الرئيسي للمؤسسة في العاصمة السويدية «استوكهولم».

كما أنشأ بن لادن شبكة من الحسابات المصرفية في أمريكا الشمالية، لتمويل التوسعات في أنشطة المنظمات التابعة له في أمريكا وكندا، وأسهم العديد من الأثرياء العرب والمسلمين بتبرعات سخية لهذا الغرض.

الفصل الثالث

بن لادن - رؤية أمريكية

لم تنس أمريكا أبدا موقف بن لادن إبان حرب الخليج، ودعوته لمقاطعة البضائع الأمريكية، وإعلانه الجهاد ضد الولايات المتحدة، كما لم تنس له موقفه الداعم للقوات الصومالية في مقديشو في مواجهتها، الأمر الذي أدى إلى إلحاق هزيمة مروعة بالقوات الأمريكية، وقبل هذا وذاك، مثلت تفجيرات نيويورك وواشنطن نقطة تحول رئيسية فى العلاقة بين بن لادن وأمريكا، حيث تعتبره الولايات المتحدة الأمريكية العدو رقم واحد للشعب الأمريكي.

ومنذ ١٩٩٢ وحتى الآن، اتهمت أمريكا بن لادن بالتخطيط والتدبير لـ ٣٠ حادثا إرهابيا، بالإضافة إلى مسئوليته عن تمويل معسكرات التدريب والإعداد الخاص بالإرهابيين في عدد كبير من مناطق العالم، وإشرافه الشخصي على البعض منها في أفغانستان.

ومن الخرطوم إلى لندن مرورا بعدن ومقديشو والرياض ونيويورك وواشنطن وجاكرتا والرباط، راحت التقارير الأمريكية ترصد أصابع بن لادن خلف أي تحرك إرهابي. وعلي الرغم من إعلان بعض الجهات مسئوليتها عن بعض العمليات كمحاولة اغتيال "بابا الفاتيكان" وتفجيرات مانيلا، التي أعلنت جماعة أبو سياف مسئوليتها عنها، إلا أن التقارير الأمريكية مازالت تصر على تحميل بن لادن المسئولية الأولي والأخيرة عن كل تلك العمليات".

أولا : الســـــودان :

رحل بن لادن إلى السودان هربا من تهديدات آل سعود له بمصادرة أمواله وأموال أسرته، واستقبلته الحكومة السودانية بترحاب شديد، حيث شارك في أول الأمر في تمويل الصادرات والواردات من وإلى السودان، ثم تدخل لحل مشكلات التنمية التي تواجه الحكومة السودانية، فأنشأ شركة الهجرة للبناء والتنمية المحدودة، والتي قامت بإنشاء طريق التحدي الاستراتيجي الذي يربط الخرطوم بميناء بور سودان المطل على البحر الأحمر بالقرب من الميناء، كما تم تطوير مطار الخرطوم ليصبح قادرا على استيعاب الطائرات الحربية وطائرات الاستطلاع، ولم ينس بن لادن في خضم مشاركته في دفع عجلة التنمية في السودان قضيته الأساسية، فجلب عددا كبيرا من رفاقه الأفغان العرب للعمل في شركاته بالسودان، قارب الـ ٥٠٠ رجل الأمر الذي دعا الإدارة الأمريكية لاتهامه بإقامة معسكرات تجنيد وتدريب «للإرهابيين» في المزارع التي منحتها إياه الحكومة السودانية .

ثانيا : اليـــمـــن :

رغم حماس وإخلاص بن لادن لقضية الجهاد في أفغانستان، إلا أن مخاوفا عديدة ظهرت فيما يتعلق بتزايد الوجود الشيوعي في اليمن الجنوبي، التي كان يحكمها نظام ماركسي، فقام بن لادن بتشكيل وحدات مسلحة يمكن استخدامها لمناوأة الحكومة الماركسية في اليمن

الجنوبي، على أن يتولى مسئولية تمويل هذه الوحدات بالكامل. وتؤكد تلك التقارير أن بن لادن نجح في تشكيل بعض الوحدات من المتطوعين ومن القوات الخاصة، وهكذا أصبح بن لادن مشاركا في تنفيذ بعض العمليات المسلحة التي استهدفت قوات الأمن في اليمن. وتوضح التقارير أنه رغم الحماس المتقد والموارد المالية الهائلة، إلا أن حركة الجهاد في اليمن الجنوبي لم تحقق نتائج تذكر، على الرغم من تمكن بن لادن من اغتيال أكثر من ٣٠ قيادة من قيادات الحزب الاشتراكي اليمن ي.

قواعد أمريكية :

وعندما قررت الشبكة العالمية التي شكلها بن لادن مساعدة المقاتلين في الصومال، عن طريق ضرب القواعد العسكرية الأمريكية في المنطقة لتخفيف الضغط على مقديشيو، وقع الاختيار مرة أخرى على قاعدة عدن،

وبرزت الحاجة مجددا إلى العلاقات الوطيدة التي أقامها أسامة بن لادن مع الحركات الإسلامية المسلحة في اليمن الجنوبي منذ الثمانينيات. وبرهن بن لادن كما تؤكد التقارير على أنه رجل المواقف الطارئة والصعبة، واستعد أنصاره في اليمن لمداهمة القواعد الأمريكية المتمركزة في ميناء عدن، وتقرر الاستعانة ببعض الكوادر من اليمن يين الأفغان الذين سبق لهم مرافقة بن لادن في رحلة الجهاد إلى أفغانستان، وبالفعل شكل هؤلاء الأفراد العمود الفقري للقوة الضاربة التي أسند إليها مهمة «إزعاج» الأمريكيين في اليمن.

الشعار :

نقطة دم في الصومال يقابلها نقطة دم في اليمن ، كان هذا هو الشعار . وقد تضمنت الخطة تدمير أماكن تجمع الجنود الأمريكيين العاملين في القوات البحرية والجوية، ونسف اثنين من الفنادق التي يعيشون فيها، والتأكد من تجاوز كافة العراقيل التي قد تنشأ عند تنفيذ هذه العمليات .

وتستطرد التقارير لتذكر أن أسامة بن لادن استدعي الشيخ طارق الفضلي، من المنفي الذي يقيم فيه في لندن، وأسند إليه القيادة الميدانية لهذه العملية، وكان أسامة قد تعرف على الفضلي- نجل سلطان عدن السابق- من قبل، عقب ترحيله من الشطر الشمالي من اليمن قبل اشتعال الحرب. وتم اختيار منطقة صعده كموقع لتجميع الأفراد، وتسلل طارق الفضلي إلى اليمن سرا في منتصف نوفمبر ١٩٩٢، وقام بن لادن بتحويل مبالغ طائلة إلى اليمن لتمويل العملية، وتشكلت القوة الضاربة الرئيسية المخصصة لمهاجمة الأمريكيين في مطلع ديسمبر ١٩٩٢، وتولت تنظيمات الجهاد الإسلامي اليمني مسئولية الدعم والقيادة .

ضمت هذه القوة ما لا يقل عن خمسمائة فرد، وكان معظم هؤلاء الأفراد على مستوى متميز من الخبرة والتدريب، وتم إلحاق مجموعات من خبراء المتفجرات والمتخصصين في إعداد العبوات الناسفة بهذه القوة. وبدأ الخبراء في تأهيل أعداد إضافية وتزويدهم بهذه الخبرات في المعسكر الرئيسي للجهاد الإسلامي بمنطقة "صعده" باليمن الشمالي، التي تبعد بنحو خمسين ميلا عن الحدود المشتركة مع المملكة السعودية، واستدعي أحد الخبراء في صناعة القنابل من أفغانستان للمشاركة في التدريب.

حـيـلـة :

قام تنظيم الجهاد الإسلامي اليمن ي بإنشاء ميناء بحري صغير، وغير مسجل على أي خريطة ملاحية، قرب نقطة الخوخة على الساحل اليمن ي المطل على البحر الأحمر، وغادر خبير المفرقعات عدن قبل يوم واحد من تنفيذ الهجمات التي استهدفت الأمريكيين وبعدها تعرض فندق جولدن مور هوتيل بعدن، في التاسع عشر من ديسمبر ١٩٩٢، لهجوم بالقنابل، وقد قتل ثلاثة جنود أمريكيين من نزلاء الفندق وجرح خمسة آخرون. وتعرض الفندق لوابل من قذائف الـ "RBG"س الصاروخية المستخدمة أصلا في مهاجمة المدرعات.

هـجـوم آخـر :

وتوجهت مجموعة أخرى إلى القاعدة الجوية الأمريكية في عدن لمهاجمة طائرات النقل الرابضة على مدرجات الهبوط والإقلاع بالقاعدة، ولم تستطع الأجهزة الأمنية اليمنية إزالة الغموض المحيط بهذه الهجمات، وقررت الاستعانة بالخبراء المصريين، الذين قرروا بعد تحريات سريعة أن وراء هذه الهجمات أسامة بن لادن. وعلي الرغم من استسلام الشيخ طارق الفضلي للسلطات اليمنية، إلا أنها لم تستطع أن تثبت تورطه في أي عملية ، ولذلك أطلق سراحه بعد فترة وجيزة .

وكانت الحكومة اليمنية بحاجة إلى عدم إثارة الإسلاميين ضدها، في وقت كانت تسعي فيه إلى تضافر كافة الجهود لاحتواء الأزمة في البلاد بالإضافة إلى أن التجمع اليمن ي للإصلاح، ذو التوجهات الإسلامية الصريحة، كان بمثابة عنصر الاتزان في المعادلة السياسية اليمنية المعقدة.

فقد قال الشيخ عبد المجيد بن عبد العزيز الزنداني أن سماح الحكومة اليمنية بوجود القوات الأمريكية على أراضيها يتضمن تهديدا خطيرا للإسلام وأن هذا الوجود العسكري الأجنبي يتطلب مواجهته بالقوة .

وكان الشيخ الزنداني، نائب رئيس حزب الإصلاح وأحد الأصدقاء الأوفياء للدكتور حسن الترابي ولأسامة بن لادن أيضا، وأضاف الزنداني أن مجرد ظهور الأمريكيين في عدن

يهدد السلم العام في اليمن ، وتساءل لماذا لا يذهب الأمريكيون إلى مقديشيو مباشرة إذا كانوا قادرين على ذلك؟

أمريكا تغوص في مستنقع الصومال :

بدأت العمليات العسكرية المعادية للوجود الأمريكي في الصومال في يونيو ١٩٩٢، عندما قام مقاتلو حزب الاتحاد الإسلامي الصومالي بشن هجوم مباغت على الوحدات الأمريكية في منطقة بوصاصو بشمال الصومال.

كان الاستطلاع هو الغرض من هذا الهجوم لمعرفة مدي تيقظ الأمريكيين وكفاءة الإجراءات الأمنية لديهم،

وتمت دراسة النتائج التي أسفر عنها هذا الهجوم، وعقد مؤتمر موسع من قادة الحزب، شارك فيه خبراء سودانيون وإيرانيون، واستضافت مدينة مركا هذا المؤتمر. ناقش المشاركون في الاجتماع الخطط الميدانية القادمة والتي سيتم تنفيذها ضد القوات الأمريكية.

دارت المناقشات، كما تشير التقارير الأمريكية، تحت إشراف اللواء رحيم صفوي، قائد الحرس الثوري الإيراني، وعلي عثمان محمد، نائب الرئيس السوداني، وحظي هذا المؤتمر باهتمام بالغ من الخرطوم وطهران.

قرر الخبراء احتياج مقاتلي الحزب إلى عتاد أكثر تطورا حتى يمكن التصدي للأمريكيين بجرأة و فعالية، وبعد عودة الخبراء إلى الخرطوم تقرر البدء فورا في شحن هذه المعدات، وبدخول خريف ١٩٩٢ طرأ تحسن ملحوظ على القدرة ال قتالية للحزب الإسلامي والجماعات المتحالفة معه.

بن لادن والتمويل :

أقام الحزب مراكز عمليات متقدمة في مقديشيو ومركا وبوصاصو وجمام بالجنوب، واستطاع مقاتلو الحزب إحكام سيطرتهم على ميناء "لاص قوراي"، المطل على خليج عدن.

ويعد هذا الميناء من أفضل المواقع التي يمكنها التحكم في سير الملاحة وحركة السفن التي تعبر البحر الأحمر، وأقام مقاتلو الحزب المزيد من معسكرات التدريب في منطقة أرض الصومال والأوجادين، وفي هذه المرة كان أسامة بن لادن مستعدا بالفعل لضخ المزيد من النقود لتمويل هذه التوسعات، وأنشأ بن لادن شركات ذات طابع دولي لتسهيل تمويل هذه القواعد، خاصة أن الحكومة السودانية ولأسباب ميدانية بدأت التوسع في معسكرات التدريب بالأوجادين، وشاركت مؤسسات بن لادن في المشروعات الزراعية في المنطقة.

وتم اتخاذ هذه الشركات كغطاء لنقل الأموال إلى أثيوبيا ومنها إلى المجموعات الإسلامية في الأوجادين واشتري بن لادن مساحات شاسعة من الأراضي الزراعية وشبه الصحراوية، ولم يكن الدخول إلى هذه المناطق ممكنا إلا للموثوق بهم فقط، وبالطبع لم تتمكن الحكومة الأثيوبية من معرفة ما يدور بهذه المزارع.

وفضلت حكومة أثيوبيا أن تمضي الأمور بهدوء حرصا على الاستثمارات الكبيرة التي انهمرت عليها من حيث لا تدري، وأعطت هذه التسهيلات خدمات كبري لمقاتلي الحركة الإسلامية في الصومال ولبن لادن.

شبكة للمعلومات:

كما فعل من قبل في أفغانستان دفاعا عن المسلمين الأفغان، فعل في الصومال، وأقام بن لادن شبكة واسعة لرصد وجمع المعلومات عن تحركات القوات الأمريكية، وأثبتت هذه الشبكة فعالية مذهلة، فلم يستطع الأمريكيون وحلفاؤهم التوصل إلى قادة العمليات المسلحة في الصومال، رغم الأساليب البدائية وضعف الإمكانيات المتاحة لأفرادها والتي لا تقارن بالقدرات الأمريكية .

كان القرار الخاص بالتصدي للجنود الأمريكيين متسقا مع التحليل الإسلامي لمغزى التدخل الأمريكي في الصومال، حيث كان الإسلاميون يعتبرون هذا التدخل بمثابة مؤامرة على الإسلام، وأن الولايات المتحدة ليست معنية بالتخفيف من ويلات المجاعة التي تفتك بالشعب الصومالي، وتخوفت الحكومة السودانية من نتائج الوجود الأمريكي بهذه الكثافة، في قواعد برية في الصومال المجاورة. كما حذرت الحركات الإسلامية في الشرق الأوسط من احتمال تعرض السودان لسلسلة من الغارات الأمريكية، وقالت مصادر حزب الله في إيران إن السودان هو الهدف الحقيقي من احتلال الصومال، باعتبار أن الولايات المتحدة لا يمكن أن تتغاضى عن التجربة الإسلامية السودانية وما تمثله من دلالات ترتبط بالنهضة الإسلامية، فلن تكون هذه هي المرة الأولي التي تلقي فيها الولايات المتحدة بثقلها العسكري لاحتلال دولة في العالم الثالث، وأنه ما لم يتم ردع الأمريكيين فسوف تتكرر عمليات التدخل في مناطق أخرى من العالم الإسلامي، خصوصا الدول التي تريد العودة إلى النهج الإسلامي.

الفخ:

تشكلت لجنة برئاسة على عثمان محمد طه - نائب الرئيس السوداني، وشارك في عضويتها مسئولون إيرانيون وسودانيون.

كان القرار الوحيد الذي اتخذته هذه اللجنة لا يزيد عن عبارة موجزة في عدة كلمات، كانت هذه العبارة هي: تحويل الصومال إلى فخ محكم للقوات الأمريكية يشل قدرتها على التفكير في الاستقرار في المنطقة أو مهاجمة السودان، وبذلك تتحول الصومال إلى مستنقع يغوص فيه الأمريكيون.

وأوصت اللجنة بضرورة البدء في شن سلسلة من عمليات حرب العصابات ضد الجنود الأمريكيين، بعد انتهاء الدراسات المتعلقة بالإمكانيات العسكرية المتاحة لهم في الصومال.

مجموعات فدائية :

تقرر إنشاء مجموعات فدائية تستلهم النموذج الإيراني، وقام وفد إيراني رفيع المستوي برئاسة آية الله محمد يزدي، يرافقه ثلاثون شخصا من كبار ضباط المخابرات الإيرانية بزيارة السودان .

شارك الوفد في تحديد ملامح أولويات المقاومة ضد القوات الأمريكية، وتضمنت خطة المقاومة عدة نقاط منها : تسليح الشعب الصومالي وحث أئمة المساجد علي التنديد بتدخل الدول «الكافرة» أثناء خطب الجمعة.

وتم تجميع العناصر الإسلامية المدربة في شمال الصومال ومنطقة الأوجادين، وأدت المحاولات الأمريكية الرامية إلى التفاهم مع الزعامات الصومالية التقليدية، إلى التعجيل باندلاع المواجهات، وذلك قبل أن تتمكن الولايات المتحدة من تحقيق أهدافها في المنطقة.

حددت قيادة حزب الاتحاد الصومالي الأهداف الأمريكية من احتلال الصومال بالنقاط التالية :

١- السيطرة علي منطقة الحزام النفطي الواعدة والممتدة من السودان مرورا بإريتريا والصومال واليمن، حيث تبدو أهمية هذه المنطقة من وفرة الاحتياطيات النفطية المستقرة تحت رمالها.

٢- إقامة حكومة موالية للأمريكيين في مقديشيو.

٣- التقدم من الصومال إلى جنوب السودان تمهيدا لفصله عن السودان وإقامة دولة «مسيحية» هناك، على غرار كردستاني العراقية التي باتت محور ارتكاز القوات الأمريكية في عدوانها المستمر على العراق طوال السنوات العشرة الماضية، وفور إعلان هذه الأهداف قرر أسامة بن لادن مضاعفة مشاركته في التصدي للأمريكيين في الصومال، وكان قرارا خطيرا لا يخلو من عقبات ومصاعب، فقد حملته أمريكا بسبب موقفه هذا مسئولية جميع العمليات الإرهابية التي تمت ضد مصالحها في جميع أنحاء العالم .

مؤتمر موسع :

كان منتصف فبراير ١٩٩٣ الموعد المحدد للانتهاء من الاستعدادات العسكرية في الصومال، خاصة أن الخرطوم كانت تستضيف مؤتمرا موسعا للحركات الإسلامية في ذلك التاريخ، وشارك في المؤتمر عدد من قادة الميليشيات الموالية للواء محمد فارح عيديد.

أبدي القادة المجتمعون حماسا ملحوظا للمشاركة في أي عمليات عسكرية ضد الأمريكيين في الصومال، وخلال الأسابيع الثمانية التي أعقبت المؤتمر بالخرطوم، سافر عيديد وكبار أنصاره إلى السودان وإيران واليمن وأثيوبيا من أجل الإطلاع على تفاصيل

الخطة العامة التي تستهدف الأمريكيين والتعديلات المستمدة عليها، وحينما كان عيديد في الخرطوم في ربيع ١٩٩٣، تقول التقارير الأمريكية إنه عقد اجتماعا هاما مع مسئولي الاستخبارات العراقية بالسفارة العراقية، وأسفر الاجتماع عن التوصل لاتفاق بين عيديد والعراق وساند المسئولون العراقيون جهود عيديد في مقاومة الأمريكيين وحلفائهم وطالبوا بتحويل الصومال إلى فيتنام أخرى.

وأولت الحكومة العراقية اهتماما غير عادي بهذه الخطة وعين الرئيس العراقي صدام حسين نجله قصي للإشراف علي الدور الذي سيلعبه العراق لمساعدة القوي المناوئة للأمريكيين.

نشاط عراقي مكثف:

استقبلت السفارة العراقية بالخرطوم العديد من ضباط المخابرات العراقية وخبراء الأساليب ال قتالية للقوات الخاصة، وكانت المهمة التي كلفوا بها هي المشاركة في وضع تصور للعمليات الأكثر تأثيرا ضد القوات الأمريكية في الصومال.

وبحلول يونيو ١٩٩٣، تم نشر عناصر من مقاتلي حزب الله اللبناني وعدد من الأفغان المصريين وكوادر من الجبهة السودانية الإسلامية وحزب الاتحاد الصومالي الإسلامي ومنظمة الجمهورية الإسلامية والجبهة الإسلامية لتحرير أثيوبيا.

وتحمل بن لادن عبء توفير مستلزمات الإعاشة ونقل المعدات والأفراد لهذه القوة المقدرة بثلاثة آلاف رجل على الأقل، وتم تهريب بعض الأفراد عبر كينيا و أثيوبيا، بينما تم إنزال وحدات من العناصر الإسلامية في نقاط مهجورة من الشاطئ الصومالي وبعد ذلك انتقلت إلى المناطق الداخلية، وبالتحديد المناطق المحيطة بالعاصمة مقديشيو، وتكونت المجموعات الأولي من خبراء في حروب العصابات وأساليب القتال داخل المدن والعمليات الخاصة والقناصة. واستمر تدفق التعزيزات العسكرية علي أفراد هذه القوة للوصول بها إلى أعلي كفاءة قتالية .

كمائن:

تعرضت القوات الأمريكية في الصومال لسلسلة من الكمائن الغامضة خلال صيف ١٩٩٣، وشملت هذه العمليات هجمات بالقنابل علي مراكز قيادة هذه القوات.

كان الغرض من هذه الهجمات قراءة ردود الأفعال الصادرة عن الأمريكيين، ولكن هذه العمليات اكتسبت بعدا أكثر خطورة منذ الخامس من يونيو ١٩٩٣، فقد قتل رجال الميليشيات الموالية للواء محمد فارح عيديد ثلاثة وعشرين جنديا باكستانيا من القوة التي أوفدتها باكستان تحت ضغوط شديدة من الإدارة الأمريكية.

أسفرت هذه العملية عن نتائج في غاية الأهمية، فقد انضمت جماعات صومالية عديدة إلى تحالف عيديد، وحتى خصوم عيديد لم يسعهم سوي الاعتراف بأهمية هذه

العملية، ووصف عبد الرحمن نور - الرئيس السابق لجمهورية أرض الصومال - عيديد بالبطل، بسبب مقاومته ومواجهته القوات الأجنبية خصوصا الأمريكية.

انتخاب بن لادن :

اختفى اللواء عيديد وكبار معاونيه فجأة في الحادي عشر من يونيو ١٩٩٣ من مقديشيو، وتوجهوا إلى جهة غير معلومة، وكانت الخرطوم هي الجهة التي استقبلت عيديد، وهناك شارك في جلسات المؤتمر الشعبي العربي والإسلامي الذي ترأسه الدكتور حسن الترابي.

تم تخصيص الجلسة الافتتاحية والعلنية للتنديد بالإبادة الجماعية التي تشنها الولايات المتحدة ضد الشعبين الفلسطيني والصومالي، وتم زيادة الدعم السياسي والعسكري المقدم للحركات الإسلامية ومقاتليها المشاركين بتنظيم «الجهاد» بالصومال.

وقد شارك بن لادن في فعاليات المؤتمر، وتم انتخابه في الهيئة القيادية وفاز في هذه الانتخابات د. أيمن الظواهري زعيم تنظيم الجهاد المصري والساعد الأيمن لأسامة بن لادن حاليا.

عقب المؤتمر، تم تدعيم البنية الأساسية اللازمة لخوض حرب مفتوحة ضد الأمريكيين في الصومال، وكانت ظروف هذه الحرب غير مألوفة وغير مسبوقة في تجارب حروب العصابات السابقة.

وكان على قادة الحرب في الصومال مواجهة هذه الظروف بحسم شديد، وكانت القواعد الرئيسية للإسلاميين منتشرة في خط ممتد من الجنوب عند قسمايو وباتجاه الشمال في منطقة الأوجادين، مرورا بمدن مركا وبردهيرا وجالكيو وبوصاصو، التي أقامت فيها مخابرات الحرس الثوري الإيراني قاعدة مهمة للغاية.

واضطلعت هذه القاعدة بتوفير الأسلحة المضادة للدبابات والطائرات مثل بطاريات سام ٧ «الروسية الصنع». كان هناك على الأقل تسعمائة من مقاتلي حزب الله اللبناني والحرس الثوري الإيراني متمركزين في الأراضي الصومالية، شارك هؤلاء المتطوعون في تدريب مالا يقل عن خمسة عشر ألف مقاتل صومالي، وكان هؤلاء على أهبة الاستعداد لمواجهة الأمريكيين.

كان الهجوم الذي شنه الأمريكيون في الثاني عشر من يوليو ١٩٩٣ الفرصة التي انتظرها الإسلاميون طويلا وعلي الفور اجتمع ثلاثون شخصا من قادة الوحدات الميدانية برئاسة عيديد، وأصدر المشاركون في الاجتماع أمرا بتصعيد الهجمات ضد الأمريكيين أينما وجدوا، وبعد ساعات قلائل انقلبت الأوضاع بالكامل في منطقة وسط الصومال، وبات جميع المواطنين في حالة استنفار شامل ضد الأجانب والأمريكيين بصفة خاصة.

كما تعهدت المنظمات الإسلامية باستمرار الجهاد إلى حين رحيل آخر جندي أجنبي من الصومال.

انـــتـــقـــام:

تعرض الأمريكيون لانتقام خاص بسبب استمرار ارتكابهم جريمة الإبادة الجماعية ضد الشعب الصومالي، وغمرت مقديشيو المنشورات المكتوبة باللغتين الإنجليزية والصومالية، «السواحلية»، وتضمنت هذه المنشورات تحذيرات للمواطنين من احتمال تعرضهم لعدوان مفاجئ من الأمريكيين.

أدت هذه المنشورات الغرض المطلوب منها، فقد تضاعفت حدة الكراهية للأمريكيين، ولم يعد هناك من يجرؤ على المجاهرة بالتعاون معهم، ودعت هذه المنشورات إلى الهجوم على الأمريكيين انتقاما «للشهداء» الذين قتلهم الأمريكيون وأن عليهم اصطياد الضباط من ذوي الرتب العليا.

حثت هذه المنشورات المواطنين علي التضحية بأرواحهم في سبيل الحرية والحفاظ علي كرامتهم، وقصفت الميليشيات الموالية لعيديد السفارة الأمريكية في مقديشيو، واستمرت الجماهير المتعاطفة مع الإسلاميين في حشد مظاهرات صاخبة بلا انقطاع، وأسقط في يد القائمين على الأمم المتحدة، فقد كانت هذه المظاهرات تصويتا يرفض خطة تقديم الغذاء المشبوهة، ولم تنقطع الهجمات المسلحة التي تستهدف الأمريكيين حتى نهاية يوليو ١٩٩٣.

مـــســـاعـــدات:

تلقي اللواء فارح عيديد المزيد من المساعدات من كافة التنظيمات الإسلامية، ففي الثالث من أغسطس ١٩٩٣ قدمت قوة من المقاتلين الإسلاميين، وتم تنظيم هذه القوة في وحدات خاصة عرفت باسم طلائع الإنقاذ الصومالية وشاركت عناصر مصرية في قيادة هذه الوحدات.

تعهد أفراد هذه القوة بشن هجوم شرس ضد الوجود الأمريكي علي الأراضي الصومالية، باعتبار أن الولايات المتحدة المسئول هي الأول عن الإرهاب الذي يتعرض له المسلمون ودول العالم الثالث بصورة عامة.

أدرك المحللون أن هناك معركة حاسمة ستدور بقيادة الميليشيات الإسلامية المناصرة للواء محمد فارح عيديد.

وبالفعل تم حشد الكوادر الإسلامية المدربة جيدا، والتي تنتمي إلى قبيلة «هبرجدر» الصومالية علي خطوط المواجهة.

وفي الحادي عشر من أغسطس ١٩٩٣ شن مقاتلو حركة الإنقاذ الإسلامي الصومالية هجوما بالقنابل علي القوات الأمريكية، وتم تفجير عبوات ناسفة عن بعد وهو أسلوب يجيده مقاتلو حزب الله في لبنان.

أسفر الهجوم عن مصرع أربعة جنود أمريكيين، وعقب هذه العملية شن مقاتلو الحركة عدة عمليات أخرى، وأعلنت قيادة هذا الفصيل أنها ستستمر في القتال حتى تزيل

«اليانكي» «الكفار» والدمى التي يحركونها، وأن هذه الحرب صدام بين «الإسلام» و«الكفار» من أجل استعادة حكم الشريعة في الصومال، ولكن ظلال أسامة بن لادن لم تكن بعيدة عن مسرح القتال، بل إن جهوده المتواصلة مكنت مقاتلي الحركات الإسلامية من الصمود أمام بطش الآلة العسكرية الجبارة التي تمتلكها الولايات المتحدة وحلفاؤها من الدولة الغربية، وبالطبع لم ينس الأمريكيون هذا لأسامة بن لادن.

حزب الاتحاد الإسلامي :

رغم اكتمال الاستعدادات ال قتالية لحزب الاتحاد الإسلامي، الصومالي، إلا أنه شكل احتياطيا استراتيجيا لقوات اللواء عيديد، ولكن بحلول الأيام الأولي من سبتمبر ١٩٩٣، شارك مقاتلو الحزب في العمليات التي دعا إليها عيديد، بعد أن اتهم الولايات المتحدة بتدبير مذابح جماعية للشعب الصومالي، ودعا الأمة الإسلامية إلى تأييد شعبه في المحنة التي يتعرض لها.

أصدر عيديد تعليماته إلى القوات الموالية له بإلحاق أكبر قدر ممكن من الخسائر في صفوف الأمريكيين، حتى يتم تخليص الصومال من المحتلين الأجانب وإعادة الجنود الأمريكيين إلى بلادهم في توابيت الموتى، وشاركت قيادة الحركة الإسلامية العالمية في التمهيد لمزيد من التصعيد.

مصري يتولى القيادة الميدانية :

تولي الدكتور أيمن الظواهري القيادة الميدانية، وعاونه أحد الأفغان العرب المصريين المعروف باسم أبو على البنشيري، وفي الثالث من أكتوبر ١٩٩٣ نفذت المجموعات التابعة لهذه الحركة عملية مباغتة ضد القوات الأمريكية في مقديشيو، وتم حشد قوات مكثفة لتنفيذ هذه العملية، والتي شارك فيها المواطنون الصوماليون البسطاء، وأصبحت مقديشيو شعلة من الحماس المتأجج ضد الأمريكيين، وتأكد المراقبون أن عملية جلاء القوات الأجنبية عن الصومال باتت مسألة وقت فقط، وهكذا تقوضت الأهداف التي راهنت عليها الإدارة الأمريكية، واكتسبت الحركة الإسلامية وبن لادن مزيدا من الثقة بالنفس في مواجهة غطرسة أمريكية، لا تعترف إلا بأسلوب القوة منهجا في الحياة، حتى أن شعارها الأساسي «الأقوى - الأسرع - الأعلى».

رابعاً : الفلبين :

مرة أخرى تتحدث التقارير الأمريكية عن أن بن لادن سافر إلى القلبين في شتاء ١٩٩٣ للإشراف على أنشطة شبكته الدولية، ولم يكشف عن هويته الحقيقية إلى السلطات الفليبينية، وإنما قدم نفسه على أنه مستثمر سعودي يتمتع بثراء فاحش، وأنه يسعى إلى استثمار أمواله في الجزر الجنوبية التي يتركز فيها المسلمون، وبالطبع رحبت الحكومة الفليبينية بهذا العرض البالغ الكرم.

رافق بن لادن العديد من المسئولين الحكوميين أثناء جولته في المناطق التي يعتزم الاستثمار فيها، حيث حصل علي تسهيلات ملحوظة لدي شراء الأصول العقارية التي سيقيم عليها مشروعاته.

وقام بن لادن بالاتفاق مع عدد من البنوك على فتح حسابات جارية لتمويل هذه المشروعات، وحينما لم يعد من السهل على بن لادن أن ينتقل بحرية غادر الفليبين، ترك هذه المشروعات تحت إشراف زوج أخته محمد خليفة، ولكن نقل الأموال أصبح يتم عبر موفد خاص يحظى بالثقة المطلقة من بن لادن، إلا أن محمد خليفة اعتقلته السلطات الأمريكية في مدينة سان فرانسيسكو، وتم توجيه تهمة الإخلال بشروط الهجرة إلى خليفة وقامت السلطات بترحيله، إذ كان وجوده في الولايات المتحدة وفقا للتحريات التي أعلنتها أجهزة المخابرات الأمريكية بغرض الحصول على تسهيلات وأسلحة للجماعات المقاتلة في الفليبين.

وفي صيف ١٩٩٨ أنكر محمد خليفة باستماتة التهم الموجهة إليه بالمشاركة في تمويل مجموعة أبي سياف - وتوصف هذه المجموعة بأنها الأكثر تشددا بين الجماعات الإسلامية في الفليبين - الأمر الذي أدى إلى الإفراج عنه.

الأفغان العرب في الفليبين:

في عام ١٩٩٤ بدأ توافد الأفغان العرب إلى الفليبين، حسبما ورد في التقارير الأمريكية، وتم تشكيل أولي الخلايا المقاتلة في هذا العام.

تركزت هذه الخلايا في المدن الكبرى تحديدا، وكان رمزي أحمد يوسف من كبار القادة الميدانيين لهذه الخلايا وقد اتهمت الولايات المتحدة رمزي يوسف بالإشراف على تفجير مركز التجارة العالمي في السادس والعشرين من نوفمبر ١٩٩٣، وقالت السلطات الأمريكية إن المجموعات الإسلامية تخطط لإنشاء قاعدة ارتكاز لها في شرق آسيا، كي يتم الإفادة من هذه القاعدة في شن عمليات ضد أهداف أمريكية.

تفجيرات:

نجحت هذه الشبكة في الحادي والعشرين من ديسمبر ١٩٩٤، طبقا لما قال به الأمريكان، في تفجير عبوة ناسفة في إحدى الطائرات البوينج المملوكة للخطوط الجوية الفليبينية أثناء رحلتها من شيبو بالفليبين إلى طوكيو باليابان، ورددت أجهزة الأمن الأمريكية أن رمزي يوسف أشرف بنفسه على زرع هذه العبوة بعد أن استقل الطائرة مستخدما جواز سفر إيطاليا مزورا، وذلك قبل أن يتسلل هاربا أثناء توقف الطائرة في مانيلا، وقد انفجرت القنبلة عندما كانت الطائرة فوق جزيرة أوكتيادا اليابانية.

لم تنفجر الطائرة بسبب تحليقها على ارتفاع منخفض بالإضافة إلى ضآلة كمية المتفجرات، وكانت هذه العملية بمثابة اختبار لسلسلة من العمليات كان رمزي يوسف

يخطط لها بالتنسيق مع سعيد احمان، إذ كان يحاول كل منهما نسف اثنتين من الطائرات البوينج لدي اقتراب كل منهما من جزيرة هونج كونج.

ولم يتم تنفيذ هذه العملية بسبب انهيار الشبكة، وعلي الرغم من إعلان المنظمة التي يقودها أبو سياف مسئوليتها عن القنبلة التي انفجرت في ديسمبر ١٩٩٤، إلا أن الحكومة الأمريكية ظلت تشكك في أن لبن لادن اليد الطولي في هذا العمل.

وأصر أبو سياف على ادعاءاته رغم أن الشكوك الأولية لم تقترب منه، بسبب عدم حيازته خبرة متطورة تتناسب مع الطريقة التي تم استخدامها في عملية التفجير، كما أنه لم يسبق أن قامت العناصر الموالية له بنقل مجال عملها إلى مانيلا.

وأعلن هذا التنظيم مسئوليته عن التخطيط لاغتيال بابا الفاتيكان، العملية التي حاول الأمريكان إلصاقها من قبل ببن لادن عندما تسربت أسرارها في يناير ١٩٩٥.

وزعم البيان الصادر عن التنظيم أن المجموعة المتمركزة في مانيلا من كوادر التنظيم التي قامت بالتنفيذ، وأن العملية تندرج في سياق الجهود التي تبذلها الجماعات الإسلامية للتخلص من نفوذ الحكومة وهيمنة الكنيسة الكاثوليكية.

وتم الكشف عن اغتيال البابا في يناير ١٩٩٥، عندما قامت مجموعة مسلحة تضم رمزي يوسف بالإعداد لها، إلا أن عملية خلط المتفجرات تمت بطريق الخطأ الأمر الذي كشف العملية، حيث انبعثت سحابة من الغازات السامة انتشرت فوق المكان الذي كان البابا سيمر فيه، وقد استطاع مدبرو العملية الفرار من موقع الحادث وتمكنوا من الوصول إلى الشقة التي يقيمون بها في مانيلا، دون أن يتعرف عليهم أحد من أفراد الشرطة، وعندما بدأت التحقيقات اكتشفت السلطات أدلة وافية عن وجود خطط لتنفيذ سلسلة واسعة من العمليات في الفليبين والولايات المتحدة، والتي ألقت القبض علي بعض أفراد الشبكة في مانيلا بمن فيهم سعيد أحمان.

رمـــزي يـــوســـف:

تم تسليم أحمان في مرحلة لاحقة إلى الولايات المتحدة، بينما استطاع الآخرون مثل رمزي يوسف الهرب إلى تايلاند، وبعد ذلك سافر رمزي يوسف إلى باكستان.

واجهت الولايات المتحدة الأمريكية إسلام آباد بمعلومات محددة عن رمزي يوسف والمكان الذي يختبئ به، وكان هذا الموقع ضمن بناية سكنية مملوكة لأسامة بن لادن، ولم يكن هناك خيار آخر أمام إسلام آباد سوي الإذعان للمطالب الأمريكية، بعد أن هددت واشنطن بوضع باكستان على قائمة الدول التي ترعي الإرهاب ومواجهة العقوبات المنصوص عليها في القانون الأمريكي الخاص بمحاربة الإرهاب.

واعتقل رمزي يوسف وحده، وتم تسليمه إلى الولايات المتحدة طبقا لاتفاقية تبادل المتهمين الموقعة بين الدولتين.

معلومات الـCIA

كان المقر الرئيسي لوكالة الاستخبارات المركزية بين الأهداف التي خطط لها أنصار رمزي يوسف، وكانت هذه الخطة تقضي بمهاجمة مقر الوكالة في ضاحية لانجلي بولاية فرجينيا الأمريكية باستخدام طائرة خفيفة بعد تحميلها بشحنة من المتفجرات ذات القدرة التدميرية الفائقة، والانقضاض على مقر الوكالة بالطائرة من الجو، وكان سعيد أحمان مرشحا للقيام بدور الطيار الانتحاري الذي سيتولى قيادة الطائرة، وكانت هناك خطة أخرى لمهاجمة إحدى عشرة طائرة أمريكية في نفس الوقت لدي اقترابها أثناء محاولة الهبوط. «الغريب أن هذا هو السيناريو الذي استخدم بالفعل من قبل الذين قاموا بالتفجيرات الأخيرة في نيويورك وواشنطن».

وبالرغم من انهيار الشبكات الإسلامية في الفليبين قبل أن تتمكن من تنفيذ أي عملية كبري، إلا أن هذا الانهيار كان صدفة ولم يكن وليد تهاون في تطبيق إجراءات تأمين هذه الشبكات، أو نجاح أجهزة الاستخبارات في التسلل إليها واختراق صفوفها.

قدرة بن لادن :

وطبقا للتقارير الأمريكية، فقد استطاع أسامة بن لادن أن يبرهن علي قدرته علي إنشاء قنوات لدعم هذه الشبكات، وفي دولة تكاد تكون بعيدة عند أقصي الركن الجنوبي الشرقي من القارة الآسيوية.

واستمرت قنوات الدعم التي أقامها بن لادن حتى بعد التحقيقات المستفيضة التي أجرتها السلطات الفليبينية والأمريكية، بل إن السلطات الأمريكية عجزت عن الإمساك بدليل اتهام واحد يدين محمد خليفة عندما ألقي القبض عليه في الأردن رغم صلة القرابة الوثيقة التي تجمعه ببن لادن.

السعودية :

عقب تفجير الخبر بالسعودية، اتهمت أمريكا بن لادن بأنه قرر تصعيد الأنشطة الإرهابية المسلحة ضد القوات الأمريكية المتواجدة على أرض الجزيرة، وادعت التقارير أنه لتحقيق هذه الغاية بدأ أنصار بن لادن تنفيذ خطة واسعة من المتابعة والرصد لتحركات الجنود والرعايا الأمريكيين بالملكة السعودية، وتم تحديد مجموعة من الأهداف التي يقيم بها الأمريكيون شملت الأبراج السكنية في القاعدة الأمريكية بالخبر، ومبني يقيم به الأمريكيون في الرياض، وبينما الترتيبات النهائية للإعداد لتفجير الخبر تجري على قدم وساق، ذكرت مصادر سعودية أن السلطات الأمنية تلقت تحذيرات شبه مؤكدة عن احتمال تعرض المملكة لعملية إرهابية خلال فترة وجيزة، وخلال أقل من أسبوع نفذ بن لادن خططه وقام بتفجير مبني القوات الأمريكية في الخبر، على مرأى ومسمع من أجهزة الأمن السعودية، وراح ضحية الانفجار تسعة عشر جنديا أمريكيا وأصيب المئات من الأفراد.

نــيـــويـــورك وواشــــنـــــطـــــن :

أكد جورج تينيت مدير وكالة الاستخبارات الأمريكية في شهادته أمام التحقيق، وجود خيط مشترك يمتد بين الهجوم الأول على مركز التجارة العالمي في فبراير ١٩٩٣م، وهجمات ١١ سبتمبر. هذا الخيط هو خالد شيخ محمد، المعروف لدي المخابرات الأمريكية ب "المخ"، وطبقاً لشهادة تينيت، فإن شيخ محمد عضو رفيع المستوي في تنظيم القاعدة الذي يتزعمه أسامة بن لادن، وهو العقل المدبر لهجمات ١١ سبتمبر.

وأضاف مدير الاستخبارات الأمريكية أن شيخ محمد اقترح استخدام طائرات صغيرة مملوءة بالمتفجرات، لكن بن لادن أشار عليه باستخدام طائرات كبيرة. وطبقاً لشهادة مدير وكالة الاستخبارات المركزية، فإن الوكالة علمت بعد الهجمات بأن محمد عاطف الرجل الثاني في قيادة القاعدة هو الذي اختار الخاطفين من الشبان العرب الذين لم تكن لهم أنشطة إرهابية سابقة.

وبعد أن وافق بن لادن على الاختيار، قام خالد شيخ محمد بتدريبهم وأصدر لهم تعليمات لاكتساب القدرة على قيادة الطائرات وأشرف على اللمسات النهائية لعملية ١١ سبتمبر.

وتفيد تقارير مكتب التحقيقات الفيدرالي ة أن التخطيط العملي لهجمات ١١ سبتمبر تم في ثلاث دول بالخارج، هي ألمانيا وماليزيا والإمارات العربية المتحدة، حيث وصل خالد المحضار ونواف الحزمي، وهما من الخاطفين الرئيسيين للطائرات التي نفذت الهجوم إلى الولايات المتحدة، في رحلة قادمة من بانكوك عاصمة تايلاند يوم ١٥ يناير ٢٠٠٠، أي بعد أسبوع واحد من مغادرتهما كوالا لامبور عاصمة ماليزيا، حيث حضرا اجتماعا، ووصل ثلاثة آخرون من الخاطفين الرئيسيين وهم محمد عطا و مروان الشهي وزياد جراح الولايات المتحدة في مايو ويونيه من عام ٢٠٠٠، قادمين من أوروبا أو عبر أوروبا.

كان عطا والشهي وجراح قد عاشوا بمدينة هامبورج الألمانية حيث تزاملوا، وكان خاطف سادس هو هاني حنجور يتردد على الولايات المتحدة منذ ١٩٩١م.

استقر المحضار ونواف في منطقة سان دييجو، وفي ابريل من عام ٢٠٠٠ تلقي الحزمي درسا تمهيديا في الطيران بالكلية الجوية القومية بسان دييجو، بعد ذلك بأسبوع تلقي الحزمي تحويلا ب ٥ آلاف دولار عبر طرف ثالث أرسل من الإمارات، وفي شهر مايو من نفس العام أيضا، تلقي المحضار و الحزمي دروسا في الطيران بسان دييجو ، وفي يونيه غادر المحضار الولايات المتحدة على متن طائرة تابعة لشركة لوفتهانز الألمانية من لوس أنجلوس إلى فرانكفورت، ولم يعد المحضار إلى الولايات المتحدة إلا بعد ذلك ب ١٨ شهرا أي في يوليو ٢٠٠١م.

أما الحزمي فقد بقي بسان دييجو حتى ديسمبر ٢٠٠٠، عندما انتقل إلى اريزونا مع هاني حنجور الذي كان قد عاد للتو إلى الولايات المتحدة.

ويقول تينت في شهادته إن حنجور ذهب إلى أفغانستان لمدة ستة أسابيع عام ١٩٨٩م، عندما كان في سن السابعة عشرة للمشاركة في الجهاد، ودخل الولايات المتحدة أول مرة في أكتوبر ١٩٩١م قادما من السعودية لحضور دورة لدراسة اللغة الإنجليزية، وعندما غادر الولايات المتحدة إلى السعودية في أوائل ١٩٩٢ أصبح شخصا مختلفا تماما. فقد ربى لحيته بالكامل، وقطع علاقاته الاجتماعية الماضية، وأمضى معظم وقته في قراءة الكتب الدينية وكتب الطيران. وظل حنجور يتردد على الولايات المتحدة لدراسة الطيران حتى حصل على شهادة في الطيران المدني.

رحلة عطا :

أما محمد عطا فقد عاد من أفغانستان إلى ألمانيا عبر باكستان في فبراير ٢٠٠٠، وفي مارس التالي أرسل سلسلة من البريد الإلكتروني لمدرسة تدريب طيران في ليكلاند بفلوريدا ونورما و أكلاهوما. وبعد أن زعم أن جواز سفره فقد حصل عطا على جواز سفر مصري جديد في هامبورج في مايو ٢٠٠٠، وحصل أيضا على تأشيرة للسفر إلى الولايات المتحدة وصل إلى مدينة ديو آرك الأمريكية في يونيه ٢٠٠٠، أما الشهي فكان قد وصل إلى الولايات المتحدة، قبل ذلك بأيام، على متن طائرة قادمة من دولة الإمارات عبر بروكسل إلى نيو آرك.

في هذه الأثناء، وصل جراح يوم ٢٧ يونيه ٢٠٠٠ إلى اتلانتا بعد أن كان قد حصل على تأشيرة دخول مدتها ٥ سنوات، وتوجه فور وصوله إلى مدينة فينيس حيث بدأ التدريب في مركز فلوريدا للطيران.

القوة العضلية :

بدأ وصول الخاطفين الـ ١٣ الباقين إلى الولايات المتحدة في ابريل ٢٠٠١، ما عدا ثلاثة منهم واثنان وصلا معا والأخير وصل وحده في يونيه من نفس العام. تطلق المخابرات الأمريكية على هؤلاء الخاطفين المعاونين اسم "القوة العضلية"، ويتمثل دورها في التغلب على الطيارين والسيطرة على الركاب، وهناك اثنا عشر منهم من المملكة العربية السعودية وواحد من الإمارات، من بينهم أيضا سالم الحزمي شقيق نواف، وقد حصل على تأشيرته في ابريل ١٩٩٩م، وحصل سبعة آخرون منهم على تأشيرتهم من سبتمبر حتى نوفمبر ٢٠٠٠م، وثلاثة حصلوا على تأشيراتهم في أواخر يونيه ٢٠٠١.

كان بعض أفراد هذه المجموعة يعرفون بعضهم، وكان فيهم أشقاء "آل حزمي وآل الشهري"، جاء الكثير منهم من جنوب غرب المملكة العربية السعودية ويمثلون مستويات اجتماعية واقتصادية متباينة. بعضهم تلقي تعليماً عاليا، وآخرون تلقوا تعليما قليلا. وطبقا لشهادة تينت، فان البعض منهم لم يظهر حماسا دينيا قط، وذلك قبل التعرض للأفكار المتطرفة، لكن التعرض لهذه الأفكار تخلق لديهم حالة من التطرف الشديد، وأدي إلى انفصالهم عن أسرهم، ومعظم هؤلاء الخاطفين المعاونين سافروا إلى أفغانستان للمرة الأولي

في عام ١٩٩٩ و٢٠٠٠م ، وجاء وصولهم مبكرا يضيف شبابا إلى صفوف العملاء الذين تستطيع القاعدة استدعاءهم، لتنفيذ مهام مستقبلية.

وطبقا لشهادة تينت، فإن خالد المحضار أمضى العام السابق على الهجمات في رحلات بين اليمن وأفغانستان مع القيام برحلات بين الحين والآخر إلى السعودية وأن المحضار سافر إلى نيويورك في يوليو ٢٠٠١ قادما من السعودية بعد ٦ أيام فقط من نقل الدفعة الأخيرة من الخاطفين المعاونين إلى الولايات المتحدة. وذكر ميللر مدير مكتب التحقيقات، أن دور المحضار في مؤامرة ١١ سبتمبر خلال الفترة من يونيه ٢٠٠٠ حتى يوليو ٢٠٠١ قبل دخوله مرة أخرى للولايات المتحدة، ربما كان دور المنسق والمنظم لحركة الخاطفين غير الطيارين، ويدعم هذا إقامته الطويلة في السعودية وعودته إلى أمريكا بعد وصول كل الخاطفين.

التنظيم النهائي :

اعتبارا من مايو ٢٠٠١ قام كل خاطف من الخاطفين الأربعة برحلة في كل أرجاء الولايات المتحدة، ويقول ميللر في شهادته : مع استكمال تدريباتهم على الطيران، يبدو أن الطيارين بدأوا القيام برحلات مراقبة كركاب على متن رحلات في جميع أنحاء الولايات المتحدة، ويلاحظ ميللر أن كل واحد منهم توقف في لاس فيجاس لمدة يوم أو يومين، ولا تعرف المخابرات الأمريكية أسباب هذا التوقف حتى الآن.

بعد وصول الخاطفين المعاونين مباشرة، انقسموا أو تفرقوا بين فلوريدا ونيويورك، قبل أن يتحركوا إلى ثلاث مناطق انطلاق. الاثنان اللذان وصلا إلى فيرجينيا والاثنان اللذان وصلا نيويورك انضموا إلى نواف الحزمي و حنجور في بيرتسون بنيوجيرسي، والأربعة الذين وصلوا إلى اورلاندو والخمسة الذين وصلوا إلى ميامي انضموا لعطا والشهي وجراح في فورت لودرديل بمنطقة فلوريدا.

بدأ الخاطفون الـ ١٩ حجز رحلات ١١ سبتمبر في ٢٦ أغسطس، ولم يتمكن المحضار وماجد المكد اللذان اختطفا طائرة البنتاجون من شراء التذاكر يوم ٢٤ أغسطس بسبب عدم إمكانية التحقق من عنوانهما، وقاما بشرائها يوم ٥ سبتمبر في مكتب أمريكان إيرلاينز في مطار بلتيمور واشنطن الدولي. وقام الخاطفون في منطقة فورت لودر ديل بحجز الرحلات إلى أماكن في بوسطن ونيويورك و نيوجيرسي وواشنطن دي سي، حيث كانت تتجمع الفرق لكل رحلة ١١ سبتمبر.

في الساعة السابعة و٥٩ دقيقة تقريبا صباح يوم ١١ سبتمبر كان يتم تجهيز طائرة أمريكان إيرلاينز المتجهة إلى لوس أنجلوس استعداداً للإقلاع من مطار لوجان الدولي في بوسطن، وكان على متنها ٨١ راكباً بالإضافة إلى أفراد الطاقم. في هذه الطائرة، جلس اثنان من الخاطفين في المقعدين الأماميين من الدرجة الأولي، وهو مكان من السهل الوصول منه إلى كابينة الطائرة. وطبقاً لميللر، فإن الخاطفين استخدموا قواطع صناديق كانت متاحة بصفة عامة في الاستيلاء على الطائرة وتحويل مسارها في نحو الساعة الثامنة و١٣ دقيقة

صباحاً، وفي الثامنة و٤٥ دقيقة، تحطمت الطائرة في البرج الشمالي لمركز التجارة العالمي والذي انهار في العاشرة و٢٥ دقيقة.

ويعتقد أن عطا كان هو قائد هذه الطائرة لأنه المختطف الوحيد الذي كان يعرف عنه أنه تلقى تدريبا على الطيران.

الطائرة الثانية :

وفي نحو الساعة ٧,٥٨ دقيقة صباحاً غادرت طائرة يونايتد إيرلاينز في الرحلة رقم ١٧٥، المتجهة أيضا إلى لوس أنجلوس، مطار لوجان وعلي متنها ٦٥ راكبا وأعضاء الطاقم، وفي التاسعة وخمس دقائق صباحاً تحطمت الطائرة في البرج الجنوبي لمركز التجارة العالمي، والذي انهار في التاسعة و٥٥ دقيقة، ويعتقد أن مروان الشهي هو الطيار.

الطائرة الثالثة :

وفي نحو الساعة ٨,٢٠ صباحاً غادرت طائرة أمريكان إيرلاينز في رحلتها رقم ٧٧ مطار دالاس الدولي متجهة إلى لوس أنجلوس وعلي متنها ٥٨ راكباً و٦ أفراد طاقم، وكان آخر اتصال لاسلكي بالطائرة في الساعة ٨,٥٠ صباحاً، وبعد ذلك بدقائق قليلة انعطفت الطائرة انعطافاً غير مسموح به، وفي الساعة ٩,٣٩ صباحاً تحطمت الطائرة في الجانب الجنوبي الغربي للبنتاجون، وقتلت ١٢٧ موظفاً مدنياً وعسكرياً بالإضافة إلى ركاب الطائرة والطاقم.

الطائرة الرابعة :

وفي نحو الساعة ٨,٤٢ صباحا غادرت طائرة يونايتد إيرلاينز أيضا مطار نيويورك الدولي متجهة إلى سان فرانسيسكو وعلي متنها ٣٧ راكبا و٧ أفراد طاقم، وكان زياد جاره هو الوحيد من الخاطفين الأربعة الذي يحمل رخصة طيران، وبلغ عدد قتلي برجي مركز التجارة العالمي ٢٧٤٣ قتيلا. تشير تقديرات مكتب التحقيقات الفيدرالي إلى أن هجمات ١١ سبتمبر تكلفت ما بين ١٧٥ ألفاً إلى ٢٥٠ ألف دولار، وطبقاً لشهادة ميللر، فإن جهاز التمويل وراء هذه المؤامرة تتركز على ما يبدو حول مروان الشهي وأفراد يقدمون دعما ماليا عبر شبكة التحويلات المصرفية والبرقية لدولة الإمارات العربية المتحدة.

في هامبورج، كان الشهي يتلقى تحويلا مهمة من دولة الإمارات عن طريق البرق من محمد يوسف محمد القصيدي، الذي يعتقد مكتب التحقيقات أنه شقيق الشهي، وكان الشهي يقوم بتحويل الأموال إلى عطا. في يوليو ٢٠٠٠ فتح الشهي وعطا حساباً مشتركاً في بنك صن ترست بمدينة فينس في فلوريدا، وتلقيا من خلاله تمويلا للمؤامرة يقدر بنحو ١١٠ آلاف دولار من على عبد العزيز بالإمارات والذي يستخدم عدة أسماء بديلة. في يونيه ٢٠٠٠ تلقي الشهي أيضا ٥ آلاف دولار بالبرق من عصام منصور، وفي أبريل أبرق علي حوالة قيمتها ٥ آلاف دولار للحزمي في سان دييجو وبعض الخاطفين الآخرين، كان من بينهم حنجور و

المحضار كانوا يستخدمون بطاقات ائتمان مسحوبة على بنوك سعودية وإماراتية.أما التحولات لابن الشيبة فكانت تأتي من هاشم عبد الرحمن، ويعتقد ميللر أن هاشم هذا هو خالد شيخ محمد "المخ"وتشير الوثائق إلى أن بعض هذه الأموال أعيدت إلى مصادرها في الإمارات قبل ١١ سبتمبر، لأن الخاطفين لم يكونوا يريدون أن يموتوا لصوصاً.

الفصل الرابع

القاعدة بوابة إلى الخلافة

فى سلسة "التوجيهات المنهجية"، التي خرجها أحد المواقع الأصولية القريبة من تنظيم القاعدة على شبكة الإنترنت من بعض الأحاديث الصوتية لمؤسس تنظيم القاعدة الشيخ أسامة بن لادن، يحدد الرجل منذ الوهلة الأولى هدفه مباشرة، و الذي يتلخص فى ضرورة إيجاد دولة تحمى الدعوة و تأوي المجاهدين وتكون منطلقا للتغيير الذي يجب أن يشمل كافة أنحاء المعمورة، يقول الشيخ :

"عند الحديث عن الأحوال التي تمر بها الأمة في هذه الأيام، وما أصابها من احتلال وظلم وعدوان من القوى الإسرائيلية، والقوى الأمريكية، وانحسار ظل الإسلام عن هذه الأرض (كانت حركة طالبان قد سقطت فى هذه الآونة وكانت أمريكا قد أعلنت عن بدء حربها على الإرهاب)،، ينبغي تلمس هدي محمد صلى الله عليه وسلم في إقامة هذا الدين، يوم أن بدأ غريباً في أول الإسلام ".

ويضيف بن لادن ": إن الناظر في ذلك يرى أن الرسول صلى الله عليه وسلم حرص منذ البداية عندما صدع بالدعوة أن يعرض دعوته على القبائل، وإذا نظرنا في أهم العناصر التي كان يدعو القبائل إليها نجدها واضحة جداً:

١- كان يدعوهم إلى شهادة التوحيد، إلى شهادة "أن لا اله إلا الله، وأن محمداً رسول الله.

٢-ثم يدعوهم إلى الإيواء والنصرة.

ويشير بن لادن الى ظهور معلم واضح فى هذه الطريقة النبوية للدعوة وهو : أن هذه الدعوة، وهذه الشجرة الكريمه لابد لها من أرض تنبت فيها، وهي التي تقوم بنصرتها وإيوائها "، ويضيف : ومن هنا استمر عليه الصلاة والسلام يبحث عن هذه الأرض، وأثناء ذلك يقوم بالدعوة في مكة، فمكث ثلاث عشرة سنة، إلى أن يسر الله سبحانه وتعالى أرض المدينة المنورة، ويسر الأنصار الاوس والخزرج فلما احتضنوا الدعوة انتشر الإسلام، وفي خلال بضع سنوات اذا بمئات الالوف قد دخلوا في الاسلام في جزيرة العرب، ودخل الناس في دين الله أفواجا ".

القوة سبيل انتشار الدعوة :

ويمضى بن لادن فى توضيح مفهومه فيقول : "إن الدعوة بغير قوة تبقى منحسرة، ولابد لها من البحث عن القوة في الأرض والمصر. وهذا المعنى يظهر في هذه الأيام بوضوح، منذ أن انحسرت الدول الإسلامية وانحسرت دولة الخلافة وقامت أنظمة تحكم بغير ما أنزل الله -وهي في الحقيقة تحارب شرع الله- برغم كثرة الجامعات وكثرة المدارس وكثرة الكتب والخطباء والأئمة والمساجد وحفظة القرآن، ولكن الإسلام في انحسار وللأسف الشديد؛ لأن الناس لم يسيروا حسب منهج محمد صلى الله عليه وسلم.

المنهج :

ويحدد بن لادن المنهج كما يراه قائلا : "المنهج فيما يبدو لنا محصور في خصال محددة تظهر في نص آخر من نصوص الشريعة، قال سبحانه وتعالى: {يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [سورة المائدة : ٥٤].

ويتساءل بن لادن : ما هي الصفات المطلوبة لإعادة الناس إلى الإسلام عندما تحدث الردة ؟ ويذكر بن لادن هنا صفات ستة، {يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ}،

ويقول : لابد أن نتصف بهذه الصفات:

١) المحبة العظيمة لله سبحانه وتعالى.

٢) و الذلة على المؤمنين والتراحم.

٣) و التناصح بالحسنى وبالمعروف.

٤) والعزة على الكافرين.

ويشدد بن لادن (كما سيفعل صاحبه أيمن الظواهري من بعد وهو ما سنراه في الجزء الثالث) على "أن كل هذا الذي ذكر سابقا سوف يظهر بوضوح في أهم عروة في الإسلام وهي الولاء والبراء، نوالي المؤمنين ونعادي الكافرين ونكون عليهم أعزة.

٥) ثم الصفة الخامسة {يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ} .

فالجهاد في سبيل الله وعدم الخوف من لومة أي لائم، هاتان الصفتان في غاية الأهمية لإعادة الناس إلى الدين.

فالذين يظنون أنهم يمكن أن يعيدوا الناس إلى الدين، وأن يقيموا دولة إسلامية بعد أن انحسر ظل الإسلام عن الأرض بدون الجهاد ، فهؤلاء ما فقهوا منهج الله سبحانه وتعالى، فهذه الآية غاية في الوضوح والصراحة في حالة الردة، فلا بد من المحبة والولاء، أن يكون ظاهراً عند الناس، والبراء من الكفار أن يكون ظاهراً، مع الجهاد في سبيل الله، {وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ} وهي تشمل النصح بكل أنواعه، والأمر بالمعروف بكل أنواعه".

ويشدد بن لادن على أنه "بتحقيق هذه الصفات، وإيجاد عناصر تتخلق بها ، نكون قد أوجدنا القاعدة القوية التي تبدأ في التغيير، وتجاهد في سبيل الله سبحانه وتعالى إلى أن يقوم الحق".

هل قاتل النبي من أجل دولة ؟

إن منهج بن لادن واضح وضوح الشمس، فهو يريد قسمة العالم إلى قسمين : المؤمنون الموالون لبعضهم البعض من جهة، والكافرون من جهة أخرى، ويعتقد بأن نشر الإسلام يلزمه دولة، والحصول على الدولة يلزمه فئة ذات مواصفات خاصة، تتكون منهم القاعدة اللازمة للجهاد من أجل الحصول على هذه الدولة.

والسؤال : هل جاهد الرسول الكريم للحصول على دولة المدينة أم جاهد للدفاع عنها؟. يقول عالم الشريعة الشهير الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، فى كتابه الأشهر " الجهاد كيف نفهمه وكيف نمارسه " : "إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقاتل فى سبيل الحصول على دار إسلام ولم يقاتل فى سبيل بناء دولة إسلامية أو إيجاد حشد من المسلمين تتألف منهم تلك الدولة، ويتحقق بهم نظامها، وإنما قاتل بعد أن منحه الله كل ذلك حراسة له ودفاعا عنه".

ويضيف العالم الجليل :"ينبغي معرفة السبب الحقيقي الذي لأجله منع القتال فى العهد المكي، فلم تكن للمسلمين فى مكة دولة ينافحون عنها، بينما اكتملت لهم فى العصر المدني مقومات الدولة بالمعنى السياسي الحديث : أي الأرض والشعب والسلطة الحاكمة

لذلك شرع الله الجهاد القتالي على سبيل الدفاع عن شيء موجود، وذلك بعد أن أورث الله عباده المسلمين أرضاً ودولة، وبعد إن مكن لهم دينهم الذي ارتضاه لهم متمثلاً فى شرعة سائدة ونظام حكم".

هـــجـــرة وجـــهـــاد :

وعلى منوال أستاذه عبد الله عزام (الذي عرضنا لآرائه تفصيلا في الجزء الأول)، يمضى بن لادن ليقرر "أن السبيل إلى إقامة الدولة الإسلامية ونشر الدين لابد له من:

١) جماعة.
٢) سمع وطاعة.
٣) هجرة وجهاد.

ويضيف :" إن الذين يريدون أن يقيموا للإسلام شأناً بدون تضحيات الهجرة، وبدون تضحيات الجهاد في سبيل الله، هؤلاء لم يفقهوا منهج محمد صلى الله عليه وسلم وإن فقهوه ولم يعملوا به و اشتغلوا بغيره من الطاعات فهؤلاء يتهربون من تبعات هذه العبادات الثقيلة، فإن الجهاد كُرهْ كما نص على ذلك الله سبحانه وتعالى في كتابه".

بالشباب والتجار تقام الدولة :

وبعد أن يقر بن لادن بعدم وجود دولة تصلح للهجرة، يحمل على الأمة التي تركت دولة طالبان تسقط، وكأنه لم يكن السبب الرئيسي فى سقوطها، وأن أنانيته وحبه لذاته

دفعاه إلى التضحية بهذه الدولة (بغض النظر عن وجهة نظرنا فيها) لمصلحة بقائه كشخص وبقاء مشروعه وتنظيمه المستقل.

يقول الرجل : "ونحن في وضع لم يعد لدينا دولة لنهاجر إليها، وقد كانت هذه الفرصة متاحة، وكانت فرصة نادرة، فمنذ أن سقطت الخلافة حرص الصليبيون على أن لا يُمكّن أهل الإسلام الصادقون لإقامة دولة، وقدر الله سبحانه وتعالى أن جاءت الأحداث في أفغانستان وهزم الاتحاد السوفيتي، وتنازل الصليبيون عن ذلك الحرص والاهتمام في ظل خوفهم ورعبهم من الاتحاد السوفيتي، ومضى بضع عشرة سنة، ولكن للأسف الشديد لم تنهض الأمة بواجبها المطلوب، فقد شغل الناس وسُحبوا باعتبارات أرضية، وباعتبارات قطرية، وكلٌ يريد أن يقيم هو شخصيا دولة الإسلام، وكل جماعة تريد أن تقوم الدولة الإسلامية في أرضها حيث ولدوا، وكأننا أصبحنا أسرى لهذه الأفكار، فمكثت هذه الفرصة بضع عشرة سنة ولم يتحرك الناس للاستفادة منها، ثم يسر الله سبحانه بين ذلك وهذا أن قامت دولة الطلبة ، ومكثوا ست سنوات تقريبا أو أكثر، وأيضا بقي الناس أسرى لأهوائهم وأسرى للإعلام العالمي الذي شن حملة لا هوادة فيها ضد الطالبان وشوهوا سمعتهم، فذهبت هذه الدولة وهم لم يحركوا ساكنا ".

الغريب أن أسامة بن لادن لم ينطق بحرف واحد يشير فيه، حتى من باب الأمانة التاريخية، لدوره فى سقوط طالبان، ثم يقول حسبنا الله ونعم الوكيل !

ويمضى بن لادن ليؤكد أنه على يقين :" بأن في الأمة من الطاقات ما يكفي لإقامة الدولة الإسلامية، وإقامة الخلافة الإسلامية، ولكن نحن بحاجة إلى إبلاغ هذه الطاقات بأن هذا الأمر واجب عليهم.

ونحن بحاجة الى ابلاغ الطاقات الأخرى المقيدة لهذه الطاقات، أنكم تأثمون بتقييدها، فإذا فقه الشباب وفقه التجار واجبهم فيمكن أن نقوم بالمهمة، فيُرفع الإثم عن باقي الأمة، وأيضا يرفع الضنك والأذى الذي يصيبنا ".

الخلافة والديمقراطية :

ولكن هل الإسلام بحاجة لهذه الدولة لكي يقام بالفعل على الأرض؟!، يقول الدكتور محمد سليم العوا فى كتابه " الفقه الإسلامي فى طريق التجديد": " إن الذين يجعلون الطريق الوحيد إلى الإصلاح على أساس الإسلام هو وصول "الإسلاميين" إلى الحكم مخطئون. لأنهم بذلك يختزلون الدعوة، والفكرة الإسلامية نفسها فى نطاق جزء صغير منها هو إقامة الحكومة التي يصدق عليها- بالمعايير التي يتبنونها هم- أنها إسلامية. والحق أن الفكرة الإسلامية فكرة شاملة لجوانب الحياة الإنسانية كلها، تنظم صغير الأمور و كبيرها، إما تنظيماً مباشراً بنصوص صريحة - فى أحوال محددة ومعدودة - وإما تنظيماً غير مباشر - وهو الأغلب الأعم - بإرساء القيم التي يدور حولها تنظيم الناس لحياتهم تنظيماً يختلف بالضرورة من عصر إلى عصر ومن مكان إلى مكان، ولكنه لا يناقض القيم الإسلامية الثابتة

الملزمة، ولا يخالفها ولا يجاوزها - حين يكون لها فى الأمر كلمة - ليستمد من غيرها من مصادر الفكر البشرى، أو تجارب التنظيم الإنساني، أو سوابق التشريع الوضعي.

ولأن الإسلام شامل على هذا النحو، فإنه يتضمن فيما يتضمن القواعد الحاكمة للنظام السياسي الذي تقوم على بناء تفاصيله عقول المسلمين، حسبما تقتضيه مصالحهم فى كل عصر.

والفرق كبير بين القواعد والتفاصيل، فالقواعد نصوص شديدة العموم والتجريد، صالحة لأن يستنبط منها أهل الاختصاص ما لا يحصى من النظم التفصيلية، التي قد تتباين تبايناً لا نهائياً، ما دام كل نظام منها يحقق المصلحة العامة للدولة الإسلامية فى الوقت الذي يطبق فيه.

ولا يبقى أي نظام تفصيلي ملزماً إلا بقدر اختيار الناس له، واقتناعهم بفائدته وشعورهم بجدواه. فإن هو قعد عن ذلك - كله أو بعضه -كان للناس الحق الكامل فى أن يستبدلوا به غيره ليحققوا مصالحهم العاجلة أو الآجلة، بالطرق التي يرونها مناسبة لذلك ومؤدية إليه.

من هنا كان الإسلام - أعنى تشريعه النصي لا يشتمل على نظام محدد المعالم والتفاصيل، ملزم إلى يوم القيامة، للحياة السياسية للدولة. ولم يكن هذا - كما ذهب بعض الباحثين فى انتقادهم لرأينا تقصيرا من الرسول صلى الله عليه وسلم أو قصورا فى الرسالة نفسها تعالى الله عن ذلك - ولكن كان إيذاناً من المشرع سبحانه، ومن الرسول صلى الله عليه وسلم، بأن الاجتهاد المشروع فى الإسلام، يشمل هذا الجزء من تنظيم الحياة الإسلامية، فيترك الأبواب مشرعة للمسلمين يختاروا ما يصلح لهم بحسب أحوال كل عصر وظروف كل مكان.

ولذلك كان الإلزام الإسلامي، فى المجال السياسي، بالقيم السياسية وحدها، دون التفاصيل كلها.

فنحن ملزمون بأن نقيم نظام الحكم فى الدولة الإسلامية فى كل عصر على تحقيق إرادة الأمة عن طريق الشورى.

ولكننا لا نجد فى النصوص الإسلامية المحكمة نصاً يلزمنا بكيفية معينة للشورى، ولا بعدد مخصوص لأهلها، ولا بأوصاف لازمة فيهم، ولا بزمان لولايتهم. فكل ذلك، وغيره، متروك للاجتهاد الإسلامي يصنع، من خلاله، المؤهلون له ما يرونه محققاً لمصالح الناس.

ونحن ملزمون بتحقيق العدل بنصوص عديدة فى القرآن الكريم، تأمرنا بالعدل فى القول والفعل، مع العدو والصديق، وتنهانا عن الظلم، بدءاً من ظلم النفس، وانتهاءً بظلم الآخرين، مهما بعدت بيننا وبينهم الوشائج والصلات.

ولكننا لا نجد نظاماً نصياً محدداً لتحقيق هذا العدل. ولا نجد طريقة واحدة منصوصاً عليها لإقامته، فذلك كله متروك لاجتهاد الأمة.

ومثل ذلك يقال فى وجوب كفالة الحريات العامة، وفى المساواة بين الناس، وفى واجب الأمة فى مساءلة الحكام ومحاسبتهم، وفى حقها فى توليه الحكام وعزلهم، وفى واجبها فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وفى واجب الحكام فى إقامة الدين وتحقيق مصالح المحكومين، فكل هذه المبادئ السياسية أو القيم الملزمة واجبة الإعمال، ولكن النصوص لا تبين كيفية هذا الاعمال وآلياته، ولا جزاء مخالفة هذه القيم، ولا تربط بين تحقيقها الواجب وبين صورة او صور معينة لتنحليم هذا التحقيق.

وكثير من المسلمين - عامتهم وعلمائهم - يرون أن الإسلام قد أتى بنظام "الخلافة" لتنظيم الحكومة الإسلامية، ويرون هذا النظام بصورته التي طبق بها فى صدر الإسلام، ولاسيما فى عهد الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم وهو النظام الواجب التطبيق فى زمننا هذا وفى كل زمن

ولا شك أن الحياة البشرية لم تعرف، بعد عهود النبوات، عهداً أكثر عدلاً وأمناً وخيراً للناس من عهد الخلافة الراشدة. ولكن الخلافه الراشدة نفسها لم تكن سوى تنظيم صنعه الصحابة لرئاسة الدولة الإسلامية على نحو يشير إلى اتباع المثل الأعلى الذي ضربه الرسول صلى الله عليه وسلم فى رئاسته للدولة الاسلامية.

ولم يكن هناك "نظام محدد التفاصيل" يحكم على وفقه الخلفاء - حتى الأربعة الراشدين - بل كان الاجتهاد هو الطريق الذي سلكوه، وسلكه المؤهلون من المسلمين، لتحديد التفاصيل فى عهد كل خليفة، على قرب هذه العهود بعضها من بعض، وقلة مواضع الاختلاف، وضيق مساحتها، بين عهد وآخر.

وإذا كان هناك قاعدة تستفاد من هذا النظام باعتباره تنظيماً لرئاسة الدول، فهي قيامه على ساقين:

أولاهما : هي أن ترشيح من يصلح للخلافة يتم بناءً على "شورى المسلمين"، لا يستبد به واحد ولا حزب ولا جماعة دون الأمة.

و ثانيهما : أن التولية نفسها لا تتم إلا ببيعة صحيحة صريحة من الأمة للمرشح الذي ترضاه لولاية أمرها، وقد قام انتخاب الراشدين الأربعة جميعاً على هذين الساقين، وإن اختلفت الوسائل والأساليب من حالة إلى اخرى.

الديمقراطية هي الوسيلة المثلى :

ويصل العوا إلى أن "ترجمة هذا الأصل إلى لغة العصر السياسية تعنى أن الديمقراطية فى تنظيمها لاختيار الحكومات والحكام، كما تطبق فى العالم الديمقراطي فى هذا العصر، هي الوسيلة المثلى لتولية الحكام وعزلهم. ولم يعرف البشر حتى اليوم نظاماً أفضل من نظام الانتخاب الحر المباشر الذي يصوت فيه الجمهور بحرية حقيقية، يشهدها الكافة، لمن يشاء الناس أن يتولى أمرهم".

ويضيف : "ولا يلزمنا أن تكون البيعة الناتجة عن هذا الانتخاب أبدية، فيجوز - بل يجب فى رأينا - أن تكون لمدة محددة، ومن أحسن ما فعله الأمريكيون في رئاستهم أنها لا يجوز تجديدها بعد المرة الثانية.

وكل الذي يقال ويكتب عن أبدية "البيعة" كان تصويراً لواقع العصور التي كتب فيها الفقه الإسلامي، ولكنه ليس قواعد تشريعية ملزمة للناس كافة إلى أن يرث الله الارض ومن عليها".

ويؤكد العوا على أن "القول بذلك يدخل فيما ذمه الإمام القرافي واصفا إياه بأنه "جمود على المنقولات" و"ضلال فى الدين" و "جهل بسنن الماضين".

الجهاد فرض عين :

يقرر بن لادن أن الخلل كامن فى ان الشباب لا يعرفون أن الجهاد (المنحصر فى القتال فى منهج بن لادن) هو فرض عين يأثم تاركه. يقول : "الآن أصبح الذي يقعد عن نصرة الدين لا يشعر بالإثم، بل هو يشعر أنه في طاعة، ولا يشعر بسوءة هذه الكبيرة العظيمة التي جاء فيها عشرات الآيات تهدد وتحذر، وترغب في هذه الطاعة، وتوبخ من يقعد عنها، وتقرع الذين يركنون إلى الدنيا، ومن كان الذي يهدد؟ صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم تهديداً تلو التهديد {يا أيها الذين آمنوا ما لكمْ} ، هذا توبيخ {يا أيها الذين آمنوا ما لكمْ إذا قيلَ لكمُ انفِرُوا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرْض أرضيتمْ بالْحَياة الدُّنْيا منَ الآخرة فمَا متاع الحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إلا قليل} [سورة التوبة ٣٨].

ويتساءل بن لادن : "هل يجترئ أحد منا اليوم أن يقول لأبيه أو لعمه أو لشيخه: "أنت رضيت بالحياة الدنيا؟! هذه فلسطين منذ ثمانين سنة ما أطلقت فيها طلقة! ولا غبّرت قدمك يوماً من الأيام! فأنت من الذين رضوا بالحياة الدنيا!" لا أحد يستطيع أن يقول ذلك.

ويضيف : "هناك خلل عام في فهم الصحوة حول الطرق التي يحافظ بها على الدين.

بالجماعة لا بالعلم يقام الدين :

ويطالب بن لادن بعدم طاعة العلماء الذين لا يحملون السلاح ولا يحضونهم على حمله، فيقول : "والشباب الذين عندهم القدرة على فداء الدين وعلى التضحية من أجل الدين، للأسف الشديد عندهم خلط في السمع والطاعة لعلماء الإسلام القاعدين، فالقاعد لا يسمع له ولا يطاع، فمن هنا هذه الطاقات تبقى معطلة، ويصرفونهم عن الواجب المتعين إلى فرض كفاية؛ كطلب العلم.

ويؤكد بن لادن أن الدين لن يقوم بالعلم ولو أصبح كل المسلمين علماء وإنما يقوم الدين بالجماعة والسمع والطاعة والنصرة والجهاد.

الحكام أئمة يدعون إلى جهنم :

وبعد اتهام العلماء المسلمين الذين لا يوافقونه فى الرأي ولا يحضون الشباب على ترك مدارسهم وجامعاتهم، والموظفين على ترك وظائفهم وأسرهم وحمل السلاح والانضواء تحت لواء جماعة تقاتل الكفر وأهله (وبالطبع لا يوجد أفضل من القاعدة)، يتجه بن لادن إلى مهاجمة حكام المنطقة، واصفا إياهم بالأئمة الذين يصدون عن سبيل الله. يقول بن لادن: " إن الأئمة الذين يدعون الناس إلى جهنم هم أظهر ما يكونون في حكام المنطقة - حكام العالم العربي والإسلامي - في إعلامهم وأجهزتهم وإفسادهم للبلاد، فهم يدعون الناس عبر تبنيهم للأفكار الهدامة وعبر تبنيهم للقوانين الوضعية والقوانين الكفرية، فهم يدعون الناس في الصباح والمساء إلى أبواب جهنم - و لا حول ولا قوة إلا بالله - فالكفر بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم على مرأى ومسمع في الصحف وأجهزة التلفاز، وفي الراديو والندوات، ولا ينكر عليهم منكر، فهؤلاء هم الأئمة الذين يدعون الناس إلى جهنم ".

و نأتي إلى بيت القصيد عندما يطرح بن لادن السؤال: ما هو الحل؟

يجيب بن لادن : (تلزم جماعة المسلمين وإمامهم)

ويضيف الرجل : "فهذا الواجب العظيم الذي هو فرض الساعة لا مكان له بين العلماء اليوم ولا يتحدثون عنه، بل شغلوا كل واحد منهم - إلا من رحم الله - بالتهليل والمدح للأئمة الطواغيت الذين كفروا بالله ورسوله" ، ولكن : ما هو الدور المنوط بهذه الجماعة وإمامهم ؟!، يجيب بن لادن : " أول واجب عليهم هو؛ دفع الكفر ودفع العدو الصائل"، ولا يتم دفع بأس الكفار إلا بالتحريض والقتال.

ولكن : هل يتم دفع بأس الكفار بجلب كل الأمة للقتال، وهل يستوعب الجهاد كل هذا العدد؟!، يقول بن لادن : " ليس هناك وجه في أن تقول؛ إذا ذهبوا جميعهم لن يستوعبهم الجهاد!، هذا ناتج عن خلل غير عادي في الفقه، وهو ناتج عن ركون إلى الدنيا غير عادي، فالأمر إذا تعين (مثل الجهاد) ؛ مجرد أن يأتي العدد الذي يكفي لدفع العدو الصائل يصبح تلقائياً الجهاد فرض كفاية، فيبقى الباقون الذين تأخروا في ثغورهم وتندفع الضرورة بهذا التحرك.

الموظفون فاسقون :

ولا يكتفي بن لادن بمهاجمة العلماء والحكام، ومن قبلهم الأمريكان والأوروبيين والنصارى واليهود، وكل من والاهم جميعا، ولكنه ينصرف ليصب جام غضبه على الموظفين مشددا على ضرورة مقاطعتهم والانصراف عنهم.

فقد : "وظفتهم الدولة بمسميات مختلفة، لكن حقيقة الوظيفة هو موظف يشهد شهادة الزور".

ويضيف بن لادن : " هؤلاء موظفو الدولة لا يمكن لعاقل أن يرجع إليهم في أمور دينه، فأقل ما يقال فيهم؛ كما يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب عليه رحمة الله للذين يدافعون

عن الحكام الطواغيت، قال: (أقل أحوالهم أنهم فساق) ، فهؤلاء أقل أحوالهم أنهم فساق. فينبغي للناس أن يقاطعوهم، وأن يهجروهم.

ويحذر بن لادن مشددا على أنهم لا يتكلمون عن صغائر " وإنما نتكلم عن أكبر الكبائر، الشرك بالله الذي تحكم به البلاد، وموالاة الأعداء الذي هو من نواقض الإسلام".

ويؤكد بن لادن على أنه " إذا لم يحصل هذا الفهم في الصحوة الإسلامية لن نصل إلى مرادنا لإقامة الحق".

ويضيف "إن التبيين والإيضاح للناس أن الأئمة قد ضلوا؛ هذا أمر في غاية الأهمية، فالذين يريدون أن يقولوا للناس؛ إن الدين موجود مع أن الإمام قد كفر بالله ورسوله منذ قرنٍ من الزمان، منذ أن أقيم بقوة الإنجليز ووالى الإنجليز وبسلاح الإنجليز وبذهب الإنجليز، وعاث في البلاد، وكان من أكبر أسباب سقوط الدولة الإسلامية- الدولة العثمانية- هذا كافر بالله لا يمكن أن يكون مؤمنا، ولا يبقى الدين حاكماً إذا كفر الإمام".

ويلفت بن لادن إلى أن " هذا الفقه لابد أن يكون واضحاً جلياً، فعندما يكفر الإمام يجب أن ينتفض الناس، فلم يعد الإسلام موجوداً، وعليه لابد من الحركة لإقامة إمام يقيم في الناس حدود الله سبحانه وتعالى".

ويطالب بن لادن الناس بأن تعي هذا الأمر "فإذا استمر هذا الخلط ولم يتميز الولاء للمؤمنين وللدين، ولم يتميز البراء والبراءة من الشرك والإلحاد، فلن نجد السبيل الذي نصل به إلى رضوان الله سبحانه وتعالى، فهذا أمر في غاية الأهمية وفي غاية الخطورة. وينبغي على الصادقين من العلماء وطلبة العلم والدعاة أن يوضحوه للناس وللشباب، حتى لا يلتبس عليهم الأمر".

دار الكفر ودار الإسلام :

ولأن بن لادن يحاول إعادة إنتاج مفهوم دار الكفر ودار الإسلام، ضمن عقيدة الولاء والبراء، لذا كان لا بد من العودة إلى العلامة الدكتور محمد سليم العوا نلتمس منه اجتهاده القيم فى هذا الموضوع الذي بات الشغل الشاغل لكافة الجماعات الجهادية فى العالم، ألا وهو تقسيم العالم، من خلال عقيدة الولاء والبراء إلى دارين، دار كفر ودار إيمان. يقول الدكتور العوا : " إن الفقه الإسلامي شهد اجتهادات كثيرة تبين موقف الفقهاء والمذاهب الفقهية من العلاقات بين المجتمع المسلم والمجتمعات التي لا يسود فيها الإسلام، ومجموع هذه الاجتهادات يكون ما يطلق عليه : "القانون الدولي الإسلامي". وقد أصبح هذا الموضوع محلاً لبحوث معاصرة كثيرة لاسيما منذ بدأ تأثير "الصحوة الإسلامية" يتضح ويتعاظم فى مختلف المجالات، ومن بينها مجالات البحث العلمي فى فروع المعرفة كلها.

ومن أهم المسائل التي واجهت الباحثين فى هذا الموضوع - موضوع العلاقة بين الدول الإسلامية وغيرها من دول العالم - مسألة تقسيم العالم إلى دارين: دار الإسلام ودار الحرب، أو إلى ثلاثة دور - عند بعض الفقهاء - بإضافة دار العهد إلى دارى الإسلام والحرب.

وقد استثار هذا التقسيم الفقهي حمية بعض الباحثين الغيورين حتى كتب يقول: "إن الرؤية الفقهية للعالم قاصرة عن الإحاطة بتعدديته وغناه، أما الإيحائية المعاصرة (أي الصحوة الإسلامية) فإنها معادية له، ولذلك تعجز عن فهمه والتعامل معه على أساس ذلك الفهم".

والواقع أن بعض الدعاة يرددون - بلا تبصر - المفاهيم الفقهية التي تصادفهم فى كتب أسلافنا العظماء دون أن يتبينوا أن لهذه المفاهيم أصولاً تاريخية تعود إليها، وظروفاً موضوعية سببت نشأتها، وسوغت وجودها، وأدت فى ظلها وظيفتها.

وهؤلاء يغفلون غالباً عن حقيقة علمية مؤداها أن الاجتهاد النظري فى مثل هذه المسائل يتبع الحاجة العلمية أكثر مما يتبع الدليل النقلي. وأنه لذلك متغير بتغير الظروف والأوضاع. ولا يؤدى التمسك بقول قديم فيه - لم يعد مناسباً للظرف الجديد - إلا إلى إهدار المصالح وتضييعها. خلافاً لما هو واجب على المجتهد وعلى الأمة من جلبها والمحافظة عليها.

ومن هذه المفاهيم مفهوم تقسيم العالم إلى دارين : دار الإسلام ودار الحرب. وهو مفهوم يقوم على تميز المسلمين وتحيزهم فى أراضيهم، الذي يقابله تميز غير المسلمين وتحيزهم هم الآخرين - فى أراضيهم. وعلى أن العلاقة بين الموضعين ليست إلا علاقة عداء مستحكم وحرب مستمرة حتى سميت دار غير المسلمين بدار الحرب.

وقد نشأ هذا المفهوم فى الفقه الإسلامي لمقابلة مفهوم آخر لتقسيم العالم، هو المفهوم الروماني الذي كان يقسم العالم إلى ثلاثة أقسام : العالم الروماني، والعالم اللاتيني، وعالم الآخرين. فأما الرومان فهم سادة الدنيا، وأما اللاتين فأبناء عمومتهم، وأما الآخرون فعبيد الرومان واللاتين تستباح فى سبيل السيطرة عليهم حرمات الإنسان والمال والزمان والمكان جميعاً. وهو تقسيم عرقي عنصري يقوم على وهم التميز الجنسي ويؤدى إلى ارتكاب أشد الأعمال إجراماً ووحشية ضد غير الرومان واللاتين.

فصاغ الفقهاء المسلمون فى مقابلته مفهوم دار الإسلام ودار الحرب، وهو مفهوم يستمد من حقيقتين: العقيدة والظرف الواقعي. وتترتب عليه أحكام فقهية ليس من بينها حكم واحد يجيز العدوان أو يبيح - بغير سبب - ما حرمته نصوص الشريعة.

وهو تقسيم لا يعلى من شان عنصر أو جنس على حساب سائر العناصر والأجناس، لأن الذين صاغوه وطوروه كان نصب أعينهم قول الله تعالى : "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم" [الحجرات: ١٣]. وكان حاديهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا أيها الناس كلكم لآدم وآدم من تراب، ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى".

وقد أدى المفهوم الإسلامي دوره فى العصر الذي تكون فيه، وفى مراحل تاريخية لاحقة، أداءً يدركه المطلعون على مدونات الفقه الإسلامي وكتب القانون الدولي والعلاقات الدولية فى الإسلام، وهى الكتب التي تعرف باسم "كتب السيرة". ولكنه فى بدايته واستمرار

تطوره كان مفهوماً فقهياً اجتهادياً، ولم يكن مفهوما مستمداً من نص قرآني أو نبوي، أو مبنياً عليهما.

وكان مبنى الاجتهاد الفقهي فيه تحقيق المصلحة ودرء المفسدة. وهو مقصد من مقاصد الشرع باتفاق الفقهاء.

ولم يكن ناشئاً - كما فهم بعض الباحثين عن "قصور الرؤية الفقهية عن الإحاطة بتعدد العالم وغناه". بل كان ناشئاً عن إدراك لفساد التمييز العنصري والعرقي بين الناس، وعن إدراك لصحة التمييز بالعقيدة وما يترتب عليها في العمل والسلوك من التقوى.

ولم يكن اجتهاداً مبتدأ بل كان رد فعله لموقف البيزنطيين الذين واجههم المسلمون وواجهوا فكرهم في ثغور الشام.

فهل يجب على الفقه الإسلامي - في كل العصور - الاحتفاظ بهذا التقسيم والعودة إليه كلما طرأت مسألة أو مشكلة من مسائل العلاقات الدولية أو مشكلاتها ؟ أم الواجب على فقهاء كل عصر أن يصوغوا لمواجهة تلك العلاقات الحلول الفقهية المناسبة لعصرهم و التي تحقق فيه المصلحة وتدفع المفسدة ؟

وإذا كان التقدم المذهل في وسائل الاتصال والانتقال قد حول العالم المسكون كله إلى قرية صغيرة فهل يسوغ أن تظل نظرة المسلمين إلى العالم محكومة بذلك المفهوم الذي كان مناسباً للظروف التي نشأ فيها ولم يعد كذلك بعد زوالها؟

وإذا كان التنظيم الدولي الحديث قد أحال العالم كله إلى مثل ما كان يسميه بعض الفقهاء "دار العهد" فهل يجوز للفقيه أن يستبقي التقسيم الثنائي أو الثلاثي وما يترتب عليه عند الفقهاء من أحكام ؟

إن الرأي الذي يرجحه الفقه المعاصر أن الاجتهاد القديم القائل بمثل ذلك التقسيم قد انقضى زمنه، وأن الفقه المعاصر يجب أن يتوجه صوب واقع العلاقات الدولية المعاصرة ويجتهد في بيان الجائز فيها والممنوع، مما يحقق المصلحة أو يهدرها، على نحو ما فعل الفقهاء في عصور المواجهة الأولى بين الإسلام وبين العالم القديم.

وليس لهذا الرأي أثر في مسألة استمرار الجهاد ووجوب إقامته إلى يوم القيامة. فإن موضع الجهاد وموضوعه غير موضع العلاقات السلمية وموضوعها، ولكل منهما أحكامه الشرعية، ونصوصه الحاكمة لأصوله، في القرآن الكريم والسنة النبوية. ولم يكن شيء من ذلك سنداً للاجتهاد في مسألة تقسيم العالم إلى دارين أو ثلاثة، وإنما كان مبنى ذلك الاجتهاد هو المصلحة وحدها.

ولذلك نقول إن واجب فقه العصر أن ييمم وجهه شطر تلك العلة نفسها : المصلحة الراجحة للمسلمين ويقيم بناء اجتهاده في العلاقات الدولية على أساسها. ولا يجوز أن يبقى الفقه المعاصر أسيراً لاجتهاد قديم لم يعد محققاً للغاية التي استهدفها أصحابه، ولم تعد الأسباب التي سوغته قائمة.

وفى تقديرنا أن العالم كله الآن دار واحدة هي دار عهد وموادعة. وأن أحكام الإسلام تنطبق على المسلمين أينما كانوا، سواءً أكانوا فى دار يغلب الإسلام على أهلها أم كانوا أقلية أو أفراد فى دار غالبية أهلها غير مسلمين ".

الموقف من أمريكا :

يقول بن لادن إن : " استهداف أمريكا للمنطقة عموماً، وتقسيم بلاد الحرمين خصوصاً، ليس سحابة صيف عابرة، وإنما هو هدف إستراتيجي لا يغيب عن نظر السياسة الأمريكية الماكرة "، ويضيف :" إن من أهم أهداف هذه الحملة الصليبية الجديدة تهيئة الأجواء وتمهيد المنطقة بعد التقسيم لقيام ما يسمى بدولة إسرائيل الكبرى، التي تضم داخل حدودها أجزاء كبيرة من العراق ومصر مروراً بسوريا ولبنان والأردن وكامل فلسطين وأجزاء كبيرة من بلاد الحرمين ".

ويتساءل بن لادن : "والآن كيف السبيل لكف بأس الكفار وإنقاذ بلاد المسلمين؟

ويجيب : بالجهاد :

ويخاطب بن لادن الأمة قائلا : "يا أيها الناس لا يعظمنّ عليكم وجه أمريكا وجيشها، فقد ضربناهم والله مراراً وهزموا تكراراً، وإنهم أجبن قوم عند اللقاء، وقد تبين لنا من مدافعتنا ومقاتلتنا للعدو الأمريكي أنه يعتمد في قتاله بشكل رئيس على الحرب النفسية نظراً لما يمتلكه من آلة دعائية ضخمة، وكذلك على القصف الجوي الكثيف إخفاءً لأبرز نقاط ضعفه وهو الخوف والجبن وغياب الروح ال قتالية عند الجندي الأمريكي ".

ويعترف بن لادن لأول مرة عن مسئولية القاعدة عن كل الحوادث التي ارتكبت ضد الأمريكان، و التي كان قد أنكر علاقته بها من قبل عندما بدا التهديد الأمريكي لطالبان عقب تفجيري نيروبي ودار السلام.

يقول بن لادن" وابتداءً أذكركم بهزيمة بعض القوى الكبرى على أيدي المجاهدين :

١- أذكركم بهزيمة الاتحاد السوفيتي سابقاً، والذي أصبح أثراً بعد عشر سنين من القتال الضاري على أيدي أبناء الأفغان، ومن ساعدهم من أبناء المسلمين بفضل الله.

٢-وكذلك هزيمة الروس في بلاد الشيشان، وضرب المجاهدون أروع الأمثلة في التضحية والفداء، فحطم المجاهدون الشيشان مع إخوانهم العرب والأنصار كبرياء الروس فكبدوهم الخسائر تلو الخسائر فانسحبوا مدحورين بعد الحرب الأولى.

ثم إن الروس رجعوا مرة أخرى بدعم أمريكي، ومازالت روسيا إلى الآن تتكبد الخسائر الفادحة من فئة قليلة مؤمنة نرجو الله أن يثبتهم وينصرهم.

٣-كما أذكركم بهزيمة القوات الأمريكية عام ١٤٠٢ للهجرة، عندما اجتاح بنو إسرائيل لبنان، فقدمت المقاومة اللبنانية شاحنة مملوءة بالمتفجرات إلى مركز القوات

الأمريكية - المارينز - في بيروت، فقتل منهم أكثر من ٢٤٠ قتيلاً، فإلى جهنم و بئس المصير.

٤- ثم بعد حرب الخليج الثانية أدخلت أمريكا جيوشها إلى الصومال وقتلوا ١٣ ألفاً من أبناء المسلمين هناك، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وعندها وثب أُسُدُ الإسلام من العرب الأفغان فانبروا لهم مع إخوانهم في تلك الأرض فمرّغوا كبرياءها في الطين، فقتلوا منهم ودمروا من دباباتهم وأسقطوا من طائراتهم، ففرت أمريكا وحلفاؤها في ليل مظلم لا يلوي أحدٌ على أحد، فلله الحمد والمنّة.

٥- وفي تلك الفترة أعد شباب الجهاد عبوات ناسفة ضد الأمريكيين في عدن، فانفجرت فما كان من الجبناء إلا أن فروا في أقل من ٢٤ ساعة.

٦- ثم في عام ١٤١٥ للهجرة وقع انفجار في الرياض قتل بسببه أربعة من الأمريكيين، وكان رسالة واضحة تبين اعتراض أبناء المنطقة على السياسة الأمريكية في دعم اليهود واحتلال بلاد الحرمين.

٧- ثم في العام الذي يليه وقع انفجار آخر في الخبر، قتل بسببه ١٩ وجرح أكثر من ٤٠٠، واضطر بعدها الأمريكيون لنقل مراكزهم الكبرى من المدن إلى قواعد في الصحراء.

٨- ثم بعد ذلك أيضاً في عام ١٤١٨ للهجرة هدّد المجاهدون أمريكا على الملأ بضرورة الكف عن مساعدة اليهود والخروج من بلاد الحرمين، فرفض العدو التحذير وتمكن المجاهدون بفضل الله من صفعه صفعتين عظيمتين في شرق إفريقيا.

٩- ثم حُذّرت أمريكا مرة أخرى ولم تستجب، فوفق الله المجاهدين في عملية استشهادية عظيمة، فدمرت المدمرة الأمريكية "كول" في عدن، فكانت صفعة مدوية في وجه العسكرية الأمريكية، كما كشفت العملية عن عمالة الحكومة اليمنية كسائر دول المنطقة.

ويضيف بن لادن : " إن المجاهدين لما رأوا أن عصابة الإجرام الأسود في البيت الأبيض تصور الأمر على غير حقيقته، بل يزعم زعيمهم - الأحمق المطاع - أننا نحسدهم على طريقة حياتهم، وإنما الحقيقة التي يخفيها فرعون العصر أننا نضربهم بسبب ظلمهم لنا في العالم الإسلامي، وخاصة في فلسطين والعراق واحتلالهم في بلاد الحرمين، ولما رأى المجاهدون ذلك قرروا أن يتخطوا التعتيم وينقلوا المعركة إلى وسط أرضه وفي عقر داره".

" وفي يوم الثلاثاء المبارك في الثالث والعشرين من جماد الثاني لعام ١٤٢٢ للهجرة، الموافق للحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١ للميلاد، كان التحالف "الصهيوأمريكي" يحصد أبناءنا وأهلنا في أرض الأقصى المبارك بطائرات ودبابات أمريكية وأيدٍ يهودية، وأبناؤنا في العراق يقضون نحبهم نتيجة الحصار الظالم من أمريكا وعملائها، وفي المقابل كان العالم الإسلامي يعيش في حالة من البعد الشديد عن إقامة الدين حقاً، وبينما الأمور على تلك الحال من الإحباط واليأس والتسويف عند المسلمين - إلا من رحم الله - ومن الظلم والغرور والعدوان عند التحالف "الصهيوأمريكي"، فقد كانت بلاد "العم سام" في غيها سادرة، بطغيانها هادرة،

مصعرة خدها للناس، تمشي في الأرض مرحاً لا تبالي بأحد، وتظن ألا سبيل إليها. إذ رموا بثالثة الأسافي وما أدراك ما ثالثة الأسافي، عندما وثب شعث الرؤوس، مغبرو الأقدام، المطاردون في كل مكان، {إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى} [الكهف:١٣]. وربط على عقيدتهم وكتب الإيمان في قلوبهم، فلم يخشوا في الله لومة لائم، يبتغون ما عند الله تعالى، تأبى نفوسهم أن تنام على الضيم، يريقون ماء الحياة ولا يريقون ماء المحيا، فأغاروا بطائرات العدو في عملية جريئة جميلة ما عرفت البشرية لها مثيلاً، فحطموا أصنام أميركا، فأصابوا وزارة الدفاع في صميم فؤادها، وأصابوا الاقتصاد الأمريكي في سويداء قلبه، فأرغموا أنف أمريكا في التراب ومرغوا كبرياءها في الطين، فانهار برجا نيويورك، وبذلك الانهيار انهار ما هو أعظم وأضخم : انهارت أسطورة أمريكا العظمى، وانهارت أسطورة الديمقراطية، وظهر للناس أن قيم أمريكا في السافلين، وتحطمت أسطورة أرض الحرية، وتحطمت أسطورة الأمن القومي الأمريكي، وانهارت أسطورة الـ "سي آي إي"، فلله الحمد والمنة ".

ويمضي بن لادن ليعلن أنه " من أهم الآثار الإيجابية لغزوتي نيويورك وواشنطن أنها كشفت حقيقة الصراع بين الصليبيين والمسلمين، وأظهرت ضخامة العداء الذي يُكنُّه لنا الصليبيون عندما نزعت الغزوتان جلد الشاة عن الذئب الأمريكي وظهر على حقيقته البشعة، واستيقظ العالم أجمع من الرقاد، وانتبه المسلمون إلى أهمية عقيدة الموالاة في الله والمعاداة في الله، وقويت روح الأخوة الإيمانية بين المسلمين، مما يعتبر خطوة عظيمة نحو توحيد المسلمين تحت كلمة التوحيد لقيام الخلافة الراشدة بإذن الله، وبدا ظاهراً للناس أن أمريكا هذه القوة الظالمة، يمكن أن تضرب، ويمكن أن تذل وتهان وتقهر.

ويضيف بن لادن " ولأول مرة تعي غالبية الشعب الأمريكي حقيقة القضية الفلسطينية وأن ما أصابهم في "مانهاتن" كان بسبب سياسة حكومتهم الظالمة.

ويخلص بن لادن إلى " أن أمريكا دولة عظمى ذات قوة عسكرية ضخمة وذات اقتصاد عريض، ولكن كل ذلك على قاعدة هشة، لذا فإنه بالإمكان استهداف تلك القاعدة الهشة والتركيز على أبرز نقاط الضعف فيها وإذا ما ضربت في عُشر معشار تلك النقاط، فإنها - بإذن الله - ستترنح وتنكمش وتتخلى عن قيادة العالم وظلمه.

القدرة على المقاومة :

وحول الشباب الذين قاموا بالتفجيرات يقول بن لادن " ولقد استطاع عدد يسير من فتية الإسلام، رغم وقوف التحالف الدولي ضدهم أن يقيموا الحجة على الناس بوجود القدرة على مقاومة ومقاتلة ما يسمى بالقوى العظمى، واستطاعوا أن يدافعوا عن دينهم وأن ينفعوا قضايا أمتهم أكثر مما فعلته حكومات وشعوب بضع وخمسين دولة في العالم الإسلامي، لأنهم اتخذوا الجهاد سبيلاً لنصرة الدين ".

ويزعم بن لادن أن "أمثال هؤلاء الفتية الأبطال في الأمة كثير - بفضل الله - ولكنهم مقيدون، فينبغي علينا أن نتعاون جميعاً لفك قيودهم لينطلقوا مجاهدين في سبيل الله، لأن الجهاد هو سبيل عز هذه الأمة وأمنها ".

موانـــع الـجـــهـــاد :

وفى معرض تفسيره لقلة عدد الشباب المخدوعين بخطابه، يزعم بن لادن وجود سدود وقيود تمنع الشباب من الانخراط فى الجهاد، ويضيف مؤسس القاعدة أن " أول هذه القيود والسدود في عصرنا الحاضر؛ هم الحكام و شهداء الزور من علماء السوء ووزراء البلاط وأصحاب الأقلام المأجورة ومن شابههم ".

ويستطرد بن لادن " أما السد الثاني؛ فهم العلماء والدعاة المحبون للحق الكارهون للباطل القاعدون عن الجهاد، تأولوا تأولاً فصدوا الشباب عن الجهاد ولا حول ولا قوة إلا بالله، هؤلاء رأوا الباطل ينتشر ويزداد، فتداعوا للقيام بواجب نصرة الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واهتدى وتفقه على أيديهم خلق كثير، وحسناً فعلوا، وجزاهم الله خيراً على ذلك، إلا أن الباطل يضيق صدره بالحق وأهله، فشرع في مضايقتهم وإخافتهم ومنعهم من الخطب والدروس وفصلهم من وظائفهم ثم سجن من أصر على مواصلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

إن هذه الضغوط الشديدة أدت تدريجيا إلى انحراف المسار - إلا من رحم الله - وهذا أمر بدهي لأن الإنسان لا يستطيع أن يتخذ القرار الصحيح في ظل أوضاع غير صحيحة وخاصة من الناحية الأمنية.

ويصل بن لادن إلى خلاصة رؤيته عندما يقرر أن " الجهاد بالنفس اليوم وإن كان متعيناً على الأمة بأسرها إلا أنه في حق الشباب آكد مما هو في حق الكهول والشيوخ، وكذلك الجهاد بالمال المتعين اليوم هو في حق أصحاب الأموال آكد مما هو في حق غيرهم ".

ويطالب بن لادن الأمة " أن تعين الشباب وتشجعهم وتيسر أمورهم ليدافعوا ويدفعوا عنها الظلم والخزي والإثم "

الأمـــريـــكـــان فـــى ورطـــة :

ويؤكد بن لادن على أن "الأمريكيين في ورطة حقيقية اليوم ، فلا هم يستطيعون حماية قواتهم ولا قادرين على تشكيل دولة تحمي رئيسها فضلاً عن أن تحمي الآخرين، فقد تم - بفضل الله - التنسيق مع جميع المجاهدين خلال العام المنصرم (٢٠٠١)، والجميع متحمسون للجهاد ويرونه واجباً عليهم، ولولا قلة الإمكانيات لتيسر رفع عدد العمليات يومياً إلى الحد الذي كانت عليه في الجهاد السابق ضد الروس، وهذا ما لا يحتمله الأمريكيون.

وفى خطاب لا يخلو من حماس وغيبة عن الواقع ومتغيراته دوليا وإقليميا، يخاطب بن لادن الأمة قائلا : " والأمة اليوم بين يدي يوم من أيام الله، لا ينبغي فيه العجز ولا البغي

وينبغي أن تتجمع فيه زحوف المسلمين ضد زحوف الكافرين، وينبغي فيه التوبة من الذنوب والكبائر، كما ينبغي على الأمة بين يدي هذا الأمر العصيب الذي هو جدٌ ليس بالهزل، أن تهجر حياة اللهو واللعب والإسراف والترف، وأن تخشوشن وتتهيأ للحياة الحقة، حياة القتل والقتال والضرب والنزال.

وفى رسالة يوجهها بن لادن للشباب، يقرر ما سبق أن قرره من قبل من أن " استهداف الأمريكيين واليهود بالقتل في طول الأرض وعرضها من أعظم الواجبات وأفضل القربات إلى الله تعالى، ويوصيهم بالالتفاف حول العلماء الصادقين والدعاة المخلصين العاملين، والاستعانة على قضاء حوائجهم بالكتمان، لا سيما في الأعمال العسكرية الجهادية ".

رسالة إلى العراقيين :

ولا ينسى بن لادن توجيه رسالة إلى العراقيين يحثهم فيها على مقاومة الأمريكيين وعدم تصديق ما تروج له أمريكا حول قوتها " وحول قنابلهم الذكية الموجهة بالليزر".

ووجه بن لادن نصائحه للعراقيين حول " أهمية استدراج قوات العدو إلى قتال طويل متلاحم منهك مستغلين المواقع الدفاعية المموهة في السهول والمزارع والجبال والمدن ".

وشدد بن لادن على أن " أخوف ما يخافه العدو هو حرب المدن والشوارع، تلك الحرب التي يتوقع فيها خسائر فادحة في الأرواح".

وحث بن لادن العراقيين على " أهمية العمليات الاستشهادية ضد العدو، تلك العمليات التي أنكت في أمريكا وإسرائيل نكاية لم يشهدوها في تاريخهم من قبل بفضل الله تعالى ".

ولفت بن لادن إلى جواز "أن تتقاطع مصالح المسلمين مع مصالح الاشتراكيين في القتال ضد الصليبيين مع اعتقادنا وتصريحنا بكفر الاشتراكيين، فالاشتراكيون وهؤلاء الحكام قد سقطت ولايتهم منذ زمن بعيد، والاشتراكيون كفار حيثما كانوا، سواء كانوا في بغداد أو عدن".

ولكن بن لادن نسى، فى خضم حماسه للمعركة، أن يخبرنا لماذا سكت طوال هذه السنوات على هؤلاء الاشتراكيين الكفرة إبان كانوا فى سدة الحكم فى بغداد، ولماذا لم يسع إلى مواجهتهم فى عقر دارهم كما فعل مع الأمريكان، مع علمه بما يفعلوه مع مواطني العراق من كافة الملل والأديان.

الفصل الخامس

طالبان: من حلم الملا إلى إمارة المؤمنين

لكي تتكون لدينا صورة واضحة عن تنظيم القاعدة ومؤسسه بن لادن، لابد أن نتعرض لقصة ظهور وصعود حلفائه الأقوياء في حركة طالبان (وذلك قبل أن ينسحبوا أمام الهجمات الأمريكية كما فعل صدام حسين بالضبط مخلفين وراءهم مآس وقصص عجيبة)، وذلك لكي نتعرف عن قرب إلى هذه الحركة، ونرى كيف يفكر قادتها وكوادرها؛ من هم، من أين أتوا، وما هو منهجهم الفكري والسياسي الذي توافق مع منهج وأفكار بن لادن و الظواهري ؟.

وقد رأينا من الإنصاف لهم ولنا أن نتناول تجربتهم من خلال ما قصه أستاذهم مولوي حفيظ حقاني عنهم في كتابه " طالبان من حلم الملا إلى إمارة المؤمنين "، فعلاقة الرجل بهم علاقة الأستاذ بالتلاميذ، وهو يجلهم ويحترمهم، ولكن هذا كله لم يمنعه من أداء أمانة التأريخ لهم بكل صراحة موضحا ما لهم وما عليهم.

خلفية :

كان خروج السوفييت من أفغانستان عام ١٩٨٩، إيذاناً ببدء العد التنازلي لانهيار حكومة نجيب الله الشيوعية في كابول، فعلى مدى ثلاث سنوات حاول فيها نجيب الله اللعب بكل الأوراق، من التفاوض مع باكستان مباشرة، إلى إعلان وقف إطلاق النار حقناً للدماء، مروراً ببعض القرارات الخاصة بإعادة الاعتبار للدين الإسلامي بوصفه الدين الرسمي للدولة والسماح بتخصيص مساجد في جميع المؤسسات الحكومية، ولكن كل هذه المحاولات باءت بالفشل، ودخل المجاهدون إلى كابول في أبريل من عام ١٩٩٢، لتبدأ مرحلة جديدة من الصراع بين جميع الأحزاب الجهادية : الجمعية الإسلامية بقيادة رباني المتحالف مع أحمد شاه مسعود، والحكومة المؤقتة من جهة، والحزب الإسلامي المتحالف مع دوستم من جهة أخرى، والاتحاد الإسلامي بقيادة سياف من جهة، وحزب الوحدة الشيعي "مزاري" من جهة أخرى، وعلى الرغم من كل المعاهدات التي وقعها القادة المتحاربون، إلا أن الحرب الأهلية بين جميع الفصائل والتي راح ضحيتها ٤٠ ألف شخص، بالإضافة إلى تشريد مئات الآلاف، ظلت مشتعلة، وفشلت جميع الوساطات التي قام بها عدد من العلماء والجهات الإسلامية والدولية لتقريب وجهات النظر بين الأطراف المتصارعة، ونقض قادة الفصائل المتحاربة كل الاتفاقيات التي وقعوها.

فوضى وعنف دموي :

ويؤكد مولوي حفيظ حقاني في كتابه أن هذه الحروب لم تكن قاصرة على العاصمة كابول وحدها، وإنما سرت إلى باقي الولايات منذ شهدت مناطق شمال أفغانستان قتالاً بين الحكومة "رباني ومسعود" وبين قوات دوستم، كما دارت معارك متعددة الأطراف جنوب وغرب أفغانستان، ويضيف مولوي حقاني أن هذه المعارك جرت على الشعب الأفغاني الويل والشقاء، وحدثت أثناءها حوادث فظيعة تقشعر لسماعها الأبدان.

ويورد مولوي حقاني مثالين لهذه الحوادث ، الأول يتعلق بما يطلق عليه رقصة الموتى، حيث كان أفراد حزب الوحدة الشيعي بقيادة عبد العلى مزارى يأخذون الأسرى من أهل السنة، فيقطعون رؤوسهم ويغلقون شرايينهم لمنع خروج الدم بسرعة من الجسد، فكانت الضحية تقفز كما تقفز الدجاجة عند قطع رأسها لفترة طويلة، وكانوا يتلذذون بذلك ويستمتعون بممارسته، و الثاني ما كان يفعله المتحاربون من دق المسامير فى رؤوس الأسرى وحبس بعضهم فى الصناديق الحديدية الكبيرة، ثم إشعال النار تحتها وإجبار الأسرى الآخرين على أكل لحوم زملائهم. هذا فى الوقت الذي كان يقوم فيه القائد أحمد شاه مسعود بإبادة جماعية للهزارة الشيعة فى غرب كابول، بالإضافة إلى استباحة جنوده لأعراض النساء منهم.

كانت الفوضى مسيطرة على أفغانستان، فحكومة رباني ومسعود كانت تسيطر على ٧ ولايات فقط فى شمال ووسط أفغانستان، وكان دوستم يحكم ٦ ولايات فى شمال البلاد، وكذلك كانت "شورى ننجرها" تحكم ٣ ولايات فى الشرق، وإدارة إسماعيل خان تتحكم فى غرب أفغانستان، بالإضافة إلى عدد كبير من الولايات كانت بدون أي نوع من الإدارة، ونتيجة لهذا الوضع المأساوي عانى الشعب الأفغاني كثيرا من السلب والنهب وافتقاد الأمن والأمان.

كانت المجموعات المسلحة كما يؤكد مولوي حقاني تقوم بالاعتداء على أعراض الناس وتغتصب النساء والفتيات، ووصل الأمر ببعض القادة إلى دخول المنازل واختطاف الزوجات الجميلات من أزواجهن والاستئثار بهن، و تنامي الأمر حتى وصل فى بعض الولايات الجنوبية الغربية والشمالية إلى اصطحاب الفتيان الصغار وممارسة الرذيلة معهم، بل وصل الأمر إلى إعلان أحد القادة بالزواج من شاب أمرد فى قندهار، فعم الاستياء أفراد الشعب وأصبح متطلعاً إلى أي قوى تزيل عنه هذا الكابوس المزعج.

كان الوضع الأمني منغلقا تماماً، وأصبح كل شخص يدخل أفغانستان عرضة لمخاطر عديدة، فقد كان فى استطاعة أي شخص مسلح أن يوقف السيارات ويقوم بإنزال أي راكب يريده، حيث يقوم بقتله أو خطفه، كان كل شئ معرض للخطف والنهب، الناس والسيارات - خاصة سيارات المؤسسات الإغاثية - ووصل الأمر إلى قيام المجموعات المكلفة بحفظ الأمن والاستقرار فى المدن الكبيرة برعاية أعمال القتل والنهب والسلب والاعتداء على الأعراض، وكثرت الاشتباكات بين المجموعات المسلحة فى الأماكن المزدحمة من المدن الكبيرة وذهب عشرات الأبرياء ضحية هذه المعارك.

مصادر تمويل جديدة :

وعندما قلت المساعدات وكثرت النفقات عقب نشوب الحرب الأهلية بين الفصائل الأفغانية، ابتكرت العصابات المسلحة مصدراً للتمويل عن طريق كمائن الطرق، والتي يطلق عليها باللغة المحلية "باتك"، حيث يتم توقيف السيارات للتفتيش، وكان من قانون "باتك" أن ما يطلبه صاحبه يجب أن يحصل عليه، وكل من يراجعه للإعفاء أو التخفيف يضاعف

عليه المبلغ، وكانوا يطلقون النار على الأشخاص ثم يربطونهم إلى شجرة بجوار الـ "باتك" لإدخال الرعب على كل من تسول له نفسه المقاومة أو الرفض.

وفى المناطق الجنوبية الغربية، كان أصحاب "الباتك" ينزلون الفتيات الجميلات والفتيان المرد، ويمارسون معهم الرذيلة، حيث كان اللواط شائعاً عند العصابات المسلحة فى تلك المناطق، حتى أصبح "باتك" مصدر قلق دائم للشعب الأفغاني، وكان من أهم أسباب ظهور حركة طالبان.

لـــــوردات الـــحــــرب :

استغل القادة المتحاربون عدم وجود إدارة مركزية قوية فى البلاد، وبدأوا يتاجرون بأموال الشعب وثروات البلاد من المعادن والأحجار الكريمة، وممتلكات الدولة من الأسلحة والذخيرة وأكوام الحديد الخردة التي خلفها الجيش الروسي، وضرائب الجمارك الحدودية، بالإضافة إلى مساعدات الأطراف الخارجية، وتولدت طبقة جديدة فى أفغانستان أطلق عليها "لوردات الحرب"، أثروا ثراءً فاحشاً ودخلوا عالم التجارة الخارجية بعد السيطرة الكاملة على جميع منابع الثروة داخليا، واشتهر على سبيل المثال فى المناطق الشرقية المهندس عبد الغفار، القائد الميداني التابع للحزب الإسلامي/ حكمتيار وصديقه الحميم عبد القدير والى "ننجرهار" السابق، فقد كانا يتقاسمان المبلغ الضخم الذي كانا يحصلان عليه من جمارك جلال آباد، فاشتريا منازل فى أوروبا ودول الخليج، وأصبح الحاج عبد القدير مالكاً لشركة طيران "خيبر" يشاركه فيها أخواه : "عبد الحق" و"حاجى دين محمد"، نائب مولوي محمد يونس خالص، واشتهر فى كابول الدكتور عبد الرحمن، وزير الطيران المدني فى حكومة رباني، والجنرال فهيم، وعدد كبير من القادة والمسئولين المنحدرين من "بنجشير" مسقط رأس "أحمد شاه مسعود" و"بدخشان" مسقط رأس "رباني"، وفى مقابل ذلك كان الشعب الأفغاني لا يجد لقمة العيش، وانتشر المتسولون والمتسولات فى الأسواق والطرق فى باكستان.

ويؤكد مولوي حفيظ حقاني أنه فى هذه الظروف، لو قام "الهندوس"، وهم أسوأ أنواع الكفرة بالنسبة "للأفغان" ورفعوا لواء محاربة هذا الفساد، وتوفير الأمن والاستقرار للشعب الأفغاني وتخليصه من هذه الطبقة الظالمة لرحب به الأفغان.

الملا عمر يروى قصة طالبان :

يقول الملا محمد عمر زعيم الحركة : "كنت أدرس فى مدرسة مع نحو ٢٠ من زملائي الطلاب، حينما شاهدنا الفساد يسيطر على وجه الأرض، ويستشرى القتل والنهب والسلب، وكان الأمر (يقصد مقاليد الحكم) بين الفسقة والفجرة، ولم يكن أحد يتصور أنه من الممكن تغيير هذا الوضع وإصلاح الحال". ويضيف الملا عمر فى الحديث الذي أدلى به لأستاذه مولوي حفيظ حقاني، بعد وصول الحركة إلى الحكم : لو فكرت وقلت فى نفسي : "لا يكلف

الله نفساً إلا وسعها"، لكفتني هذه الآية و لتركت الأمر لأنه لم يكن فى وسعى شئ، لكنني توكلت على الله، التوكل المحض، ومن يتوكل على الله هذا النوع من التوكل لا يخيب أمله أبداً.

ويستطرد الملا عمر: " طويت الكتب فى المدرسة فى "سنج سار" وأخذت معي شخصاً آخر وذهبنا مشياً على الأقدام إلى منطقة "زونجاوات"، واستعرت من هناك دراجة نارية من شخص اسمه "سرور"، ثم ذهبنا إلى "تولكان"، فبدأنا نزور الطلاب فى المدارس وحلقات الدرس صباح ذلك اليوم ، وذهبنا إلى حلقة يدرس فيها حوالي ١٤ شخصاً، فجمعتهم فى دائرة حولي وقلت لهم : إن دين الله يداس تحت الأقدام والناس يجاهرون بالفسق، وأهل الدين يخفون دينهم، وقد استولى الفسقة على المنطقة كلها، يسلبون أموال الناس ويتعرضون لأعراضهم على الطرق العامة، يقتلون الإنسان ثم يسندونه إلى حجر على قارعة الطريق، وتمر به السيارات ويرى الناس الميت ملقى ولا يجرؤ أحد أن يواريه التراب، وقلت لهم : لا يمكن الاستمرار فى الدراسة فى هذه الظروف، ولن تحل هذه المشاكل بالشعارات المجردة، نريد أن نقوم نحن الطلبة ضد هذا الفساد، إن أردتم العمل لدين الله حقيقة، فلنترك الدراسة ولنبدأ، وصارحتهم القول : بأننا لم نأخذ وعدا من أحد بأن يساعدنا ولو بشربة ماء حتى لا تظنوا أننا سنوفر لكم الطعام، ولكننا سنطلب الطعام والمساعدات من الشعب، وقلت : إن هذا ليس عمل يوم ولا أسبوع ولا شهر ولا سنة، بل سيأخذ وقتاً طويلاً، هل تستطيعون القيام بذلك أم لا ؟ وقلت لهم : إننا إن فتحنا منطقة سندافع عنها، ثم لا تعترضوا لعدم وجود دراسة أو لعدم توافر المال والسلاح، فهل تستطيعون القيام بهذا العمل أم لا ؟ فلم يوافق أحد من هؤلاء الـ ١٤ على القيام بهذا العمل، وقالوا يمكن أن نقوم ببعض الأعمال أيام الجمع، فقلت لهم ومن سيقوم به فى الأيام الأخرى ؟ وأشهد الله على أن هذه هي الحقيقة و أنني سأشهد بذلك أمام الله عز وجل يوم القيامة، ويضيف الملا عمر: " إنني لو قست على هذه الحلقة باقي المدارس والحلقات لعدت إلى مدرستي، لكنني وفيت بالعهد الذي قطعته على نفسي، فذهبت لحلقة درس أخرى وكان فيها ٧ طلاب، فعرضت عليهم الأمر كما عرضت على طلاب حلقة الدرس الأولى فاستعد الجميع للعمل، ويواصل الملا عمر قائد طالبان (الهارب حاليا فى أحد المناطق الجبلية بأفغانستان) حكايته، فيقول "ثم تجولنا على هذه الدراجة إلى صلاة العصر على مدارس وحلقات الدرس المختلفة حتى استعد ٥٣ شخصا، فعدت إلى مدرستي وطلبت منهم الحضور فى الصباح الباكر، ولكني فوجئت بقدومهم الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، وطلبنا فى الصباح سيارتين من الحاج "بشر" - أحد تجار المنطقة - فأعطانا سيارتين إحداهما صغيرة والأخرى سيارة شحن كبيرة، فنقلنا هؤلاء الطلاب إلى منطقة "كشك نخود"، وانضم إلينا آخرون، ولما كثر العدد استعرنا الأسلحة من الناس، فكانت هذه هي بداية الحركة التي استمرت حتى الآن".

الاستيلاء على أرغستان :

كان ذلك في يوليو من عام ١٩٩٤، عندما ظهرت الخلية الأولى لحركة طالبان، والتي كانت مكونة من ٥٣ طالبا من طلاب المدارس الدينية في منطقة "سنج سار" بقندهار، بدأ الطلاب عملهم بنزع السلاح من مجموعات المجاهدين (الذين تحولوا إلى قطاع طرق)، وإزالة نقاط التفتيش الموضوعة على الطرق لجمع الإتاوات، ثم استولوا على مديرية أرغستان، وفي شهر أغسطس عام ١٩٩٤، اجتمع طلاب المدارس الدينية حول الملا محمد عمر مجاهد واختاروه أميراً لهم، وتعاهدوا على جمع السلاح من جميع الفئات المتحاربة بالقوة واستعادة الأمن والاستقرار وإزالة نقاط التفتيش التي تقوم بجمع الإتاوات، الأمر الذي حاز تعاطفاً كبيراً بين صفوف الشعب الأفغاني.

وفي شهر أكتوبر عام ١٩٩٤، بدأت حركة طالبان بتوسيع أنشطتها، فاستولت على مديرية "سبين بولوك" الحدودية، كما استولت على مخازن الأسلحة والذخيرة المركزية للولايات الجنوبية الغربية التابعة للحزب الإسلامي "حكمتيار"، التي كانت في مديرية "سبين بولوك" وفي حوزة القائد "سركاتب" والتي كانت تعتبر من أكبر المخازن في المنطقة.

طالبان في الإعلام العالمي :

في نوفمبر من عام ١٩٩٤، برز اسم حركة طالبان في الإعلام العالمي لأول مرة، بعد أن نجحت قواتها في استعادة القافلة الباكستانية الإغاثية التي أرسلها وزير داخلية باكستان "نصير الله بابر"، من أيدي "منصور أغا" القائد الميداني التابع لجماعة "جيلاني" وقامت بالقبض عليه وإعدامه.

وفي ديسمبر من عام ١٩٩٤، استولت حركة طالبان على الولايات المجاورة بدون مقاومة تذكر، نظرا لتشتت المجموعات التي كانت تحكم هذه الولايات.

وفي يناير من عام ١٩٩٥، سقطت مدينة "غزني" بيد طالبان، الذين ساندوا في البداية القوات الحكومية لإخراج قوات الحزب الإسلامي "حكمتيار" منها، ثم قاموا بعد إحكام سيطرتهم على المدينة بتجريد القوات الحكومية من السلاح ثم قامت بطردهم.

في هذا التوقيت أرسل الرئيس رباني مساعدات مالية إلى طالبان وطالب منهم مساعدته في ضرب قوات حكمتيار.

وفي ١٠ فبراير من عام ١٩٩٥، استولت طالبان على "ميدان شهر" المعقل الحصين للحزب الإسلامي "حكمتيار" في ولاية "وردك" في هجوم مباغت. وبعد أربعة أيام فقط من سقوط الولاية تمكنت حركة طالبان في ١٩٩٥/٢/١٤، من إحكام سيطرتها على جميع مناطق نفوذ الحزب الإسلامي "حكمتيار" المناوئ للحكومة المؤقتة وائتلاف "رباني - مسعود"، وذلك حول كابول العاصمة بعد أن انسحب حكمتيار من مقره في "تشاراسياب" إلى منطقة "سروبي"، عقب المحادثات الفاشلة بينه وبين حكومة رباني، والتي جرت بقصد التوصل إلى صيغة مشتركة في مواجهة طالبان.

وبعد فشل المحادثات بين الفريقين، رباني و حكمتيار، ونجاح طالبان فى دحر قوات حكمتيار، طالب مولوي فضل الرحمن، زعيم جمعية علماء الإسلام بباكستان، الرئيس الأفغاني "برهان الدين رباني"، بتسليم الحكم لطالبان.

طالبان و القوات الحكومية وجها لوجه :

وفى مارس من عام ١٩٩٥، استغلت طالبان اندلاع حرب شديدة بين قوات "مسعود" وبين حزب الوحدة الشيعي بقيادة عبد العلي مزارى، وتدخلت للحيلولة بين الفصائل المتحاربة "حزب الوحدة والحكومة" واستولت على مواقع حزب الوحدة الشيعي وبدأت بنزع السلاح من الشيعة وأسرت قائدهم عبد العلي مزارى يوم ١٩٩٥/٣/١١، وفى هذا اليوم فقط، وعندما وجدت طالبان موضع قدم لها فى كابول، تهيأت لها الظروف لمواجهة القوات الحكومية لأول مرة، ولكن سرعان ما استردت قوات مسعود (حليف رباني) جميع مواقع حزب الوحدة الشيعي التي استولت عليها طالبان فى غرب كابول، وأبعدتهم عن العاصمة حوالي ٢٥ كم، وقد قامت قوات مسعود بهذا الهجوم رغم وجود مولوي فضل الرحمن أمير جمعية علماء الإسلام الباكستانية فى معاقل الحركة لإجراء مصالحة بينها وبين الحكومة.

فى مايو عام ١٩٩٥، قامت القوات الحكومية بهجوم آخر بقيادة إسماعيل خان، والى هيرات، فى جنوب غرب أفغانستان، على قوات الحركة وتمكنت من استرجاع ولايتي فراه و نيمروز و أكثر مناطق ولاية هلمند من أيدي قوات طالبان، وبدأت القوات الحكومية تهدد "قندهار" مركز حركة طالبان ومعقلها الحصين.

طالبان تستعيد المبادرة :

فى سبتمبر عام ١٩٩٥، استطاعت قوات طالبان فى هجوم مفاجئ أن تسترد ولاية فراه و هلمند و نيمروز من قوات إسماعيل خان، واستولت أيضاً على قاعدة "شين وند" الجوية التي تعتبر من أكبر القواعد فى أفغانستان ودخلت قوات طالبان بعد ٢٤ ساعة مدينة هيرات بعد أن هرب واليها إسماعيل خان إلى إيران، وفى أكتوبر عام ١٩٩٥ تقدمت قوات طالبان نحو كابول بعد تقدمهم فى جنوب غرب أفغانستان، وسيطرت على "تشاراسياب" وتلال "خير آباد" المشرفة على مدينة كابل، وفى أبريل من عام١٩٩٦، جمعت حركة طالبان ١٥٠٠ من العلماء من جميع أنحاء أفغانستان وبايعوا ملا محمد عمر مجاهد أميراً لهم ولقبوه بأمير المؤمنين، ومنذ ذلك اليوم ، وخلال أقل من ستة أشهر، أحرزت قوات طالبان عدداً كبيراً من الانتصارات على القوات الحكومية و قوات حكمتيار، فسقطت فى أيديهم مدينة "ننجرهار" وولاية "لغمان و كونر"، ثم سقطت العاصمة كابول فى أيديهم فى ١٩٩٦/٩/٢٧، بعد انسحاب القوات الحكومية نحو الشمال.

سيطرة طالبان والظروف الدولية :

استهلت الحركة وجودها في كابول بإعدام رئيس أفغانستان الشيوعي السابق "نجيب الله"، وأعلن الملا محمد عمر أن أمور الدولة ستتولاها لجنة مكونة من ستة أشخاص بقيادة ملا "محمد رباني" النائب الأول للملا محمد عمر، ولم ينتصف عام ١٩٩٧، إلا وطالبان قد استولت على ٩٠٪ من أرض أفغانستان، بينما سيطرت المعارضة الشمالية التي تكونت في أكتوبر عام ١٩٩٦، من كل من دوستم وشاه مسعود وعبد الكريم خليلي "قائد حزب الوحدة الشيعي" تحت اسم "ائتلاف الدفاع عن أفغانستان"، على الـ ١٠٪ المتبقية.

وبينما يثير هذا الحجم الكبير من التقدم الذي أحرزته طالبان على الساحة الأفغانية، وصولاً إلى السيطرة على أكثر من ٩٠٪ من مساحة أفغانستان في أقل من عامين ونصف العام، تساؤلات عديدة، يرفض مولوي حفيظ حقاني القول بدور خارجي حاسم ساعد على خلق تيار طالبان، خاصة في المراحل الأولى لنشأة الحركة، ولكنه لا يقلل من شأن العوامل الخارجية التي يراها، ممثلة في أوضاع المنطقة والظروف الدولية، التي هيأت لنشأة الحركة.

أولا : باكستان :

باكستان تريد دولة صديقة لها في كابول، لتشكل عمقاً استراتيجياً لها ضد عدوها اللدود "الهند".

فقد ظلت علاقات باكستان مع أفغانستان في توتر مستمر منذ نشأتها عام ١٩٤٧، واستثمرت الهند دائما هذه العلاقات المتوترة بتوطيد علاقتها مع كابول والاستفادة منها في إلحاق الضرر بباكستان عند الضرورة، وهو ما ظهر عندما استثمرت "الهند" تعكر الأجواء بين حكومة رباني وباكستان لصالحها، الأمر الذي جعل باكستان تسعى من ناحية أخرى لإيجاد وضع مستقر في ظل حكومة صديقة لها في كابول، تفتح لها الطريق أمام التجارة مع أسواق آسيا الوسطى، كما أن باكستان تريد أن تجني ثمار جهودها، إذ إنها قدمت تضحيات كبيرة في سنوات الجهاد لإجلاء السوفييت عن أفغانستان، وقدمت خدمات كبيرة لنحو ٣,٦ مليون مهاجر أفغاني، وإذا لم تكلل جهودها هذه بحكومة موالية لها في كابول سيعد ذلك فشلاً ذريعاً لسياساتها.

ومن جانب آخر كان أحمد شاه مسعود - الحاكم الحقيقي لكابول آنذاك - عدواً لدوداً لباكستان وصديقا حميما للهند، إذ كان مسعود يعتبر باكستان مصدر كل المشاكل لحكومته، ومن ثم تعمد استفزازها بشكل دائم لقطع العلاقات معها، وقام بإحراق سفارتها في كابول يوم ١٩٩٥/٩/٦، وردت بإعلان مسئوليته عن عدد من الانفجارات التي حدثت داخل أراضيها، وحاولت في نفس الوقت ضربه وتحجيمه بكل الوسائل المتاحة لديها، ولكن أجهزة المخابرات "ISI" التي كانت تشرف على السياسة الباكستانية تجاه القضية الأفغانية، فشلت

في الإطاحـة به أو بحكومة حليفه برهان الدين رباني، سواء بشكل مباشر أو عن طريق دعم المعارضة المتمثلة في حكمتيار و دوستم.

وعـندما احترقـت أوراق المعارضة، وظهرت حركة فتية على الساحة ممثلة فى "حركة طالـبان"، ورأت فـيها باكسـتان مقـدرة فائقـة عـلى سحق الأحـزاب والقـوى القـديمـة بما فيها مسعود وحكومة رباني، اغتنمت الفرصة وساعدتها بسبب من التقاء المصالح المشتركة.

ثـــانـــيــــا : الـــولايـــات الـمـــتـــحـــدة :

أمـا الولايـات المتحدة الأمريكيـة، فقد كان لها أهداف محددة فى أفغانستان عقب خروج القوات السوفيتيـة، منها - كما يرى مولوي حقاني - :

١- ضـرب الأصولية المتمثلة فى الأحـزاب الجهادية بأصولية أشد، لأن ضربها بغير ذلك صعب فى ظروف أفغانستان.
٢- منـع النفوذ الإيراني وتشديد الحصار عليه من جهة الشرق.
٣- إيجاد حكومة صديقة لها لا تعارض سياستها الخارجية
٤- استـقرار الوضـع فـى أفغانسـتان فـى ظل حكومة تتمكن من منع زراعة المخدرات "ولن يتم ذلك فى نظر الأمريكيين والغرب إلا بالسلطة الدينية".
٥- مـنع نشـاط الأفغـان العـرب المطلوبـين مـن قـبل السلطات الأمنـية فى بلادهم، أو المطلوبين دولياً، والقيام بجمع السلاح والسيطرة على الشارع الأفغاني.

والملاحظـة الغريبة أن هذين الهدفين تحديداً، و الذي سعت أمريكا بشدة لدعم طالبان مـن أجلهما، تم تنفيـذ عكسهما تماماً، حيث أباحت طالبان زراعة الأفيون مع منع تصنيعه، كمـا وفـرت للأفغـان العـرب معسـكرات للتدريـب ومنحـت أعـداداً كـبيرة مـنهم الجنسـية الأفغانيـة.

ويـرى مولوي حفيظ حقاني أنه لهذه الأسباب سكتت واشنطن عن حركة طالبان ولم تحاربهـا، وفتحـت لها المجال للظهور كضـرورة مرحلية، وكـان لهـذه العوامل الخارجية دور ملحوظ فى تقدم حركة طالبان واستمرارها.

وعـلى الـرغم من الأجواء الداخلية والخارجية التي كانت مهيأة لميلاد واستقبال حركة سياسـية جديـدة في أفغانسـتان، تلـبى احتـياجات الشعب الأفغـاني للأمن والاستقرار وتلبي احتياجات المجتمع الدولي في وجود حكومـة مستقرة في أفغانستان، إلا أن أسئلة كثيرة مازالت بـلا إجابـات تـدور حـول التقدم العسكري المذهل لحركة طالبان فى هذه الفترة الوجيزة من عمـرها، حيـث استطاعت الحـركة القضـاء عـلى أغلـب الأحزاب والقيادات العسكرية القوية الـتي تمـتلك خـبرة حربـية طويـلة، مكنـتها مـن هـزيمة القـوات السـوفيتية وإجبارها على الخروج من أفغانستان.

عوامل أخرى مساعدة :

أرجع مولوي حفيظ حقاني تقدم طالبان المذهل خلال هذه الفترة الوجيزة إلى سببين رئيسيين :

الأول : ضعف أحزاب المعارضة.

الثاني : الروح القتالية العالية لمقاتلى طالبان.

أولا : أوضاع أحزاب المعارضة :

يروى حقاني أنه عندما سقطت الحكومة الشيوعية فى كابول، استطاعت الأحزاب الجهادية أن تحافظ على مقاتليها لفترة من الزمن، لكن لما طال أمد الحرب الأهلية بينهم وتغيرت الأحوال وأصبح أعداء الأمس أصدقاء اليوم وأصدقاء الأمس أعداء اليوم وتبدلت التحالفات عدة مرات، ترك المجاهدون الحقيقيون صفوف القتال ورجعوا إلى بيوتهم وبقى فى الميدان تجار الحرب الذين لا يهمهم إلا المال، فانهاروا أمام حركة طالبان لعدم وجود هدف مقدس أو دوافع قتالية قوية. وكان القادة الميدانيون فى الجبهات المعارضة لطالبان قد وصلوا إلى الذروة فى الفساد والترف، وأمثال هؤلاء لا يصلحون للقتال، ولم تكن هناك ثقة متبادلة بين القيادات العسكرية والقيادات السياسية للتنظيم أو الحزب الواحد، بل كان لكل أهدافه الخاصة التي يعمل لإنجازها، ونتيجة للفساد والمحسوبية والظلم والاعتداء على أموال الناس وأعراضهم ودمائهم من قبل العناصر الفاسدة التي تسربت إلى صفوف الأحزاب الجهادية، لحاجة الأخيرة إليهم فى الصراع بين الأخوة الأعداء، تشوهت سمعة هذه الأحزاب بين عامة الشعب، وأدى ذلك إلى ضعف معنوياتها، الأمر الذي جعل كل طرف يتمنى أن تتقدم الحركة على حساب عدوه، بل ويقدم المساعدة فى سبيل تحقيق ذلك.

كما فعلت حكومة رباني عندما دعمت الحركة فى تقدمها نحو كابول بالقصف على مواقع الحزب الإسلامي "حكمتيار"، ولما تقدمت حركة طالبان نحو "هيرات" قامت طائرات دوستم حليف "حكمتيار" - وبطلب وتأييد من الأخير - بقصف مواقع إسماعيل خان "والى هيرات" الموالى لحكومة "رباني - مسعود"، فى "شين دند" وغيرها لفتح الطريق لانتصار الحركة على القوات الحكومية، هذا بالإضافة إلى أن الخلافات الداخلية بين القادة الميدانيين فى كل حزب كانت على أشدها وراح كل واحد منهم يصنع الشراك لصاحبه ويجر قدمه إليها.

كل هذا ساعد الحركة - التي اتسمت بتماسك داخلي شديد - على التقدم وقهر كل ما يقع فى طريقها من قوى وأحزاب وجماعات مقاتلة.

ثانيا : مقاتلو طالبان :

فى الجانب الآخر تمتعت قوات حركة طالبان بعوامل قوة عديدة، أهمها الدوافع والروح ال قتالية ، فكل فرد من أفراد مقاتلي الحركة يرى أنه يجاهد فى سبيل الله ضد

الفساد والظلم بفتوى من العلماء، الذين يحظون بمكانة خاصة فى أفغانستان، إضافة إلى الانسجام الداخلي الذي كانت تتمتع به الحركة تحت قيادة موحدة، مما أعطاها تماسكا وقوة.

ويأتي العامل الديني ليحسم ميزان القوة لصالح مقاتلي الحركة، فطلبة المدارس الدينية والعلماء لهم مكانة مرموقة فى أفغانستان، الأمر الذي جعل الناس يقبلون عليهم ويحجمون عن قتالهم، بل وصل الأمر إلى وقوف الشعب الأفغاني كله وراء الحركة، خاصة بعد أن قامت طالبان برفع شعاراتها التي دعت فيها إلى استعادة الأمن والاستقرار والقضاء على ظلم المجموعات المسلحة ومنعها من نهب أموال الناس والاعتداء على أعراضهم ودمائهم، ولم يقف الأمر عند حد الشعارات، كما يؤكد مولوي حقاني، وإنما تجاوز ذلك إلى التطبيق الفعلي لهذه الشعارات على أرض الواقع، فى جميع المناطق التي سيطرت عليها الحركة ونزعتها من أيدي المجموعات المتحاربة.

الشخصية القندهارية :

وفى محاولة للتعرف على طبيعة حركة طالبان ومنطلقاتها الإنسانية والفكرية، يقدم مولوي حقاني قراءة تتلمس جذور شخصية الحركة من خلال طبيعة الشخصية "القندهارية"، نسبة إلى إقليم "قندهار" المعقل الأساسي للحركة.

ويوضح حقاني أن الشخصية القندهارية تتميز بصفات ترشحها لتحمل المشاق والصعوبات والصلابة، إضافة إلى التأثر الشديد بالخطاب الديني التقليدي.

فالشخصية القندهارية شخصية صلبة وعنيدة لا تلين بسهولة، وقد انعكست هذه الصفات فى عادات القندهاريين وألعابهم، فعلى سبيل المثال تعد لعبة "مسابقة إخماد الجمرة" أشهر لعبة فى قندهار، وفى هذه اللعبة يضع المتسابقون جمرة النار على سواعدهم ويظل المتسابق يكظم إحساسه بلهيبها حتى تنطفئ جذوتها دون أن تصدر عنه أية حركة أو آهة تخرجه من اللعبة، ويؤكد مولوي حفيظ حقاني أنه رأى بنفسه آثار هذه المسابقات على أيدي غالبية الشباب القندهاريين.

وبعيداً عن الألعاب الخطرة، تمثل عادة الاقتتال خارج المدينة وجها لوجه إحدى العادات الرئيسية لإقليم قندهار، فعندما يحدث نزاع بين اثنين لا يتقاتلان أمام الناس، وإنما يتواعدان مكاناً خالياً بعيداً عن الناس خارج المدينة، فيتقاتلان هناك لئلا يتدخل أحد لفك النزاع. ولا تقتصر صفات القندهاريين على العناد فقط، وإنما تتميز أيضاً بالتقليدية الشديدة والمحافظة، فالشخصية القندهارية شخصية تراثية محافظة على التقاليد، قلما تجد فيها أدنى استعداد للتطور والتأثر بما يحدث، ولذلك فقد حافظ القندهاريون على تراثهم ولم يتغيروا أو يستجيبوا للأفكار الجديدة التي انتقلت إلى الأفغان عن طريق احتكاكهم مع غيرهم من الولايات الأخرى، وكان تأثرهم بالعلماء التقليديين أكثر من تأثرهم بالأحزاب الجهادية المحدثة.

وإضافة إلى التقليدية والمحافظة، فسكان هذه المنطقة معتادون على التقشف وشظف العيش، جلبوا على تحمل المشاق والصعوبات، وينقل مولوي حقاني عن جمال الدين الأفغاني قوله فى مواطني "قندهار" : لم يأخذوا جانب الترف والرفاهية، بل يسلكون فى تعيشهم طرق التخشن والتقشف ويقنعون من اللذات باليسير .

القبلية :

وبالإضافة إلى الخصائص الإنسانية للشخصية القندهارية، فقد امتازت قندهار نفسها بمميزات اعتبرت من العوامل المساعدة لنشأة طالبان، وأولى هذه العوامل التي يوردها مولوي حقاني هي القبلية، فأواصر القبلية فى منطقة قندهار متينة جداً بين السكان، ولذلك فهم لم يستطعوا الانصهار فى المنظمات والأحزاب الجهادية طوال فترة الصراع مع السوفييت والحرب الأهلية، وظل الانتماء إلى القبلية هو العنصر الأقوى فى المعادلة القندهارية، ولذلك فعندما ظهرت حركة طالبان، وطالبت بنبذ ومعارضة الأحزاب الجهادية، لم يجد شعب قندهار غضاضة فى ذلك.

وكان لبعد سكان قندهار عن مركز الجهاد فى بيشاور، حيث انصب كل اهتمام قادة الأحزاب الجهادية على المهاجرين المتواجدين فى إقليم "سرخد" الباكستاني وقاموا بتجنيد معظمهم، كان هذا البعد سبباً فى ابتعاد مهاجري إقليم "كويتا" عن بؤرة اهتمام الأحزاب الجهادية المختلفة، لذا فقد ضعف انتماؤهم إلى هذه الأحزاب مما سهل من مهمة حركة طالبان فى تجنيد عدد كبير منهم دون أدنى مشقة. وكان إقبال الناس على التعليم الديني قبل الجهاد كبيراً فى تلك المناطق، ويدل على ذلك وجود جبهات خاصة بطلبة المدارس الدينية فى هذه الولايات الجنوبية الغربية، مثل "زابل وقندهار وهلمند ونيمروز"، بخلاف باقي الولايات التي لم يكن بها وجود لمثل هذه الجبهات.

الجذور الفكرية :

ولا يمكن بالطبع فهم تصرفات قادة طالبان وتوجهاتهم الأساسية تجاه مجمل القضايا المحلية والدولية إلا بمعرفة المرجعية الفكرية للحركة، والأمر المؤكد أن المدارس الدينية هي المحاضن التي تربى فيها أعضاء حركة طالبان، ولكن أي نوع من المدارس؟!. هذه هي القضية التي بحث فيها مولوي حفيظ حقاني وقدم لنا إجابة وافية عنها.

فالمدارس الدينية تنتشر فى مختلف مناطق أفغانستان وباكستان، ممثله لشتى الاتجاهات الفكرية، فهناك مدارس الشيعة ومدارس المولوية ومدارس السلفية والمدارس الديوبندية، والأخيرة هي التي ينتمي إليها أغلب أفراد حركة طالبان، وهذه المدارس تدار من قبل شخصيات دينية معروفة كمولوي فضل الرحمن ومولوي سميع الحق، كما أنها تمول عن طريق جمع التبرعات من داخل وخارج باكستان، وهى مدارس مستقلة لا تخضع للرقابة الحكومية.

ويطلق على المدارس الديوبندية هذا الاسم نسبة إلى مدرسة دينية، أنشئت فى ديوبند "قرية هندية تقع فى "سهارن بور" شمال دلهي بحوالي ١٤٤ كم"، وذلك فى أوائل عام ١٨٦٧ من قبل كبار مشايخ ذلك العصر، مثل : الشيخ محمد قاسم النانوتوي والشيخ محمد عابد والشيخ ذو الفقار على والشيخ فضل الرحمن، وقد أسهمت هذه المدرسة - كما يؤكد مولوي حفيظ حقاني - إسهاماً كبيراً فى خدمة السنة النبوية والعلوم الدينية وتخرج فيها علماء كبار وذاع صيتها حتى أطلق عليها أزهر الهند، ويضيف مولوي حقاني : ولكنها ضعفت بعد أن تأسس أكثر من ١٠ آلاف مدرسة مماثلة فى الفكر والمنهج فى شبه القارة الهندية.

منهج التدريس الديوبندي :

يدرس فى هذه المدارس منهج يسمى "منهج الدرس النظامي"، نسبة إلى واضعه الشيخ نظام الدين بن قطب السهالوي المتوفى عام ١١٦١ هـ، وتنقسم العلوم فى هذا المنهج إلى قسمين :

١-العلوم الأولية : مثل النحو والصرف والأدب العربي والبلاغة والأدب الفارسي والمنطق والفلسفة القديمة والفلكيات والرياضيات والهندسة القديمة وغيرها، وهى العلوم التي يعتبرها المنهج الديوبندي معينة على فهم العلوم الإسلامية.

٢-العلوم الأساسية: مثل التفسير وعلوم القرآن والسنة وأصول الفقه والعقائد وعلم الكلام والفرائض.

وتدرس هذه المواد فى أربع مراحل هي الابتدائية والمتوسطة والعليا والتكميلية، إضافة إلى سنة واحدة كانت تخصص للمرور على كتب الحديث المعروفة مثل : الصحاح الستة و موطأ الإمام مالك وشرح معاني الآثار والشمائل المحمدية للترمذي، وتسمى المرحلة الأخيرة هذه "دورة الحديث". وهذا المنهج هو المتبع حتى الآن مع تغيير يسير فى المنهج وأسماء المراحل، وإضافة مرحلة التخصص فى الإفتاء أو الحديث بعد التخرج من "دورة الحديث".

ويؤكد مولوي "حقاني" أن الفارق كبير فى المستوى قديماً وحديثاً، حيث كانت هذه المدارس قديماً تخرج علماء ضالعين فى العلوم الإسلامية والغربية، أما المدارس الموجودة الآن، فلا تخرج إلا أنصاف علماء.

ويستمر مولوي حقاني فى شرح نهج هذه المدارس، فيقول إن هذه المدارس تنتهج النهج التقليدي الجامد فى كل شئ، بدءً بالزى ومروراً بالمنهج الدراسي وانتهاءً بالفكر، حيث ترى العمامة جزءً لازماً من زيهم التقليدي، خاصة فى أفغانستان وإقليم بلوشستان الباكستاني، ويرفضون أي نوع من التطوير فى المنهج الدراسي أو أي حذف للمواد الفلسفية والفلكية والرياضية والهندسية القديمة التي أكل الدهر عليها وشرب، وتغيرت أغلب قواعدها وأصولها، كما لا يقبلون أي تغيير فى طرق التدريس ولا يحبذون الدراسة فى الفصول أو استخدام السبورة للشرح، كما تقوم المدرسة بزرع أصول معارضة كل خط فكرى تجديدي فى نفوس الطلاب حتى وصل الأمر إلى معارضة الحركات الإسلامية المعاصرة بشكل عام وعلى رأسها الجماعة الإسلامية بباكستان، فالمدارس الديوبندية تعادى أية أفكار

تجديدية ظناً منها أنها إمدادات للجماعة الإسلامية الباكستانية، وقد كانت مشكلة المدرسة الديوبندية مع المودودي مؤسس الجماعة الإسلامية الباكستانية فكرية فى الأساس، ولكنها تحولت إلى صورة عدائية من قبل العلماء الديوبنديين.

ويشرح مولوي حقاني القصة قائلاً : عندما أبدى الإنجليز استعدادهم للخروج من الهند، اختلف العلماء المسلمون، فقال بعضهم : إن التفريق بين الهندوسي والمسلم و السيخي يضعف الوحدة الوطنية، وطالب هؤلاء العلماء باتحاد كل هذه القوميات ضد الإنجليز للحصول على الاستقلال وليعيشوا بعد ذلك فى الهند الموحدة. وكان الشيخ المحدث "حسين أحمد المدني" يقود هذا التيار، وفى الجانب الآخر كان عدد من العلماء يرون أن التعايش مع الهندوس صعب، ولابد من إنشاء دولة جديدة فى المناطق التي يشكل المسلمون فيها أغلبية، ومن هؤلاء الشيخ المحدث شبير أحمد العثماني والمفتى محمد شفيع، وكان المودودي يؤيد الرأي الثاني، فكتب كتيباً يرد فيه على الفكرة التي تبناها الشيخ حسين أحمد المدني - أحد أئمة المدرسة الديوبندية - الأمر الذي أثار مشايخ المدارس الديوبندية ضده، فكتبوا أكثر من مائة كتاب فى الرد عليه وانتقاد أفكاره، ولازالت هذه الصراعات ممتدة حتى الآن، حيث يؤيد مولوي فضل الرحمن زعيم جمعية علماء الإسلام الباكستانية - ذات المرجعية الديوبندية - طالبان، فى الوقت الذي أيد فيه قاضي حسين أحمد زعيم الجماعة الإسلامية الأحزاب المعارضة وعلى رأسهم الحزب الإسلامي "حكمتيار".

الحكم لم يكن مقصودا

يروى مولوي حقاني أن طالبان عندما بدأت تحركها على حواف قندهار واستولت على مديرية "سبين بولدك"، أعلن ملا عبد المنان نيازي الناطق الرسمي باسم الحركة يوم ١١/٣/ ١٩٩٤ فى مقابلة له مع إذاعة BBC الناطقة باللغة الفارسية، أن هدفهم النهائي هو استعادة الأمن والاستقرار وجمع الأسلحة من جميع الأطراف وإزالة مراكز جمع الإتاوات من على الطرق العامة التي تسببت فى سلب ونهب أموال الناس والتعدي على أعراضهم، ولم يكن فى تصور الحركة أن الأمر سيصل إلى سيطرتهم على الحكم فى أفغانستان، ولكن عندما فتحوا عدداً من الولايات ووصلوا إلى مشارف كابول تطورت أهدافهم، وأصبح هدفهم هو إقامة الحكومة الإسلامية، وهذا هو ما صرح به ملا محمد عمر فى كلمته التي ألقاها أمام العلماء فى قندهار يوم ١٩٩٦/٤/٤ عندما أوضح : "إننا نريد تطبيق دين الله فى أرضه ونريد خدمة كلمة الله، ونريد تنفيذ الأحكام الشرعية وحدود الله"، ويرصد ملا حفيظ حقاني أهداف الحركة التفصيلية التسعة عشر التي ضمنوها كتيباً كتبه لهم أحد علماء باكستان، هو الشيخ "شير على شاه" كالتالي :

١-إقامة الحكومة الإسلامية على نهج الخلافة الراشدة.
٢-أن يكون الإسلام دين الشعب والحكومة جميعاً.
٣-أن يكون قانون الدولة مستمداً من الشريعة الإسلامية.

٤-اختيار العلماء والملتزمين بالإسلام للمناصب المهمة فى الحكومة.
٥-قلع جذور التعصب للقومية والقبلية.
٦-حفظ أهل الذمة والمستأمنين وصيانة أنفسهم وأموالهم وأعراضهم ورعاية حقوقهم المنصوص عليها فى الشريعة الإسلامية.
٧-توثيق العلاقات مع جميع الدول والمنظمات الإسلامية.
٨-تحسين العلاقات السياسية مع جميع الدول الإسلامية وفق القواعد الشرعية.
٩-التركيز على الحجاب الشرعي للمرأة وإلزامها به فى جميع المجالات.
١٠-تعيين هيئات للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى جميع أنحاء الدولة.
١١-قمع الجرائم الأخلاقية ومكافحة المخدرات والصور والأفلام المحرمة.
١٢-استقلال المحاكم الشرعية و فوقيتها على جميع الإدارات الحكومية
١٣-إعداد جيش مدرب لحفظ الدولة الإسلامية من الاعتداءات الخارجية.
١٤-اختيار منهج إسلامي شامل لجميع المدارس والجامعات وتدريس العلوم العصرية.
١٥-التحاكم فى جميع القضايا السياسية والدولية إلى الكتاب والسنة.
١٦-تعيين العلماء الأتقياء الأكفاء بالمحاكم الشرعية.
١٧-أسلمة الاقتصاد والاهتمام بالتنمية فى جميع المجالات.
١٨-طلب المساعدات من الدول الإسلامية لإعمار أفغانستان
١٩-جمع الزكاة والعشر و غيرهما وصرفها فى المشاريع الإسلامية والمرافق العامة.

ليسوا حزبا :

وتفتقد حركة طالبان للمقومات التنظيمية لأي حركة سياسية، ويقول قادتها إنهم ليسوا حزباً مثل باقي الأحزاب الأخرى، فلا يهتمون بالنظام الإداري، بل يريدون أن يخدموا الشعب كله عن طريق تفعيل الدوائر الحكومية، فهم لا يفصلون بين المناصب الحكومية والمسئوليات التنظيمية داخل الحركة، هكذا يؤكد مولوي حقاني، ولكنه يضيف أنه مع ذلك فالحركة تملك هيكلا شبه تنظيمي، وتؤمن بالمركزية الشديدة فى الصلاحيات، ولذلك فإن الملا محمد عمر "أمير المؤمنين" يتمتع بصلاحيات واسعة جداً، إلا أن الحركة مع ذلك شكلت بعض المجالس على مستوى الحكومة وعلى المستوى الإداري الداخلي للحركة، وبرزت قيادات أخرى وشخصيات يعتمد عليها الملا عمر فى تسيير أمور الدولة والحركة.

وكان آخر هيكل شبه تنظيمي للحركة، أورده مولوي حقاني قبل عامين من سقوط كابل فى قبضة قوات تحالف الشمال المدعومة أمريكيا وانسحاب طالبان، يشتمل على الآتي:-

١- أمير المؤمنين "ملا محمد عمر مجاهد" : وهو فى الثلاثينيات من عمره، ولد فى ولاية "ارزجان"، ولا يزال طالباً لم يكمل دراسته، لذا فقدراته العلمية متواضعة وكذلك قدراته فى مخاطبة الجماهير ضعيفة، ولذلك فليس له خطب جماهيرية ولا مقابلات صحفية، وليست لديه خبرة سابقة فى مجال العمل السياسي أو التنظيمي، وقد أمضى فترة

الجهاد ضد القوات الروسية قائداً لمجموعة مسلحة فى جبهة القائد ملا "نيك محمد" التابعة للجمعية الإسلامية بولاية قندهار، وجرح فى المعارك ضد السوفييت وفقد إحدى عينيه، ثم انتقل من منظمة إلى منظمة حتى استقر آخر الأمر - قبل ظهور طالبان - فى حركة الانقلاب الإسلامية "بقيادة مولوي محمد نبي"، وبعد دخول المجاهدين إلى كابول أراد أن يكمل دراسته فى مدرسة صغيرة بمنطقة "سنج سار" بمديرية ميوند بولاية قندهار، ومن هناك بدأ التفكير فى محاربة الفساد والقضاء على المنكرات فى تلك المنطقة فشكل الطالبان.

وقد اختارته "الحركة" أميرا لها فى أغسطس من عام ١٩٩٤، وبعد وصول طالبان إلى مشارف كابول عقد اجتماعاً عاماً للعلماء شارك فيه ١٥٠٠ عالم من كافة أنحاء أفغانستان، واستمر من ٣/٣١ / ١٩٩٦ وحتى ١٩٩٦/٤/٣، وتم انتخابه فيه أميراً عاما رسمياً للحركة ولقب بـ "أمير المؤمنين"، ومنذ ذلك اليوم تعتبره "طالبان" أميراً شرعياً لهم، له فى نظرهم جميع حقوق الخليفة، من السمع والطاعة.

وقد تم حجب الملا عمر عن أنظار العامة من الناس للمحافظة على هيبته ولإخفاء جوانب ضعفه، لذا فهو لا يشارك فى الاجتماعات العامة.

٢- مجلس الحكم المؤقت: عين ملا محمد عمر أمير حركة طالبان مجلساً يضم ستة أشخاص لإدارة الأمور فى كابول لفترة مؤقتة بعد سقوطها فى يد طالبان، وكان هذا المجلس يعمل تحت إشرافه مباشرة ويتكون من "ملا محمد رباني" رئيس المجلس، و"ملا محمد حسن" نائب رئيس المجلس و "ملا محمد غوث" وملا عبد الرازق وملا محمد فاضل - الذي تولى بعد ذلك رئاسة الوزراء - ومولوي سيد غياث الدين.

٣- مجلس الشورى المركزي للحركة : وهو كيان هلامي ليس له عدد محدد أو ثابت من الأعضاء، وقد أعلنت الحركة فى البداية أنه يضم ٧٠ عضواً ويرأسه ملا محمد حسن رحماني والى قندهار.

٤- مجلس الشورى العالي للحركة ويقول عنه مولوي حفيظ حقاني، إنه عندما يُسأل مسئول فى حركة طالبان عن أمر ليس لديه تصور واضح عنه، يقول "هذا الأمر يرجع إلى مجلس الشورى العالي للحركة"، ولا يستطيع أحد منهم أن يحدد أعضاء هذا المجلس، ويعتبر كل القيادات المعروفة فى الحركة أعضاء فى هذا المجلس، ويروى مولوي حفيظ حقاني عن أحد المقربين للملا محمد عمر قوله عن هذا المجلس"، إنه لا يوجد أعضاء محددون لهذا المجلس، وإنما كل من يطلبه أمير المؤمنين للاستشارة أو يجلس معه ويناقشه فى قضية يعتبر عضوا فى مجلس شورى تلك القضية.

٥- مجلس الوزراء : ويتكون من ١٣ وزيراً، ويعقد جلساته أسبوعياً بشكل منتظم وذلك لمناقشة القضايا المتعلقة بالحكومة والإدارة المؤقتة، وأغلب الوزراء شخصيات مغمورة وأكثرهم من الشباب بين العشرين والثلاثين، وليس لديهم أية خبرات إدارية سابقة، ويميز المجلس تغيير أعضائه باستمرار، فقلما يبقى أحدهم فى منصبه لفترة طويلة.

٦- دار الإفتاء المركزي: أنشأت الحركة مجلساً يضم عدداً من العلماء لاستفتائهم فى الأمور الشرعية، ويعمل هذا المجلس فى قندهار مقر الحركة، وقد عين "أمير المؤمنين" المولوي "نور محمد ثاقب" رئيساً لمجلس الإفتاء المركزي، ومن العلماء الذين لهم صوت مسموع فى أوساط طالبان المولوي "عبد العلى الديوبندى" وهو شيخ مسن تخرج فى دار العلوم بديوبند الهند، ويقوم بالإفتاء فى قندهار، ومن العلماء الذين لهم تأثير كبير أيضاً على الحركة العالم الباكستاني المشهور المولوي "شير على شاه" وقد تخرج فى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وحصل على الدكتوراه فى التفسير منها، ويعمل حاليا مدرساً للحديث بمدرسة "منبع العلوم" بميرات شاه، كذلك يتمتع الدكتور المفتى "نظام الدين شامزى" بمكانة مميزة لدى الحركة، وهو من علماء باكستان البارزين، حصل على الدكتوراه من "جامعة السند" فى الحديث، ويعمل حاليا مدرساً للحديث ورئيساً لدار الإفتاء بالجامعة الإسلامية "بنوري تاون" بكراتشى.

٧- مجالس الشورى فى الولايات : خول ملا محمد عمر مجاهد صلاحيات واسعة للولاة، وقد شكل كل وال مجلس شورى لنفسه تناقش فيه القضايا المتعلقة بإدارة حكومة الولاية وحركة طالبان.

٨- القيادات العسكرية: وأهم وأبرز هؤلاء القيادات ملا عبيد الله ومولوي جلال الدين حقاني والحاج محمد نعيم كوتشى وملا عبد السلام راكتى وملا داد الله وملا برادر أخوند وملا نقيب الله.

٩- الأفراد : العنصر الغالب على أفراد حركة طالبان هم طلبة المدارس الدينية أو خريجوها، وطريقة انضمامهم إلى الحركة هي أن يحمل الطالب رسالة من مدير المدرسة التي يدرس فيها إلى مقر الحركة فى قندهار، وينتظر بعد ذلك الأوامر، وغالباً ما يرسل إلى الجبهة فى البداية.

وقد انضم الطلاب إلى الحركة من معظم مناطق أفغانستان، ومن العديد من العرقيات والقبائل والقوميات، كما انضم إلى الحركة عدد كبير من الشباب والمجاهدين السابقين بعد استبدال الطاقية بالعمامة وإرخاء اللحى، ويساعدهم فى استخدام الأسلحة الثقيلة واستخدام الطائرات والدبابات فنيون من جيش الحكومة الشيوعية السابقة.

الشورى معلمة وليست ملزمة

وعلى الرغم من وجود مجالس عديدة للشورى مركزية وعالية وفى الولايات، إلا أن الشورى فى الحركة معلمة وليست ملزمة، فالقرارات المهمة يتخذها أمير المؤمنين الملا محمد عمر بعد الاستئناس بآراء أهل الشورى، ولأمير المؤمنين الحرية الكاملة فى قبول أو رفض آراء أهل المجلس، وينقل مولوي حفيظ حقاني عن الناطق باسم حركة طالبان الملا ملنج أن أمير المؤمنين ترافقه دائماً جماعة من العلماء تشير عليه فى جميع الأمور، ولكن القرار

النهائي بيد الملا محمد عمر، لأن طالبان كلهم بايعوه واختاروه أميراً لهم فلا يحق لأحد أن يعارضه أو يختلف معه".

التماسك سمة أساسية

على الرغم من أن حركة طالبان ليست لديها تشكيلات تنظيمية مستقلة عن التشكيلات الحكومية، ولا تملك لائحة مكتوبة لتنظيم أمورها الداخلية وعلاقتها بالغير، كما لا يوجد لديها نظام للعضوية، إلا أن التماسك الداخلي وانتفاء الفوضى والخصومات - كما يؤكد مولوي حقاني - تعد السمة الأساسية للحركة، وهى السمة التي حفظت للحركة موقعها المتقدم بين صفوف الأحزاب الأفغانية (وما زالت تمنحها ميزة أساسية فى مواجهة القوات الأمريكية والحكومية فى أفغانستان حتى الآن)، ويرجع مولوي حقاني هذه السمة إلى عدة أسباب منها :

١-الخلفية الفكرية الموحدة : فالعنصر الغالب فى حركة طالبان هم طلاب المدارس الدينية، وهؤلاء تجمعهم خلفيتهم الفكرية والمواصفات الكثيرة المشتركة بينهم، التي منها انتماؤهم إلى المدارس الديوبندية ومعارضة التيارات الفكرية التجديدية حتى فى داخل المرجعية الإسلامية ذاتها.

٢-الإخلاص للفكرة : "فطالبان" مقتنعون بالأهداف التي قاموا من أجلها ويعتبرون العمل لتحقيقها جهاداً فى سبيل الله، وقد خلق ذلك فيهم استعداداً لتحمل المشاق فى سبيل فكرتهم، وهذا الإخلاص وتلك القناعة جعلا تعاونهم فيما بينهم وثيقاً وزاد من الثقة فيما بينهم، وترتب على ذلك أن تضاءلت الخلافات بينهم.

٣-السيطرة الروحية للأمير : فطالبان يعتبرون مخالفة الأمير الشرعي الملا محمد عمر معصية يعاقب عليها الفرد، ولإضفاء مزيد من الشرعية تم إدخال اسم أمير المؤمنين فى خطب الجمعة لتشديد السيطرة الروحية له، ولبيان حجم هذه السيطرة يورد ملا حفيظ حقاني تصريحاً منسوباً للملا ملنج، المتحدث الرسمي باسم الحركة، حيث يقول: "إن أمير المؤمنين فى اتصال دائم ومباشر بالقادة الميدانيين والقيادات الإدارية للحركة فى جميع الولايات، وإذا قرر الأمير شيئاً ينفذ خلال خمس دقائق فى كل أنحاء أفغانستان".

٤-عدم وجود شخصيات محورية ذات نفوذ قوى فى الحركة : فقد كان للقادة الميدانيين السابقين فى الأحزاب الجهادية نفوذ كبير فى الجبهات التي كانوا يقودونها، وكانوا يستطيعون الاتصال بالجهات الممولة بعيداً عن قادة الأحزاب، مما أدى إلى تحجيم تأثير قادة الأحزاب عليهم وكان تصارع القوى المختلفة مانعاً آخر من انقياد القادة الميدانيين لقادة الأحزاب، فلم يكن تعاملهم مع القادة الميدانيين تعامل الأمير بالأتباع، بل كانوا يتحملون منهم كل شئ، وخاصة فى فترة ما بعد سقوط الحكومة الشيوعية فى كابول ونشوب الحرب الأهلية.

٥-العقوبات الفورية : وهى من أهم عوامل التماسك فى الحركة، وتستخدم للممتنعين عن تنفيذ الأوامر، الأمر الذي جعل الجميع يخافون من الإقدام على أي عمل يعرضهم لهذه العقوبات.

٦-التغيير المستمر فى المناصب، حيث لا يسمح الملا محمد عمر لأحد أن يبقى فترة طويلة فى منصب واحد - خاصة عندما يكون له علاقة بالجماهير-، لئلا يشكل جيوباً داخلية تؤدى إلى اختلال تماسك الحركة.

ويمتد هذا المفهوم ليشمل الجميع: حكام الولايات، الوزراء، القيادات العسكرية، القيادات الميدانية.

٧-عدم قبول عضوية أعضاء الأحزاب الجهادية السابقة، فقد أغلقت الحركة أبوابها أمامهم، وعارضت قبولهم فى المناصب الكبيرة ومراكز اتخاذ القرار، إلا إذا انصهروا تماماً فى الحركة وتخلوا عن انتماءاتهم السابقة.

فالحركة ترى أن أعضاء الأحزاب السابقة تعودوا على إثارة الخلافات والمشاكل الداخلية، وأنهم إذا سُمح لهم بالانضمام لطالبان سينقلون هذه الأمراض إليها فيفسدونها عليهم ويعطلون حركتها.

٨-هيبة الحركة فى قلوب الأفراد: حيث يخشى كثير من أفراد حركة طالبان الإقدام على صنع أي مشاكل، حتى ولو كانت صغيرة، لتأكدهم من وجود جهاز استخبارات قوى للحركة، يعمل بشكل سرى داخل الصفوف، وكل من يتم القبض عليه بتهمة أمنية يتم تعذيبه بأشد أنواع العذاب، ويعتقد مولوي حقاني أن هذا عامل حاسم من العوامل التي حافظت على وحدة الصف والتماسك الداخلي.

منهج الحركة الفكري

على الرغم من أن حركة طالبان لم تعلن عن أفكارها ومواقفها فى صورة وثائق رسمية، إلا أن مولوي حفيظ حقاني استطاع استخلاص عدد من المواقف تجاه بعض القضايا المهمة التي تبدأ بالعقيدة و تنتهي بالعلاقة مع دول الجوار، مروراً بالموقف من قضايا الحكم الديمقراطية والإعلام و المرأة، وذلك من خلال ما يكتبه أعضاء طالبان فى صحفهم ومجلاتهم وكذا من خلال رصد لتصريحاتهم التي يدلون بها فى مقابلاتهم مع الصحف المختلفة، وحدد مولوي حقاني أربع عشرة قضية مهمة أورد فيها موقف طالبان وهى :

١-المذهب الفقهي : مثل باقي الشعب الأفغاني يتبع طالبان المذهب الحنفي، وهو المذهب الرسمي للدولة عندهم ويحكم به فى المحاكم الشرعية التي تعمل تحت إدارة الحركة.

٢-نظام الحكم : يعتقد طالبان أنه لا مجال للديمقراطية فى الإسلام، لأنهم يعتقدون أن معنى الديمقراطية أن يكون التشريع المطلق بيد الشعب، وينقل مولوي حقاني عن "سيد محمد سدوزى" أحد قادة الحركة قوله : "إن الحكم الإسلامي هو أن يكون الأمر كله لله، فلا حق لأحد فى التشريع إلا له، عكس النظام الديمقراطي، حيث تكون السيادة للشعب وهم

الذيـن يشـرعون القوانـين، وأسـاس الحكـم فـى الإسلام إيمان واستسلام كامل لله عز وجل، لا للشعب كمـا هـي الحـال فـى الأنظمـة الوضعيـة الديمقراطيـة"، ويضيـف مولوي حقاني : إن الحـركة تـرى أن الأمر كله بيد أمير المؤمنين الذي أنتخب من قبل العلماء بوصفهم أهل الحل والعقـد، والإمـارة تـدوم له مـدة حـياته ولا يصـح عزلـه إلا بـأحد ثلاثة أمور: الانحراف عن الدين، أو العجز عن أداء الوظائف، أو الموت.

ويستـدلون عـلى ذلـك بعهد الخلفاء الراشدين حيث دامت لهم الإمارة مدة حياتهم، كما ترى الحركة تجميع الصلاحيات فى يد أمير المؤمنين وحده ولا حاجة إلى توزيعها كما يكون فى النظام البرلماني.

٣-الشـورى : تـرى حـركة طالبان أن الشورى معلمة وليست ملـزمة، فإذا استشار أمير المؤمـنين مجموعـة مـن العـلماء فعليهم عـرض آرائهـم ثـم يكـون القـرار الـنهائي بـيد أمـير المؤمـنين وحـده، وتـرى الحـركة أيضـاً أنه لا حاجة لتحديد أعضاء بعينهم معنيين للشورى ليكون الأمير حراً فيمن يطلبه للمشورة.

٤-وسائل الإعـلام : وللحركة رأى خاص فى وسائل الإعلام، فهم متشددون فى أمر البث التلـيفزيوني ويقولـون إن العـلماء اخـتلفوا فـيه، فأفـتى بعضـهم بـالجواز وأفـتى الآخـرون بالحـرمة، لـذا فقـد أوقفت الحركة فى عهدها البث التليفزيوني حتى يتم مناقشة القضية بـتأن، (وهـو مـا يمنع الملا محمد عمر حتى الآن من تسجيل رسائل متلفزة كما يفعل أسامة بـن لادن مكتفيا بالرسائل المكتوبة). أما الإذاعة فعملت محطاتها فى العاصمة والولايات، مع تحـريم جمـيع أنـواع الموسـيقى، بمـا فيها الموسيقى العسكرية والدف، ولا يسمح بالتمثيل، أو الإذاعـة عـبر صـوت امـرأة، فصوت المـرأة عـورة لديهـم، وعـن دور الإعلان المقروء يقول الملا حفيظ حقـاني إن اهـتمامهم بـه أكبر، فهـم يصـدرون مجلـة شـهرية باللغـة العربـية باسـم "الطالـب" ولهـم صحيفة تصدر باللغتين "الفارسية" و "البشتو" باسم "شريعت"، كانت تصدر مـن بيشاور ثـم انتقلت إلى كـابول، كمـا يصـدرون صحفاً ومجلات أخرى فى كل من كابول وقندهار وهيرات وجلال أباد.

ويضيـف المـلا حفـيظ حقـاني أن الحـركة أوضـحت سياستها الإعلاميـة فى قرار من ١٣ مادة أصدروه يوم ١٩٩٦/١٠/١ وظل ساريا حتى رحيلهم عن السلطة وأهم ما جاء فيه:-

١- لا يسمح بنشر الصور فى الصحف سواء كانت كاملة أو مقطوعة من الأسفل.

٢- يجـب أن تكون المقالات والتحليلات والقصائد المنشورة فى الصحف مطابقة لسياسة "طالبان".

٣- يمنع دخول الصحف والمنشورات المعارضة لسياسة الحركة إلى مناطقها.

٤- يحظر على المكتبات العامة بيع الكتب المعارضة لسياسة حركة طالبان.

الموقف من المرأة

١-عمل المرأة وتعليمها : ترى الحركة أن مجال عمل المرأة هو بيتها، فلا يجوز لها أن تخرج إلا عند الضرورة الملحة، وينقل الملا حفيظ حقاني عن "سيد محمد سدوزى" أحد قادة الحركة قوله "أما بالنسبة للمرأة فإنها فى النظام الإسلامي معززة مكرمة وحقوقها مصانة ومحفوظة، غير أن الإسلام حفاظاً على كرامتها رسم لها حدوداً معينة لا يجوز تخطيها، وهى فى نظر الإسلام شخصية إنسانية ذات قيمة مساوية للرجل فى كل حقوقها وواجباتها، لكن هناك جوانب أخرى لا مجال للمقارنة فيها بينها وبين الرجل، ولكل وظائفه فى الأسرة والمجتمع، فالمرأة مربية ومدرسة، وهذه بحد ذاته مسئولية كبيرة ووظيفة سامية تغافل عنها الغرب ودفعتها أبواق الفساد إلى وسط غابة من الوحوش المفترسة لكرامتها وأغرتها بأن تكون طبيبة أو صحفية أو مديرة أعمال ، ومع ذلك فقد أباح الإسلام للمرأة الخروج عند الضرورة وقضاء بعض الحوائج مع مراعاة الشروط والحجاب اللازم".

أما تعليمها فترى الحركة أن المرأة يجوز لها أن تتعلم على أن ينحصر تعليمها فى أمور دينها فقط، وفى بيتها عن طريق بعض محارمها.

نظام الحكم الإسلامي

على الرغم من ترديد الحركة الدائم بأن الهدف الأساسي لها هو إقامة النظام الإسلامي وتنفيذ شرع الله، إلا أنها وكما يؤكد مولوي حفيظ حقاني لم تأخذ من هذا النظام إلا الحدود والقصاص عن طريق المحاكم، وإجبار الناس على صلاة الجماعة وإعفاء اللحية وتغطية الرأس بالعمامة ومنع الموسيقى والصور وغيرها من الفنون عن طريق إدارة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وهذا هو النظام الإسلامي لديهم.

القومية والعرقية

بالرغم من أن الباشتون يشكلون أغلبية أعضاء الحركة، إلا أن "طالبان" يحاولون دائماً أن يدفعوا عن أنفسهم تهمة "بشتونية الحركة"، وذلك بشتى الطرق، سواء عن طريق مقابلاتهم الصحفية فى أجهزة الإعلام أو عملياً عن طريق إعطاء الفرصة لبعض الكوادر من العرقيات الأخرى للمشاركة فى الحكومة وتولي بعض المناصب في مستويات مختلفة، كما استعانت الحركة بعدد كبير من القيادات العسكرية والمقاتلين الطاجيك والأوزبك.

الموقف من الحركات الإسلامية فى العالم

لا يخفى على أحد موقف علماء باكستان والهند من الجماعة الإسلامية ومؤسسها أبو الأعلى المودودي، فقد أصدروا ما يربوا على المائة كتاب ضد الجماعة ومؤسسها، وقد انسحب ذلك على جماعة "الإخوان المسلمين" ومن يحمل فكرها، وموقف هؤلاء العلماء مؤثر فى

طلبة المدارس الدينية، وقد كانت هذه الخلافات شديدة جداً قبل سنوات الجهاد، لكنها خفت كثيراً بعد ذلك ولم يعد يجاهر بها أحد.

أما موقف الحركة من الوهابية، فلا يخفى على أحد، فهي تعتبر الوهابية جماعة منحرفة معادية للمذاهب مكفرة للمسلمين، ويورد مولوي حقاني جزءا من مقال لأحد قادة طالبان، نشرته مجلة "الطالب" لسان حال الحركة (والغريب أن كاتب المقال حاصل على ماجستير فى التفسير وعلوم القرآن من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة معقل الوهابية فى العالم)، جاء فيه : "وقيل عنها -أي طالبان- حركة قبورية وأصحابها منحرفون عن عقيدة السلف "أهل السنة" ومبتدعون فى الأمور الدينية، وقائل هذه السطور بعض ممن يسمون أنفسهم سلفيين وليس فيهم أدنى ذرة من آثار السلف، بل هم أناس جعلوا نصوص الشريعة تابعة لأهوائهم، وينظرون إلى مقام السلف بعين السخط والغضب، ومنهم من يجعل الأئمة آثمين، ومن سوء حظهم أنهم يسبون بعض الأئمة - والعياذ بالله - و والله هؤلاء شرار الخلق عند الله وهم أشد خطراً على الدين من أعدائه".

ويعلق مولوي حقاني على هذا الكلام بقوله : فهذا كلام من درس فى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة مهد السلفيين، فكيف يكون كلام غيره ؟! ويضيف حقاني "ورغم ذلك فمجلة الطالب مشحونة بالنقول عن سيد قطب وابن تيمية".

الموقف من المنظمات الجهادية الأفغانية

ترى حركة طالبان أن الأحزاب الجهادية تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

أ- قسم ساعد الحركة وأيدها فهؤلاء إخوان لهم، مثل حركة الانقلاب الإسلامي "محمد نبي" والحزب الإسلامي "يونس خالص"، لكن لا يسمح لهذه الحركات بالانضمام للحركة بتشكيلاتهم الحزبية، ولكن إن أرادوا فينضمون كأفراد ولابد لهم من الذوبان فى الحركة.

ب- قسم لا تملك قياداته الصفات الأخلاقية والتدين الذي يؤهلهم للتعامل مع الحركة والتعاطي مع حكومتها مثل حزبي "مجددي و جيلانى"، وهؤلاء لا تتعرض الحركة لهم بالأذى، وهم أفراد من الشعب الأفغاني يستطيعون العيش فى البلاد كأفراد عاديين.

ج- قسم قاتل ضد الحركة وهؤلاء لابد من تقديم قادتهم للمحكمة الشرعية لمحاكمتهم على موقفهم هذا، وقد أعلن الملا محمد عمر فى ١٩٩٦/١٠/٣٠ بعد سقوط كابول بأيدي طالبان أن الحكام السابقين الذين دمروا البلاد وقتلوا الشعب لسنا مستعدين للتفاهم معهم، فالذين ظلموا يكون عاقبتهم مثل "نجيب" فى إشارة إلى الحكم بإعدام نجيب الرئيس السابق لأفغانستان، ويأتي على رأس هؤلاء رباني و حكمتيار وخلفاء أحمد شاه مسعود وزعماء حزب الوحدة الشيعي وغيرهم.

معاداة طالبان معاداة للإسلام

وأهم ما يورده مولوي حفيظ حقاني فى هذا الصدد أن طالبان تعتبر أن من يعاديهم إنما يعادى الإسلام، لأنهم من وجهة نظرهم يعملون للإسلام، فمن حاربهم فهو فى الحقيقة يحارب الإسلام، ولذلك فهم يرون قتال المعارضة جهاداً فى سبيل الله.

الموقف من التعددية الحزبية

وموقف الحركة من هذه القضية واضح، فهم لا يسمحون بتشكيل أحزاب سياسية، ولا يقبلون بعمل الأحزاب السياسية الموجودة، وقد سئل زعيم حركة طالبان عن التعددية السياسية ومشاركة الأحزاب فى المنافسة السياسية والانتخابات فقال : "لقد أنشئت الأحزاب السياسية على أسس عرقية وقبلية ولغوية وغيرها من العصبيات الجاهلية، الأمر الذي تسبب فى وجود مشاكل وعداء وفرقة بين الناس، ولا مجال لوجود مثل هذه الأحزاب المفرقة للمسلمين، لأن المسلمين يتآخون في ظل النظام الإسلامي ويتساوون أمام القانون في حقوقهم وواجباتهم، وحركة طالبان والدولة الإسلامية ترحبان بجميع المخلصين من أهل أفغانستان بصدر رحب، وما حدث بعد تحرير أفغانستان من الحروب الأهلية والمشاكل كان نتيجة مباشرة لتعدد الأحزاب، وقد انضم إلى حركة طالبان عدد كبير من المجاهدين الصادقين ويمكن للباقين أيضاً أن يخدموا دينهم ووطنهم بالانضمام إلينا ".

الموقف من الدستور

لم تكن الحركة ترى أن هناك ضرورة لوضع دستور أو لائحة لتنظيم شئون الدولة، وترى أن القرآن والسنة هما دستور الدولة الإسلامية فلا تحتاج الدولة إلى دستور آخر، ويقول الملا محمد حسن نائب المجلس الحاكم فى أفغانستان: "لكل دولة فى العالم دستور خاص تخضع له ونحن اتخذنا الإسلام دستوراً لأننا قمنا لأجله".

الموقف من دول الجوار

يتفاوت موقف الحركة من دول الجوار على النحو التالي:

أ- إيران : تعتقد الحركة أن إيران تبذل كل الجهود الممكنة لجمع المعارضة ضدها كما تساعد فى تسليحها وإمدادها بالمواد التموينية، لذا فالحركة تحاول أن تحد من تحركات إيران ضدهم بكل الطرق الممكنة، بالتهديد تارة، وبإرسال الوفود والزيارات الدبلوماسية تارة أخرى، ومن جهتها ترى إيران أن حركة طالبان لعبة أمريكية - سعودية مشتركة لضرب حصار حولها من الجانب الشرقي.

ب- الهند وروسيا وبعض دول آسيا : لا تخفى هذه الدول قلقها تجاه حركة طالبان ووجودها على عرش كابول، لذا فإن هذه الدول تدعم معارضي طالبان بالعتاد العسكري والمساعدات اللوجستية، فالهند ترى أن طالبان تشكل عمقاً إستراتيجياً لباكستان وتفتح

أمامها أسواق آسيا الوسطى، وروسيا وحلفاؤها فى آسيا الوسطى يخشون من نفوذ حركة طالبان ومفهومها المتشدد للإسلام، وفى المقابل لا تخفى الحركة عداءها لتلك الدول.

ج- باكستان : الموقف الرسمي لحركة طالبان تجاه باكستان يتسم بالحرص على المصالح المتبادلة، كما تنظر الحركة لباكستان على أنها أقرب الدول منها وأكثرها صداقة ومساعدة لها.

خصائص مميزة

استطاع مولوي حقاني أن يستخلص مجموعة من الخصائص المميزة لحركة طالبان، والتي بدون معرفتها لا يمكن التعامل مع الحركة عبر تصور متكامل.

١-الاستبداد الفكري : فأفراد حركة طالبان يرون دائماً أنهم على الحق وغيرهم على الباطل، وان مخالفتهم إنما هي مخالفة للحق، ولا يجوز عندهم لأحد أن يعترض عليهم أو يوجه انتقادات لتصرفاتهم أو مواقفهم باعتبار أن الاعتراض عليهم يعد اعتراضا على الإسلام.

ويورد حقاني عن أحد قادة طالبان قوله : "إساءة الظن بنا وإساءة القول فينا - كما نعتقد وكما يقول العلماء - كفر، لأننا نريد دين الله ونريد طريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم". وبهذه الروح كما يقول مولوي حقاني، تتلقى الحركة كل نقد يوجه إليهم ويعتبرونه جريمة فى حقهم، حتى لو كان هذا النقد قد وجه بطريقة مهذبة روعي فيها شروط اللياقة وآدابها ،

٢-ضعف المستوى الثقافي : حيث يعانى أعضاء حركة طالبان وقيادتها من الضعف العام فى المستوى الثقافي، فلا يعرفون عن أمتهم الإسلامية أو عن تاريخها شيئاً، بل لا يعرفون عن بلادهم ذاتها - أفغانستان - شيئاً كما أنهم لا يهتمون بمعرفة ما يطرح من أفكار جديدة ولا بما يحاك ضد المسلمين من مؤامرات عالمية.

٣-ضعف الوعي السياسي للمجموعة الحاكمة، فهم يتصرفون كأنهم وحدهم فى الكون دون أي حنكة سياسية تذكر.

٤-التشدد : فالمنهج السائد عند الحركة هو التعسير فى كل شئ، حتى فى المباحات، وإجبار الناس على بعض المباحات وكأنها من الفرائض الدينية الأساسية مثل تغطية الرأس بالطاقية أو العمامة، ولا يكتفون بذلك بل يتدخلون فى الأذواق أيضاً، فقد أمروا الشباب بـ "هيرات" بتغطية الرأس بالعمامة ومنعوهم من لبس الطاقيات البيضاء الخفيفة، وكل من يلبسها تمزق طاقيته ويعاقب.

٥-عدم احترام التخصص : لا تحترم الحركة التخصص، ولذلك فالطالب يتدخل فى كل صغيرة وكبيرة، والذي يلقى نظرة على قائمة أسماء الوزراء وموظفي الدوائر المتخصصة لن يجد فيها إلا اسم "ملا" فقد احتل طلاب المداس الدينية جميع المناصب، حتى أن عميد كلية الطب فى جامعة كابول أحد هؤلاء الطلاب.

١- السطحية وعدم الاهتمام بالجانب الفكري : ليس لدى أفراد الحركة أي اهتمام بالتخطيط للمستقبل، ولا يفكرون في إعداد الكوادر التي تحتاج إليها أفغانستان - خاصة في مرحلة إعادة البناء - بل على العكس من ذلك قاموا بإضعاف المؤسسات العلمية التي تقوم بتخريج هذه الكوادر.

٢- الاهتمام بالفروع وإهمال الأصول : فالحركة لا تراعي الأولويات في الواجبات والأعمال، وتهتم بالمظاهر أكثر بكثير من اهتمامها بالحقائق، فهم لم يهتموا بتعميق فهم الإسلام وإقامة النظام على الدعائم الثابتة والأصول الصحيحة وإعداد دستور جيد للبلاد وتوفير لقمة العيش للشعب الذي يموت جوعاً ومحاربة الربا والأمراض الاجتماعية من الجهل والفقر والمرض والطبقية وتوعية الناس ضد المفاسد الأخلاقية، وإنما انصب اهتمامهم على معاقبة من يقصر اللحية أو لا يلبس العمامة أو من يطيل شعر رأسه، أو النساء اللواتي لا يلبسن الحجاب الذي حددته الحركة.

ويؤكد مولوي حفيظ حقاني، أن من يقرأ القرارات التي أرسلتها الحركة إلى جميع المؤسسات الإغاثية الأجنبية والدوائر الحكومية في أفغانستان يدرك نوعية اهتماماتها، ومن هذه القرارات ما يلي:

١- تمنع تربية الحمام وملاعبة الطيور، والمخالف يسجن وتذبح طيوره.

٢- لا يسمح لسائقي السيارات والمواصلات العامة أن يقلوا النساء اللواتي يرتدين الحجاب الإيراني دون محارم، ويعاقب أزواج وذوو النساء المخالفات لهذا القرار، فطالبان لا يعترفون بأي شكل من أشكال الحجاب إلا الحجاب الأفغاني التقليدي "شادري - برقع".

٣- منع النساء من ارتداء اللباس اللافت للأنظار خارج البيت، ومنع خروجهن من بيوتهن إلا مع محارم.

٤- منع أشرطة الموسيقى ومنع وضعها في الدكاكين والفنادق والسيارات، ومن يخالف يوقف عمله ويحبس حتى يضمنه خمسة أشخاص.

٥- يلقى حالقو اللحى في الحبس ويبقون فيه حتى تطول لحاهم.

٦- تغلق المحال التجارية وتوقف السيارات في المدن وعلى الطرق العامة قبل موعد الصلاة بربع ساعة، ومن يوجد خارج المسجد وقت الصلاة يعاقب بالحبس من ٤ إلى ١٠ أيام ولا يخرج من السجن حتى يضمنه ٤ أشخاص.

٧- يحظر تهريب المخدرات وتعاطيها، ويحقق مع المدمنين عليها بمعرفة من يزودهم بها.

٨- يمنع اللعب بـ "الطيارات الورقية" لأنها تلهي الطلاب عن التحصيل العلمي.

٩- تمزق الرسوم والصور المعلقة في الفنادق والسيارات ويمنع تعليقها.

١٠- يمنع تقصير الشعر على طريقة الإنجليز والأمريكيين ويعاقب المخالفون بإلقائهم في السجن، وعلى جماعات الاحتساب التابعة لإدارة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يحلقوا شعور هؤلاء ويأخذوا منهم أجرة الحلاقة.

١١- يحرم لعب الميسر ويعاقب مرتكبه بإلقائه في السجن لمدة شهر.

١٢- لا يسمح للنساء بغسل الثياب على ضفاف الأنهار ومن تخالف يعاقب ذووها.
١٣- لا يسمح للرجال بخياطة لباس النساء فى محال الخياطة.
١٤- يحظر ممارسة مهنة التنجيم والعرافة، ويلقى المنجمون فى السجن حتى يتوبوا وتحرق كتبهم.
١٥- يمنع اقتناء أشرطة الفيديو والكاسيت وتصديرها من وإلى أفغانستان.
١٦- يمنع إطالة الشعر وتقصير اللحية.

إيجابيات وسلبيات :

هذا وقد قدم مولوي حقاني كشف حساب للحركة، بين خلاله إيجابياتها وسلبياتها فيما يلى :

أولا الإيجابيات :

نجحت الحركة كما يؤكد حقاني فى إعادة الأمن والاستقرار وتوحيد الأراضي الأفغانية والقضاء على الفساد والمحسوبية ومقاومة الفساد الأخلاقي الذي انتشر من قبل قادة الأحزاب الجهادية المتناحرة، بالإضافة إلى جمع الأسلحة والقضاء على لوردات الحرب وإيقاف نهب أموال الدولة وإنشاء محاكم شرعية جديدة.

ثانيا السلبيات :

إلا أن حقاني عدد سلبيات كثيرة للحركة تكاد تعصف بكل هذه الإيجابيات، وأهم ما ذكره فى هذا الصدد خلافاً لما تم التعرض له فى السياق السابق ما يلى :

١-تقديم صورة مشوهة للنظام الإسلامي، فقد أعلنت حركة طالبان منذ اليوم الأول أن الهدف الرئيسي لها هو إقامة النظام الإسلامي، ولكنهم لم يكن لديهم أي تصور واضح عن هذا النظام، وجل تصورهم عنه انحصر فى حمل الناس وإجبارهم على التحلي بالمظهر الإسلامي من اللحية والعمامة واللباس وتقصير الشعر وإقامة بعض الحدود وإجبار الناس على صلاة الجماعة، و الأدهى من ذلك - كما يؤكد مولوي حقاني - أن قادة الحركة اعقدوا بأنهم أعلم الناس بالنظام الإسلامي وأخلصهم لتطبيقه مما جعلهم يصرون على تصوراتهم دون محاولة التفكير فى الاستفادة بآراء الآخرين.

٢-التطبيقات الخاطئة فى مجال الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر : فلقد اهتمت الحركة بتكوين وزارة "الاحتساب" وهى توازى وزارة الاستخبارات فى الدول المعاصرة، وقد ارتكب المسئولون عن هذه الوزارة تجاوزات كثيرة وأساءوا إلى الإسلام، حتى انتشرت قصصهم الغريبة فى هذا الشأن فى كل مكان على أرض أفغانستان.

٣-عدم وجود كوادر مؤهلة : فقد زجت الحركة بطلاب المدارس الدينية فى جميع الدوائر الحكومية، لذلك فقد فشلت أغلب هذه الدوائر فى أداء مهمتها، وعلى الرغم من ذلك لم تشعر قيادة طالبان بضرورة استخدام كوادر مؤهلة، ورأت أن من درس فى المدارس الدينية يمكنه أن يقوم بأي عمل يفوض إليه، حتى أنهم قاموا بتعيين الطلاب رؤساء

للمؤسسات العلمية والبحثية والجامعات، هذا بالإضافة إلى الوزارات والبنوك والإذاعة والاتصالات.

٤-زيادة معاناة الشعب المعيشية، حيث واجه الشعب الأفغاني مشاكل اقتصادية كثيرة نتجت جميعها عن الحرب، وبدلاً من البحث فى إمكانية إنعاش الاقتصاد الأفغاني وإعادة الإعمار، قامت طالبان بتقليص عدد الموظفين، الأمر الذي أدى إلى تشريد عدد كبير منهم وانضمامه إلى صفوف البطالة المنتشرة بكثافة فى البلاد.

الأمر الذي جعل الأسواق تكتظ بأثاث البيوت المستعمل الذي أضطر الناس لبيعه للحصول على الطعام ووصل الحال بالناس إلى نبش القبور واستخراج عظام الموتى وبيعها بالكيلو جرام، هذا فى الوقت الذي لا تمتلك فيه طالبان أي خطة لتحسين الأوضاع المعيشية، بالإضافة إلى عدم محاولتهم الاستفادة من أهل العلم والخبرة فى مجال الاقتصاد والإدارة للخروج من هذا المأزق.

٥-استنزاف موارد البلاد : ونتيجة حتمية للصراع بين طالبان وقوات المعارضة الشمالية، فقد ازدادت آنذاك احتياجات طالبان من السلاح والغذاء، الأمر الذي دفعها لبيع بعض المواد الخام مثل الرخام فى هلمند وبعض أنواع المعادن فى ولاية ننجرهار وأنواع جيدة من أخشاب الغابات التي تنقل عن طريق "قندهار بأثمان زهيدة، هذا بالإضافة إلى استحداثهم فتوى تبيح زراعة الأفيون وبيعه دون مرحلة تصنيعية بوصفه يستخدم فى ٣٠٪ من صناعة الدواء فى العالم.

٦-الإيذاء والتعذيب الوحشي : لجأت طالبان كثيراً إلى إيذاء الناس وضربهم بعنف عقاباً على تهم بسيطة، كما أصبح الاتهام بحيازة أسلحة أو الاتصال بالمعارضة تهمة شائعة فى أفغانستان منذ وصول طالبان للحكم، وهى تهمة كفيلة بإلقاء صاحبها تحت وطأة تعذيب شديد قد يؤدى به إلى الموت، أو إحداث عاهة مستديمة، وذلك دون أي تحقيق أو تثبت من التهمة.

٧-استخدام بعض من قاموا بالنهب والسلب : فقد كان العنصر الغالب فى مقاتلي طالبان من طلاب المدارس الدينية وهؤلاء يتمتعون بسمعة طيبة بين الأفغان لكن عندما تعرضت طالبان لبعض الهزائم من قوات المعارضة الشمالية لجأت إلى الاستعانة ببعض قادة وكوادر المجاهدين السابقين الذين قاموا، بما قاموا به من قبل من سلب ونهب وقتل وتعذيب لقرى بكاملها.

وفى النهاية يؤكد مولوي حفيظ حقاني أنه إذا طلب منه تلخيص إيجابيات وسلبيات الحركة فى جملة واحدة لقال : "إنها استطاعت أن تزيل نظاما قديما فاسدا لكنها فشلت فى أن تقدم نظاما جديدا عادلا عوضاً عنه".

الـــوثـــائـــق

توجيهات منهجية

(١)

[الكاتب؛ اسامة بن لادن]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

أما بعد:

فنحمد الله عز وجل أن يسر لنا الشروع في سلسلة " التوجيهات المنهجية " ولقد اجتهدنا أن يكون الجزء الأول منها هو كلمة للشيخ أسامة بن لادن حفظه الله.

وهذه المحاضرة التي بين أيديكم الان هي في أصلها محاضرة صوتية ألقاها الشيخ في زمن أعقب انحسار حكم الإمارة الإسلامية المباشر عن أرض أفغانستان وبدئهم بحرب قوات الاحتلال الصليبي هناك، بل وفي زمن أعقب نشر وصية الشيخ أبي العباس رحمه الله، هي ألقيت في زمن ما يقع بين هذه الأحداث وبين يومنا هذا.

ولقد اجتهد إخوانكم في منبر التوحيد والجهاد على إخراجها بأبهى حلة، ولقد تم إضافة عدد من الهوامش التي تفيد القارئ بإذن الله.

نسأل الله عز وجل أن يبرم لهذه الأمة أمر رشد، يعز فيه أهل طاعته، ويذل فيه أهل معصيته.

والحمد لله رب العالمين

***

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد؛

فعند الحديث عن الأحوال التي تمر بها الأمة في هذه الأيام، وما أصابها من احتلال وظلم وعدوان من القوى الإسرائيلية، والقوى الأمريكية، وانحسار ظل الإسلام عن هذه الأرض، ينبغي تلمس هدي محمد صلى الله عليه وسلم في إقامة هذا الدين، يوم أن بدأ غريباً في أول الإسلام [١].

فإن الناظر في ذلك يرى أن الرسول صلى الله عليه وسلم حرص منذ البداية عندما صدع بالدعوة أن يعرض دعوته على القبائل [٢]. وإذا نظرنا في أهم العناصر التي كان يدعو القبائل إليها نجدها واضحة جداً:

١) أنه كان يدعوهم إلى شهادة التوحيد، إلى شهادة "أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله" [٣].

٢) والبند الآخر أنه كان يدعوهم إلى الإيواء والنصرة [٤].

. كما ظهر ذلك جلياً في دعوته لبني عامر بن صعصعة، فلما قالوا له: (إلى أي شيء تدعو يا أخا العرب؟!)، قال: ((أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، وأن تؤوني وتنصروني)) [٥].

فهنا يظهر لنا معلما واضحا، أن هذه الدعوة وهذه الكلمة العظيمة لابد لها من أرض، وهذه الشجرة الكريمة لابد لها من أرض تنبت فيها، وهي التي تقوم بنصرتها وإيوائها. فمن هنا استمر عليه الصلاة والسلام يبحث عن هذه الأرض، وأثناء ذلك يقوم بالدعوة في مكة، فمكث ثلاث عشرة سنة.

وكل ما عندنا من علم هو جزء يسير من علمه عليه الصلاة والسلام، وهو أفصح العرب الذي أوتي جوامع الكلم، وهو المؤيد بالوحي من فوق سبع سموات، ومع ذلك كله لم يؤمن له سوى بضعة عشرات من الصحابة الكرام رضي الله عنهم.

وهنا يظهر بوضوح أيضا أن هذه الكلمة رغم قوتها لابد لها من عناصر أخرى لكي تظلل الأرض، فمكث الحال على ذلك إلى أن يسر الله سبحانه وتعالى أرض المدينة المنورة، ويسر الأنصار - الأوس والخزرج- فلما احتضنوا الدعوة انتشر الإسلام، وفي خلال بضع سنوات إذا بمئات الألوف قد دخلوا في الإسلام في جزيرة العرب، ودخل الناس في دين الله أفواجا.

فهنا معلم كما ذكرت؛ أن الدعوة بغير قوة تبقى منحسرة، ولابد لها من البحث عن القوة في الأرض والمصر. وهذا المعنى يظهر في هذه الأيام بوضوح، منذ أن انحسرت الدول الإسلامية وانحسرت دولة الخلافة وقامت أنظمة تحكم بغير ما أنزل الله -وهي في الحقيقة تحارب شرع الله- برغم كثرة الجامعات وكثرة المدارس وكثرة الكتب والخطباء والأئمة والمساجد وحفظة القرآن، ولكن الإسلام في انحسار وللأسف الشديد؛ لأن الناس لم يسيروا حسب منهج محمد صلى الله عليه وسلم.

فالمنهج فيما يبدو لنا ويظهر، وهو في خصال محددة تظهر في نص آخر من نصوص الشريعة، قال سبحانه وتعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [سورة المائدة : ٥٤]، فهذا النص هو في مثل حالتنا { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ} .

عندما تحصل الردة: ماهي الصفات المطلوبة لإعادة الناس إلى الإسلام؟ فهنا ذكر صفات ستة: { يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ} ، فلابد أن نتصف بهذه الصفات:

١) المحبة العظيمة لله سبحانه وتعالى.

٢) والذلة على المؤمنين والتراحم.

٣) والتناصح بالحسنى وبالمعروف.

٤) والعزة على الكافرين.

وهذا يظهر بوضوح في أهم عروة في الإسلام وهي الولاء والبراء، نوالي المؤمنين ونعادي الكافرين ونكون عليهم أعزة [٦].

٥) ثم الصفة الخامسة { يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ]

فالجهاد في سبيل الله وعدم الخوف من لومة أي لائم، هاتان الصفتان في غاية الأهمية لإعادة الناس إلى الدين.

فالذين يظنون أنهم يمكن أن يعيدوا الناس إلى الدين، وأن يقيموا دولة إسلامية بعد أن انحسر ظل الإسلام عن الأرض، فهؤلاء ما فقهوا منهج الله سبحانه وتعالى، فهذه الآية غاية في الوضوح والصراحة في حالة الردة، فلا بد من المحبة والولاء، أن يكون ظاهراً عند الناس، والبراء من الكفار أن يكون ظاهراً، مع الجهاد في سبيل الله، { وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ} وهي تشمل النصح بكل أنواعه، والأمر بالمعروف بكل أنواعه.

فإذا قمنا بتحقيق هذه الصفات، وأوجدنا عناصر تتخلق بهذه الصفات، فتكون قد أوجدنا القاعدة القوية التي تبدأ في التغيير، وتجاهد في سبيل الله سبحانه وتعالى إلى أن يقوم الحق.

ومن النصوص أيضاً في هذا المعنى: عندنا الحديث عن رسولنا صلى الله عليه وسلم؛ حديث الحارث الأشعري رضي الله عنه، وهو يقول فيه : ((إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بها ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها، وإنه كاد أن يبطئ بها، فقال عيسى: إن الله أمرك بخمس كلمات لتعمل بها وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها، فإما أن تأمرهم وإما أن آمرهم)).

فهنا معنى عظيم جداً في هذا الدين، وهو أن الله سبحانه وتعالى حميد غني عن الجميع، وسنة الاستبدال لا تستثني أحداً، فهذا نبي من أنبياء الله تأخر قليلاً في إبلاغ ما أمر به، فأوحى الله سبحانه وتعالى إلى نبي آخر "إما أن يبلغهن أو تبلغهن"، فمن نحن حتى نتأخر عن تنفيذ أمر الله سبحانه وتعالى، وعن تنفيذ أمر رسوله صلى الله عليه وسلم فإن تأخرنا فسنة الاستبدال قائمة علينا.

فقال عيسى عليه السلام ليحيى: ((إن الله أمرك بخمس كلمات لتعمل بها وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها فإما أن تأمرهم وإما أن آمرهم، فقال يحيى: أخشى إن سبقتني بها أن يخسف بي أو أعذب، فجمع الناس في بيت المقدس فامتلأ المسجد وتعدوا على الشرف فقال: إن الله أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن وآمركم أن تعملوا بهن؛ أولهن أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وإن مثل من أشرك بالله كمثل رجل اشترى عبداً من خالص ماله بذهب أو ورق، فقال: هذه داري وهذا عملي فاعمل وأد إلي، فكان يعمل ويؤدي إلى غير سيده، فأيكم يرضى أن يكون عبده كذلك، وإن الله أمركم بالصلاة فإذا صليتم فلا تلتفتوا فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت، وآمركم بالصيام فإن مثل ذلك كمثل رجل في عصابة معه صرة فيها مسك فكلهم يعجب أو يعجبه ريحها، وإن ريح الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وآمركم بالصدقة فإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو فأوثقوا يده إلى عنقه وقدموه ليضربوا عنقه، فقال: أنا أفديه منكم بالقليل والكثير ففدى نفسه منهم، وآمركم أن تذكروا الله فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو في أثره سراعاً حتى إذا أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله)) ، ثم يعقب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول: ((وأنا آمركم بخمس الله أمرني بهن السمع والطاعة والجهاد والهجرة والجماعة)) [رواه الإمام احمد والترمذي].

فالشاهد هنا أن الخمس الأول، وهي أركان الإسلام، لا تقوم كحكومة ولا تقوم كمنهج للبشر، إلا بالخمس الأخر. كما لا يمكن أن يكون إنسان مسلمٌ في ذاته وفي قلبه ولكن وهو يُحكم بالقوانين الوضعية، ولا يعم الإسلام الأرض، أمّا الإسلام الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم وأمر بإبلاغه هو؛ أن يعم الأرض ويتحاكم إليه، لا أن يبقى في الشعائر التعبدية فقط [٧]، فلابد من هذه الخمس. وهذه الخمس إذا انتبهنا هي تتفق وتؤكد المعنى الذي جاء في دعوته عليه الصلاة والسلام للقبائل؛

١) تشهد أن لا إله إلا الله، ومقتضيات شهادة أن لا إله إلا الله [٨].

٢) وأن تؤوني وأن تنصروني.

فالإيواء والنصرة هي منطبقة في هذه الخمس، فالإيواء والنصرة لا بد له من جماعة، ولا بد له من سمع وطاعة، ولابد له من جهاد، ولا بد له من هجرة، وإذا تتبعنا النصوص في كتاب الله، وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم نجد بوضوح هذه المعاني حيث ما تذهب تبرز بقوة على أن السبيل لإقامة الدولة الإسلامية ولنشر الدين لابد له:

١) من جماعة.

٢) وسمع وطاعة.

٣) وهجرة وجهاد.

فالذين يريدون أن يقيموا للإسلام شأناً بدون تضحيات الهجرة، وبدون تضحيات الجهاد في سبيل الله، فهؤلاء لم يفقهوا منهج محمد صلى الله عليه وسلم وإن فقهوه ولم يعملوا به واشتغلوا بغيره من الطاعات

فهؤلاء يتهربون من تبعات هذه العبادات الثقيلة، فإن الجهاد كُرة كما نص على ذلك الله سبحانه وتعالى في كتابه. فيتضح مما مضى أهمية الجماعة والجهاد.

ونحن في وضع لم يعد لدينا دولة لنهاجر إليها؛ وقد كانت هذه الفرصة متاحة، وكانت فرصة نادرة، فمنذ أن سقطت الخلافة حرص الصليبيون على أن لايمكّن أهل الإسلام الصادقون لإقامة دولة، وقدر الله سبحانه وتعالى أن جاءت الأحداث في أفغانستان وهزم الاتحاد السوفيتي، وتنازل الصليبيون عن ذلك الحرص والاهتمام في ظل خوفهم ورعبهم من الاتحاد السوفيتي، فلم يكن هناك بد من دفع الاتحاد السوفيتي إلا بكل شيء، ولو كان بالمجاهدين، ولو كان بالأصوليين، ولو كان بشباب الإسلام المجاهد، ففتح ذلك الباب، ومضى بضع عشرة سنة.

ولكن للأسف الشديد لم تنهض الأمة بواجبها المطلوب، وخاصة العلماء والدعاة والخطباء والجماعات الإسلامية، وإنما الذين جاءوا إلى أرض الجهاد لنصرة المجاهدين هم نفر بسيط من عامة الشباب من شباب الأمة، مع ماقدمه بعض التجار بعضاً من أموالهم، ولكن لم تكن كافية لإقامة دولة قوية.

وكانت الفرصة جيدة جداً لإقامة دولة قوية بعيداً عن التعصبات القطرية والقبلية، وكان إخواننا الأفغان في وضع وفي انشراح وتعاون غير عادي، كان الوضع يسمح بقوة أن تقوم دولة إسلامية باعتبارات إسلامية، لا باعتبارات قطرية وقومية، فللأسف الشديد بالرغم من الارتياح الشديد والمناداة وتكرار ذلك والحث والتحريض، وخاصة من الشيخ عبد الله عزام عليه رحمة الله [٩] ومن غيره من الإخوة للجماعات وللعلماء وللمفكرين، أن اغتنموا هذه الفرصة! ولكن لا حياة لمن تنادي، شُغل الناس وسُحبوا باعتبارات أرضية، وباعتبارات قطرية، وكلٌ يريد أن يقيم هو شخصياً دولة الإسلام، وكل جماعة تريد أن تقوم الدولة الإسلامية في أرضها حيث ولدوا، وكأننا أصبحنا أسرى لهذه الأفكار، فمكثت هذه الفرصة بضع عشرة سنة ولم يتحرك الناس للاستفادة منها، وأذكر ذلك لأقول إن الأمر ليس سهلاً، الآن أصبحت الظروف أصعب.

ثم يسر الله سبحانه بين ذلك وهذا أن قامت دولة الطلبة وإقامة طالبان، وهذا الصراع الذي حصل بين الأفغان، ومكثوا ست سنوات تقريباً أو أكثر، وأيضاً بقي الناس أسرى لأهوائهم وأسرى للإعلام العالمي الذي شن حملة لا هوادة فيها ضد الطالبان وشوهوا سمعتهم، والإعلام العالمي قد يلام في تأثيره أو قد يُحمّل بعض التأثير على العوام، أما من غير المقبول أن يكون الدعاة والذين تصدروا لنصرة الدين أمام الناس من غير المقبول أن يقولوا تأثرنا بالإعلام العالمي، أفغانستان على بعد بضع ساعات من جزيرة العرب مثلاً، أو من أي مكان من أقطار العالم الإسلامي.

فهذا التأخر عن نصرة هذه الدولة رغم أن اسمها دولة الطالبان؛ دولة طلبة العلم، هو مؤشر على وجود خلل غير عادي إما في فقههم أو في صدقهم - ولا حول ولا قوة إلا بالله - فيما يظهر لنا والله أعلم، فذهبت هذه الدولة وهم لم يحركوا ساكناً.

وأقول: إنني على يقين بفضل الله سبحانه وتعالى أن في الأمة من الطاقات ما يكفي لإقامة الدولة الإسلامية، وإقامة الخلافة الإسلامية، ولكن نحن بحاجة إلى إبلاغ هذه الطاقات، أن هذا الأمر واجب عليهم. ونحن بحاجة إلى إبلاغ الطاقات الأخرى المقيدة لهذه الطاقات، أنكم تأثمون بتقييد هذه الطاقات. فإذا فقه الشباب وفقه التجار واجبهم فيمكن أن نقوم بالمهمة، فيُرفع الإثم عن باقي الأمة، وأيضاً يرفع الضنك والأذى الذي يصيبنا.

فنحن نريد الناس الذين - كما لايخفى - يقولون: أن الجهاد لا يحتاج إلى جميع الأمة، وهذه كلمة حق، ولكن لم يرد بها الحق، فالجهاد لا يمكن أن يستوعب جميع الأمة اليوم، ودفع العدو الصائل يندفع بجزء يسير جداً من الأمة، هذا حق، ولكن يبقى الحكم أنه فرض عين، وهم يخالفوننا في إطلاق هذا الحكم، يقولون: نحن وصلنا لكم بضعة آلاف لا تستطيعون أن تستوعبوهم! ويقولون: ليس من المعقول أن نترك

كل الثغرات وكلنا نذهب للجهاد! فمن هنا يظهر بوضوح لوثة العصر، وهي اللوثة المادية، لوثة بروز العقل، فهذه أحكام أجمع عليها الفقهاء من سلف الأمة رحمهم الله [١٠]، واليوم يخرج علينا فقهاء يعترضون على إجماع الأمة، إذا تعين الجهاد [١١] فهو أولى الأولويات بدون شك كما ذكر شيخ الإسلام [١٢]، فدفع العدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه.

فليس هناك وجه في أن تقول: إذا ذهبوا جميعهم لم يستوعبهم الجهاد! هذا ناتج عن خلل غير عادي في الفقه، وهو ناتج عن ركون إلى الدنيا غير عادي، فالأمر إذا تعين: مجرد أن يأتي العدد الذي يكفي لدفع العدو الصائل يصبح تلقائياً الجهاد فرض كفاية، فيبقى الباقون الذين تأخروا في ثغورهم وتندفع الضرورة بهذا التحرك.

فهذا للأسف من أكبر العوامل المثبطة عند الصحوة الإسلامية، وهو يظهر في كتاباتهم وفي رسائلهم وفي لقاءاتهم.

ويقولون: إن الجهاد عبادة عظيمة، ولكن هناك عبادات أخرى!.

هؤلاء ما فقهوا منهج محمد صلى الله عليه وسلم وقد ذكرت في قصة كعب بن مالك رضي الله عنه تلك الدروس وتلك العبر. وأن كعباً رضي الله عنه عندما جلس وقعد في المدينة كان يقوم بكثير من الطاعات وهو في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الحديث عن نبينا عليه السلام أن طلب العلم في مسجده عليه الصلاة والسلام كالجهاد في سبيل الله [١٣]، ومع ذلك كله، ومع سابقته في الإسلام وهو من أصحاب بيعة العقبة - وما أدراك ما بيعة العقبة وهي التي تكونت بها الجماعة المسلمة لإقامة الدولة المسلمة- ومع ذلك كله لم يُذكر بأي صفة من هذه الصفات، لأنه عندما يتعين الجهاد لا مجال للطاعات الأخرى لأن تذكر، وإنما يُذكر في مقابل الجهاد القعود والعتاب والتوبيخ، ولا يُقال "جزاه الله خيراً ذاك في المدينة، ويلاحظه يصلي في الحرم" أو "يعطي دروس"! هذا لا يقال لنص القرآن الكريم { قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} [سورة التوبة: ٢٤].

لو تتبعتم النصوص في وصف القاعدين، تجدها متواترة على هذا المعنى في أمتنا وفي الأمم السابقة؛ فقوم موسى لما تأخروا عنه وصفهم الله سبحانه وتعالى ايضاً بالفسق { قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ} [سورة المائدة: ٢٥]، وكذلك إذا تتبعنا الذين تخلفوا يوم تبوك الله سبحانه وتعالى أيضاً وصفهم بالفسق.

فأما اليوم فهناك خلل في طريقة المحافظة على هذا الدين، وفي تفعيل الطاقات لنصرة هذا الدين، فالآن أصبح الذي يقعد عن نصرة الدين لا يشعر بالإثم، بل هو يشعر أنه في طاعة، ولا يشعر بسوءة هذه الكبيرة العظيمة التي جاء فيها عشرات الآيات تهدد وتحذر، وترغب في هذه الطاعة، وتوبخ من يقعد عنها، وتقرّع الذين يركنون إلى الدنيا، ومن كان الذي يُهدد؟ صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم تهديداً تلو التهديد { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ} ، هذا توبيخ { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ} [سورة التوبة ٣٨].

هل يجترئ أحدٌ منا اليوم أن يقول لأبيه أو لعمه أو لشيخه: "أنت رضيت بالحياة الدنيا؟! هذه فلسطين منذ ثمانين سنة ما أطلقت فيها طلقة! ولا غبرت قدمك يوما من الأيام! فأنت من الذين رضوا بالحياة الدنيا!" لا أحد يستطيع ان يقول ذلك. هناك خلل عام في فهم الصحوة حول الطرق التي يحافظ بها على الدين، والآيات كما ذكرت إذا تتبعناها كثيراً.

والشباب الذين عندهم القدرة على فداء الدين وعلى التضحية من أجل الدين، للأسف الشديد عندهم خلط في السمع والطاعة لعلماء الإسلام القاعدين، فالقاعد لا يسمع له ولا يطاع، فمن هنا هذه الطاقات تبقى معطلة، ويصرفونهم عن الواجب المتعين إلى فرض كفاية؛ كطلب العلم، لو أصبح كل الناس علماء لن يقوم الدين إلا بالجماعة والسمع والطاعة والنصرة والجهاد.

فمن هنا نحن بحاجة إلى أن نفهّم الشباب أن قياداتهم العلمية هي راضية بالدنيا، هي تفر من واجب ثقيل تذمّر منه بعض صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والله سبحانه وتعالى يبين ذلك بقوله {كما أخرجكَ رَبُّكَ من بيتِكَ بالحقِّ وإنّ فريقا من المؤمنين لكارهون} [سورة الأنفال : ٥].

الصحابة رضي الله عنه لما خرجوا يوم بدر خرجوا على أنهم سيأخذون العير للتجارة، فلما بلغهم أن قريشاً قد خرجت في ألف كره بعضهم ذلك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم -كما يروي أبو أيوب- فقال: ((أشيروا علي أيها الناس؟))، فقال: أظهرنا كرهنا للقاء العدو. فقلنا: (يارسول الله ما خرجنا لقتال عدو ولا طاقة لنا بهم، وإنما خرجنا للعير)؛ فقال: ((أشيروا علي أيها الناس؟))، فكررنا ذلك، فقال: ((أشيروا علي أيها الناس؟))، فتكلم المقداد بن عمرو رضي الله عنه فقال: (يا رسول الله! إذاً لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى عليه السلام { فاذهبْ أنتَ وربُّكَ فقاتلا إنّا هاهنا قاعدون} [سورة المائدة : ٢٤]، ولكن نقول لك؛ إذهب أنت وربك فقاتلا فإنا معكم مقاتلون، والله لنقاتلن عن يمينك وعن يسارك ومن بين يديك ومن خلفك).

فإذا كان الصحابة الكرام الذين عاشوا في جو القتال والجهاد؛ القتال بين الأوس والخزرج أخذت منهم الشيء الكثير وهي عبر عشرات السنين، وجاء الإسلام وهم في مطاحنات لها أول ليس لها آخر، وكان القتل أمراً ليس ذي بال كبير عند الأوس والخزرج في الجاهلية. وجاء الإسلام ليحثهم على ذلك بالجهاد.

فكيف بنا اليوم تتشابه القلوب وتتواطأ كلها - إلا من رحم الله - على القعود عن نصرة الله.

يجب أن يفهم الشباب أن هناك خللاً كبيراً، وأن هؤلاء لا بد أن نصفهم بالصفات التي وصفهم بها الله سبحانه وتعالى.

كل من يقعد عن الجهاد بغير عذر وصفه في القرآن ظاهر بيّن، إنه "الفسق" { وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ} [سورة التوبة : ٤٦]، الذين يرضون بالقعود مع الخوالف؛ هم لا يفقهون، وإن أخذوا أكبر الشهادات من أفضل الجامعات، وهم لايعلمون وإن وجهت إليهم كل أسئلة الفتاوى، فهذا نص كتاب الله سبحانه وتعالى، قال سبحانه وتعالى: { رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ} ، هذا ذم شديد جداً لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد {رَضُوا} هذا هو الذم، { رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ} [سورة التوبة ٧٨].

فمفتي الديار صاحب الكتب والتأليفات والمصنفات الكثيرة هو لا يفقه، لأن العلم ثمرته خشية الله سبحانه وتعالى. قالت تلك المرأة أم سفيان رحمها الله: (يا أيها العالم!)، قال: (إنما العالم من يخشى الله) [١٤]، فليس العلم هو كثرة الرواية، وإنما العلم هو عبادة الله بما أنزل سبحانه وتعالى والخوف منه وتقواه.

وقال سبحانه وتعالى في آية أخرى -بعدها في بضع آيات- { رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ} ، لو كانوا يفقهون، وقوي اليقين في قلوبهم؛ أن ما عند الله سبحانه خير لهم من هذه الدنيا، لما ركنوا إليها ولما داهنوا، ولأسرعوا الخطى وتسابقوا في تلك الخيرات إرضاءً لله تعالى.

فأقول ينبغي أن يُشرح للشباب هذه المعاني، وتفك هذه القيود التي تقيدهم من ذلك.

فهذا أخونا أبو العباس [١٥] طاقة عظيمة - ومثله كثير جداً بالذات في بلادنا وفي بلاد الإسلام، ولكنها تقيد - ولكنه نفع الله به، وخرج وانفك من ذلك القيد الذي تلبسه، فلما جاء هنا رأى الأمور على حقيقتها، وقال تلك الوصية البليغة لتنبيه الناس من ذلك الوهم، قال: (ما أنتم فيه من طلب للعلم؛ فهذا أمر عظيم، وهذا خير كبير، وجزاكم الله خيراً، أما إذا تعين الجهاد فلا ثمّ لا إذا تعين الجهاد لا يتزاحم معه

شيء)، يقول شيخ الإسلام رحمه الله : (إذا تزاحمت الواجبات قُدّم آكدها)، فالناس - وخاصة أبناء الصحوة - فيهم خير كبير وطاقات هائلة، وهم مستعدون للتضحية ولكن من المهم أن يزال عنهم هذا الضباب، وأن يزال عنهم هذا الغبش.

من النصوص الأخرى التي ينبغي الاقتداء بها في مثل هذه الظروف:

هو حديث حذيفة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يصور وضعا شبيها لوضعنا الحالي، فيقول رضي الله عنه: (كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير، وكنت أسأله عن الشر - مخافة أن يدركني [١٦] - فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم، وفيه دخن، قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها) [متفق عليه][١٧].

فهذا الوضع كما تلاحظون أن العالم الإسلامي انتشر فيه هذا الشر العظيم، وهو أن الأئمة الذين يدعون الناس إلى جهنم هم أظهر ما يكونون في حكام المنطقة - حكام العالم العربي والإسلامي - فهم في إعلامهم وأجهزتهم وإفسادهم للبلاد، فهم يدعون الناس عبر تبنيهم للأفكار الهدامة وعبر تبنيهم للقوانين الوضعية والقوانين الكفرية، فهم يدعون الناس في الصباح والمساء إلى أبواب جهنم - ولا حول ولا قوة إلا بالله - فالكفر بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم على مرأى ومسمع في الصحف وأجهزة التلفاز، وفي الراديو والندوات، ولاينكر عليهم منكر، فهؤلاء هم الأئمة الذين يدعون الناس إلى جهنم.

ما هو الحل إذا حصل مثل هذا؟

فهذا الصحابي الجليل رضي الله عنه سأل حتى وصل إلى مثل هذه الحالة فقال: (هل بعد ذلك الخير من شر؟ فقال: نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها)، وقال رضي الله عنه: (فما تأمرني إن أدركني ذلك؟).

هذا كلام واضح بيّن صريح يسأل عن المخرج في مثل هذه الحالة التي نحن نعيش فيها اليوم، فيقول: (ما تأمرني إن أدركني ذلك؟)، فأمره بأمر واحد - رغم كثرة الواجبات وأهميتها - ولكن في مثل هذا الوضع هناك أمرٌ واحد يتقدم على جميع الواجبات الأخرى بعد الإيمان، قال: (فما تأمرني إن أدركني ذلك؟) قال: ((تلزم جماعة المسلمين وإمامهم)).

فهذا الواجب العظيم الذي هو فرض الساعة لامكان له بين العلماء اليوم ولا يتحدثون عنه، بل شُغلوا كل واحد منهم - إلا من رحم الله - بالتهليل والمدح للأئمة الطواغيت الذين كفروا بالله ورسوله، فبرقيات تذهب من هؤلاء لمدح هؤلاء الحكام الذين كفروا بالله ورسوله، ويكفر بالله ورسوله في صحفهم وفي إعلامهم، وبرقيات أخرى من هؤلاء الحكام الذين كفروا إلى هؤلاء العلماء تمدحهم، ودلسوا في ذلك على الأمة!

فالأمة لم تصب من قبل بمثل هذه الكارثة التي أصيبت بها اليوم، كان يحصل خلل ولكنه جزئي، أما الخلل اليوم فهو قد عمّ الناس مع هذه الثورة الإعلامية، وأصبح الإعلام يدخل على كل بيت، فهذه الفتنة ما سلم منها بيت حضر ولا بيت وبر، ما سلم منها أحد، في السابق كان يزل العالم وتبقى زلته محدودة في مكان معين، ويفجر الأمير والحاكم ويبقى فجوره محدوداً داخل القصر، أما أن يصبح جُل الناس أسرى وظائفهم التي هي لهذا الطاغية، فهذا ما حصل في تاريخ الإسلام قط.

وكلما حصل انحدار وكلما حصل بُعد عن دين الله فهناك تلقائية في هذا الدين وفي منهجه القويم المتكامل، يبدأ هناك آخرون في تصحيح المسار ويضحون بأنفسهم، لكن لم يحصل قط أن سواد الأمة وأن الفقهاء والعلماء أسرى وظائف عند الطواغيت!

حدثني بعضهم قال: "نحن لا نستطيع أن نقول الحق، لأننا إذا أردنا أن نقول الحق نفكر في هؤلاء الأطفال الذين في البيت وهؤلاء النساء، أين يذهبون؟ وأين نذهب نحن؟".

أنه قال: ((إن بين يدي الساعة سنين خداعة، يتهم فيها الأمين ويؤتمن الخائن ويصدق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق، ويتكلم فيها الرويبضة))، قيل: يا رسول وما الرويبضة؟ قال: ((السفيه ينطق في أمر العامة)) [٢٥].

فهذا الزمان كما هو ملاحظ من الخدع التي يستخدمها الحكام سواء حكام العرب وحكام المسلمين أو حكام العالم أجمع.

فمن أظهر تلك العلامات أن يتحدث بوش على أن سفاح العصر شارون يسميه بـ "رجل سلام" [٢٦].
وكذلك حكام المنطقة يخادعوننا، ويوالون الكفار، ثم يدعون أنهم ما زالوا على الإسلام.

ومما يزيد في هذا الخداع هو استحداث هيئات غرضها التدليس على الناس. وقد يستغرب الناس عندما نتحدث عن أن بعض الهيئات المنتسبة إلى الشرع والمنتسبة إلى الفقه وإلى العلم أنها تقوم بهذا الدور - من حيث تدري أو لا تدري - فغرض النظام من إظهار بعض العلماء على شاشات التلفاز وعبر محطات الإذاعات لإفتاء الناس، ليس هذا هو الغرض الأساس لهذه المهمة، ولو كان كذلك لظهر الصادقون من العلماء على شاشات المحطات المحلية وغيرها، وعلى المحطات الإذاعية المحلية، ولكن الغرض أن هذه الهيئات لها مهمة في الظروف الحرجة وفي ساعات الصفر.

كما رأينا من قبل عندما والى النظام القوات الأمريكية الصليبية وأدخلها إلى بلاد الحرمين، وضج الناس وضج الشباب، فكان صمام الأمان للناس أن هذه الهيئة وأمثالها صدرت فتاوى بإلحاق الإجازة لتصرف الحاكم وسموه بـ "ولي الأمر" - وما هو للمسلمين بولي أمر على الحقيقة - فينبغي الانتباه إلى ذلك.

وقد يتعجب الناس: هل يعقل أن هذا الشيخ فلان أو ذلك على جلالة قدره في العلم، ورغم كبر سنه، هل يعقل أن يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل؟!

أقول: إن الإنسان ليس بمعصوم [٢٧]، وإذا نظرنا في تاريخنا وفي تاريخ العالم الإسلامي عبر القرون الماضية فنجد أن هذه الحالات تتكرر.

وسأذكر مثالاً أو مثالين ليعي الناس هذا الأمر:

(١ فقد ذكر الإمام الذهبي رحمه الله في سيره، ذكر سيرة علي بن المديني رحمه الله - انظر إلى مقدمة تلك السيرة - وقال: (علي بن المديني... أمير المؤمنين في الحديث) [سير أعلام النبلاء: ٤١/١١]، وذكره ووصفه ومدحه وذكر أن الناس في علم الحديث عالة عليه، ولكن من باب الإنصاف مع جلالة قدر علي بن المديني - وإذا ذكر لا يذكر علماؤنا في هذا العلم بجواره - ولكنه مع ذلك زل زلة شديدة عندما تعرض لخدمة السلطان، وعندما ضغط عليه أمراء بني العباس ووافقهم بضد ما يعتقد، وفي ضد ما كان يُدرّس، ووافقهم في تلك الفتنة المضلة الفظيعة [٢٨].

(٢ وكذلك شيخ المؤمنين في الحديث يحيى بن معين رحمه الله [٢٩] زل نفس الزلة.

وكثير من العلماء في ذلك العصر زلوا هذه الزلة، نتيجة للتهديد بالضرب والسجن، وقد يصل إلى القتل، وما ثبت إلا عدد يسير كما تعلمون كان منهم إمام أهل السنة والجماعة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله فينبغي التنبه لذلك، واقرأوا هذه السيرة لتروا ولتعتبروا بحال الناس.

وقد صح عن نبينا صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((لا يقضي القاضي بين اثنين وهو غضبان)) [رواه الإمام أحمد]، هذا إذا كان القاضي غضبان فينبغي عليه أن لا يقضي بين اثنين، فكيف إذا كان خائفاً؟ والخوف أشد وقعاً على النفوس من الغضب كما يقول ابن القيم رحمه الله : (فمن قصر النهي على الغضب وحده، دون الهم المزعج، والخوف المقلق، والجوع والظمأ الشديد، وشغل القلب المانع من الفهم، فقد قل فقهه وفهمه) [إعلام الموقعين ج١ ص٢٠٧-٢٠٨].

فالناس في بلادنا خائفون من أن يقولوا كلمة الحق، فينبغي التنبه. وقد صرّحوا لنا مراراً كبار العلماء الذين يشار إليهم بالبنان عن الخوف الذي يخشونه فيما لو صدعوا بالحق، وقد حدث من قبل أن أحد

فكيف إذا كانت شهادة الزور في البيت الحرام، في مكة المكرمة عند الكعبة المشرفة، وقد صح عن نبينا صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((أبغض الناس إلى الله ثلاثة)) فذكر أولهم ((ملحد في الحرم)) - هذا كما في صحيح البخاري رحمه الله - فهذا من أعظم الإلحاد في الحرم؛ أن تشهد شهادة الزور تضلل أمة من أجل بضعة دراهم تأخذها في آخر كل شهر.

فلا يختلف أحد في كفر هؤلاء الحكام، وفي فجورهم، وفي إباحتهم للبلاد، وإفسادهم للعباد.

ثم تأتي وتشهد شهادة الزور في ذلك المكان العظيم؛ في البيت الحرام وفي الشهر الحرام -ولا حول ولا قوة إلا بالله-

وقد قال صلى الله عليه وسلم ((ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟!))، فقال صلى الله عليه وسلم: ((الشرك بالله -عافانا الله وإياكم من الشرك- وعقوق الوالدين -وكان متكئاً فجلس فقال- ألا وشهادة الزور، ألا وشهادة الزور، ألا وشهادة الزور))، فما زال يكررها حتى قال الصحابي: (حتى قلنا؛ ليته سكت) [متفق عليه].

فهذه شهادة الزور، تشهد شهادة زور على شبر من الأرض، هي من أكبر الكبائر في أي بقعة من الأرض تشهدها، فكيف تشهد عند البيت الحرام؟! [١٩] هذه شهادة الزور في كل جمعة وفي كل مناسبة لتضلل أمة بأسرها، من أجل بضع دراهم - ولا حول ولا قوة إلا بالله - فكم هو إثم هذا الذي يشهد هذه الشهادة!

فهؤلاء موظفو دولة لا يمكن لعاقل أن يرجع إليهم في أمور دينه، فأقل ما يقال فيهم؛ كما يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب عليه رحمة الله للذين يدافعون عن الحكام الطواغيت، قال: (أقل أحوالهم أنهم فساق) [٢٠]، فهؤلاء أقل أحوالهم أنهم فساق. فينبغي للناس أن يقاطعوهم، وأن يهجروهم.

فإنه كما يقول ابن عباس رضي الله عنه في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل؛ كان الرجل يلقى الرجل فيقول؛ يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك! ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده) [رواه أبو داود][٢١]، فهذا من أول النقص الذي يدخل على الأمة.

فلابد من التباين، فنحن لا نتكلم عن أمور صغائر، وإنما نتكلم عن أكبر الكبائر، الشرك بالله الذي تحكم به البلاد، وموالاة الأعداء الذي هو من نواقض الإسلام [٢٢].

فإذا لم يحصل للشباب هذا الفهم، للأسف؛ تجد شاباً يأتيك مسروراً أنه التقى بالشيخ الفلاني من أئمة الحرم، ما ينبغي أن تبتسم في وجه هذا الفاسق الذي يضلل الأمة بأسرها! فإذا لم يحصل هذا الفهم في الصحوة لن نصل إلى مرادنا لإقامة الحق.

فالتبيين والإيضاح للناس أن الأئمة قد ضلوا؛ هذا أمر في غاية الأهمية ، لذلك في الحديث الصحيح عن أبي بكر رضي الله عنه لما سألته المرأة الأحمسية، قالت له: (ما بقاؤنا على هذا الأمر الصالح - هذا الإسلام- الذي جاء الله به بعد الجاهلية؟) فقال لها: (بقاؤكم عليه ما استقامت بكم أئمتكم) [رواه البخاري]، فاستقامة الإمام هي شرط مهم لبقاء الدين.

فالذين يريدون أن يقولوا للناس؛ إن الدين موجود مع أن الإمام قد كفر بالله ورسوله منذ قرن من الزمان، منذ أن أقيم بقوة الإنجليز ووالى الإنجليز وبسلاح الإنجليز وبذهب الإنجليز [٢٣]، وعاث في البلاد، وكان من أكبر أسباب سقوط الدولة الإسلامية - الدولة العثمانية - هذا كافر بالله لا يمكن أن يكون مؤمناً، لايبقى الدين حاكماً إذا كفر الإمام.

فهذا الفقه لابد أن يكون واضحاً جلياً، فعندما يكفر الإمام يجب أن ينتفض الناس [٢٤]، لم يعد الإسلام موجوداً، لابد من الحركة لإقامة إمام يقيم في الناس حدود الله سبحانه وتعالى، فقال: ((تلزم جماعة المسلمين وإمامهم)).

من الخدع التي يستخدمها الحكام في مخادعة الناس؛ وكأننا قد أظلنا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأظلتنا الحالة التي يتحدث عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد صح عنه عليه الصلاة والسلام

أنه قال: ((إن بين يدي الساعة سنين خداعة، يتهم فيها الأمين ويؤتمن الخائن ويصدق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق، ويتكلم فيها الرويبضة))، قيل: يا رسول وما الرويبضة؟ قال: ((السفيه ينطق في أمر العامة)) [٢٥].

فهذا الزمان كما هو ملاحظ من الخدع التي يستخدمها الحكام سواء حكام العرب وحكام المسلمين أو حكام العالم أجمع.

فمن أظهر تلك العلامات أن يتحدث بوش على أن سفاح العصر شارون يسميه بـ "رجل سلام" [٢٦].

وكذلك حكام المنطقة يخادعوننا، ويوالون الكفار، ثم يدعون أنهم ما زالوا على الإسلام.

ومما يزيد في هذا الخداع هو استحداث هيئات غرضها التدليس على الناس. وقد يستغرب الناس عندما نتحدث عن أن بعض الهيئات المنتسبة إلى الشرع والمنتسبة إلى الفقه وإلى العلم أنها تقوم بهذا الدور - من حيث تدري أو لا تدري- فغرض النظام من إظهار بعض العلماء على شاشات التلفاز وعبر محطات الإذاعات لإفتاء الناس، ليس هذا هو الغرض الأساس لهذه المهمة، ولو كان كذلك لظهر الصادقون من العلماء على شاشات المحطات المحلية وغيرها، وعلى المحطات الإذاعية المحلية، ولكن الغرض أن هذه الهيئات لها مهمة في الظروف الحرجة وفي ساعات الصفر.

كما رأينا من قبل عندما والى النظام القوات الأمريكية الصليبية وأدخلها إلى بلاد الحرمين، وضج الناس وضج الشباب، فكان صمام الأمان للناس أن هذه الهيئة وأمثالها صدرت فتاوى بإلحاق الإجازة لتصرف الحاكم وسموه بـ "ولي الأمر" - وما هو للمسلمين بولي أمر على الحقيقة - فينبغي الانتباه إلى ذلك.

وقد يتعجب الناس: هل يعقل أن هذا الشيخ فلان أو ذلك على جلالة قدره في العلم، ورغم كبر سنه، هل يعقل أن يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل؟!

أقول: إن الإنسان ليس بمعصوم [٢٧]، وإذا نظرنا في تاريخنا وفي تاريخ العالم الإسلامي عبر القرون الماضية فنجد أن هذه الحالات تتكرر.

وسأذكر مثالاً أو مثالين ليعي الناس هذا الأمر:

(١ فقد ذكر الإمام الذهبي رحمه الله في سيره، ذكر سيرة علي بن المديني رحمه الله - انظر إلى مقدمة تلك السيرة- وقال: (علي بن المديني... أمير المؤمنين في الحديث) [سير أعلام النبلاء: ٤١/١١]، وذكره ووصفه ومدحه وذكر أن الناس في علم الحديث عالة عليه، ولكن من باب الإنصاف مع جلالة قدر علي بن المديني - وإذا ذكر لا يذكر علماؤنا في هذا العلم بجواره- ولكنه مع ذلك زل زلة شديدة عندما تعرض لخدمة السلطان، وعندما ضغط عليه أمراء بني العباس وافقهم بضد ما يعتقد، وفي ضد ما كان يُدرّس، وافقهم في تلك الفتنة المضلة الفظيعة [٢٨].

(٢ وكذلك شيخ المؤمنين في الحديث يحيى بن معين رحمه الله [٢٩] زل نفس الزلة.

وكثير من العلماء في ذلك العصر زلوا هذه الزلة، نتيجة للتهديد بالضرب والسجن، وقد يصل إلى القتل، وما ثبت إلا عدد يسير كما تعلمون كان منهم إمام أهل السنة والجماعة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله فينبغي التنبه لذلك، واقرأوا هذه السيرة لتروا ولتعتبروا بحال الناس.

وقد صح عن نبينا صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((لا يقضي القاضي بين اثنين وهو غضبان)) [رواه الإمام أحمد] ، هذا إذا كان القاضي غضبان فينبغي عليه أن لا يقضي بين اثنين، فكيف إذا كان خائفا؟ والخوف أشد وقعاً على النفوس من الغضب كما يقول ابن القيم رحمه الله : (فمن قصر النهي على الغضب وحده، دون الهم المزعج، والخوف المقلق، والجوع والظمأ الشديد، وشغل القلب المانع من الفهم، فقد قل فقهه وفهمه) [إعلام الموقعين ج١ ص٢٠٧-٢٠٨].

فالناس في بلادنا خائفون من أن يقولوا كلمة الحق، فينبغي التنبه. وقد صرّحوا لنا مراراً كبار العلماء الذين يشار إليهم بالبنان عن الخوف الذي يخشونه فيما لو صدعوا بالحق، وقد حدثت من قبل أن أحد

كبار العلماء في هيئة كبار العلماء حدثني عندما كنا نقول لهم: "إنه ينبغي إصدار فتوى بوجوب الإعداد، على التسليم فرضاً بقولكم أن وجود الأمريكان في البلاد ضرورة"، فاعتذر عن إصدار فتوى مع تصريحه في المجلس بأنه حق، وأنه لابد من أن يكون العمل للجهاد في البلاد على أبناء البلاد وأن يخرج الأمريكان، قال: (لكن الدولة لا توافق لنا بهذا)، ولما قلنا له: "حاولوا عبر هيئة كبار العلماء أن تستصدروا فتوى بذلك، فقال كلاماً وأنا أشكر له مصارحته لي، قال ليس في نظامنا في قانون هيئة كبار العلماء"، قال: (لسنا نحن الذين نبحث القضية ونصدر فيها فتوى، وإنما تصدر الفتاوى في المسائل التي تحال إلينا من المقام السامي) [٣٠] - على حد تعبيره -

فينبغي للناس أن تعي هذا الأمر، فإذا استمر هذا الخلط ولم يتميز الولاء للمؤمنين وللدين، ولم يتميز البراء والبراءة من الشرك والإلحاد، فلن نجد السبيل الذي نصل به إلى رضوان الله سبحانه وتعالى، فهذا أمر في غاية الأهمية وفي غاية الخطورة. وينبغي على الصادقين من العلماء وطلبة العلم والدعاة أن يوضحوه للناس وللشباب، حتى لا يلتبس عليهم الأمر.

فالنظام كما أنه استحدث وزارة الإعلام مهمتها التدليس على الناس، كذلك هو فرّغ ميزانية ضخمة لهذه الهيئات التي تنتسب إلى الإسلام، مهمتها أن تعطي الشرعية للنظام وأن النظام على حق.

فحتى تتصوروا المسألة، تصور أن مبنى هيئة كبار العلماء هو ملحق بالقصر الملكي، وتصور أن دار الإفتاء في الأزهر هي ملحقة بالقصر الجمهوري التابع لحسني مبارك[٣١]، ودار الإفتاء في بلاد الحرمين ملحقة بقصر الملك، فهل تذهب وتسأل هذا الرجل الموظف الذي يتقاضى راتباً من الملك، تسأله عن حكم الملك؟ وهل الملك فعلاً والى الكفار؟! وهل الولاء للكفار ناقض من نواقض الإسلام؟! هذه المسائل واضحة بينة وإن التبس على بعض الناس لقلة علمهم، فيُرجع بها إلى الصادقين، فلا تذهب تسأل موظفاً عند الملك عن حكم الملك!

فهؤلاء كما ذكرت لا يقاسون بعلي بن المديني رحمه الله ولا يقاسون بيحيى بن معين رحمه الله، ومع ذلك كمْ هائل غفير الذين زلّوا عندما ضغط عليهم السلطان.

فلنأخذ بكلام الإمام علي رضي الله عنه عندما قال للحارث: (يا حارث! إنه ملبوسٌ عليك، لا يُعرف الحق بالرجال، اعرف الحق تعرف أهله) [٣٢].

فهذه المسألة حاصل فيها - للأسف - تقليد كبير، كثير من الشباب يقلدون أمرهم لبعض موظفي الدولة، وهؤلاء يوضع عليهم عباءة ويعطون أسماء كبيرة، وهم في الحقيقة موظفون للدولة، عن علم أضلهم الله سبحانه عن علم، ففي كتبهم، وتعلمنا من كتبهم؛ أن من نواقض الإسلام العشرة موالاة الكافرين [٣٣]، ويصارحوننا في مجالسهم الخاصة، ولكن يخافون ويتأولون كما تأول يحيى بن معين رحمه الله فينبغي التنبه لذلك.

ومن الأمور المهمة في ميدان النجاة والخروج من هذا التيه؛ هو النصح للدين-النصح لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم- فمسألة النصيحة هي في غاية الأهمية، وهي الإطار المهم الذي يحفظ الدين، ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((الدين النصيحة)) [رواه مسلم]، لأن النصيحة التي هي من أبرز معالمها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ هي التي تحافظ على الدين، فلذلك اختصر عليه الصلاة والسلام الدين بهذه الكلمة ((الدين النصيحة)).

ولكننا في زمن اختلط على الناس فهم الدين، وظنوا أن الدين يقوم بغير نصيحة ويقوم بغير المخاطرة. فنظراً لكثرة الترف الذي أصاب الناس، وإلى ركونهم إلى الدنيا وإلى الأرض، والأشد والأنكى أن هذا المرض القاتل يوزّعه هؤلاء القاعدون الراكنون إلى الدنيا على الشباب الصادقين الغيورين على دينهم، الذين يريدون أن ينكروا المنكر، ويأمرونهم بعدم إنكار المنكر، وهم في ذلك يتقدمون بآرائهم بين يدي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سنذكره بإذن الله.

فلا يستقيم أمر الدين إلا بالنصح وإلا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتحمل كل المخاطر في سبيل هذا الدين، ولذا قال عليه الصلاة والسلام: ((إن أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر)) [رواه الإمام أحمد]، هذا كله حتى يستقيم الدين.

وحال هؤلاء الذين يعرّضون أنفسهم للمخاطر من أجل أن يستقيم الدين كحال أناس في سفينة، يسير بها قائدها إلى هاوية سحيقة في مجرى نهر، فهذا يريد أن ينصح القائد وهؤلاء من خوفهم يقولون له، "إذا نصحته سيقتلك لا تنصحه!"، فالحاصل أن الجميع سيذهبون إلى تلك الهاوية [٣٤].

ففي ديننا من التأكيد والحرص على تصحيح المسار، إلى درجة أن تقدم نفسك في سبيل الله لتصحيح المسار حتى يبقى الناس على الدين، فلذا جاء حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه، فقتله)) [رواه الحاكم]، فهذا للأسف الفهم الواضح الصريح للحديث، كان علماؤنا ومشايخنا يقومون بتثبيطنا عنه وينهوننا أن نفعل مثل هذا ويقولون ليس من ورائه مصلحة.

ففي هذا الفهم خطر عظيم على دينهم وعلى اعتقادهم، كيف يتقدمون بهذا بين يدي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الواضح الصريح ((سيد الشهداء حمزة بن عبدالمطلب، ورجل قائم إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله)) ، فقوتنا وسلاحنا للمحافظة على بقاء ديننا، وعلى مقاومة أي محاولة لتحريف الدين داخلية أو نتيجة ضغط خارجي هي الروح الاستشهادية، فالجهاد وما تفرع منه هو السبيل لإحقاق الحق، ولإبطال الباطل.

فينبغي للشباب الذين شرح الله صدورهم لحب الدين، وللفداء في سبيل الله أن لا يلتفتوا إلى هؤلاء الموظفين، وأن لا يلتفتوا إلى القاعدين، وأن لا يلتفتوا إلى الراكنين، فشتان شتان بين علمائنا الذين يشار إليهم بالبنان، ومن يشار إليهم اليوم نتيجة الثورة الإعلامية ونتيجة التقدم الإعلامي الهائل.

فالحكومة تنظر في العلماء فما رأت فيه موافقة لها ولين ومداهنة منهم سلطت عليه الأضواء، فينشأ الناشئة منذ الصغر ويسمعون؛ "الشيخ فلان أرسل برقية إلى الملك"، و "الملك رد إليه برقية"، ويظهر عن يمين الملك في كل يوم اثنين وغيره [٣٥]، فيقع في ذهنه أن هؤلاء أهل الخير والصلاح.

قال أهل العلم؛ " دخول العلماء على السلاطين فيه مضارّ ثلاث" [٣٦]، فمن أعظم مضاره تضليل العامة، فالعامة يقولون لولا أن هذا الإمام وهذا الملك أو هذا الرئيس على خير لما دخل عليه الشيخ فلان! وهم يتجاهلون أن هذا الذي دخل على الملك هو موظفٌ ملحقٌ بالديوان الملكي أو ملحقٌ بوزارة الداخلية.

يقول الإمام أحمد رحمه الله : (من قلة فقه الرجل أن يقلّد في دينه الرجال) [أعلام الموقعين ٢/٢١١].

فإذا انتبهنا إلى الذين يضعهم الحاكم في طريق الجهاد، وحذرنا الناس منهم، فبإذن الله سنصل إلى طريق الجهاد الذي يُكفّ به بأس الكفار ويحق الحق [٣٧]. فهؤلاء علماء الدولة وعلماء السلاطين ليس في فقههم؛ فقهُ محمد صلى الله عليه وسلم والفهم لطبيعة منهج الله سبحانه وتعالى.

فلا بد أن يستقر في أذهاننا؛ أن الالتزام بالدين بالضرورة أن يكون هناك معاداة من أهل الباطل، فكما في الحديث الصحيح في صحيح البخاري رحمه الله الحديث الذي ترويه أمنا عائشة رضي الله عنها عندما ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أمنا خديجة رضي الله عنها إلى ورقة بن نوفل فلما قص عليه ما قص من بدء الوحي فقال ورقة بن نوفل: (يا ليتني كنت فيها جذعاً [٣٨] إذ يخرجك قومك)، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((أو مخرجيّ هم؟!))، قال: (ماجاء رجل قط بمثل ماجئت به إلا عودي) [متفق عليه][٣٩] ، هذا هو فقه محمد صلى الله عليه وسلم فكل من التزم الإسلام حقاً لابد أن يُعادى.

وهؤلاء الأنصار رضي الله عنهم لما جاءوا في يوم العقبة يبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام فجاء معه العباس -وهو على دين قومه لم يسلم بعد- فقال: (يامعشر الخزرج إنكم قد دعوتم محمداً فإن كنتم أهل قوة وجلد وبصيرة بالحرب واستقلال بمعاداة العرب قاطبة. فإنها سترميكم عن قوس

واحدة فأروني رأيكم وأنتم وأمركم، ولا تفرقوا إلا عن إجماع فإن أحسن الحديث أصدقه، صفوا لي الحرب؟ كيف تقاتلون عدوكم؟)، فهذا العباس - وهو على دين قومه كافراً - ولكن يحتاط لابن أخيه محمد صلى الله عليه وسلم ويفقه أن معنى "لا إله إلا الله"؛ أن الناس والعالم سيعادي أهلها، فعند ذلك تكلم عبد الله بن عمرو رضي الله عنه فقال: (نحن والله أهل الحرب، وغذينا بها، وورثناها كابراً عن كابر نرمي بالنبل حتى تفنى، ونطاعن بالرماح حتى تكسر، ثم نمشي بالسيوف نضارب بها حتى يموت الأعزل منا أو من عدونا)، فقال العباس: (هل فيكم دروع)، قالوا: (نعم ها هي)، عند ذلك تقدم البراء بن معرور رضي الله عنه، وقال: (قد سمعنا ما قلته وإنا والله لو كان في أنفسنا غير ما ننطق به لقلناه، ولكنا نريد الوفاء والصدق، وبذل مهج أنفسنا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم)، فهذا هو فهم السلف رضي الله عنهم للالتزام بالدين وبذل مهج الأنفس لله سبحانه وتعالى وفي الدفاع عن دينه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأيضاً مما جاء في ذلك اليوم المبارك - يوم العقبة - عندما قام الصحابة يريدون أن يبايعوا الرسول صلى الله عليه وسلم فأخذ بيده أسعد بن زرارة وقال: (رويداً يا أهل يثرب إنا لم نضرب إليه أكباد الإبل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن إخراجه اليوم مفارقة العرب كافة وقتل خياركم، وأن تعضكم السيوف، فإما أنتم تصبرون على ذلك، فخذوه وأجركم على الله، وإما أنتم تخافون من أنفسكم خيفة، فذروه فهو أعذر لكم عند الله) [رواه الإمام أحمد][٤٠].

فهذا هو فهم السلف لمعنى "لا إله إلا الله"، وما تقتضيه "لا إله إلا الله" من تحكيم في الأرض ومما سيضطر إلى المواجهه مع العدو.

وكما قال المثنى بن الحارثة لرسولنا عليه السلام يوم أن عرض عليهم أن يؤمنوا بلا إله إلا الله، وأن يحموه ويؤووه، فقال المثنى - كان مشركاً يومها - قال: (إن هذا أمر تكرهه الملوك).

وفي الحديث الآخر عندما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم في سياق السؤال عن أفضل الأعمال حتى في العشر من ذي الحجة فاستثنى، ووضح لهم أي الأعمال أفضل، فهي أفضل حتى من العمل في عشر ذي الحجة فقال عليه السلام: ((إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله، فلم يرجع بشيء)) [رواه البخاري].

فأما ما انتشر بين العلماء من السلامة على أنفسهم وعلى أبنائهم، وعلى أموالهم، وعلى وظائفهم، مع بقاء الدين، فهذا فهم مغاير لحقيقة "لا إله إلا الله" ولمعاداة أهل الباطل لها، فهذا التواؤم، وهذا التماشي بين العلماء والحكام - الذين كفروا بالله ورسوله - هو وضع خاطئ ينقلب وينصبُّ في الابتداء على أن العلماء تركوا حقيقة "لا إله إلا الله"، والالتزام بحقيقة "لا إله إلا الله" ومقتضيات "لا إله إلا الله"، يداهنون الحكام.

فينبغي الحذر كل الحذر من هؤلاء، لأن النظام وضعهم عن قصد للصد عن سبيل الله، وقد كان منذ ربع قرن كان الشيخ عبد الله بن حميد عليه رحمة الله، لا يُذكر بجواره العلماء الآخرون - بعد أن توفي الشيخ محمد بن إبراهيم عليه رحمة الله - في ورعه وفقهه وعلمه وشدته في الحق، ولكن النظام لا يريد أهل الحق ولايريد أهل التقى والورع، فما زال يضايق الشيخ عبد الله بن حميد وأُخذ الأضواء عنه بعيداً على عدد من العلماء الأخرين الذين فيهم لين ورقة مع النظام، ونوع مداهنة، وأضف إلى ما لبّس عليه النظام، وتركوا الشيخ عبد الله بن حميد يضايقوه في عمله إلى أن استقال لما شعر أن الدولة بدأت تبتعد كثيراً، وظهر له أن الدولة توالي الكفار، وتبتعد كثيراً عن شرع الله سبحانه وتعالى.

فكذلك الحال اليوم تسلط الأضواء الإعلامية على العلماء، الغرض منه التدليس على المسلمين.

وفي هذا المجال لابد من الحديث أننا إذا عرفنا علماء السوء وعلماء السلاطين ينبغي البحث بجد واجتهاد عن الصادقين من العلماء، عن الذين يصدعون بالحق ولا يخافون لومة لائم، فإن الله سبحانه وتعالى قال: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} [سورة التوبة : ١١٩]، فينبغي الالتفاف حولهم والتشاور معهم في نصرة لا إله إلا الله والعمل لتحكيم شرع الله سبحانه وتعالى.

والصادقون من العلماء لهم صفات، والصادقون بين الله سبحانه وتعالى صفاتهم في كتابه الكريم قال: {إنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} [الحجرات: ١٥] فمن أبرز صفات الصادقين:

١) صفة الإيمان.

٢) وصفة الجهاد في سبيل الله.

وهذا المعنى نجده يتكرر، ويقترن الصدق مع الجهاد، ومع النصرة، ومع قول الحق، والصدع به، فمن ذلك قوله سبحانه وتعالى: {لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} [سورة الحشر: ٨] الذين يهاجرون والذين ينصرون الله ورسوله ويجاهدون في سبيل الله هؤلاء في سبيل الله وللتمكين لدين رسول الله صلى الله عليه وسلم فهؤلاء هم الصادقون.

ومن أعظم الجهاد كلمة الحق والصدع بها، كما مضى معنا في الحديث عن نبينا عليه السلام: ((أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر))، فالعلماء الذين يصدعون بالحق؛ هؤلاء هم الصادقون وهذه صفتهم.

أما الذين يرون أن الحكام قد والوا الكفار، ويرون الحكام قد حكموا بغير ما أنزل الله، هؤلاء الذين يمدحون الطواغيت؛ ألا يرون أبراج البنوك الربوية؛ التي هي حكم بغير ما أنزل الله؟! وإعراض عن منهج الله بجوار الحرم؟! هذا الإلحاد قرب بيت الله الحرام، والإلحاد في الحرم ليس المقصود به فقط الكفر، وإنما كما في الحديث الذي مر معنا -في حديث صحيح البخاري-: ((أبغض الناس إلى الله ثلاثة))، قال: ((ملحدٌ في الحرم))، قال أهل العلم: الكبيرة في الحرم تعتبر إلحاداً، وذكرت هنا بمعنى إلحاد للتشنيع عليها وللتهويل عليها حتى يبتعد الناس عنها.

فأبرز صفات الصادقين: الجهاد باليد وباللسان، وقد يكون الإنسان صادقاً وهو ينكر بقلبه، ولكننا لا نعرفه ولا نتعرف عليه وإنما نتعرف على الذي ينكر بيده وبلسانه.

وهنا ينبغي أن نؤكد على شباب الصحوة ما مر معنا؛ أن فيهم من الطاقات ما يكفي وزيادة لإقامة الحق، ولإقامة دولة الإسلام، ودولة الخلافة، ولكن ينبغي أن يتحرروا ويحرروا عقولهم من التقليد الأعمى، فقد صح عن نبينا عليه السلام أنه قال: ((لا تكونوا إمعة، تقولون: إن أحسن الناس أحسنا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم؛ إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا فلا تظلموا)) [رواه الترمذي وحسنه].

وسأذكر لكم قصة ذات مغزى كبير أن أولي الألباب والنهى إذا قلدوا من أمامهم دون أن يتدبروا، فقد يضيع منهم خير عظيم، بل قد تضيع عليهم الآخرة - ولا حول ولا قوة إلا بالله - فهذا خالد بن الوليد رضي الله عنه وعمرو بن العاص، وعمرو بن العاص من دهاة العرب المعدودين، وخالد بن الوليد عبقري في الحروب، ومع ذلك تأخر إسلامهما لأكثر من عشرين سنه تقريباً، والنور بين يديهم، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة عشرة سنة بين أظهرهم في مكة ولا يرون هذا النور مع شدة ذكائهم ونباهتهم، فما هو السبب؟!

السبب: التقليد الأعمى، كانوا ينظرون إلى أولئك الرجال العظام في قريش -أهل الندوة- ويقتدون بهم، وعطلوا عقولهم، فلما أسلم خالد وعمرو بن العاص قبل الفتح بشيء يسير - أي قريباً من عشرين سنة منذ بعثت محمد صلى الله عليه وسلم - فقال له بعض أصدقائه: (أين كان عقلك يا خالد ولم تر هذا النور لعشرين سنة؟)، فقال كلمة ينبغي التوقف عندها كثيراً للمقلدين، قال: (كنا نرى أمامنا رجالاً كنا نرى أحلامهم كالجبال) - الوليد بن المغيرة، وعمرو بن هشام، وعتبة وشيبة ابني ربيعة، والعاص بن وائل السهمي، وأمية بن خلف- قوم عبأوا على الناس عقولهم أنهم هم الذين يعرفون الصواب، وكانوا يقودونهم إلى المهلكة في الدنيا والآخرة.

فلما حرر خالد عقله نفع الله به وتفجرت طاقاته فكان سيفاً من سيوف الله فتح الله به أرضاً عظيمة في بلاد فارس وفي بلاد الروم.

فأقول: كثيرٌ من الناس عندهم من الطاقات الهائلة، ولكن يعطلها باتباع قاعد، باتباع من رضي بأن يكون مع الخوالف. فلا نجاة لهذه الأمة إلا باتباع المنهج كاملاً، فكما ذكرت الخطر ملازم بصفة دائمة لهذه الدعوة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ففي هذا الحديث العظيم فقه عظيم جداً حيث إنه وضح للناس وللمؤمنين أهمية الأولويات في هذا الدين، فرأس الأمر الإسلام ورأس أركان الإيمان والإسلام شهادة أن "لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله"، فالإيمان فيه شعب[٤١] فلا ينبغي بحال إذا غابت الشعبة الأولى وهي أعظمها وأفضلها وأعلاها شهادة أن "لا إله إلا الله" الاشتغال بما دونها، فهي الأساس لهذا الدين فما يفعل الناس في هذا الزمان وهم يرون بأم أعينهم أن "لا إله إلا الله" بمعناها الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم قد غُيّبت عن حكم الناس في جميع شؤون حياتهم، ويشتغلون بكثير من الشعب مع غياب هذه. فهذا لا يمكن أن يسمى لمن علم بهذه الحقائق إلا هروباً عن أداء الواجب، بل عن أعظم واجب في الحياة، وهو تحكيم شهادة أن لا إله إلا الله على كل مؤمن.

ولو قعد الإنسان عن الجهاد واشتغل بإماطة الأذى عن الطريق وهي شعبة من شعب الإيمان وكان الجهاد متعيناً، فلا يقال لهذا الذي يعمل بهذه الشعبة أو بهذه الطاعه جزاه الله خيراً بل هو في ديننا فاسق من الفاسقين فارّ فر عن نصرة لا إله إلا الله ونصرة دين محمد صلى الله عليه وسلم فينبغي الانتباه الشديد إلى هذه الأولوية، وهو كما لا يخفى، وللأسف الشديد غائبة غياباً عظيماً جداً من جميع بلاد الإسلام بدون استثناء. وأنبه الإخوة كما في حديث رسولنا صلى الله عليه وسلم عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((إن الله تعالى قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه)) [رواه البخاري]، فالفرائض والطاعات والعبادات هي بما فرض الله سبحانه وتعالى، وترتيبها كما رتبها الله سبحانه لا بما يتوافق معنا، وبما يتوافق مع أهوائنا، وبما يتوافق مع نفوسنا وتثاقلها إلى الأرض.

فعندما تكون الأولوية الأولى بتحكيم لا إله إلا الله فلا يصح بحال الاشتغال بالطاعات الأخرى على حساب إقامة الدولة الإسلامية، وتحكيم شرع الله سبحانه وتعالى.

ومن الأشياء المهمة في هذا: أن العلماء الذين تبرزهم الدولة للناس هم يعلمون علم يقين أن "لا إله إلا الله" لا تحكم الناس اليوم، وأن الحكومات قد نقضوا هذه الكلمة العظيمة، ومع ذلك يدلسون على أنفسهم، ويخادعون أنفسهم، ويخادعون الناس بذكر العبادات والفتاوى للناس في مسائل مع غياب الأصل العظيم، فهم كالذي يبني على غير أساس.

فهؤلاء الذين يفتون: يعلمون أن هؤلاء الناس يذهبون يتحاكمون إلى المحاكم التجارية، وإلى هيئات فض المنازعات التجارية، وفض مشاكل الأطراف التجارية، وهذا حكم بغير ما أنزل الله، وهو كفرٌ أكبرٌ مخرج من الملة كما لا يخفى على أهل العلم [٤٢]، ومع ذلك لا يتحدثون عن ذلك.

الربا: هذه البنوك لا يمكن لعالم صادق أن يقول إن الربا هذا هو مجرد كبيرة من الكبائر، فهذا الربا الذي يوجد في بلادنا هو تشريع من دون الله {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ} [سورة الشورى: ٢١]، ومع ذلك يحدثون الناس عن أمور أخرى - هي من شعب الإيمان ولاشك - ولكن بعيداً عن أصل القضية، فهذه القضية الكبرى التي من أجلها بُعث الرسل، ومن أجلها أنزلت الكتب لكي تحكم بين الناس، فينبغي الانتباه الشديد إلى ذلك.

ومن المسائل المهمة أيضاً هنا: أن يبتعد الشباب عن أولئك الذين قد ضيّعوا الأمانة وخانوا الأمة فيما اؤتمنوا عليه، وقد جاء في الحديث عن حذيفة رضي الله عنهم قال: (حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين، رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر، حدثنا: أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم علموا من

القرآن ثم علموا من السنة، وحدثنا عن رفعها، قال: ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل أثر الوكت، ثم ينام النومة فتقبض، فيبقى فيها أثرها مثل أثر المجل، كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبرا، وليس فيه شيء) [متفق عليه].

وهذا حال كثير من الناس تظنه على شيء، تظن أن عنده أمانة وسيفتيك بما يرضي الله، ولكن ليس فيه شيء، كجمر دحرجته على رجلك - وفي تكملة الحديث، كما يقول رضي الله عنه نقلا عن رسولنا صلى الله عليه وسلم - : ((ويصبح الناس يتبايعون، فلا يكاد أحد يؤدي الأمانة، فيقال: إن في بني فلان رجلا أمينا! ويقال للرجل: ما أعقله! وما أظرفه! وما أجلده! وما في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان)).

فينبغي التمييز بين أهل الأمانة الذين يؤدون ما احتملوا من ميراث النبوة على نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام، وبين الذين أخذوا الشهادات العلمية وأخذوا الدين للوظائف يأكلون به من هذه الدنيا على حساب دينهم - ولا حول ولا قوة إلا بالله .

فخلاصة الأمر في هذا الباب،أن هناك ثوابت عظام لابد من الانتباه إليها في مسألة الولاء والبراء؛ أن الأنظمة تسعى جهدها في تمييع الولاء والبراء ولمغالطة الناس في ذلك.

فمن الثوابت؛ أن اليهود والنصارى لن يرضوا عنا كما ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم فقال: { وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ} [سورة البقرة : ١٢٠].

ومن الثوابت الواقعية أيضا، أن البلاد محتلة، وإذا احتلت فأوجب الواجبات - بعد الإيمان - دفع العدو الصائل، فهذه تصريحاتهم المتكررة، وهذا الواقع الذي يشهد على حالهم، فقد قال الأمير طلال بن عبد العزيز في لقاء له مع بعض الهيئات العالمية قال: (نحن لو قلنا للقوات الأمريكية أن أخرجي من بلادنا، هم لا يخرجون)، وهذه صراحة واضحة جداً.

وكذلك وزير خارجية قطر قال: (نحن لو قلنا للحكومة الأمريكية وللقوات الأمريكية اخرجي من قطر، قال: نحن نشطب من الخريطة)، فالبلاد محتلة بكل ما تعني الكلمة من معنى، ومازال الناس يشتغلون بعبادات ونوافل و طاعات بعيدة عن فرض الساعة!

فينبغي التركيز على:

١) أن المخرج هو بالجهاد في سبيل الله.

٢) والحذر من القاعدين.

٣) وعلى أن الهجرة والجهاد في سبيل الله كلاهما متلازم - في مثل هذه الأوضاع - لإقامة الحق وإبطال الباطل.

والله أعلم [٤٣]

توجيهات منهجية

(٢)

[الكاتب: أسامة بن لادن]

بسم الله الرحمن الرحيم

فيسر اخوانكم في " منبر التوحيد والجهاد " ان يقدموا لكم اصدارهم الثاني، ضمن سلسلة " توجيهات منهجية " ، وهذا الاصدار هو عبارة عن محاضرة للشيخ المجاهد اسامة بن لادن حفظه الله، ألقاها عام ١٤٢٣ هـ، وقد حرصنا على اخراجها في ابهى حلة، واضافة من الهوامش والتعليقات مما نرجو ان يكون مفيدا، سائلين الله عز وجل أن ينفع بهذا العمل شباب الأمة، وأن يجزل الأجر والثواب لكل من أعان على نشره، وأن يتجاوز عنا برحمته، والله الموفق.

الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد الذي أنزل على عبده ورسوله آية السيف ليحق الحق ويبطل الباطل.

فالحمد لله القائل: { فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الحُرُمُ فَاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [التوبة:٥]، والحمد الله القائل: { قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ} [التوبة:١٤].

والصلاة والسلام على نبينا محمد القائل: (بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله تعالى وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذل والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم) [رواه الإمام أحمد] [١]، والقائل: (أخرجوا المشركين من جزيرة العرب) [متفق عليه] [٢].

أما بعد:

ففي الوقت الذي تسيل فيه دماء المسلمين وتهدر في فلسطين والشيشان والفلبين وكشمير والسودان، ويموت أطفالنا بسبب الحصار الأميركي في العراق، وفي الوقت الذي لم تلتئم جراحنا بعد، منذ الحروب الصليبية على العالم الإسلامي في القرن الماضي، ونتيجة لاتفاقية "سايكس-بيكو" [٣] بين بريطانيا وفرنسا، والتي أدت إلى تقسيم العالم الإسلامي إلى قطع وأشلاء، ومازال عملاء الصليبيين يحكمونها إلى اليوم، إذ بأجواء اتفاقية سايكس بيكو تطل علينا من جديد؛ إنها اتفاقية "بوش - بلير" ولكنها تحت نفس الراية ولنفس الغاية، إنها راية الصليب، وغايتها تحطيم ونهب أمة الحبيب صلى الله عليه وسلم.

إن اتفاقية "بوش - بلير" تزعم أنها تريد القضاء على الإرهاب، فلم يعد يخفى حتى على العوام أنها تريد القضاء على الإسلام [٤] ، ومع ذلك يؤكد حكام المنطقة في الخطابات والخطب تأييدهم لبوش في محاربة الإرهاب - أي في محاربة الإسلام والمسلمين - في خيانة واضحة للملة والأمة [٥]، معتمدين على مباركة علماء السلاطين [٦] ووزراء البلاط.

فكما أنه لا يخفى أن الاستعداد الحالي للهجوم على العراق ما هو إلا حلقة في سلسلة الاعتداءات المعدة لدول المنطقة، بما فيها سوريا وإيران ومصر والسودان، إلا أن التركيز لتقسيم بلاد الحرمين يأخذ نصيب الأسد في خطتهم، مع العلم أنه هدف استراتيجي قديم، منذ أن نقل ولاؤها من بريطانيا إلى الولايات المتحدة منذ ستة عقود، وقد حاولت أميركا قبل ثلاثة عقود تنفيذ هدفها هذا في أعقاب حرب العاشر من رمضان [٧]، يوم هدد رئيسها "نيكسون" بغزو بلاد الحرمين على الملأ، ولم يتيسر له ذلك في وقتها بفضل الله، ولكن مع بداية حرب الخليج الثانية أنشأت أميركا قواعد عسكرية مهمة وخطيرة، منتشرة في بلاد الحرمين، وخاصة قرب العاصمة، ولم يبق لهم إلا التقسيم، واليوم يبدو أن الوقت المناسب للتقسيم قد حان في نظرهم، فحسبنا الله ونعم الوكيل.

فخلاصة الأمر؛ أن استهداف أميركا للمنطقة عموماً وتقسيم بلاد الحرمين خصوصاً ليس سحابة صيف عابرة، وإنما هو هدف استراتيجي لا يغيب عن نظر السياسة الأميركية الماكرة.

فماذا أعدت الحكومات في المنطقة لمقاومة هذا الهدف الاستراتيجي العدواني؟

لا شيء يذكر سوى زيادة في الولاء للصليبيين، أضف إلى ذلك اجتماع وزراء الداخلية العرب المنتظم لمحاربة المجاهدين والتضييق على الدعاة والعلماء الصادقين الذين يسعون لتنبيه الأمة وإيقاظها للدفاع عن نفسها.

وإن من أهم أهداف هذه الحملة الصليبية الجديدة تهيئة الأجواء وتمهيد المنطقة بعد التقسيم لقيام ما يسمى بدولة إسرائيل الكبرى، التي تضم داخل حدودها أجزاء كبيرة من العراق ومصر مروراً بسوريا ولبنان والأردن وكامل فلسطين وأجزاء كبيرة من بلاد الحرمين.

وما أدراك ما إسرائيل الكبرى [٨]، وما سيصيب المنطقة من ويل وثبور؛ إن ما يجري لأهلنا في فلسطين ما هو إلا نموذج يراد تكراره في سائر المنطقة على يد التحالف "الصهيوأميركي"؛ قتل للرجال والنساء والولدان، وسجون وإرهاب وتهديم للبيوت وتجريف للمزارع، ونسف للمصانع، والناس في خوف دائم ورعب جاثم ينتظرون الموت في كل لحظة من صاروخ أو قنبلة تهدم بيتاً وتقتل أختاً وتئد رضيعة، فماذا نجيب ربنا غداً؟

إن ما يجري هناك لا يحتمله أولو البأس من الرجال، فكيف بحال الأمهات المستضعفات وهن يرين أطفالهن يقتلون بين أيديهن؟

إنا لله وإنا إليه راجعون وحسبنا الله ونعم الوكيل، اللهم إني أبرأ إليك من فعل هؤلاء من اليهود والنصارى والحكام الخائنين ومن كان في حكمهم، وأعتذر إليك من فعل هؤلاء القاعدون عن نصرة الدين.

وإن مما يعنيه قيام إسرائيل الكبرى؛ هو خضوع دول المنطقة لليهود، وما أدراك ما يهود، يهود افتروا على الخالق فما بالك بالمخلوق؟ يهود قتلة الأنبياء ونقضة العهود، قال الله عنهم: { أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْداً نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ} [البقرة:١٠٠]، إنهم يهود أرباب الربا وأئمة الخنا، لن يبقوا لكم شيئاً لا دنيا ولا دين، قال الله عنهم: { أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذاً لا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً} [النساء:٥٣]، إنهم يهود يعتقدون ديانة أن الناس عبيد لهم ومن أبى فحده القتل، قال الله تعالى عنهم: { ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [آل عمران:٧٥].

هذه بعض صفات اليهود فاحذروهم! وهذه بعض ملامح المخطط الصليبي فقاوموه!

والآن كيف السبيل لكف بأس الكفار وإنقاذ بلاد المسلمين؟

فالإجابة على هذا السؤال أقول - وبالله التوفيق - كما قال العبد الصالح نبي الله شعيب عليه الصلاة والسلام {إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} [هود:٨٨].

فالسبيل لكف بأس الكفار هو الجهاد في سبيل الله كما قال تعالى: { فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنْكِيلاً } [النساء:٨٤].

وابتداء: أبشركم بفضل الله أن الأمة اليوم عندها من الطاقات الهائلة ما يكفي لإنقاذ فلسطين، وإنقاذ باقي بلاد المسلمين، ولكن هذه الطاقات مقيدة فيجب العمل على إطلاقها، كما وأن الأمة موعودة بالنصر، لكن إذا تأخر النصر فبسبب ذنوبنا وقعودنا عن نصرة الله[٩]، قال تعالى: {إن تنصرُوا اللهَ ينصرْكُمْ ويُثبّتْ أقدامكُمْ} [محمد:٧] ، والأمة موعودة بالنصر أيضاً على اليهود كما أخبرنا رسولنا صلى الله عليه وسلم حيث قال: (لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم! يا عبد الله! هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود) [رواه مسلم].

ففي هذا الحديث تنبيه أيضاً إلى أن حسم الصراع مع الاعداء إنما يكون بالقتل والقتال، لا بتعطيل طاقات الأمة لعشرات السنين عبر طرق أخرى كخلعة الديمقراطية وغيرها [١٠].

وبعد هذه المبشرات أتحدث إليكم عن بعض الامور التي تساعدنا على الجهاد في سبيل الله، ومنها ذكر بعض الوقائع والحروب التي انتصر فيها المسلمون خلال العقدين الماضيين مما يزيد من ثقة أبناء الأمة بأنفسهم، لما لذلك من أهمية في تعبئة الأمة لتدافع عن نفسها ضد التحالف الصليبي الصهيوني.

وفي الحقيقة: أن الأمة الإسلامية هي القوة البشرية العظمى إن أقامت دين الإسلام حقاً، وهذا ما أثبته التاريخ خلال القرون الماضية، وهي قادرة على قتال ومقاومة ما يسمى بالدول الكبرى.

وقبل ذلك سأذكر حادثة ذات صلة بموضوع قتال القوى الكبرى:

ذكر أهل السير أن المثنى الشيباني رحمه الله جاء إلى المدينة يطلب مدداً من الخليفة لقتال الفرس، فندب الخليفة عمر رضي الله عنه الناس ثلاثة أيام فلم يخرج أحد، ففطن عمر رضي الله عنه لما في نفوس الناس من عقدة قتال القوى العظمى، فأمر المثنى أن يحدث الناس بما فتح الله عليه ضد فارس ليزيل ما بأنفسهم، فقام المثنى فتكلم ونشط القوم، فكان مما قال: (يا أيها الناس لا يعظمن عليكم هذا الوجه فإنا قد تبجحنا فارس وغلبناهم على خير شقي السواد وشاطرناهم ونلنا منهم واجترأ من قبلنا عليهم، ولها إن شاء الله ما بعدها) ، فتحمس الناس، فقام أبو عبيد الثقفي وعقد له الخليفة اللواء وتتابع القوم رضي الله عنهم [الكامل في التاريخ ٢/٤٣٢-٤٣٣].

وأنا أقول متشبهاً بأولئك الكرام:

يا أيها الناس لا يعظمن عليكم هذا الوجه، لا يعظمنّ عليكم وجه أميركا وجيشها، فقد ضربناهم والله مراراً وهزموا تكراراً، وإنهم أجبن قوم عند اللقاء، وقد تبين لنا من مدافعتنا ومقاتلتنا للعدو الأميركي أنه يعتمد في قتاله بشكل رئيس على الحرب النفسية نظراً لما يمتلكه من آلة دعائية ضخمة، وكذلك على القصف الجوي الكثيف إخفاءً لأبرز نقاط ضعفه وهو الخوف والجبن وغياب الروح القتالية عند الجندي الأميركي، ولولا ضيق المقام لحدثتكم عن ذلك، أشياء تكاد لا تصدق في قتالنا لهم في تورابورا وفي أفغانستان، وأرجو الله أن ييسر وقتاً ونتحدث عن ذلك بالتفصيل[١١].

وابتداءً أذكركم بهزيمة بعض القوى الكبرى على أيدي المجاهدين:

١) فأذكركم بهزيمة الاتحاد السوفيتي سابقاً والذي أصبح أثراً بعد عشر سنين من القتال الضاري على أيدي أبناء الأفغان ومن ساعدهم من أبناء المسلمين بفضل الله [١٢].

٢) وكذلك هزيمة الروس في بلاد الشيشان وضرب المجاهدون أروع الأمثلة في التضحية والفداء، فحطم المجاهدون الشيشان مع إخوانهم العرب والأنصار كبرياء الروس فكبدوهم الخسائر تلو الخسائر فانسحبوا مدحورين بعد الحرب الأولى.

ثم إن الروس رجعوا مرة أخرى بدعم أميركي ومازالت روسيا إلى الآن تتكبد الخسائر الفادحة من فئة قليلة مؤمنة نرجو الله أن يثبتهم وينصرهم [١٣].

٣) كما أذكركم بهزيمة القوات الأميركية عام ١٤٠٢ للهجرة، عندما اجتاح بنو إسرائيل لبنان، فقدمت المقاومة اللبنانية شاحنة مملوءة بالمتفجرات إلى مركز القوات الأميركية - المارينز - في بيروت فقتل منهم أكثر من ٢٤٠ قتيلاً، فإلى جهنم وبئس المصير [١٤].

٤) ثم بعد حرب الخليج الثانية أدخلت أميركا جيوشها إلى الصومال وقتلوا ١٣ ألفاً من أبناء المسلمين هناك، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وعندها وثب أسد الإسلام من العرب الأفغان فانبروا لهم مع إخوانهم في تلك الأرض فمرغوا كبرياءها في الطين، فقتلوا منهم ودمروا من دباباتهم وأسقطوا من طائراتهم، ففرت أميركا وحلفاؤها في ليل مظلم لا يلوي أحد على أحد، فلله الحمد والمنة [١٥].

٥) وفي تلك الفترة أعد شباب الجهاد عبوات ناسفة ضد الأميركيين في عدن، فانفجرت فما كان من الجبناء إلا أن فروا في أقل من ٢٤ ساعة.

٦) ثم في عام ١٤١٥ للهجرة وقع انفجار في الرياض قتل بسببه أربعة من الأميركيين، وكان رسالة واضحة تبين اعتراض أبناء المنطقة على السياسة الأميركية في دعم اليهود واحتلال بلاد الحرمين.

٧) ثم في العام الذي يليه وقع انفجار آخر في الخبر، قتل بسببه ١٩ وجرح أكثر من ٤٠٠، واضطر بعدها الأميركيون لنقل مراكزهم الكبرى من المدن إلى قواعد في الصحراء [١٦].

٨) ثم بعد ذلك أيضاً في عام ١٤١٨ للهجرة هدد المجاهدون أميركا على الملأ بضرورة الكف عن مساعدة اليهود والخروج من بلاد الحرمين، فرفض العدو التحذير وتمكن المجاهدون بفضل الله من صفعه صفعتين عظيمتين في شرق إفريقيا [١٧].

٨) ثم حذرت أميركا مرة أخرى ولم تستجب، فوفق الله المجاهدين في عملية استشهادية عظيمة، فدمرت المدمرة الأميركية "كول" في عدن، فكانت صفعة مدوية في وجه العسكرية الأميركية، كما كشفت العملية عن عمالة الحكومة اليمنية كسائر دول المنطقة [١٨].

ثم إن المجاهدين لما رأوا أن عصابة الإجرام الأسود في البيت الأبيض تصور الأمر على غير حقيقته، بل يزعم زعيمهم - الأحمق المطاع - أننا نحسدهم على طريقة حياتهم، وإنما الحقيقة التي يخفيها فرعون العصر أننا نضربهم بسبب ظلمهم لنا في العالم الإسلامي وخاصة في فلسطين والعراق واحتلالهم في بلاد الحرمين، ولما رأى المجاهدون ذلك قرروا أن يتخطوا التعتيم وينقلوا المعركة إلى وسط أرضه وفي عقر داره.

وفي يوم الثلاثاء المبارك في الثالث والعشرين من جماد الثاني لعام ١٤٢٢ للهجرة، الموافق للحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١ للميلاد، كان التحالف "الصهيوأميركي" يحصد أبناءنا وأهلنا في أرض الأقصى المبارك بطائرات ودبابات أميركية وأيد يهودية، وأبناؤنا في العراق يقضون نحبهم نتيجة الحصار الظالم من أميركا وعملائها، وفي المقابل كان العالم الإسلامي يعيش في حالة من البعد الشديد عن إقامة الدين حقاً، وبينما الأمور على تلك الحال من الإحباط واليأس والتسويف عند المسلمين - إلا من رحم الله - ومن الظلم والغرور والعدوان عند التحالف "الصهيوأميركي"، فقد كانت بلاد "العم سام" في غيها سادرة، بطغيانها هادرة، مصعرة خدها للناس، تمشي في الأرض مرحاً لا تبالي بأحد، وتظن ألا سبيل إليها. إذ رموا بثالثة الأثافي وما أدراك ما ثالثة الأثافي، عندما وثب شعث الرؤوس، مغبرو الأقدام، المطاردون في كل مكان، {إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى} [الكهف:١٣]، وربط على عقيدتهم وكتب الإيمان في قلوبهم، فلم يخشوا في الله لومة لائم، يبتغون ما عند الله تعالى، تأبى نفوسهم أن تنام على الضيم، يريقون ماء الحياة ولا يريقون ماء المحيا، فأغاروا بطائرات العدو في عملية جريئة جميلة ما عرفت البشرية لها مثيلاً، فحطموا أصنام أميركا، فأصابوا وزارة الدفاع في صميم فؤادها، وأصابوا الاقتصاد الأميركي في سويداء قلبه، فأرغموا أنف أميركا في

التراب ومرغوا كبرياءها في الطين، فانهار برجا نيويورك[١٩]، وبذلك الانهيار انهار ما هو أعظم وأضخم: فانهارت أسطورة أميركا العظمى.

وانهارت أسطورة الديمقراطية.
وظهر للناس أن قيم أميركا في السافلين.
وتحطمت أسطورة أرض الحرية.
وتحطمت أسطورة الأمن القومي الأميركي.
وانهارت أسطورة الـ "سي آي إي" [٢٠]، فلله الحمد والمنة.

وكان من أهم الآثار الإيجابية لغزوتي نيويورك وواشنطن أنها كشفت حقيقة الصراع بين الصليبيين والمسلمين، وأظهرت ضخامة العداء الذي يكنّه لنا الصليبيون عندما نزعت الغزوتان جلد الشاة عن الذئب الأميركي وظهر على حقيقته البشعة، واستيقظ العالم أجمع من الرقاد، وانتبه المسلمون إلى أهمية عقيدة الموالاة في الله والمعاداة في الله، وقويت روح الأخوّة الإيمانية بين المسلمين، مما يعتبر خطوة عظيمة نحو توحيد المسلمين تحت كلمة التوحيد لقيام الخلافة الراشدة بإذن الله، وبدا ظاهراً للناس أن أميركا هذه القوة الظالمة، يمكن أن تضرب، ويمكن أن تذل وتهان وتقهر.

ولأول مرة تعي غالبية الشعب الأميركي حقيقة القضية الفلسطينية وأن ما أصابهم في "مانهاتن" كان بسبب سياسة حكومتهم الظالمة.

وخلاصة الأمر؛ أن أميركا دولة عظمى ذات قوة عسكرية ضخمة وذات اقتصاد عريض، ولكن كل ذلك على قاعدة هشة، لذا فإنه بالإمكان استهداف تلك القاعدة الهشة والتركيز على أبرز نقاط الضعف فيها وإذا ما ضربت في عشر معشار تلك النقاط، فإنها - بإذن الله - ستترنح وتنكمش وتتخلى عن قيادة العالم وظلمه.

ولقد استطاع عدد يسير من فتية الإسلام، رغم وقوف التحالف الدولي ضدهم أن يقيموا الحجة على الناس بوجود القدرة على مقاومة ومقاتلة ما يسمى بالقوى العظمى، واستطاعوا أن يدافعوا عن دينهم وأن ينفعوا قضايا أمتهم أكثر مما فعلته حكومات وشعوب بضع وخمسين دولة في العالم الإسلامي، لأنهم اتخذوا الجهاد سبيلاً لنصرة الدين، وكما قال أبو هلالة:

وللنصر أسباب وللخسر مثلها
وكل فريق يورث الخلد رابح
دروب العلا شتى وأقصرها التي
تريق الدما في جانبيها الزحازح

وأمثال هؤلاء الفتية الأبطال في الأمة كثير - بفضل الله - ولكنهم مقيدون، فينبغي علينا أن نتعاون جميعاً لفك قيودهم لينطلقوا مجاهدين في سبيل الله، لأن الجهاد هو سبيل عز هذه الأمة وأمنها.

وإن القيود والسدود التي تحول بين شباب الأمة وبين انطلاقها للجهاد كثيرة، إلا أننا سنتحدث عن أهمها، وبين يدي ذلك أذكر حديثاً من الصحيحين من اهتدى به سلك ومن ضل عنه هلك، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد) [متفق عليه][٢١]. فاعتبروا يا أولي الأبصار، فهذا من أسباب هلاكنا، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وأذكر كذلك قصة إسلام خالد رضي الله عنه لتتحرر العقول من التبعية العمياء، فقد قيل له بعد أن أسلم متأخراً: (أين كان عقلك يا خالد فلم تر نور النبوة بين ظهرانيكم منذ عشرين سنة؟!)، فقال: (كان أمامنا رجال كنا نرى أحلامهم كالجبال).

قال الإمام أحمد رحمه الله: (من قلة فقه الرجل أن يقلد دينه الرجال) [أعلام الموقعين ٢/ ٢١١].

وأول هذه القيود والسدود في عصرنا الحاضر، هم الحكام و شهداء الزور من علماء السوء ووزراء البلاط وأصحاب الأقلام المأجورة ومن شابههم.

فأما الحكام فقد اتفق الناس على عجزهم وخيانتهم.

وأما الذين يطالبون الناس بأن يضعوا أيديهم في أيدي هؤلاء الحكام برغم كل ذلك، نقول لهم: متى نزعت الشعوب أيديها من أيدي الحكام حتى ينتصحوا بأن يعيدوا أيديهم مرة أخرى؟! فهذا لم يحدث، والنتيجة كما ترون، هيمنة الكفار علينا، وقد قيل:

ومن خانه التدبير والأمر طائع

فلن يحسن التدبير و الأمر جامح

فخلافنا مع الحكام ليس خلافاً فرعياً يمكن حله، وإنما نتحدث عن رأس الإسلام، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، فهؤلاء الحكام قد نقضوها من أساسها بموالاتهم للكفار وبتشريعهم للقوانين الوضعية [٢٢] ، وإقرارهم واحتكامهم لقوانين الأمم المتحدة الملحدة، فولايتهم قد سقطت شرعاً منذ زمن بعيد، فلا سبيل للبقاء تحتها، والمقام لا يتسع لوصف هذا الأمر هنا، ولكن قد ذكرنا أقوالاً لأهل العلم رحمهم الله في البيان السابع عشر الصادر عن هيئة النصيحة والإصلاح [٢٣].

وبعد ذلك نقول: هل يمكن لمسلم أن يقول للمسلمين: ضعوا أيديكم في يد "كرزاي" للتعاون في إقامة الإسلام ورفع الظلم وعدم تمكين أميركا من مخططاتها؟! فهذا لا يمكن ولا يعقل، لأن كرزاي عميل جاءت به أمريكا، ومناصرته على المسلمين ناقض من نواقض الإسلام العشرة، مخرج من الملة.

وهنا لنا أن نتساءل: ما الفرق بين كرزاي العجم وكرزاي العرب؟ من الذي ثبت ونصب حكام دول الخليج؟ إنهم الصليبيون، فالذين نصبوا كرزاي كابول وكرزاي باكستان، هم الذين نصبوا كرزاي الكويت وكرزاي والبحرين وكرزاي قطر و غيرها.

ومن الذين نصبوا كرزاي الرياض [٢٤] وجاءوا به بعد أن كان لاجئاً في الكويت قبل قرن من الزمان ليقاتل معهم ضد الدولة العثمانية وواليها ابن الرشيد؟ أنهم الصليبيون ومازالوا يرعون هذه الأسر إلى اليوم، فلا فرق بين كرزاي الرياض وكرزاي كابول، {فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ} [الحشر: ٢]، قال تعالى {أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ} [القمر: ٤٣]

إن الحكام الذين يريدون حل قضايانا ومن أهمها القضية الفلسطينية عبر الأمم المتحدة [٢٥] أو عبر أوامر الولايات المتحدة ، كما حصل بمبادرة الأمير عبد الله بن عبد العزيز في بيروت ووافق عليها جميع العرب، والتي باع فيها دماء الشهداء وباع فيها أرض فلسطين، إرضاء ومناصرة لليهود وأميركا على المسلمين، هؤلاء الحكام قد خانوا الله ورسوله وخرجوا من الملة وخانوا الأمة.

كما أقول أيضاً: إن الذين يريدون أن يحلوا قضايانا عبر هؤلاء الحكام العجزة الخونة قد خدعتهم أنفسهم وخادعوا أمتهم، وركنوا إلى الذين ظلموا وضلوا ضلالاً مبنياً، وأحسن أحوالهم أنهم عاجزون فاسقون، فينبغي على المسلمين أن ينصحوهم، فإن لم ينتصحوا فليحذروهم وليحذروا منهم، ويجب على المسلمين أن كذلك يتبرءوا من هؤلاء الطواغيت، ولا يخفى أن التبرؤ من الطاغوت ليس من نوافل الأعمال، وإنما هو أحد ركني التوحيد فلا يقوم إيمان بغيرهما [٢٦]، قال تعالى: {فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [البقرة: ٢٥٦].

وأما علماء السوء ووزراء البلاط وأصحاب الأقلام المأجورة وأشباههم؛ فكما قيل: (لكل زمن دولة ورجال) ، فهؤلاء هم من رجال الدولة الذين يحرّفون الحق ويشهدون بالزور حتى في البلد الحرام، في البيت الحرام، في الشهر الحرام، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ويزعمون أن الحكام الخائنين ولاة أمر لنا، ولا حول ولا

قوة إلا بالله، يقولون ذلك من أجل تثبيت أركان الدولة، فهؤلاء قد ضلوا سواء السبيل فيجب هجرهم والتحذير منهم [٢٧].

وإنما تركز الدولة على علمائها وتظهرهم في برامج دينية للفتوى من أجل دقائق معدودة يحتاجهم فيها النظام كل مدة لإضفاء الشرعية عليه وعلى تصرفاته [٢٨]، فما حصل يوم أن أباح الملك بلاد الحرمين للأميركيين فأمر علماءه فأصدروا تلك الفتوى الطامة [٢٩] التي خالفت الدين واستخفت بعقول المسلمين، والمؤيدة لفعله الخائن في تلك المصيبة العظيمة، والأمة اليوم إنما تعاني ما تعانيه من مصائب وخوف وتهديد من جراء ذلك القرار المدمر وتلك الفتوى المداهنة.

ومن قرأ سيرة الأئمة الصادقين في أيام المحن كسيرة الأمام أحمد بن حنبل وغيره رحمهم الله علم الفرق بين العلماء العاملين والعلماء المداهنين - كما في سير أعلام النبلاء وغيرها - وقال الشاعر:

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا

فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

وأما السد الثاني؛ فهم العلماء والدعاة المحبون للحق الكارهون للباطل القاعدون عن الجهاد، تأولوا تأولاً فصدوا الشباب عن الجهاد ولا حول ولا قوة إلا بالله، هؤلاء رأوا الباطل ينتشر ويزداد، فتداعوا للقيام بواجب نصرة الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واهتدى وتفقه على أيديهم خلق كثير، وحسنا فعلوا، وجزاهم الله خيراً على ذلك، إلا أن الباطل يضيق صدره بالحق وأهله، فشرع في مضايقتهم وإخافتهم ومنعهم من الخطب والدروس وفصلهم من وظائفهم ثم سجن من أصر على مواصلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

إن هذه الضغوط الشديد أدت تدريجيا إلى انحراف المسار - إلا من رحم الله - وهذا أمر بدهي لأن الإنسان لا يستطيع أن يتخذ القرار الصحيح في ظل أوضاع غير صحيحة وخاصة من الناحية الأمنية، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يقضي القاضي بين اثنين وهو غضبان) [رواه الإمام أحمد] هذا إذا كان غضبانا، فكيف إذا كان خائفاً؟ فالتخويف الذي تمارسه الدول العربية على الشعب قد دمر جميع مناحي الحياة بما فيها أمور الدين، إذ الدين النصيحة، ولا نصيحة بغير أمن.

وقد قسم الخوف الناس إلى أقسام، وسنتحدث عن بعضهم:

١) فقسم انتكس والتحق بالدولة ووالاها، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٢) وقسم بدا له أنه لن يستطيع أن يستمر في الدعوة والتدريس ويؤمن معهده أو جمعيته أو جماعته، ويؤمن نفسه وجاهه وماله إن لم يمدح الطاغوت ويداهنه، فتأول تأولاً فاسداً فضلَ ضلالاً مبيناً وأضل خلقاً كثيراً.

٣) وقسم آخر حفظهم الله من مجاراة الحكام الخائنين ومداهنتهم، وحرصوا على البقاء تحت راية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد كانت لهم جهود مشكورة في الدعوة إلى الله، إلا أن الضغوط - التي سبق ذكرها - كانت كبيرة جداً، ولم يهيئوا أنفسهم لتحملها، ومن أهمها تكاليف الهجرة والجهاد.

وقد كانت الفرصة متاحة منذ أكثر من عقدين ولم يستفيدوا منها، مما أفقدهم القدرة على اتخاذ القرار الصحيح - إلا من رحم الله - في مثل هذه الأيام العصيبة، ولذا نرى فريقاً منهم مازالوا إلى الآن لم يتخذوا قرار الجهاد والمقاومة.

إن نصرة الدين وإقامته لها تكاليف عظام وصفات واضحة في كتاب الله وفي سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي سيرة الصحابة الكرام رضي الله عنهم، فمن لم يتصف بهذه الصفات لا يستطيع أن يقوم بنصرة الدين، هذه الصفات ذكرها الله تعالى في كتابه الكريم ومن ذلك قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [المائدة:٥٤].

وفي الخبر الذي دار بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وورقة بن نوفل، قال ورقة: (يا ليتني فيها جذعاً أكون حياً حين يخرجك قومك)، فقال رسول الله عليه وسلم: (أو مخرجيّ هم؟!)، فقال ورقة: (نعم! لم يأتِ رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا) [متفق عليه].

فحال من يريد أن يتحمل الدين بحق، هو العداء من أهل الباطل، لا التعايش- كما نرى ولا حول ولا قوة إلا بالله - مع أهل الباطل، وحال من أراد إقامة الدين هو السعي في نصرته بالنفس والنفيس، كما قال ورقة: (إن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً).

وكذلك كان الحال يوم بيعة العقبة؛ فنصرة الدين ليست دروساً تعطى فقط، والدين لا يقوم على فتات أوقاتنا وأموالنا، وإنما سلعة الله غالية، فشتان شتان بين الجلوس وتقديم الدروس وبين تقديم النفوس والرؤوس لنصرة الله، لذا فإن العباس بن عبد المطلب- وقد كان على دين قومه - أراد أن يطمئن على ابن أخيه محمد صلى الله عليه وسلم عند الأنصار، فكان مما قاله: (فإن كنتم أهل قوة وجلد وبصيرة با لحرب واستقلال بعداوة العرب قاطبة فإنها سترميكم عن قوس واحدة).

فأقول: هذه الصفات كانت مطلوبة لأهل الإيمان لحفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي مطلوبة اليوم أيضاً لحفظ دين رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثم بعد أن أنهى العباس كلامه، قال البراء بن معرور من الأنصار: (قد سمعنا ما قلت، وإنا والله لو كان في أنفسنا غير ما ننطق به لقلناه ولكنا نريد الوفاء والصدق وبذل مهج أنفسنا دون رسول الله).

فأقول: هكذا الدين، إنما يقوم بالوفاء والصدق وببذل المهج من أجل المنهج، ثم لما قاموا للمبايعة، قال أسعد بن زرارة: (رويداً يا أهل يثرب، إنا لم نضرب إليه أكباد المطي، إلا ونحن نعلم أنه رسول الله، وإن إخراجه اليوم مفارقة العرب كافة وقتل خياركم، وأن تعضكم السيوف، فإما أنتم تصبرون على ذلك فخذوه وأجركم على الله، وإما أنتم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه فهو أعذر لكم عند الله)، فقالوا: (يا أسعد أمط عنا يدك، فوالله لا نذر هذه البيعة ولا نستقيلها)، هكذا كانت صفات الذين يريدون أن يحموا ويقيموا دين الإسلام رضي الله عنهم.

وكذلك اليوم يقول المجاهدون للعلماء والدعاة الذين يحبون الحق ولا يداهنون الباطل: فأنتم قد رفعتم راية دين الإسلام، وتعلمون أنه دين رسول الله حقا؛ وإن حملكم له بحق يعني مفارقة حكومات العرب والعجم في الأرض كافة وقتل خياركم، وأن تعضكم السيوف، فإما أنتم تصبرون على ذلك فحافظوا على الراية وأجركم على الله، وإما أنتم تخافون من أنفسكم خيفة فذروا راية المدافعة والمقاتلة ولا تحولوا بين شباب الأمة والجهاد في سبيل الله، فهو أعذر لكم عند الله.

والآن نتحدث عن ما هو واجب المسلمين تجاه هذه الحرب الصليبية الصهيونية ضد أمة الإسلام:

قال تعالى: { فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ لا تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنكِيلاً } [النساء:٨٤][٣٠] إن أوجب الواجبات بعد الإيمان اليوم هو دفع وقتال العدو الصائل، قال شيخ الإسلام رحمه الله: (وأما دفع العدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا، لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه فلا يشترط له شرط) [الإختيارات العلمية، ملحق بالفتوى الكبرى ٦٠٨/٤]، فالجهاد اليوم متعين على الأمة بأسرها [٣١] وهي واقعة في الإثم إلى أن تخرج من أبنائها وأموالها وطاقاتها ما يكفي لقيام الجهاد الذي يدفع بأس الكفار عن جميع المسلمين في فلسطين وغيرها [٣٢].

فيجب على المؤمنين أن يجاهدوا لإحقاق الحق وإبطال الباطل، كلّ بحسب طاقته، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في صحيح مسلم: (فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان مثقال حبة من خردل) [رواه مسلم] [٣٣]، وهذا

الحديث العظيم يشمل جميع المؤمنين، فبما أننا مؤمنون إذن فنحن مجاهدون في سبيل الله لنصرة الدين، فالمؤمن الذي عجز عن الجهاد بيده ولسانه يجب عليه أن يجاهد بقلبه، ومن ذلك أن يستمر في بغض أعداء الله ويدعو عليهم وأن يستمر في موالاة المؤمنين والمجاهدين ويدعو لهم ويستشعر الأخوّة الإيمانية التي تربطه بالمسلمين في جميع مشارق الأرض ومغاربها، وينبغي أن يستشعر أن أهل الإيمان في فسطاط واحد وأن أهل الكفر في فسطاط واحد إلى أن يمن الله على الأمة بدولة تضم المسلمين تحت لوائها بإذن الله، وينبغي أن يحدث نفسه بالجهاد في سبيل الله بيده ولسانه، وهذا أضعف الإيمان وينبغي عليه مقاطعة بضائع أميركا وحلفائها [٣٤] ، وليحذر المؤمن كل الحذر من أن يؤيد الباطل، فإن مناصرة الكافرين على المسلمين - ولو بكلمة - كفر بواح كما قرر بذلك أهل العلم [٣٥] ، وليحذر من أن يكون من الذين قال الله فيهم: { الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ} [الحديد:٢٤]، أو من الذين قال الله فيهم { قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا } [الأحزاب:١٨] فلا يجمع بين كبيرة القعود وكبيرة التخذيل.

والجهاد بالنفس اليوم وإن كان متعيناً على الأمة بأسرها إلا أنه في حق الشباب آكد مما هو في حق الكهول والشيوخ. وكذلك الجهاد بالمال [٣٦] المتعين اليوم هو في حق أصحاب الأموال آكد مما هو في حق غيرهم.

ومن فضل الله على الأمة اليوم أن شرح الله صدور كثير من شبابها للجهاد في سبيله، والزود عن دينه وعباده، فيجب على الأمة أن تعينهم وتشجعهم وتيسر أمورهم ليدافعوا ويدفعوا عنها الظلم والخزي والإثم، ويجب على الأمة أيضاً أن تحافظ على الجهاد القائم اليوم، وأن تنصره بكل ما أوتيت من قوة، فهو عزيز جداً كما هو في فلسطين والشيشان وأفغانستان وكشمير وإندونيسيا والفلبين وغيرها من بلاد الإسلام، فإن الجهاد في هذه الدول لم تبق رايته مرفوعة بعد فضل الله، رغم الهجمة الشرسة من الأعداء، إلا ببذل ما لا يوصف من العناء والدماء والأشلاء، نرجو الله أن يتقبلهم في الشهداء.

وأبشركم أن الجهاد في أفغانستان قائم اليوم بشكل جيد والحمد لله، والأمور تسير نحو الأحسن لصالح المجاهدين بفضل الله، وها نحن في السنة الثانية من القتال ولم تستطع أميركا أن تحقق أهدافها، وإنما تورطت في المستنقع الأفغاني، وأما ما اعتبرته أميركا في الأشهر الأولى للحرب بأنه انتصار بعد أن استولت على المدن نتيجة إخلاء المجاهدين لها، فإنه لا يخفى على الخبراء العسكريين عامة والعارفين بأفغانستان خاصة أنه كان انسحاباً تكتيكياً يتماشى مع طبيعة دولة الطالبان ومع طبيعة الأفغان في تاريخهم الطويل مع حروب العصابات، فلم يكن هناك جيش نظامي لدولة الطالبان حتى يدافع عن المدن، لذا لجأ الأفغان - بعد الله - إلى قوتهم الكامنة في قدراتهم لشن حروب العصابات من عمق جبالهم الوعرة، وبنفس التكتيك الذي قهروا به - بفضل الله - جيش الاتحاد السوفيتي من قبل، فقد ثبت ذلك بعد أن بدأت حرب العصابات وارتفع معدل العمليات إلى عمليتين يومياً.

فالأميركيون في ورطة حقيقية اليوم، فلا هم يستطيعون حماية قواتهم ولا قادرين على تشكيل دولة تحمي رئيسها فضلاً عن أن تحمي الآخرين، فقد تم - بفضل الله - التنسيق مع جميع المجاهدين خلال العام المنصرم، والجميع متحمسون للجهاد ويرونه واجباً عليهم، ولولا قلة الإمكانيات لتيسر رفع عدد العمليات يومياً إلى الحد الذي كانت عليه في الجهاد السابق ضد الروس، وهذا ما لا يحتمله الأميركيون [٣٧].

لذا فإنه من الواجب المتعين على الأمة اليوم، أن تدعم الجهاد عموماً بما في ذلك فلسطين وأفغانستان، وهذه المحاور من أهم المحاور التي ينبغي التركيز عليها، لاستنزاف اليهود حلفاء الأميركيين، ولاستنزاف الأميركيين حلفاء اليهود، وإن هزيمة أميركا في أفغانستان - بإذن الله - تكون بداية النهاية لها، ولن تؤتوا بإذن الله من قبلنا مع إخواننا المجاهدين الأفغان بإذن الله فنرجو ألا نؤتى من قبلكم.

والأمة اليوم بين يدي يوم من أيام الله، لا ينبغي فيه العجز ولا البغي وينبغي أن تتجمع فيه زحوف المسلمين ضد زحوف الكافرين، وينبغي فيه التوبة من الذنوب والكبائر، كما ينبغي على الأمة بين يدي هذا الأمر العصيب الذي هو جدّ ليس بالهزل أن تهجر حياة اللهو واللعب والإسراف والترف، وأن تخشوشن وتتهيأ للحياة الحقة، حياة القتل والقتال والضرب والنزال.

وإليكم ما قاله شيخ الإسلام رحمه الله في فتنة مشابهة [٣٨] لما نحن فيه الآن، فقال: (واعلموا - أصلحكم الله - أن النبي قد ثبت عنه من وجوه كثيرة أنه قال: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم إلى قيام الساعة" [رواه مسلم]، فهذه الفتنة قد تفرق الناس فيها ثلاث فرق:

الطائفة المنصورة وهم المجاهدون لهؤلاء القوم المفسدين.

والطائفة المخالفة،وهم هؤلاء القوم ومن تحيز إليهم من خبالة المنتسبين إلى الإسلام.

والطائفة المخذلة،وهم القاعدون عن جهادهم وإن كانوا صحيحي الإسلام.

فلينظر الرجل أيكون من الطائفة المنصورة أم من الخاذلة أم من المخالفة، فما بقي قسم رابع).

ويقول رحمه الله أيضاً: (حتى والله لو كان السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم حاضرين في هذا الزمان لكان من أفضل أعمالهم جهاد هؤلاء القوم المجرمين، ولا يفوت مثل هذه الغزاة إلا من خسرت تجارته وسفه نفسه، وحرم حظاً عظيماً من الدنيا والآخرة). انتهى كلامه [كتاب الجهاد، لشيخ الإسلام، ج ٢/ص ٥٨ فما بعدها].

ثم إني أوصي الشباب بالاجتهاد في الجهاد [٣٩]، فهم أول المعنيين بفرضيته اليوم كما أشار إلى ذلك الشاطبي رحمه الله في الموافقات.

واعلموا أن استهداف الأميركيين واليهود بالقتل في طول الأرض وعرضها من أعظم الواجبات وأفضل القربات إلى الله تعالى [٤٠]، كما أوصيهم بالالتفاف حول العلماء الصادقين والدعاة المخلصين العاملين، وأوصيهم بالاستعانة على قضاء حوائجهم بالكتمان [٤١]، ولا سيما في الأعمال العسكرية الجهادية.

وأبشركم عامة وإخواننا في فلسطين خاصة، أن أخوانكم المجاهدين ماضون في طريق الجهاد لاستهداف اليهود والأميركيين، وما عملية "ممباسا" [٤٢] إلا بداية الغيث بإذن الله سبحانه وتعالى، وإننا لن نخذلكم فامضوا وواصلوا القتال على بركة الله، ونحن معكم ماضون مقاتلون بإذن الله.

وقبل الختام أحرض نفسي وإخواني المؤمنين على الجهاد في سبيل الله بقول القائل:

وإني لمقتاد جوادي وقاذف

به وبنفسي العام إحدى المقاذف

فيا رب إن حانت وفاتي فلا تكن

على شرجع يعلى بخضر المطارف

ولكن قبري بطن نسر مقيله

بجو السماء في نسور عواكف

وأمسي شهيداً ثاوياً في عصابة

يصابون في فج من الأرض خائف

فوارس من شيبان ألف بينهم

تقى الله نزالون عند التزاحف

إذا فارقوا دنياهم فارقوا الأذى

وصاروا إلى ميعاد ما في المصاحف

وفي الختام:

أوصي نفسي وإخواني المسلمين بتقوى الله في السر والعلن، وكثرة الدعاء والتضرع إلى الله تعالى بأن يقبل توبتنا ويفرج كربتنا.

(رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) [البقرة:٢٠١].

ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يفك أسرانا من يد الأميركيين وعملائهم وعلى رأسهم الشيخان: عمر عبد الرحمن [٤٣]، وسعيد بن زعير وإخواننا في "جوانتانامو"، وأن يثبت المجاهدين في فلسطين وينصرهم وباقي بلاد الإسلام، وأن ينصرنا على عدونا.

كما أوصي نفسي وإياكم: بكثرة الذكر وقراءة القرآن وتدبره ففيه الموعظة والشفاء والهدى والرحمة، قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ } [يونس:٥٧]، { وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ } [يوسف:٢١].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين [٤٤]

رسالة إلى مسلمى العراق

[الكاتب: أسامة بن لادن]

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
" يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون".

أما بعد:
فإننا نتابع باهتمام شديد وحرص بالغ استعداد الصليبيين للحرب لاحتلال عاصمة الإسلام سابقا ونهب ثروات المسلمين وتنصيب حكومة عميلة عليكم تتبع أسيادها في واشنطن وتل أبيب كسائر الحكومات العربية الأخرى الخائنة العميلة تمهيدا لإنشاء إسرائيل الكبرى، فحسبنا الله ونعم الوكيل.
ونرغب أن نؤكد بين يدي هذه الحرب الظالمة، حرب الفجار الكفار التي تخوضها أمريكا بحلفائها وعملائها على عدد من المعاني المهمة:

أولا :
إخلاص النية بأن يكون القتال في سبيل الله وحده لا شريك له. لا لنصر القوميات ولا لنصر أنظمة الحكم الجاهلية التي تعم جميع الدول العربية بما فيها العراق، قال الله تعالى "الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله، والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت، فقاتلوا أولياء الشيطان، إن كيد الشيطان كان ضعيفا".
ثانيا :
نذكر بأن النصر من عند الله وحده تعالى، وما علينا إلا بذل الأسباب بالإعداد والتحريض والجهاد قال الله تعالى " يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم".
وينبغي المسارعة والتوبة إلى الله تعالى من الذنوب، ولا سيما الكبائر كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اجتنبوا السبع الموبقات: الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المؤمنات الغافلات" [متفق عليه]، وكذا سائر الكبائر، كالخمر والزنا وعقوق الوالدين وشهادة الزور.
وينبغ ي المسارعة في الطاعات عموما، وخاصة كثرة الذكر عند التقاء الزحوف، قال أبو الدرداء رضي الله عنه: "عمل صالح قبل الغزو، فإنكم إنما تقاتلون بأعمالكم".
ثالثا :
قد تبين لنا من مدافعتنا ومقاتلتنا للعدو الأمريكي أنه يعتمد في قتاله بشكل رئيسي على الحرب النفسية نظرا لما يمتلكه من آلة دعائية ضخمة.

وكذلك على القصف الجوي الكثيف، إخفاء لأبرز نقاط ضعفه وهي الخوف والجبن وغياب الروح القتالية عند الجنود الأمريكيين، فهؤلاء الجنود على قناعة تامة بظلم حكومتهم وكذبها كما أنهم يفتقدون قضية عادلة يدافعون عنها وهم إنما يقاتلون من أجل أصحاب رؤوس الأموال وأرباب الربا وتجار السلاح والنفط بما فيهم عصابة الإجرام في البيت الأبيض.

أضف إلى ذلك أحقادا صليبية وأحقادا شخصية لبوش الأب.

وتبين لنا أيضا أن من أفضل الوسائل الفعالة والمتاحة كتفريغ القوة الجوية للعدو الصليبي من محتواها، هو بإنشاء الخنادق المسقوفة والموهة بأعداد كبيرة وكنت قد أشرت إلى ذلك في حديث سابق في أثناء معركة تورابورا العام الماضي.

تلك المعركة العظيمة التي انتصر فيها الإيمان على جميع القوى المادية لأهل الشر بالثبات على المبدأ بفضل الله سبحانه وتعالى، وسأذكر لكم طرفا من تلك المعركة العظيمة للتدليل على مدى جبنهم من جهة ومدى فعالية الخنادق في استنزافهم من جهة أخرى.

فقد كان عددنا يصل إلى ثلاثمائة مجاهد وكنا قد حفرنا مائة خندق منتشرة في مساحة لا تزيد عن ميل مربع، بمعدل خندق لكل ثلاثة اخوة. حتى نتلافى الإصابات البشرية الكبيرة من ال قصف، وقد تعرضت مراكزنا منذ الساعة الأولى للحملة الأمريكية في العشرين من رجب لعام ألف وأربعمائة واثنين وعشرين للهجرة الموافق السابع من أكتوبر لسنة ألفين وواحد ميلادية لقصف مركز ثم استمر ذلك القصف بشكل متقطع إلى منتصف رمضان وبعدها في صبيحة السابع عشر من رمضا ن بدأ قصف شديد جدا وخاصة بعد ما تأكدت القيادة الأمريكية بوجود بعض قيادات القاعدة في تورابورا بما فيهم العبد الفقير والأخ المجاهد الدكتور أيمن الظواهري، وأصبح القصف على مدار الساعة فلم تكن تمر علينا ثانية بدون طائرات حربية فوقنا ليلا أو نهارا حيث تفرغت غرفة قيادة وزارة الدفاع الأمريكية مع جميع القوى المتحالفة معها لنسف وتدمير هذه البقعة الصغيرة وإزالتها من الوجود، فكانت الطائرات تصب حممها فوقنا وخصوصا بعد أن أنهت مهماتها الأساسية في أفغانستان، وكانت القوات الأمريكية تقصفنا بالقنابل الذكية والقنابل ذات آلاف ا لأرطال والقنابل العنقودية وكذلك كانت القنابل الخارقة للكهوف، وقد كانت قاذفات القنابل كطائرات بي اثنين وخمسين تحوم الواحدة منها لأكثر من ساعتين فوق رؤوسنا وترمي في كل دفعة من عشرين إلى ثلاثين قنبلة، وكانت طائرات السي ميه وثلاثين المعدلة ترمينا ليلا بالأبسطة المتفجرة وغيرها من القنابل الحديثة.

ورغم ذلك القصف الهائل مع الإعلام الدعائي الرهيب الذين لم يسبق لهما مثيل على مثل هذه البقعة الصغيرة المحاصرة من جميع الجهات بالإضافة لقوات المنافقين التي دفعوها لقتالنا لمدة نصف شهر متصل والتي صددنا موجاتهم اليومية كلها بفضل الله سبحانه وتعالى وأرجعناهم في كل مرة مهزومين يحملون قتلاهم وجرحاهم، رغم ذلك كله ما تجرأت القوات الأمريكية على اقتحام مواقعنا، فأي دلالة أظهر من ذلك على جبنهم وخوفهم وكذبهم في أساطيرهم المدعاة لقواهم المزعومة.

خلاصة المعركة : الفشل الهائل الذريع لتحا لف الشر العالمي بجميع قواه على مجموعة صغيرة من المجاهدين، على ثلاثمائة مجاهد في خنادقهم داخل ميل مربع في درجة حرارة بلغت عشر درجات تحت الصفر، وكانت نتيجة المعركة إصابتنا في الأفراد بست في المائة تقريبا نرجوا الله أن يتقبلهم في الشهداء وأما أصابتنا في الخنا دق فكانت بنسبة اثنين في المائة والحمد لله.

فإذا كانت جميع قوى الشر العالمي لم تستطع أن تحقق مرادها على ميل مربع بعدد بسيط من المجاهدين بإمكانيات متواضعة جدا فكيف يمكن لهذه القوى الشريرة أن تنتصر على العالم الإسلامي. فهذا محال بإذن الله إذا ثبت الناس على الدين وأصروا على الجهاد في سبيله.

فيا إخواننا المجاهدين في العراق :

لا يهولنكم ما تروج له أمريكا من أكاذيب حول قوتهم وحول قنابلهم الذكية والموجهة بالليزر، فالقنابل الذكية لا أثر لها يذكر في وسط الجبال وفي وسط الخنادق في السهول والغابات فهي لا بد لها من أهداف ظاهرة، أما الأهداف والخنادق المموهة تمويها جيدا فليس للقنابل الذكية ولا الغبية إليها من سبيل إلا بالضرب العشوائي الذي يبدد ذخيرة العدو وامواله، يبدد ذخيرة العدو ويبدد أمواله سدى، فعليكم بكثرة الخنادق كما جاء في الأثر عن عمر رضي الله عنه قال: "إدرعوا بالأرض" ، أي اتخذوا الأرض درعة فإن ذلك كفيل بإذن الله وفضله باستنزاف كامل المخزون من قذائف العدو خلال بضعة أشهر. وأما إنتاجهم اليومي فشيء يسير يسهل احتماله بإذن الله.

كما ننصح بأهمية استدراج قوات العدو إلى قتال طويل متلاحم منهك مستغلين المواقع الدفاعية المموهة في السهول والمزارع والجبال والمدن، وأخوف ما يخافه العدو هو حرب المدن والشوارع، تلك الحرب التي يتوقع العدو فيها خسائر فادحة باهظة في أرواحه.

كما نؤكد على أهمية العمليات الإستشهادية ضد العدو، تلك العمليات التي أنكت في أمريكا وإسرائيل نكاية لم يشهدوها في تاريخهم من قبل بفضل الله تعالى.

كما أننا نوضح أن كل من أعان أمريكا من منافقي العراق أو من حكام الدول العربية وكل من رضي بفعلهم، وتابعهم في هذه الحرب الصليبية بالقتال معهم أو بتوفير القواعد والدعم الإداري أو بأي نوع من أنواع الدعم والمناصرة لهم ولو بالكلام، لقتل المسلمين في العراق عليه أن يعلم أنه مرتد خارج عن الملة حلال المال والدم قال الله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين".

كما نؤكد على الصادقين من المسلمين أنه يجب عليهم أن يتحركوا ويحرضوا ويجيشوا الأمة في مثل هذه الأحداث العظام والأجواء الساخنة لتتحرر من عبودية هذه الأنظمة الحاكمة الظالمة المرتدة المستعبدة من أمريكا وليقيموا حكم الله على الأرض.

ومن أكثر المناطق تؤهلا للتحرير، الأردن والمغرب ونيجيريا وباكستان وبلاد الحرمين واليمن.

كما أنه لا يخفى أن هذه الحرب الصليبية تعني في أول ما تعني أهل الإسلام بغض النظر عن بقاء أو زوال الحزب الاشتراكي وصدام فيجب على المسلمين عامة وفي العراق خاصة أن يشمروا عن ساق الجد والجهاد ضد هذه الحملة الظالمة وأن يحرصوا على اقتناء الذخائر والسلاح فهذا أمر واجب عليهم متعين قال الله تعالى: "وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم. ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة".

ومعلوم أنه لا يجوز القتال لنصرة الرايات الجاهلية وكذلك يجب على المسلم أن تكون عقيدته ورايته واضحة في القتال في سبيل الله كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله" [متفق عليه].

ولا يضر في مثل هذه الظروف أن تتقاطع مصالح المسلمين مع مصالح الاشتراكيين في القتال ضد الصليبيين مع اعتقادنا وتصريحنا بكفر الاشتراكيين، فالاشتراكيون وهؤلاء الحكام قد

سقطت ولايتهم منذ زمن بعيد، والاشتراكيون كفار حيثما كانوا، سواء كانوا في بغداد أو عدن وهذا القتال الذي يدور أو الذي يكاد أن يدور في هذه الأيام يشبه إلى حد بعيد قتال المسلمين من قبل.

وتقاطع المصالح لا يضر فقتال المسلمين ضد الروم كان يتقاطع مع مصالح الفرس ولم يضر الصحابة رضي الله عنهم ذلك في شيء.

وقبل الختام :

نؤكد على أهمية البشائر ورفع المعنويات والحذر من الإرجاف والتخذيل والتثبيط والتنفير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بشروا ولا تنفروا"، وقال أيضا: "لصوت أبي طلحة في الجيش خير من ألف رجل".

وجاء في السير أن رجلا قال لخالد بن الوليد رضي الله عنه يوم اليرموك: "ما أكثر الروم وأقل المسلمين".

فقال له خالد رضي الله عنه: "بئس ما قلت. إن الجيوش لا تنصر بكثرة العدد وإنما تنهزم بالخذلان"- أو كلمة نحوها -

وليكن بين أعينكم قول الله تعالى: "ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض"، وقوله تعالى: "فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب".

وليكن عتابكم للصليبيين كما قال الشاعر:

ليس بيني وبينكم من عتاب سوى طعن الكلى وضرب الرقاب

وفي الختام أوصي نفسي وإياكم بتقوى الله في السر والعلن والصبر والمصابرة في الجهاد، فإنما النصر صبر ساعة، وأوصي نفسي وإياكم بكثرة الذكر والدعاء قال الله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون".

اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم
اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم
اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم
ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار
وصلي اللهم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

رسالة إلى إخواننا المسلمين في العراق "٢"

[الكاتب؛ أسامة بن محمد بن لادن]

الحمد لله ثم الحمد لله.

الحمد لله القائل : { يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير.

والصلاة والسلام على نبينا محمد القائل : ((من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون أهل فهو شهيد ((.

أما بعد :

فهذه الرسالة الثانية إلى اخواننا المسلمين في العراق :

يا أحفاد سعد والمثنى، وخالد والمعنى، ويا أحفاد صلاح الدين :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أحييكم واحيي جهدكم وجهادكم المبارك، فقد والله اثخنتم في العدو، وادخلتم السرور على قلوب المسلمين عامة، وأهل فلسطين خاصة، فجزاكم الله خيرا الجزاء، وان جهادكم جهاد مشكور، ثبت الله أقدامكم وسدد رميكم.

وابشروا فقد تورطت امريكا في مستنقعات دجلة والفرات، وقد كان بوش يظن أن العراق ونفطه غنيمة باردة، فها هو في مأزق حرج بفضل الله تعالى، وهاهي أمريكا اليوم قد بدأت تصيح بأعلى صوتها وتتضعضع أمام العالم أجمع، فالحمد لله الذي رد كيدها إلى أن تستنجد بأوباش الناس، وتتسول الجنود المرتزقة من الشرق والغرب.

ولا غرو فيما فعلتم بأمريكا هذه الفعال، وأنزلتم بها هذا النكال، فأنتم أبناء أولئك الفرسان العظام الذين حملوا الإسلام شرقا حتى وصلوا إلى الصين.

واعلموا ؛ أن هذه الحرب هي حملة صليبية جديدة على العالم الإسلامي، وهي حرب مصيرية للأمة بأسرها، ولها من التداعيات الخطيرة والاثار السيئة على الإسلام وأهله ما لا يعلم مداه إلا الله.

فيا شباب الإسلام في كل مكان، ولا سيما في دول الجوار واليمن :

عليكم بالجهاد والتشمير عن ساعد الجد، واتبعوا الحق، وإياكم ان تتبعوا الرجال الذين يتبعون أهوائهم ممن تثاقلوا إلى الأرض، أو ممن ركنوا إلى الذين ظلموا فيرجفوا بكم ويثبطوكم عن هذا الجهاد المبارك.

فقد تعالت اصوات في العراق - كما تعالت من قبل في فلسطين ومصر والاردن واليمن وغيرها - تنادي بالحل السلمي الديمقراطي في التعامل مع الحكومات المرتدة، أو مع الغزاة من اليهود والصليبيين، بدلا عن القتال في سبيل الله، لذا وجب التنبيه باختصار على خطورة هذا المنهج الضال المضل، المخالف لشرع الله، المعوق عن القتال في سبيله.

فكيف تطيعون مع تعين الجهاد من لم يغزو في سبيل الله ابدا، افلا تتدبرون ؟! فان أولئك هم الذين عطلوا طاقات الأمة من الرجال الصادقين، واحتكموا إلى أهواء البشر، إلى الديمقراطية ؛ دين الجاهلية، بدخول المجالس التشريعية، أولئك قد ضلوا ضلال بعيدا، واضلوا خلقا كثيرا.

فما بال هؤلاء يدخلون مجلس الشرك، مجلس النواب التشريعي، الذي هدمه الإسلام، وبذلك ينهدم رأس الدين، فماذا بقي لهم ؟! ثم يزعمون انهم على الحق ! انهم على خطأ عظيم، وعلم الله ان الإسلام من أفعالهم بريء.

فالإسلام ؛ دين الله، ومجالس النواب التشريعية ؛ دين الجاهلية، فمن أطاع الأمراء أو العلماء في تحليل ما حرم الله، كدخول المجالس التشريعية أو تحريم ما أحل الله - كالجهاد في سبيله - فقد اتخذهم أربابا من دون الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ثم اني أوجه النداء للمسلمين عامة ولشعب العراق خاصة، فاقول لهم :

أياكم ومناصرة قوات امريكا الصليبية ومن شايعها، وان كل من يتعاون معها وما انبثق عنها - بغض النظر عن الاسماء والمسميات - فهو مرتد كافر.

وكذلك حكم من يناصر الأحزاب الكفرية - كحزب البعث العربي الاشتراكي والاحزاب الكردية الديمقراطية وما شابهها -

ولا يخفى ؛ ان اي حكومة يتم تشكيلها من طرف أمريكا هي حكومة عميلة خائنة، كسائر حكومات المنطقة، بما فيها حكومتا كرزاي ومحمود عباس التان انشأتا (لازهاق) الجهاد.

وما خارطة الطريق إلا حلقة جديدة في سلسلة المؤامرات لانهاء الانتفاضة المباركة، فيجب ان يستمر الجهاد إلى ان تقوم حكومة إسلامية تحكم بشرع الله.

فيا ايها المسلمون :

ان الأمر جد ليس بالهزل، فمن كان له جهد أو رأي أو (مبدأ) أو بأس أو مال ؛ فهذا وقته، ففي مثل هذه الأحداث يتمحص الناس، ويعلم الصادق من الكاذب، والغيور على الدين من القاعد.

ويرتجى من الحرائر الكريمات المسلمات الابيات ؛ أن يقمن بدورهن.

واني لاقول لاخواني المجاهدين في العراق :

اني والله اشاطركم همومكم، واشعر بشعوركم، وأغبطكم على ما أنتم فيه من جهاد، وعلم الله لو وجدت سبيلا إلى ساحاتكم ما قعدت.

وكيف اقعد، و قد مرنا معنا أن رسولنا صلى الله عليه وسلم - اسوتنا وقدوتنا - قال : ((والذي نفس محمد بيده لولا أن اشق على المسلمين، ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله ابدا))، وقال : ((والذي نفس محمد بيده ؛ لوددت أن اغزو في سبيل الله فاقتل، ثم اغزو فاقتل، ثم اغزو فاقتل))، فهذا هو طريق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وهو طريق نصرة الدين، واقامة دولة المسلمين فالزموه، ولا يلزمه إلا الصادقون.

فيا معاشر المسلمين، يا معاشر ربيعة ومضر، ويا معاشر بني الاكراد :

ارفعوا رايتكم - رفعكم الله - ولا يهولنكم هؤلاء العلوج باسلحتهم، فان الله قد أوهن كيدهم وأذهب ريحهم، فلا تروعنكم كثرتهم، فان قلوبهم خاوية وان أمرهم قد بدأ يضعف ويضطرب عسكريا وكذلك اقتصاديا، وخاصة بعد يوم نيويورك المبارك بفضل الله.

فقد بلغت خسائرهم بعد الضربة وتداعياتها أكثر من ترليون دولار - أي ألف ألف مليون دولار - وقد سجلو ايضا عجزا في ميزانياتهم للسنة الثالثة على التوالي، وقد بلغ في هذا العام رقما قياسيا حيث قدر باكثر من اربعمئة وخمسين ألف مليون دولار، فلله الحمد والمنة.

وفي الختام :
فإلى اخواني المجاهدين في العراق، إلى الأبطال في بغداد - دار الخلافة - وما حولها :
وإلى أنصار الإسلام، احفاد صلاح الدين :
وإلى الأحرار من أهل بعقوبة والموصل والانبار :
وإلى الذين هاجروا في سبيل الله حتى يقتلوا نصرة (لدينهم) وتركوا الوالد والولد، والأهل والبلد :
فإلى هؤلاء وهؤلاء :
فاني أقرئكم جميعا السلام، واقول لكم :
انكم جند الله، وسهام الإسلام، وخط الدفاع الأول عن هذه الامة اليوم.
وان الروم قد اجتمعوا تحت راية الصليب لقتال أمة الحبيب محمد عليه الصلاة والسلام، فاحتسبوا جهادكم، واني لارجو ان لا يؤتى المسلمون من قبلكم، فالله الله فيما أئتمنتم عليه، وما يعلق عليكم بعد الله من آمال عظام، فلا تفضحوا المسلمين اليوم، وتمثلوا بما تمثل به سعد رضي الله عنه يوم الخندق، حيث قال :

لبث قليلا
يلحق الهيجا حمل
لا باس بالموت
إذا حان الأجل

أجل ؛ لا باس بالموت إذا حان العجل.
اللهم هذا يوم من أيامك، فخذ بقلوب شباب الإسلام ونواصيهم إلى الجهاد في سبيلك.
اللهم اربط على عقيدتهم وثبت اقدامهم، وسدد رميهم والف بين قلوبهم.
اللهم انزل نصرك على عبادك المجاهدين في كل مكان، في فلسطين والعراق والشيشان وكشمير والفلبين وافغانستان.
اللهم فرج عن اخواننا الأسرى في سجون الطغاة، في أمريكا وغوانتانامو وفي فلسطين المحتلة والرياض، وفي كل مكان، انك على كل شيء قدير.
اللهم ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين.
[والله غالب على امره ولكن اكثر الناس لا يعلمون]
وصل اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين
وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

نص كلمة الشيخ أسامة بن لادن
بمناسبة الذكرى الثانية
لغزوتي نيويورك وواشنطن

إن هؤلاء الفتية كبدوا العدو خسائر فادحة معنوية ومادية كما أحبطوا مخططاته العدوانية فقد ظهر بالوثائق أن هذا العدوان في احتلال المنطقة وتقسيمها قد بيت بليل قبل ستة أشهر من الغزوتين فكان إرباك العدو كافيا للناس بان ينتبهوا من غفوتهم ويهبوا من سباتهم للجهاد في سبيل الله.

وقد تشرفت بالتعرف على هؤلاء الرجال وبمثل هؤلاء يتشرف الناس، كيف لا، وقد شرفهم الله ووفقهم لنصرة الإسلام ولا أراهم إلا غرسا غرسهم الله في دينه واستعملهم في طاعته...

فلله درهم أولئك إبائي فردني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

فمن أراد أن يتعلم الصدق والوفاء والكرم لنصرة الدين من قدوات معافرة فليغترف من بحر محمد عطا وخالد المحضار وزياد الجراحي ومروان الشحي وإخوانهم يرحمهم الله فان هؤلاء تعلموا من سيرة سيدنا محمد عليه السلام فهو أصدق الناس وأشجع الناس وأكرم الناس، وقد قال عليه السلام ثم لا تجدوني بخيلا ولا جبانا ولا كذوبا.

وهذه الصفات ضرورية لقيام الدين، فمن فاتته هذه الصفات فلن ينصر دين الله ويقيمه وهنا أقول لمن فاتته بعض هذه الصفات من المخلفين والمخذلين عن الجهاد ممن لم يكن بالقتل مقتنعا بان يخلي الطريق ولا يغوي من اقتنع وأقول لهم:

من يتهيب صعود الجبال يعش أبد الدهر بين الحفر

وهذا الفتى المؤمن وإخوانه صغار السن والمرء بأصغريه: قلبه ولسانه، ولكنهم كبار العقول والهمم وحافظوا على سلامة عقولهم من أن تداس أو يغرر بها من خلال الحكومات العميلة و مؤسستها التي تصور المنكر معروفا والمعروف منكرا والباطل حقا والعدو صديقا مرات ومرات لأن هؤلاء الشباب مؤمنون حقا والمؤمن لا يلدغ من الجحر مرتين كما قال نبينا علية الصلاة والسلام، إن هؤلاء الفتية يعلمون أن طريق الهلاك في تعطيل الشريعة ولو في بعض أحكامها ويرفضون المداهنة في ذلك ولو للأمراء أو للعلماء ويعتقدون أن سلامة الشريعة مقدمة على سلامة الرجال مهما عظموا والناس في دين الله سواسية ويهتدون بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: (وايم الله: لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها).

إن هؤلاء الفتية قد فقهوا معنى لا اله إلا الله وأنها رأس الإسلام وأنها يجب أن تكون مهيمنة وحاكمة لنا في جميع شؤون حياتنا ولما كان الأمر غير كذلك بل أن أهواء الحكام وتشريعاتهم هي المهيمنة على الناس وان سمحوا ببعض الشعائر للناس. عند ذلك علم هؤلاء الفتية بان الحكام ليسوا على شئ بل إنهم مرتدون وان صلوا وصاموا وزعموا أنهم مسلمون فرفض هؤلاء الفتية أن يقعدوا مع القاعدين وان يعملوا في أمر النار بسلام وإنما نفروا وسارعوا لإقامة ونصرة كلمة التوحيد لا اله إلا الله وان محمدا رسول الله فجاهدوا الكفار وكان حالهم كحال معاذ بن الجموح عندما سأل عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما قائلا يا عم هل تعرف أبا جهل. فقال نعم وما

حاجتك به يا ابن أخي. فقال أخبرت.انه يسب رسول الله والذي نفسي بيده لان رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا.

هكذا الصدق هكذا الإيمان وان لكل أمر حقيقة. فحقيقة هؤلاء الفتيه أنهم دللوا على صدق إيمانهم بتقديم أنفسهم و رؤوسهم في سبيل الله فوطئوا موطئا أغاظ الكفار غيظا عظيما وسيغيظهم إلى زمن بعيد بأذن الله.

وعندما اتجهوا إلى التطبيق العملي والحلول الجذرية لنصرة الدين رموا بعرض الحائط الحلول الكفرية الظالمة حلول الأمم المتحدة والبرلمانات وحلول الحكام الطغاة الذين جعلوا من أنفسهم آلهة تشرع من دون الله. كما أنهم لم يلتفتوا للحلول العقيمة: حلول الموسوسين القاعدين المخلفين من الأعراب الذين شغلتهم أموالهم وأهليهم وخادعتهم أنفسهم بأنهم منشغلون بالإعداد منذ عشرات السنين وشتان بين من ينظر إلى ميادين الإعداد وساحات الجهاد على أنها مشقة وفراق للآباء والأبناء ومخاطرة بالنفس والمال فيقعد له الشيطان في طريق الجهاد فيقعده مع القاعدين وبين من ينظر إلى ساحات الجهاد بأنها سوق الجنة مفتحة الأبواب يخشى إن تأخر ساعة أن تغلق دونه ويخشى كره الله انبعاثه فيثبطه كما قال الله تعالى: [ولو أرادوا الخروج لأعدوا له العدة ولكن الله كره انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين].

كما يخشى إن لم يستجب لأمر الله وعصاه بالقعود عن الجهاد بطاعته المخلفين من الأعراب وأن يحال بينه وبين قلبه الذي بين جنبيه فيضل ضلالا مبينا ويكون من الفاسقين وقال الله تعالى: [يأيها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وانه إليه تحشرون].

وقال الله تعالى: [قل إن كان آبائكم وأبنائكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين].

أسامة بن محمد بن لادن

رسالة أسامة بن لادن للشيخ عبدالعزيز بن باز" مفتي السعودية الأسبق"

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، نحمد الله إليكم الذي أنزل الكتاب آيات بينات، ورفع الذين أوتوا العلم درجات، وأخذ عليهم ميثاقا بالصدع بالحق وبيانه وحذرهم من المداهنة فيه وكتمانه. والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد القائل ((أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر)) [حديث صحيح رواه أحمد وغيره[

وبعد..

فإن من المعلوم لديكم ما حبا الله به أهل العلم من منزلة عظيمة، وأعطاهم من مكانة كريمة، ولا غرو في ذلك، فالعلماء هم ورثة الأنبياء، ورثوا عنهم هذا الدين، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، وتمييع الظالمين المسرفين، ويمثلون القدوة الحسنة والأسوة المثلى للأمة في النهوض بأعباء الانتصار للحق وإيثاره على ما عند الخلق.
وقد قام العلماء الصادقون من سلف الأمة وخلفها خير قيام بهذه المهمات، وما وقوف سعيد بن جبير في وجه طغيان الحجاج صادعا بالحق، وتحدي الإمام أحمد بن حنبل لجبروت الحكم والسلطا ن وصبره في فتنة الخلق بالقرآن، وتحمل ابن تيمية وحسن بلائه في السجن انتصارًا للسنة، إلا نماذج من القيام بواجب النصرة للحق وأهله، قام بها هؤلاء الأئمة الأعلام انتصاراً للحق و غيرة على الدين، رحمهم الله جميعًا.

فضيلة الشيخ؛ لقد أردنا من ذكر ما سبق تذكيركم بواجبكم تجاه الدين، وتجاه الأمة وتنبيهكم إلى مسئوليتكم العظيمة، فإن الذكرى تنفع المؤمنين.. أردنا تذكيركم في هذا الوقت الذي انتفش فيه الباطل، وعربد المبطلون المضلون، ووئد الحق، وسجن الدعاة، وأسكت المصلحون، والأغرب أن ذلك لم يتم بعد بعلم منكم وسكوت فقط، بل مُرر على ظهر فتاواكم ومواقفكم، ونحن سنذكركم - فضيلة الشيخ - ببعض هذه الفتاوى والمواقف التي قد لا تلقون لها بالأ، مع أنها قد تهوي بها الأمة سبعين خريفًا في الضلال، كي تدركوا معنا ولو جانبًا من خطورة هذا الأمر والآثار السيئة المترتبة عليه. وإليكم بعض الأمثلة :

١ - إن مما لا يخفى على أحد المدى الذي وصل إليه انتشار الفساد العارم والذي شمل كافة نواحي الحياة حيث فشت منكرات المختلفة التي لم تعد تخفى على أحد، كما فصلت مذكرة النصيحة التي تقدم بها نخبة من العلماء ودعاة الإصلاح، وكان من أخطر ما بينوا هو الشرك بالله الم تمثل في التشريع وسن القوانين الوضعية التي تستبيح المحرمات والتي من أشنعها التعامل بالربا المتفشي ففي البلاد، وذلك من خلال مؤسسات الدولة وبنوكها الربوية التي تزاحم أبراجها مآذن الحرمين، وتعج بها البلاد طولها وعرضها.
ومما هو معلوم بالضرورة أن الأنظمة والقوانين الربوية التي تتعامل بها هذه البنوك والمؤسسات مشرعة من قبل النظام الحاكم ومصدق عليها منه، ومع ذلك لم نسمع منكم إلا أن

تعاطي الربا حرام لا يجوز، غير مكترثين بما في كلامكم هذا من التلبيس على الناس، بعدم التفريق بين حكم من يتعاطى الربا فقط، وحكم من يشرع الربا ويقننه ... مع أن الفرق بينهما واضح كبير، فمتعاطي الربا مرتكب لموبقة من أكبر الموبقات، أما مشرع الربا فهو مرتد كافر كفرًا مخرجًا من الملة بعمله هذا، لأنه جعل من نفسه ندًا لله وشريكًا له في التحليل والتحريم - وهذا ما فصلناه في بحث مستقل سينشر قريبًا إن شاء الله -

ومع أن متعاطي الربا غير المنتهي عنه قد أعلن الله ورسوله عليه الحرب { فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله } فما زلنا نسمع منكم عبارات الثناء والإطراء لهذا النظام الذي لم يكتف بالإدمان على تعاطي الربا فقط، بل شرعه وقننه وأباحه، وقد قال صلى الله عليه وسلم : ((الربا ثلاثة وسبعون بابًا أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه)) [صحيح رواه الحاكم].
وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما : (فمن كان مقيمًا على الربا لا ينزع عنه، فحق على إمام المسلمين أن يستتيبه، فإن نزع وإلا ضرب عنقه) [رواه ابن جرير بسنده عن ابن عباس].. هذا فيمن يتعاطى الربا.. فما بالكم بمن يحلل ويشرع الربا إن ما تتخبط فيه البلاد من أزمات اقتصادية وسياسية وما انتشر فيها من الجرائم بشتى أنواعها، وبشكل مذهل ما هو إلا عقوبة من الله، وجزء من الحرب التي أعلنها سبحانه على من لم ينته عن تعاطي الربا ونحوه من المنكرات والمحق الذي حكم به على الربا { يمحق الله الربا ويربي الصدقات }.

٢ ـ وحينما علق الملك الصليب على صدره، وظهر به أمام العالم فرحًا مسرورًا، تأولتم فعله، وسوغتموه مع شناعته وفظاعته، رغم وضوح أن هذا الفعل كفر، والظاهر من حال فاعله الرضا والاختيار عن علم.

٣ ـ ولما قررت قوات التحالف الصليبية واليهودية الغازية في حرب الخليج ـ بتواطؤ ـ مع النظام احتلال البلاد باسم تحرير الكويت سوغتم ذلك بفتوى متعسفة بررت هذا العمل الشنيع الذي أهان عزة الأمة ولطخ كرامتها، ودنس مقدساتها معتبرة ذلك من باب الاستعانة بالكافر عند الضرورة، مهملة قيود هذه الاستعانة، وضوابط الضرورة المعتبرة.

٤ ـ ولما قام النظام السعودي الحاكم بمساعدة ودعم رؤوس الردة الاشتراكية الشيوعية في اليمن، ضد الشعب اليمني المسلم في الحرب الأخيرة التزمتم الصمت،ثم لما دارت الدائرة على هؤلاء الشيوعيين أصدرتم ـ وبإيعاز من هذا النظام ـ "نصيحة !" تدعو الجميع إلى التصالح والتصافح باعتبارهم مسلمين !! موهمة أن الشيوعيين مسلمون يجب حقن دماءهم، فمتى كان الشيوعيون مسلمين ؟ ألستم أنتم الذين أفتيتم سابقًا بردتهم ووجوب قتالهم في أفغانستان، أم أن هناك فرقًا بين الشيوعيين اليمنيين والشيوعيين الأفغان ؟ فهل ضاعت مفاهيم العقيدة وضوابط التوحيد واختلطت إلى هذا الحد ؟.
وما زال هذا النظام يؤوي أئمة الكفر هؤلاء في مختلف مدن البلاد ولم نسمع لكم نكيرًا، وقد قال صلى الله عليه وسلم : ((لعن الله من آوى محدثًا)) [رواه مسلم].

٥ـ وحينما قرر النظام البطش بالشيخ سلمان العودة والشيخ سفر الحوالي، اللذين صدعا بالحق وتحملا في الله الأذى، استصدر منكم فتوى سوغ بها كل ما تعرض ويتعرض له الشيخان !!!!

ومـن معهمـا مـن دعـاة ومشائخ وشباب الأمة من البطش والتنكيل.. فك الله أسرهم ورفع عنهم ظلم الظالمين.

هذه بعض ا لأمـثلة الـتي لم نقصد مـنها الحصـر ولكـن اقتضى المقام ذكرها ونحن بين يدي فـتواكم الأخـيرة بشـأن مـا يسمى بهتانًا بالسـلام مـع اليهود والتي كانت فاجعة للمسلمين، حيث اسـتجبتم للرغـبة السياسـية للـنظام لـما قـرر إظهار مـا كان يضمره من قبل، من الدخول في هذه المهـزلة الاستسـلامية مـع الـيهود، فأصـدرتم فـتوى تبيح السلام مطلقًا مقيدًا مع اليهود، فما كان مـن رئيس وزراء العدو الصهيوني وبرلمانه إلا أن صفقوا لها وأشادوا بها، كما أعلن الـنظام السعودي عقبها عن نيته في تنفيذ المزيد من التطبيع مع اليهود.

وكـأنكم لم تكتفوا بإباحـة بـلاد الحـرمين الشـريفين لقـوات الاحتلال اليهودية والصليبية، حـتى أدخلـتم ثالـث الحرمين في المصيبة بإضفائكم الشرعية على صكوك الاستسلام التي يوقعها الخونـة والجبـناء مـن طواغيـت العـرب مـع اليهود إن هذا الكلام خطير كبير، وطامة عامة لما فيه من التدليس على الناس والتلبيس على الأمة من عدة جوانب منها :

١ ـ إن العـدو الـيهودي الحـالي لـيس إلا عـدوًا مستقرًا في بلاده الأصلية محاربًا من الخارج حتى يجـوز معـه الصـلح، بل هو عدو صائل مفسد للدين والدنيا، وعليه ينطبق كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (والعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه، فلا يشـترط له شـرط، بـل يدفـع بحسب الإمكـان، وقـد نص على ذلك العلماء أصحابنا وغيرهم) [الاختيارات الفقهية ص٣٠٩]

إن الواجـب الشـرعي تجاه فلسـطين وأخوانـنا الفلسـطينين مـن المستضـعفين مـن الـرجال والنساء والولدان الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً، هو الجهاد في
سـبيل الله وتحـريض الأمـة علـيه حـتى تـتحرر فلسـطين عـن أخـرها وتعـود إلى السـيادة الإسـلامية. وفلسطين في غـنى عـن مثل هذه الفتاوى المخذلة عن الجهاد والمخلدة إلى الأرض، هذه الفـتاوى الـتي تقـر احـتلال العـدو لأقـدس مقدسـات المسلمين بعـد الحـرمين الشريفين، وتضفي الشـرعية علـيه، وتدعـم بكـل قـوة مساعي العـدو لضـرب الجهـود الإسـلامية المـتلهفة لـتحرير فلسـطين عـن طـريق الجهـاد الـذي أكـد مـن خلال عمليات أبطال الحجارة وشباب الجهاد المسلم في فلسطين أنه السبيل الوحيد الناجع في مواجهة العدو والكفيل بتحرير الأرض إن شاء الله.

ونذكـركم هـنا بفتواكم السابقة في هذا الشأن، لما سئلتم عن السبيل لتحرير فلسطين، فقلتم أنـه : (لا يمكـن الوصـول إلى حـل لـتلك القضـية إلا باعتـبار القضـية إسـلامية، وبالـتكاتف بـين المسلمين لإنقاذهـا، وجهـاد الـيهود جهـادًا إسـلاميًا حـتى تعـود الأرض إلى أهلها، وحتى يعود شذاذ اليهود إلى بلادهم) [فتاوى بن باز ٢٨١/١].

٢ ـ هـب أن هـذا العـدو اليهودي عدو يجوز الصلح معه وتوفرت فيه الشروط، فهل ما تقوم به الأنظمـة والحكومـات الطاغوتـية العربـية الانهزامـية مـع الـيهود مـن سـلام كـاذب مزعوم يعتبر سلامًا تجوز إقامته مع العدو؟

. الكل يدرك أنه ليس كذلك فهذا لسلا م المزعوم الذي يتهافت فيه المتهافتون الآن من الحكام والطواغيت مع اليهود ما هو إلا خيانة كبرى تتمثل في توقيع صكوك استسلام وتسليم للقدس وفلسطين كلها من قبل هذه الحكومات لليهود، والاعتراف بسيادتهم عليها إلى الأبد.

٣ـ إن هؤلاء الحكام المرتدين المحاربين لله ورسوله لا شرعية لهم ولا ولاية لهم على المسلمين وليس لهم النظر في مصالح الأمة، ولكنكم بفتواكم هذه تعطون الشرعية لهذه الأنظمة العلمانية وتعترفون بولايتها على المسلمين، وهذا ما يتناقض مع عرف عنكم من تكفيرها في السابق، وقد بين لكم ذلك نخبة من العلماء والدعاة في مناشدتهم إياكم سابقًا بالامتناع عن هذه الفتوى، وسنرفق لكم صورة من تلك المناشدة تذكيرًا لكم وتنبيهًا.

إن فتواكم هذه كانت تلبيسًا على الناس لما فيها من إجمال مخل وتعميم مضل، فهي لا تصلح فتوى في حكم سلام منصف، فضلاً عن هذا السلام المزيف مع اليهود الذي هو خيانة عظمى للإسلام والمسلمين، لا يقرها مسلم عادي فضلاً عن عالم مثلكم يفترض فيه من الغيرة على الملة والأمة.

إن الواجب فيمن يتصدى للفتوى في قضايا الأمة الخطيرة الكبيرة، أن يكون على علم بأبعادها وما قد يترتب عليها من أضرار وأخطار، لأن العلم بذلك من شروط المفتي التي لا غنى عنها، يقول الإمام ابن القيم : (ولا يتمكن المفتي ولا الحاكم من الفتوى والحكم بالحق إلا بنوعين من الفهم، أحدهما فهم الواقع والفقه فيه واستنباط علم حقيقة ما وقع بالقرائن والأمارات والعلامات حتى يحيط بها علمًا، والنوع الثاني فهم الواجب في الواقع وهو فهم حكم الله الذي حكمه في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم في هذا الواقع، ثم يطبق أحدهما على الأخر) [إعلام الموقعين ٨٧/١].

وإذا كانت الشروط لازمة للفتوى بصورة عامة، فإنها تتأكد في الفتوى فيما يتعلق بالجهاد والصلح ونحوه، يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله : (والواجب أن يعتبر في أمور الجهاد برأي أهل الدين الصحيح الذين لهم خبرة بما عليه أهل الدنيا، دون الذي يغلب عليهم النظر في ظاهر الدين، فلا يؤخذ برأيهم، ولا برأي أهل الدين الذين لا خبرة لهم في الدنيا) [الاختيارات الفقهية ٣١١].

إن الفتاوى السابقة لو صدرت عن غيركم لقيل بتعمد صاحبها ما تتضمنه من الباطل، ويترتب عليها من أثار وأخطار، ولكنها لما صدرت منكم تعين أن يكون سبب الخلل فيها غير ذلك من الأسباب التي لا ترجع إلى نقص علمكم الشرعي، ولكن لعدم إدراك حقيقة الواقع، وما يترتب على مثل هذه الفتاوى من أثار، مما يجعل الفتوى حينئذ غير مستوفاة الشروط ومن ثم لا يصح إطلاقها، مما يحتم على المفتي عندئذ أن يتوقف عن الفتوى أو يحيلها حينئذ على المختصين الجامعين بين الحكم الشرعي والعلم بحقيقة الواقع.. وقد ثبت أن الإمام أحمد بن حنبل كان يتوقف في كثير من المسائل وقد كان الإمام مالك إذا سئل عن القراءات أحال إلى الإمام نافع رحمهم الله جميعًا.

فضيلة الشيخ: إن إشفاقنا البالغ على حال الأمة والعلماء من أمثالكم هو الذي دفعنا لتذكيركم، فإننا نربأ بكم وبأمثالكم عن أن يستغلكم النظام الحاكم هذا الاستغلال الفظيع ويرمي بكم في وجه كل داعية ومصلح، ويسكت بفتاواكم ومواقفكم كل كلمة حق ودعوة صدق، كما حدث عند ردكم على "مذكرة النصيحة" و "لجنة الدفاع عن الحقوق الشرعية" وغيرها.

فضيلة الشيخ: لقد تقدمت بكم السن، وقد كانت لكم أياد بيضاء في خدمة الإسلام سابقاً، فاتقوا الله وابتعدوا عن هؤلاء الطواغيت والظلمة الذين أعلنوا الحرب على الله ورسوله، وكونوا مع الصادقين، وإن لكم في سلف الأمة وخلفها الصالح أسوة حسنة فقد كان من ابرز سمات العلماء الصادقين الابتعاد عن السلاطين، فقد فر الإمام أبو حنيفة رحمه الله وغيره من العمل مع حكام عصره على رغم استقامتهم الكبيرة على الدين إذا ما قورنوا مع حكام اليوم الذين لا يخفى ما هم عليه من فساد الدين وسوء الحال، وفي زماننا هذا،حينما أدرك العلامة الشيخ عبدالله بن حميد رحمه الله خطورة المسار الذي يمضي فيه النظام السعودي الحاكم وما يترتب عليه من خطر وضرر لمن يشاركه أو يختلط به آثر الفرار بدينه واستقال من رئاسة مجلس القضاء الأعلى.. وقد قال الإمام الخطابي - رحمه الله - في التحذير من الدخول على هؤلاء الحكام ((ليت شعري من الذي يدخل عليهم اليوم فلا يصدقهم على كذبهم ومن الذي يتكلم بالعدل إذا شهد مجالسهم ومن الذي ينصح ومن الذي ينتصح منهم)) كتاب العزلة

وقد صح الحديث : ((من أتى أبواب السلطان افتتن)) فاحذروا فضيلة الشيخ الركون إلى هؤلاء بقول أو عمل { ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون } ، إن من لم يستطع الجهر بالحق والصدع به فلا أقل يئنئذ على المختصين الجامعين بين العلم بالحكم الشرعي من أن يمتنع من الجهر بغير الحق، قال صلى الله عليه وسلم: ((ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت)) [رواه البخاري].

وأخيرًا: نرجو أن لا تجدوا في أنفسكم من هذا الكلام وتعتبروه خارجًا عن آداب النصح وما تقتضيه من إسرار وعدم إشهار فالأمر جلل خطير ومهم كبير لا يسوغ عنه السكوت، ولا يجوز عنه التغاضي.

وما ذكرناه معلوم لدى أهل العلم، وقد سبقنا إلى تنبيهكم عليه نخبة من علماء ودعاة الأمة، حيث تقدموا لكم بمناشدات عدة في هذا الصدد منها مناشدتهم إياكم قبل مدة بالامتناع عن الفتوى بجواز هذا السلام الاستسلامي المزعوم مع اليهود، مبينين عدم استيفائه للشروط اللازمة شرعًا، محذرين من المخاطر الجمة الدينية والدنيوية المترتبة عليه، ومن الموقعين على تلك المناشدة الشيوخ الأفاضل - ابن جبرين، عبدالله القعود، حمود التويجري، حمود الشعيبي، البراك، العودة، الخضيري، الطريري، الدبيان، عبدالله التويجري، عبدالله الجلالي، عائض القرني، وغيرهم كثير -

وفي حرب اليمن الأخيرة لما صدر منكم الكلام المشار إليه سابقًا أصدر خمسة وعشرون عالمًا فتوى معارضة له مبينة الصواب الشرعي في المسألة، ومن هؤلاء العلماء الأفاضل، المسعري، الشعيبي، الجلالي، العودة، الحوالي، العمر، اليحيى، التويجري.. وغيرهم كثير.

وفي الختام نسأل الله تبارك وتعالى أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه، ويرنا لباطل باطلاً ويرزنا اجتنابه، وأن يبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل طاعته ويذل فيه أهل معصيته ويؤمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر ويحكم فيه بالعدل ويصدع فيه بالحق، وتعلو فيه راية الجهاد خفاقة، لتستعيد الأمة عزتها وكرامتها، وترفع راية التوحيد فيه من جديد فوق كل أرض إسلامية سليبة.. ابتداء بفلسطين ووصولاً إلى الأندلس وغيرها من بلاد الإسلام الضائعة بسبب خيانات الحكام وتخاذل المسلمين

كما نسأله تعالى أن يولي أمورنا خيارنا ويصرف عنا شرارنا

ونسأله السداد في القول والصواب في العمل والتوفيق لما يحبه ويرضاه في الحياة وحسن الختام عند الممات

إنه ولي ذلك والقادر عليه

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

]التاريخ ٢٧/٠٧/١٤١٥هـ

هيئة النصيحة والإصلاح / مكتب لندن

عنهم : أسامة بن محمد بن لادن

أســـــامة بن لادن
يروى قصة مأســدة الأنصـــار

حضـر أسامة بـن لادن إلى باكستان بعد أن علم بالغزو السوفيتي لأفغانستان. وكان حضوره بعد سبعة عشـر يومـاً فقط من الغزو.. ولم يكن قد سمع من قبل عن أفغانستان.. سوى أنها بلد مسلم وبه خيول ممتازة.!

يقول ((أبو محمود السوري أحد أعضاء تنظيم القاعدة)) عن أول رحلة لأسامة بن لادن : إن أسامة بن لادن.. حضر إلى لاهور.. وذهب إلى أمير الجماعة الإسلامية بباكستان.. في الليل.. وسلم لـه مـبلغاً مـن المـال تـبرعاً للمجاهدين ووعـده أمـير الجماعـة بإيصال هذا المبلغ للمجاهدين.. وفي زيـارة تالية أخبره أمير الجماعة بأن المبلغ قد سلم إلى قادة الجهاد الأفغاني آنذاك (رباني وحكمت يار) لأنـه لم يكن في الساحة في ذلك الوقت سواهم (فقد كان سياف في السجن. وأفرج عنه عام ١٩٨٠ خطأً)

توالى حضور أسامة بن لادن متبرعاً.. وعندما عرف أماكن تواجد المجاهدين في بيشاور ذهب بنفسه إليهم.. وفي كل مرة يحضر فيها إلى باكستان كان يصحب معه أحد الإخوة.. وكان العرب في ذلك الوقت يحضـرون إلى ((بيشاور)) فـرادي. وفي عـام ١٩٨٤ قـرر أبو عبد الله أن يكون التواجد العـربي مـنظماً ولـه أهـداف محـددة لكي يكون للعـرب دور فعـال في الجهاد.. وفتح من أجل ذلك مكتـبا يـرعاه ويقـوده الشيخ عـبدالله عـزام لـيقوم بـاستقبال الإخوة العرب الذين يحضرون من الخارج. وإعدادهم وإرسالهم إلى داخل أفغانستان.

تجربة مكتب الخدمات

وعـن هـذه الـتجربة يقـول (أبـو محمـود السوري) كان لهذا المكتب إيجابيات وسلبيات.. فأول مسـئول تـولى هـذا المكتـب كـان شـاباً اسمـه أبـو أكـرم - أردنـي - جلـس عدة أشهر وعاد إلى الأردن.. لشكوته المستمرة من عدم وجود نظام للعمل بالمكتب والمركزية الشديدة في العمل.. من قبل أمير المكتـب الشـيخ عـبد الله عـزام.. ويضـيف السورى كانـت الشكوى الغالـبة لكـل مـن تولى إدارة هذا المكتب هو عدم وجود صلاحيات محددة.. والفوضى في اتخاذ القرارات.. وقد اشتكى كل من تولى إدارة المكتـب مـن نفـس الشكوى.. وهـم عـلى مـا أذكر أبو أسامة الفلسطيني، وأبو هاجر العراقي، وأبو داود الأردني، وأبو محمد السوداني. جميعهم أجمعوا على هذه الشكوى.

ويضيف أبو محمد السوري وهو من مؤسسي مأسدة الأنصار

رغـم كـثرة السلبيات فإن إيجابياته كانت أكثر من سلبياته.. لأنها هي التي أوصلت المجاهدين العرب إلى المرحلة التي وصلنا إليها حيث ازداد العرب وشاركوا مشاركة فعالة في المعارك

تكوين مكتب الخدمـات

كـان مكتـب الخدمات عبارة عن بيت ضيافة كبير. حيث تم استئجار فيلا كبيرة لهذا الغرض يـنزل ويقـيم بها الشباب العربـي.. أما إدارته فقد تشكلت من عدة لجان.. وهي : اللجنة العسكرية - واللجنـة الإداريـة - ولجـنة التدريـب - ولجـنة الترحـيل.(وهي خاصة بترحيل القوافل إلى داخل

الأراضي الأفغانية) وكان أسامة بن لادن يدفع شهرياً حوالي نصف مليون روبية لمصاريف المكتب فقط أي حوالي خمسة وعشرين ألف دولار أمريكي.. وعندما ازدادت أعباء المكتب بين ١٩٨٥-١٩٨٦ قرر أسامة بن لادن الحضور بنفسه والإقامة بشكل دائم، حيث كان حتى هذه اللحظة يحضر من حين لآخر فقط.. وكان يفكر في نفس الوقت بتطوير دعمه للجهاد الأفغاني.. فبدلاً من دفع أموال وإعانات للجهاد.. قرر أن يقوم بمشاريع تنفع المجاهدين.. وذلك بإنشاء الطرق في الجبال وحفر الأنفاق و المخابئ الهائلة لحماية المجاهدين الأفغان من القصف الجوي.. وكانت هذه المشروعات بالتنسيق مع أشقائه أصحاب مؤسسة بن لادن الضخمة الذين ساعدوه مساعدة فعالة بإرسالهم معدات حفر و بلدوزرات ضخمة ومولدات كهرباء إلى داخل أفغانستان.

وقد بدأ أبو عبد الله فعلاً في العمل بنفسه في شق الطرق.. وحفر الخنادق والكهوف عام ١٩٨٦ .. وكان قد أختار مجموعة لتدريبهم على هذه الأعمال وكان ذلك شهر أغسطس عام ١٩٨٦ واختاروا موقعاً لهم في منطقة (جاجي) أطلق عليه (العرين) وكانت هذه هى بداية مأسدة الأنصار أو ماعرف فيما بعد بتنظيم القاعدة.

قصة مأســـــدة الأنصـــــار

كما يرويها أسامة بن لادن

يقول أسامة بن لادن في حديث طويل أجراه معه أحد أعضاء القاعدة على عدة مراحل في كل من أفغانستان وجده ونشره على عدد من المواقع الأصولية على شبكة المعلومات الدولية "الأنترنت"

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . . . أما بعد، فمن باب الحديث بالنعمة التي منّ الله سبحانه وتعالى علينا.. وتحريضاً للمؤمنين على هذا الأمر العظيم.. فمن فضله سبحانه وتعالى أنه في عام ١٣٩٩ هـ سمعنا أن الروس قد دخلوا إلى بلاد المسلمين في أفغانستان.. وذهبت في تلك الفترة إلى باكستان من أجل نصرة إخواننا المسلمين في أفغانستان.. واستمر ذهابي إلى باكستان إلى أن منّ الله عليّ ودخلت أفغانستان.. وكان وضع المجاهدين ضعيفاً في العدد والعدة.. خاصة مستلزمات القتال وشعرت بأننا مقصرين في حق إخواننا الأفغان إذا لم نقم بكامل واجبنا نحوهم.. وإن أفضل ما يكفر عن هذا التقصير أن يقتل الفرد وهو يجاهد في سبيل الله

ويكمل الشيخ أسامة حديثه قائلاً :

لاحظت اهتمام الأفغان وسرورهم بوجود العرب بينهم. وكان الوجود العربي يزيد الأفغان قوة وإيماناً وترتفع معنوياتهم ارتفاعاً كبيراً.. وكان من شدة محبة الأفغان للعرب أنهم كانوا يعاملونهم كضيوف.. فلم يكلفوا العرب بأي مهام عسكرية وقتالية وكان الشباب العربي يتأذى من ذلك لأنهم يريدون العمل كمجاهدين.. ولهذا فكرت في إنشاء مكان لاستقبال الإخوة العرب لإعدادهم للقتال واستأذنت من أمير الاتحاد الإسلامي لمجاهدي أفغانستان عام ١٤٠٤ هجرية (١٩٨٤ ميلادية) في إنشاء معسكر في منطقة قريبة من الحدود حتى يتدرب الإخوة العرب فيه، وقد بلغ عدد الإخوة الذين انضموا للمعسكر في ذلك الوقت حوالي مائة أخ وكان هذا العدد قليل لأن الشباب العربي تربى في بلاده على حياة بعيدة عن العزة الحقيقة بالجهاد والذود عن الدين..

وكان كثير من الشباب يعتبر الجهاد نافلة من النوافل وأمر مندوب.. كان ذلك في الصيف وعندما انتهى الصيف وبدأت الدراسة اذا بأكثر الإخوة الذين كانوا معنا انصرفوا عائدين إلى اوطانهم يراجعون دراستهم رغم أن الذين حضروا من خير الأخوة.. ولم يبق إلا عدد قليل جداً.. دون العشرة أفراد.. منّ الله علينا ووجدنا معسكراً في جاجي داخل أفغانستان.

بداية العمل داخل أفغانستان

أنشأنا معسكراً في منطقة " جاجي " داخل أفغانستان وذلك للتدريب وكنا ندرب أنفسنا بالخبرات الموجودة لدينا.. واستمر الحال على ذلك.. وكنا حوالي خمسين فرداً ولكن تكرر ما حدث في السابق.. فمع الشتاء انصرف معظم الموجودين.. فلم يكن هناك وعي كامل بأهمية نصرة هذا الدين.. وضرورة قتال الكفار حتى يكون الدين كله لله.. بعد ذلك منّ الله علينا في أواخر عام ١٤٠٦هـ وأوائل عام ١٤٠٧ أن عزمنا على البقاء في منطقة جاجي، داخل أفغانستان حتى لو كنا عدداً قليلاً وكنا في ذلك الوقت أحد عشر شخصاً ومعظمنا من المدينة المنورة.. مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام.. أذكر شفيق بن إبراهيم المدني.. رحمه الله.. وطالب عبد العزيز النجار ((أبو قتيبة)) السوري الحموي المدني.. وأخونا أسامة بن ملا حيدر المدني.. وأخونا أبو معاذ السعدي مقيم في المدينة وفلسطيني الأصل وأخونا أبو رجاء حسان الأنصاري من المدينة ايضا وأخونا عبده أحمد حمود عثمان.. وأخونا علي السوداني وأخونا محمد بن عبد السلام المعروف بأبي أنيس.. وأخونا أحمد حسين بخشي من سكان المدينة المنورة كنا أحد عشر أخاً وكنا نعمل في شق الطرق. وإنشاء الأنفاق في بطن الجبال وكذلك المخابئ وذلك لحماية المجاهدين الأفغان.. ولكننا كلفنا شفيق رحمه الله.. وأسامة حيدر لمتابعة الأمور العسكرية في المنطقة.. ومما هو جدير بالذكر أن كل هؤلاء الإخوة كانوا في حدود العشرين من العمر.. أكرمهم الله.. كانوا قد تركوا دراستهم وحضروا للجهاد في سبيل الله.. واستمر الحال في العمل.. وأخبرنا شفيق وأسامة حيدر أن هناك جبل مشرف على مواقع العدو.. وهو خال من المجاهدين.. وزرت هذه المنطقة فوجدت أنها فعلاً منطقة خطيرة وحساسة جداً.. فسألت عن سبب عدم وجود مجاهدين في هذه المنطقة رغم أهميتها فقيل لي إن الشتاء والثلوج تقطع الطرق.. ويتوقف الإمداد لكثرة القصف على تلك المنطقة..

مركز عربي :

كان في نيتنا أن يكون لنا مركز خاص بالعرب ضمن المراكز التي نقوم بإنشائها.. ولهذا قررنا إنشاء مركز للعرب في هذا المكان ولم يبق منا إلا ثلاثة عندما بدأنا العمل، الأخ شفيق، والأخ أسامة ملا خيدر وأنا.. أما باقي الإخوة فكانوا إما في إجازة.. أو في أشغال أخرى.. وكنا في ذلك الوقت في حاجة ماسة لأي أخ يأتي معنا نظراً لوحشة المنطقة وبعدها من المجاهدين الأفغان وقربها من العدو.. ولا يمكن أن يتيسر لثلاثة فقط.. العمل.. والحراسة في نفس الوقت حاول أحد الإخوة أن يثنينا عن العمل.. وكان في زيارة لنا.. وحاول مع الأخ شفيق وأسامة.. ولكن منّ الله علينا بأخين آخرين.. وكانا متوجهين إلى جبهة أخرى داخل أفغانستان.. وكان أحدهم اسمه أبو الذهب.. مصري من أصل سوداني.. وقبل أن يذهب حضر لي وقال : إننا نحب أن نبقى معكم.. فسررت بذلك سروراً عظيماً.. وأثناء تحركنا للعمل في المنطقة التي أخذناها.. كان الطريق مكشوفاً وظاهراً للعدو.. فكان العدو يقصف علينا.. فكنا ننزل وننتشر بين الأشجار.. ثم نتحرك من جديد اخترنا المنطقة التي أطلق عليها (مأسدة الأنصار) فيما بعد.. كانت هذه

الفترة من أجمل أيام الإنسان حيث كنا مرابطين بالقرب من العدو. وفي نفس الوقت نقوم بإنشاء الطرق وحفر الخنادق، كنا نعيش في خيمة واحدة.. وانضم إلينا الأخ ذبيح من أهل الطائف واسمه محمد بن المبارك.. كنا في خيمة واحدة.. صلاتنا سوياً قراراتنا سوياً، أكلنا في نفس المكان.. وكنا نتناوب الحراسة وكنا نشعر بوحشة شديدة لأن المكان مخيف للطرفين.. للعدو.. ولنا.. وكان الفرد منا لا يستطيع أن يبتعد كثيراً عن مركز الخيمة لأنها منطقة غابات موحشة.. ناهيك عن قربها من العدو.. فاستمرينا على ذلك الحال فترة طويلة ثم أرهقتنا الحراسة.. فطلبنا أحد الإخوة فحضر أخونا صالح الغامدي.. وازداد العدد فوصل إلى سبعة، ومع ذلك كنا متفائلين ومستبشرين بأن يزيد عددنا وبالفعل وصل العدد خلال شهرين إلى أربعين أخ.. بعد ذلك جاءنا أخونا أبو حنيفة.. حسين عجيب.. ثم جاء محمد الصخري وهو من الناس الذين لم تكن لهم وقفة تردد.. رأيته في الحرم النبوي. وكنت عازماً على السفر.. ورأيته بعد صلاة الفجر وكان أبو حنيفة قد أخبرني بأن هناك أحد الإخوة يريد أن يذهب إلى أفغانستان.. وأن هذا الأخ يريد أن يكمل دراسته هذا العام ثم يحضر في الصيف.. التقيت بالصخري.. وتكلمت معه بضعة دقائق فانشرح صدره وعزم على الذهاب معنا غداً.. وعلم واجبه.. ترك الدراسة والشهادة.. والدنيا.. ومكث معنا حوالي أربع سنوات إلى أن منّ الله عليه بالاستشهاد في جلال آباد..

ولكن كيف اخترنا إسم المأسدة يقول بن لادن :

تشاورنا في تسمية الموقع.. فاختار الإخوة عدة أسماء فانشرح الصدر باسم مأسدة وأخذنا هذا الاسم من بيت شعر لأحد الصحابة رضي الله عنهم كان يمدح الرسول صلى الله عليه وسلم.. يقول بيت الشعر

من سره ضرباً يمعمع بعضه بعضاً _
كمعمعة الإباء المحرق
فليأت مأسدة تسن سيوفها
بين المزاد وجذع الخندق

ويكمل أسامة : رجع أخونا أبو حنيفة لتحريض الشباب.. فغاب عنا ثلاثة وعشرين يوماً.. ثم عاد ومعه ثلاثة وعشرين رجلاً.. واستمر العدد في الزيادة وكنا نشعر بأهمية هذا التجمع.. ويسألني الإخوة هنا.. لماذا تميزتم.. فإن لذلك التميز أسباباً كثيرة حيث أن الأخ يأتي من بلاده للجهاد.. فتجتمع عليه عدة أمور.. منها الجهاد والغربة في اللغة.. والغربة في الطقس والتضاريس.. لهذا فإن وجوده مع إخوانه يزيده صبراً..

المواجهة الكبرى في رمضان سنة١٤٠٧ هـ

يقول بن لادن :

كنا قد بدأنا نصل إلى مرحلة كبيرة ومتقدمة من إنشاء المأسدة.. وسمعنا في شهر رمضان سنة ١٤٠٧ هـ أن هناك أخباراً بتحركات للعدو.. ولم تكن المعلومات كافية. وقمنا بحفر الخنادق.. كنا قد عزمنا على القيام بعملية ضد العدو في ١٤ رمضان تقريباً.. وكان القائد الأفغاني قلب الدين حكمت يار في المنطقة.. وحضر الشيخ سياف وعزمنا على القيام بهجوم يوم ٢٦ رمضان.. وبدأنا ضرب المناطق التي تقع أسفل منا.. وإذ بالرد يأتي إلينا من مناطق بعيدة.. براجمات الصواريخ (ب م ٢١) وكانت بداية المعركة الطويلة التي استمرت لمدة ثلاثة أسابيع وكان العدو قد خطط لها.. ونحن لم نخطط إلا لمعركة تدوم ليوم واحد.. وكان هدف الهجوم تدمير هذه

المواقع.. وقفل طريق (جاجي) وهو من طرق الإمداد الرئيسية لداخل أفغانستان.. وكان يوم ٢٩ رمضان أعنف أيام القتال.. وكنا قد علمنا أن القوات المتقدمة عددها حوالي عشرة آلاف جندي ومنها ثلاثة كتائب روسية وكذلك قوة كوماندوز روسية.

أول مواجهة عسكرية عملية ١٧ شعبان سنة ١٤٠٧هجرية

يقول (أبو محمود السوري) : كانت أول معركة يخوضها العرب في تجمع واحد في شهر شعبان سنة ١٩٨٦ في خوست.. حيث تجمع العرب وكونوا كتيبة أسموها كتيبة (الخرساء) وعلى حد قول أبو هاجر العراقي كان يسميها كتيبة(الظرفاء) وقد خاضت هذه الكتيبة معارك شديدة في خوست.. وأصيب من العرب عدد كبير واستشهد فيها عدد آخر.. وكان ذلك قبل إنشاء المأسدة.. وقبل وجود العرين.. فعندما بدأ أسامة بن لادن العمل في شق الطريق والأنفاق.. وحفر الخنادق.. كان قد أرسل شفيق.. وأسامة وأبو قتيبة لاستطلاع المنطقة.. وبعد قيامة بالاستطلاع أخبروا أبو عبد الله بهذا الجبل القريب من العدو والذي يطل عليه من أعلى.. ويكشف حصن (تشاوني) الذي يسيطر على المنطقة يتحصن به الشيوعيون ويتحكم في الوادي الذي يعبر الحدود إلى باكستان.. وذهب (أبو عبد الله أسامة بن لادن) لهذا الجبل واختاره كبداية لإنشاء موقع خاص بالعرب.. كان الشتاء على الأبواب.. وهو شتاء بارد.. والثلوج تمنع الحركة تماماً.. وقد سأل أسامة بن لادن عن قادة المنطقة للتنسيق معهم.. واتصل بقائد معروف اسمه عبد السميع.. وهو قائد معروف في المنطقة وكان يحتل موقعاً قريباً من العدو.. في المنتصف تقريباً.. اقترح أسامة بن لادن على القائد الأفغاني عبد السميع الا ينسحب في الشتاء.. ويبقى مكانه.. وسوف يتم إنشاء ملاجئ تحميه من الثلوج.. إلا أن القائد الأفغاني رفض لأن الثلوج تمنع وصول الحياة.. وباقي الإمداد.. وعرض علية بن لادن أن يمده بالماء وكافة الإمدادات بشرط ألا يترك المنطقة في الشتاء.. وبناء على ذلك قام أبو عبد الله بزرع أول خيمة في مأسدة الأنصار وكان ذلك يوم ٢٤ أكتوبر عام ١٩٨٦ وكان هذا التاريخ هو تاريخ شراء أول قطعة سلاح من أسواق باكستان.. وهو رشاش جرينوف حمله الأخ (أزمراي) وهو يعتبر أول يوم في إنشاء مأسدة الأنصار ويواصل أبو محمد قصة أول مواجهة بين العرب والروس فيقول : وصلت أنا مع الشيخ عبد الله عزام رحمه الله بعد خطوات إنشاء المأسدة بحوالى شهر.. وكان بها فعلاً أربعة عشر شخصاً وكنت قد حضرت إلى موقع التدريب في منطقة (صدى) ، ولكن تقرر أن نذهب مباشرة إلى المأسدة لنتدرب على أرض أفغانستان فعلاً.. وكان معنا بعض الضيوف عندما وصلنا إلى المأسدة.. وبدأ الحديث من بعض الضيوف لتثبيط الهمم.. وقالوا لأسامة بن لادن وللشباب الذين معه.. إن العدو سيحضر ويأخذكم أحياء ولكن الله ثبت الأخ (أسامة بن لادن) والشباب الموجودين بالمأسدة و تقرر أن تعود المجموعة التي حضرت بدون تدريب إلى صدى لاستكمال التدريب وكنت أنا منهم.. فلم يكن لدينا أي خبرة عسكرية على الإطلاق.. وكان علينا أن نتدرب بسرعة في صدى وننضم إلى المأسدة في أقرب وقت.. وكان مركز تدريب صدى قد أقيم في منطقة صدى.. وهي نقطة قريبة من الحدود بين أفغانستان وباكستان طلبت من (أسامة بن لادن) ألا أعود إلى صدى وأن أبقى معه فوافق.. كان الشتاء على الأبواب وبدأ هطول الثلوج وبدأ إنشاء التحصينات حسب الإمكانيات والفترة الزمنية المحدودة.. وخلال خمسة شهور فقط تم إنشاء من ٧-٨ غرف.. بها حوالى سبعين شاباً عربياً مستعدين للتضحية والاستشهاد.

أول عمـلـيــة :

خلال هذه الفترة كان الإخوة الشباب يلحون في طلب القيام بعمليات عسكرية.. وكان أسامة بن لادن.. يحاول أن يهدئهم ويقنعهم بضرورة إنشاء الموقع وإكمال التحصينات أولاً . . . كانت في الحقيقة مرحلة صافية.. وارتباط روحي عميق.. وعندما بدأت الثلوج في الذوبان بدأ الإخوة يعدون أنفسهم للقيام بعمليات ضد مواقع العدو في الوادي.. وكان الهدف الأساسي من هذه العمليات اكتساب خبرة قتالية عملية.. وكان أول عملية يقوم الشباب العربي بتنظيمها وإعدادها هي عملية ١٧ شعبان عام ١٤٠٧ هـ الموافق ١٧ نيسان إبريل عام ١٩٨٧م، وكان عدد الإخوة المشتركين في هذه العملية مائة وعشرين شاباً عربياً.. وكنت أنا منهم.. وقد تم تقسيم الشباب إلى مجموعتين مجموعة متقدمة. ومجموعة مساندة.. وكان هدف العملية هو احتلال مركزين مهمين من مراكز العدو في الوادي.. وهما أقرب مركزين للمأسدة.. قسمت المجموعات.. ورتبت مجموعتين.. واحدة لحماية المأسدة من الخلف، وفي نفس الوقت قصف العدو بالصواريخ أرض - أرض وكانت هذه المجموعة بقيادة أبو برهان السوري ومجموعة ثانية للقيام بالاقتحام. وكانت بقيادة أبو خالد المصري بـ دأت العملية الساعة السادسة مساء، وكان التخطيط لها قد تم منذ عدة أيام سابقة.. وحضر الشيخ سياف خصيصاً لحضور هذه العملية.. وكانت تجربة جديدة للعرب وكان المرحوم عبد الله عزام موجوداً.. كذلك المرحوم الشيخ تميم العدنان وأسامة بن لادن وكانت هناك لحظات وداع الإخوة مؤثرة والنفوس كلها مشحونة ومتشوقة للاستشهاد

وبدأت العملية فعلاً الساعة السادسة وعشر دقائق.. ولكن لم تحقق أهدافها.. لعدة أسباب مهمة عندما تقررت العملية وحدد موعدها لم تكن الإمكانيات قد استكملت خاصة الذخائر. فلم تكن الذخيرة قد وصلت إلى كل المجوعات وذلك لعدم وجود خبرة سابقة. فمثلاً لم تكن وصلت إلى مجموعة المساندة ذخائر كافية.. ولهذا لم تبدأ مجموعة المساندة في العمل في التوقيت المطلوب لعدم وجود ذخائر

ويقول أبو محمود السوري : كنت أحد عناصر مجموعات الاقتحام.. وتقدمنا وكان مقرراً أن نقوم باقتحام موقع أطلقنا عليه (أم الخنادق) وقبل وصولنا إلى الموقع حيث حقول الألغام.. وعلى بعد ثلاثين أو أربعين متراً من مواقع العدو.. فوجئنا بأن العدو متيقظ تماماً.. لأن القصف من جانبنا ومن جانب المجاهدين كان مركزاً على ١٦ موقعاً للعدو محيطاً بهذه المنطقة عدا الموقعين المحددين للهجوم عليهما.. لهذا كان العدو متيقظاً.. وكان من المفروض أن نقوم بالضرب عليه أثناء الهجوم ضرباً مباشراً

فمثلاً حارس الموقع كان متيقظاً وشاهدناه.. وشاهدنا.. حيث رأى أشباحاً تتحرك بالقرب منه.. وأطلق علينا عدة طلقات وبمجرد اقترابنا انهمر علينا الرصاص وقد سبقنا العدو بإطلاق النيران.. ولم نتمكن من رفع رءوسنا حتى حلول الظلام.. وقد أصيبت ساقاي في أول لحظة من لحظات الاقتحام وذلك من رشاش جرينوف كان على يسارنا وعلى تبة مشكوفة.. ولم نكن نعرف أن بهذا الموقع رشاش جرينوف.. وفوجئنا به يطلق علينا من الجانب الأيسر أثناء تقدمنا وكانت مفاجأة صعبة لنا وكان ذلك بسبب عدم وجود خبرة.. وبعد عدة دقائق من ضرب العدو علينا أعطيت لنا الأوامر بالانسحاب لمركز قريب.. كان محصناً.. وكنا نطلق عليه مركز المتقدمة. وكان بهذا المركز أبو عبد الله أسامة بن لادن.. فقد أصدر أبو عبد الله أسامة بن لادن هذا الأمر خوفاً على حياة الأخوة من الإصابات بعد انكشاف الهجوم.. ولم يستطع أحد تنفيذ ذلك إلا بعد حلول الظلام ليكون الانسحاب مستوراً.

حملني الإخوة إلى موقع المأسدة، كانت هناك خمس مجموعات مساندة.. وصلت أربع مجموعات وتاهت مجموعة لم تصل إلى المأسدة.. وظلت مفقودة حتى منتصف الليل.

الزهرانى أول شهيد عربى

استشهد في هذه العملية الأخ أحمد الزهراني.. وكان يحمل مدفع رشاش ثقيل وأصيب بقذيفة هاون.. وكان رحمه الله من الشباب الممتاز.. ويعتبر أحمد الزهراني أول شهيد من شهداء المأسدة.. وكان عمره عشرين سنة وهو من أهل مدينة الطائف.. وجرح في المعركة الأخ إدريس السعودي.. وأنا.. والخلاصة أن معركة شعبان كانت نقطة مهمة في تاريخ المأسدة.. وتعلم منها الإخوة دروساً كثيرة ساعدتهم فيما بعد

و منذ هذه العملية بدأ الإخوة يقومون بعمليات أخرى.. وذلك لاستكمال التدريب الحي على القتال وذلك في اشتباك مباشر مع العدو.. وقد استشهد في هذه الفترة الأخ أبو الذهب حيث سقطت قذيفة هاون بين ثلاثة من الإخوة أثناء عملية رصد.. واستشهد على الفور أبو الذهب وأصيب أزمراي، واستمرت العمليات تحت قيادة أبو عبيدة المصري شهراً كاملاً.. حتى بدأت معركة ١٧ رمضان، وهذه العملية تم الإعداد لها إعداداً جيداً ولكن لم تستطع هذه العملية القيام بفتح أي موقع لأن قائد العملية وهو أبو خالد المصري قد أصيب في بداية العملية بقذيفة آر.بي.جي كذلك أصيب أبو سهل المصري.. وكان لذلك تأثير كبير على سير العملية. وكذلك كانت أقرب مجموعة من العدو مجموعة شفيق.. فقد كان معه ثمانية مجاهدين عرب عاد بأربعة مصابين.. وكانت العملية كلها تحت قيادة ومسئولية أبو عبيدة المصري.. وكان أسامة بن لادن في بيشاور. وعندما علمنا بالعملية.. وكنت معه تحركنا بسرعة إلى جبهة القتال يوم ١٧ رمضان لنحضر العملية.. ووصلنا إلى موقع العملية مساء.. وجلسنا في موقع العرين نتابع الأخبار.. ومكثت من ذلك اليوم في موقع المأسدة لأعيش أيضاً أحداث أشهر معارك العرب في أفغانستان.. وقد استسلم في هذه المعركة خمسة وأربعين جندياً وضابطاً إلى المجاهدين الأفغان.. وذلك بسبب شدة القصف الذي وجه إلى موقعهم من قبل المجاهدين وسلموا أنفسهم إلى أحد قادة الحزب الإسلامي التابع (لحكمت يار)!

أسامة بن لادن يروى معركة الأنصار العرب في رمضان ١٤٠٧ هـ

كان ذلك فى يوم ٢٩ رمضان حيث بدأ هجوم القوات الروسية والحكومية الأفغانية. وبدأت الدبابات تتحرك وانتظرنا حتى اقتربت الدبابات إلى مرمى نيران المجاهدين فلما دنوا جميعاً بدأنا باسم الله وكبرنا وأعطينا الإشارة باللاسلكي لجميع المدافع (مدافع المجاهدين الأفغان العرب) حيث بدأ القصف عليهم في وقت واحد.. وكنت أتابع القصف من المرصد وشاهدت القذائف من فضل الله تسقط على الأعداء وتمزقهم وأستمر القصف عنيفاً وكانت الجبال تهتز، ولكن من فضل الله لم يصب أحد من الإخوة بسوء.. واستمر هذا الحال إلى المغرب.. ورجعت من المرصد والتقيت بالأخ أبو عبيدة المصري.. وهو من حفظة كتاب الله ورأينا أن الروس لن يسكتوا على هذه الضربة لهم.. وتوقعنا أن يكون القصف أشد في اليوم التالي وقررنا أن نرجع ثلاثين من الإخوة العرب إلى معسكر خلفي لنا وكنا حوالي سبعين مجاهداً.. وفي اليوم التالي حدث ما توقعناه.. قصف عنيف منذ أول إشراقة للشمس.. أصبح عدد الإخوة في المأسدة حوالي أربعين أخ.. وكنت مع تسعة من الإخوة في كهف نطلق عليه

(المتقدمة) وكان هذا الكهف صغيراً لا يتحمل القصف الثقيل.. وكانت طائرات العدو تقصف بقنابل زنة ألف رطل.. وكانت الجبال تهتز.. وكنا قد اتفقنا على إشارة معينة وهي إطلاق ثلاث طلقات إذا شعروا بأن هناك حصاراً من العدو للمعسكر.. وإذا بنا نتلقى مكالمة هاتفية من الأخ سيف الله المغربي.. من المرصد الأيمن لمركز بدر يقول أنه شاهد ما يقارب مائتي (٢٠٠) جندي من الجنود الروس يرتدون ملابس القوات الخاصة وهم يتسللون باتجاه المعسكر فأعطى الأخ إنذار بالخطر وهي ثلاث طلقات. وقمت بإبلاغ المركز الرئيسي للمجاهدين بأن العدو يتقدم لمحاصرة المعسكر.. وطلبت من الإخوة حمل الأسلحة والتقدم وكانوا تسعة وأنا العاشر.

ويؤكد بن لادن أنه على الرغم من أن الأخوة سمعوا أن المتقدمين حوالي مائتين.. ولم نكن عسكريين.. وكنا مدنيين.. فلم يتردد أحد.. بل تقدموا أكرمهم الله.. كل واحد أخذ سلاحه وانطلقنا إلى الأمام.. كنا حريصين على أن نأخذ تبة بيننا وبين الكفار وهي تبة مرتفعة.. وأثناء تحركنا كنت أوزع الإخوة.. لكي لا يحدث التفاف علينا أثناء تحركنا.. فتركت الأخ ذبيح وأبو سهل المصري - رحمه الله - ومعهم جهاز لاسلكي في مركز المتقدمة، ثم الأخ أبو حنفية ومعه بعض الإخوة أرسلته للميمنة.. ثم تقدمنا حتى وصلنا إلى القمة.. ولم يبق إلا ثلاثة: الأخ خضر وهو من المنطقة الشرقية، والأخ مختار وهو أيضاً من المنطقة الشرقية، وأنا معهم _ وانضم إلينا الأخ خالد كردي. وكنت قد طلبت منه أن يحضر لنا ماء وتمر وطلقات. آر. بي. جي زيادة، فذهب وبقينا نحن الثلاثة. وماذا يفعل ثلاثة أمام مائتي كوماندوز.. ولكن الله ثبتنا نحن الثلاثة ولم نشعر بأي قلق أو خوف. سبحان الله. رغم أن عندي خبراً مسبقاً بأن هذه القوة تريد أن تأسرني أنا شخصياً توزعنا على قمة هذه التبة بحيث كان كل منا يرى الآخر.. والمسافة بين كل منا حوالي عشرة أمتار.. وإذا طلبنا مدداً من الإخوة يستغرق ذلك حوالي ساعة ونصف لطول المسافة.. جاء خضر وقال لي إن مختار سمع أصوات الروس تحت التبة وبالقرب منهم بين الأشجار يتكلمون. وكنا ننتظر المدد، ولم يصل المدد إلينا.. وقد وصل الروس.. فطلبت أن ننضم جميعاً ونصبح على القمة.. وفي هذه اللحظة انضم إلينا خالد، وأتى أيضاً أبو عبيدة. وكان أبو عبيدة قد رتب مجموعة أخرى تذهب من جهة بدر وتتقدم أيضاً لملاقاة القوات المتقدمة.. تقدمنا لاتجاه الميسرة وهم يتقدمون من الميمنة ورأيناهم أسفل من ميمنتنا على تبة تسمى تبة الزهراني. لأن أحمد الزهراني رحمة الله كان على هذه التبة عندما قتل.. في هذه اللحظة وهم يتقدمون أخرجنا القنابل اليدوية.. وكنت أول من أخرج القنابل اليدوية استعداداً لرميها عليهم لأننا كنا أعلى منهم، فاقترح الأخ أبو عبيدة أن نبتعد حتى يصلوا جميعاً إلى منطقة الرمي.. وفجأة يصل إلينا أربعة إخوة ولا واحد منهم يعرف حقيقة الموقف.. وأثناء سيرهم باتجاهنا سمع الروس صوت أقدامهم على الحشائش بين الأشجار.. فتوقفوا عن التقدم وانتبهوا.. فلم يتوقعوا أن يكون في هذا المكان مجاهدين وكانوا يتوقعون أن كل من في المأسدة جرحى نتيجة القصف الشديد لمدة خمسة أيام متوالية عندما فوجئ الروس بالحركة انسحبوا ببطء دون أن نشعر بهم.. لقد فوجئوا بوجودنا في هذه المنطقة المتقدمة عن موقع المأسدة ولم يتوقعوا أبداً وجود أحد في هذا المكان.. وسمعناهم يتكلمون باللاسلكي (غنمنا جهازهم اللاسلكي هذا فيما بعد) وواضح أنهم أخبروا مدفعيتهم بوجودنا في هذه المنطقة، وكانت مدفعيتهم وهاوناتهم تقوم بالتمشيط أمامهم.. وكنت أحمل القنبلة اليدوية في يدي منتظراً تقدمهم فوجدت أنهم بدأوا ينسحبون إلى الخلف حوالي مائتي متر.. وفي هذه اللحظة انهمرت علينا قذائف الهاون كالمطر هاونات ثقيلة.. ومن شدة القصف كان من المستحيل أن تستطيع أن تتكلم كلمة أو تكمل

جملة استمر هذا الحال من القصف الشديد المركز لمدة ساعة تقريباً إلى أن منّ الله علينا بجزء من دقيقة بين القصف فتحركنا إلى أول نقطة في معسكرنا واتخذنا كميناً لهم.. ومن شدة وكثافة القصف كانوا متأكدين أنه لا يمكن أن يكون هناك أي شخص على هذه التبة إلا قتيلاً أو جريحاً.. فصعدوا إليها مطمئنين.. فما أن صعدوا حتى بدأنا الضرب عليهم.. فقتل عدد منهم يقيناً وتراجع الباقي إلى خلف.. واستمر الحال على هذا المنوال وطلبوا مساعدة الطيران.. وعاد الطيران يقصف بعنف وشدة مع الصواريخ، وألقت الطائرات قذائف دخان أتعبت الإخوة نفسياً حيث خشينا أن تكون غازات سامة.. ولكن كانت قنابل دخان.. واستمر القصف علينا شديداً ، فقررنا الانحياز إلى موقع خلفي من شدة القصف انحزنا في الليل وبقيت مجموعة الإخوة العرب والإخوة الأفغان وسط المأسدة.. ولكن من لطف الله أن وصل مدد من المجاهدين الأفغان وأطلقوا على قوة الكوماندوز الروسية ٣٥ قذيفة (آر. بي. جي) متوالية. وكانت قوة الكوماندوز تعتقد أن المعسكر خالياً إلا من الجرحى.. أعطى ذلك انطباعاً لدى الكوما ندوز بأنه لا زالت هناك قوة كبيرة داخل المأسدة.. فتوقفوا عن الهجوم.. وبقوا مكانهم في الليل وهم يخشون الهجوم على المعسكر.. رغم أنه فعلاً لم تكن به قوة كبيرة.. وهذا من فضل الله . . . وفي الصباح قسمنا الإخوة إلى مجموعتين ووصلت المجموعة الأولى إلى المأسدة فعلاً.. وكنا نتفقد الطريق والمواقع.. والمجموعة الثانية كانت متوقفة في منتصف الطريق.. فطلبنا منهم التقدم.. كان العدو مستميتاً في الهجوم على الموقع.. فالموقع يعتبر مفتاحاً للمنطقة كلها.. اقترح أبو عبيدة أن يذهب هو وثمانية من الإخوة ويلتفون حول القوة الروسية ويهاجمونهم من خلفهم.. فقلت لأبي عبيدة : أن الميسرة خالية من يبقى فيها ؟.. وكنت مريضاً في تلك الفترة ، وكان يصعب عليَّ المشي على الأقدام لمسافة بسيطة وإذا أبو عبيدة يفاجئني بأن أذهب إلى الميسرة.. فنظرت إلى العدو.. لم يبقى معي إلا ثلاثة من الأخوة.. أخونا محمد العتيبي رحمة الله (أبو الوليد) وأخونا ياسين الكردي وأخونا أسد الله.. في هذه الفترة جاءنا ضيف وهو الأخ أبو الحسن المدني وكان في ذلك اليوم ضيفاً فذهبنا نحن الخمسة إلى جهة الميسرة.. كنا محاطين بالعدو.. وتحركنا إلى الميسرة والطلقات في بيت النار وكل واحد منا يده على زناد البندقية.. وسرنا إلى أن وصلنا إلى النقطة المتقدمة جهة الميسرة.. حتى وزعت الأخوة ميمنة وميسرة ، وهم جميعاً خمسة.. فكان أبو عبيدة ومعه آر. بي. جي في الميمنة، وكانت الميمنة رجلاً واحداً والميسرة كانت أخينا أسد الله ومعه جرينوف (رشاش متوسط)وكان ياسين ا لكردي ظهراً لنا وبقيت أنا في الوسط مع أبو الحسن المدني.. فما كدت أنتهي من توزيع الإخوة وإذا بنا نفاجأ بأن القوة الروسية على مسافة سبعين متراً من طرف المعسكر.. من الغرفة المتقدمة.. وكنا نحن خلف الغرفة.. وبدأ على الفور الاشتباك معهم بالسلاح الخفيف ووجهنا النيران إليهم وطلبت من الأخ ياسين كردي. ومعه أبو الوليد أن يتقدما ويضربوا في المنطقة اليسرى حيث رأيتهم وبدأ الرد علينا بالأسلحة الكلاكوف. وصوت الكلاكوف مميز عن صوت الكلاشنكوف.. والكلاكوف معروف أنه تسليح القوات الخاصة الروسية. أما الكلاشنكوف فهو تسليح الجنود ا لأفغان الشيوعيون فوجئت قوة الكوماندوز بوجود مقاومة في أول أيام العيد.. فخزاهم الله.. فبدأوا ينسحبون إلى الخلف مجموعة تغطي مجموعة.. فطلبت من ياسين وأبو الواليد أن يطلقوا النار خلفهم بمسافة حوالي ١٥٠ متراً حيث توقعت أن يكونوا قد وصلوا إلى هذه النقطة.. وكنت حتى هذه اللحظة أظن أن الهجوم من الميسرة ولكن عندما صعدت على قمة تبة لأتكلم باللاسلكي فوجئت بطلقة آر. بي. جي. تأتي من اتجاه العدو ومن المحور الأوسط.. ومرت بجواري وانفجرت طلقة الآر. بي. جي. بالقرب مني ولم يصبني منها أي شيء وكأني قد رميت بحفنة من الطين بفضل الله سبحانه وتعالى.

نزلت بهدوء وأخبرت الإخوة أن العدو موجود في المحور الأوسط وليس على الميسرة فقط في هذه الأثناء كنت أحاول الاتصال بالمجموعة التي تحركت للالتفاف حول الروس بقيادة أبو عبيدة. اتصلت بهم مراراً فلم تكن هناك أية إجابة فأصابني قلق شديد عليهم.. وأوقفت الاتصال ولكن تركت الجهاز مفتوحاً.. وفي هذه الأثناء بدأ العدو من جديد تمشيط المنطقة بالهاونات والصواريخ.. وبدأ قصف الطيران.. وكنا ننزل في الكهف ويظل أحدنا بالخارج ليراقب المنطقة خوفاً من تقدم الروس. وكنا نراقب رمي المدفعية والهاونات فإذا كان علينا بالضبط فكنا ننزل في الكهف ولكن إذا ابتعد قليلاً كنا نصعد.. وهذه خبرة جديدة اكتسبناها من هذه المعركة.. إن من الممكن أن يتقدم العدو تحت القصف.. لأنه يتصل بالمدفعية ويستطيع نقل الضرب أمامه.. إلى مسافة ٢٠٠ متر أثناء قصف المدفعية والهاونات ظللت في قلق شديد على الإخوة الذين ذهبوا للالتفاف وإذا بصوت الجهاز يأتي كالماء البارد علينا حيث نادى الأخ أبو عبيدة وقال (أبو القعقاع، هل تسمعني ؟)، فأسرعت نحو الجهاز وقلت :

(نعم أسمعك جيداً)، فقال أبو عبيدة : (الله أكبر الله أكبر أبشرك بأننا قتلنا الكوماندوز الروس وهم الآن صرعى تحت أقدامنا، الله أكبر) وانتشر التكبير إلى أن وصل الإخوة جميعاً وانتشر الخبر وسررنا سروراً عظيماً بفضل الله وكان الإخوة قد فاجأوا الروس من الخلف أي من المنطقة التي كان لا يمكن أن يتخيلوا أن يأتي أحد منها.. ولقد استطاع أخونا محمد العزمان المعروف بمختا ر أن يقتل ستة منهم دفعة واحدة في ثانية واحدة.. وبدأ اشتباك بالرشاشات والقنابل اليدوية وأدى ذلك إلى انهيار معنويات الكوماندوز.. فكان عدد الإخوة تسعة أشخاص فقط في مواجهة مائتي جندي لكن مع الرعب لم يستطيعوا تمييز القوة.. ومع وجود الأشجار والغابات لم يستطيعوا أن يحددوا عدد المهاجمين فأصابهم ذعر شديد وقتل في هذا الهجوم المفاجئ من الكوماندوز حوالي خمسة وثلاثين جندياً وضابطاً وفر الباقي إلى مسافة بعيدة حوالي ثلاثة كيلوا مترات.. وارتفعت معنويات المجاهدين ليس فقط في منطقتنا ولكن في كل أنحاء أفغانستان.. وكان ذلك فضل من الله على الإخوة

أسامة بن لادن يروي أحداث معارك جلال آباد

يقول أسامة بن لادن عن معارك جلال آباد التي خاضتها مأسدة الأنصار، كانت معارك جلال آباد هي أول وأكبر معركة يخوضها العرب.. وكان الاختلاف بين معارك جلال آباد والمعارك الأخرى في أفغانستان. في أن المعارك السابقة كانت على مراكز وقلاع للعدو أما جلال آباد فهي إحدى المدن الرئيسية الكبرى في أفغانستان. بل هي أقرب مدينة إلى العاصمة كابول.. ولم يكن هناك خيار في معارك جلال آباد.. فبعد سقوط عديد من المواقع حول المدينة وسقوط حصونهم في يد المجاهدين - حتى وصلت قوات المجاهدين الأفغان إلى مطار جلال - استمات العدو في الدفاع عن المدينة.. وأمام ذلك إذا تركت كل هذا ورجعت فأنك ستخسر كل المعركة.. ولهذا بدأت معركة طويلة استمرت بعنف شديد لعدة أشهر متواصلة أخذ فيها الإخوة خبرات كبيرة لم تتيسر لهم من قبل في أي معارك سابقة.. كان عندنا حول جلال آباد ١٨ مركزاً للعرب (مأسدة الأنصار) وكان من الصعب أن تدير معركة طويلة لعدة أشهر.. وأن تكون القوة في حالة (شد) مستمرة.. فأنت محتاج لإمداد وتموين مستمر.. ومحتاج لذخائر في الوقت المناسب.. وصواريخ لراجمات الصواريخ.. كذلك تم تكوين أجهزة لإخلاء الجرحى وحمل القتلى، نرجو من الله أن يكونوا شهداء، وكذلك تواجد إخوة في المرصد بصفة مستمرة لرصد أي حركة من العدو.. لتوجيه النيران إليها.. وازدادت خبرات الإخوة في استخدام الصواريخ والهاونات والمدفعية وقد استخدموا

الخرائط في القصف حيث يتم تحديد مسافة واتجاه الهدف.. والقصف عليه بواسطة (الأحداثيات) حسب الاصطلاح العسكري وأمام هذه التجربة الجديدة ظهرت معادن الإخوة العرب وثبتوا وصبروا.. وهذا أمر ليس بالسهل.. وهو أن تبقى مشدوداً طيلة هذه الأشهر وفي قتال متواصل وقد كان الإخوة بفضل من الله أقدر المجموعات على سرعة الحركة وذلك لتوفر وسائل نقل وأسلحة وذخائر.. وزعنا السيارات على القومندانات.. كذلك وزعنا مجموعات قتال فكانت هناك مجموعة اقتحام مع القومندان خالد وهو من أشهر القادة الأفغان في جلال آباد.. وقد فتحت كثير من المواقع على يد هذا القائد وكانت مجموعة الإخوة العرب من أبرز المجموعات. وفي بعض العمليات كان معظم مجموعة الاقتحام من الشباب العرب وكان هو الأفغاني الوحيد. لأن معظم المجاهدين التابعين له قد استشهدوا في معارك سابقة كذلك انضمت مجموعة من المجاهدين العرب إلى القومندان سازنور وقد فتح الله سبحانه وتعالى على أيديهم - بمشاركة الشباب العربي - مراكز عديدة منها مجموعة تباب (فركند) والتي أطلق عليها مركز سراقة ومركز صخري. وقد غنم الإخوة العرب مدافع الميدان الثقيلة بعيدة المدى(C.D) وكذلك بعض الدبابات والمدرعات وقد تم تدريب الإخوة على جميع هذه الأسلحة ومنها الدبابات.. وقد استخدم الإخوة العرب الدبابات في الهجوم الأخير الذي قامت به القوات الشيوعية ضد مواقع العرب، وغنموا في هذه المعارك دبابات جديدة

الهجوم على مواقع العرب في جلال آباد

يحكي أسامة بن لادن.. أحداث هجوم القوات الحكومية الذي استهدف مواقع العرب فيقول : كان يوم ١٠ ذي الحجة سنة ١٤٠٩هـ (الموافق ٣ يوليو سنة ١٩٨٩م) حيث قام العدو بهجوم ضخم على مواقعنا وكان هدف هذا الهجوم هو تدمير مواقع الإخوة العرب وحصارهم وأسرهم أحياء.. وكان سبب ذلك أن الإخوة العرب كانوا قد توفر لهم كميات كبيرة من الذخائر اشتريناها من أسواق السلاح في باكستان. لقد اشترينا حوالي ثلاثين شاحنة وقمنا بتخزينها.. ولهذا تيسر القيام بقصف شديد ومنظم ضد تجمعات الجيش الأفغاني حول جلال آباد ففي أحد الأيام وصلت لنا أخبار عن وجود تجمعات كبيرة لقوات العدو.. فقمنا بقصف هذه التجمعات لمدة ثلاثة أيام على التوالي قتل فيها ٧٠ رجلاً من الهنود.. وكانت حكومة كابول قد أحضرت قوات هندية لتسد النقص الكبير في الجيش الأفغاني الحكومي، بعد خروج الجيش الروسي.. هذا مع العلم بوجود حوالي عشرين ألف روسي في أفغانستان حتى بعد الانسحاب وحدث نقص لدى قوات المجاهدين الأفغان في الذخائر.. لهذا كانت الذخيرة التي لدينا وسيلة للضغط وقمنا بقصف مستمر طوال ثلاثة أسابيع على النقاط الحساسة للعدو.. حتى شعرت القوات الحكومية أن مواقع العرب مصدر إزعاج شديد لهم.. فاستمر الطيران في ضرب مواقع مدافع الميدان (C.D). وضرب راجمات الصواريخ التي معنا.. وكانت راجمتين.. وعندما لم ينجح في إسكات مدفعيتنا بضرب الطيران والصواريخ.. قام بقصف مواقعنا بصواريخ سكود.. ومن المعروف أن صواريخ سكود صواريخ متوسطة المدى تطلق على المدن.. ولكنها استخدمت ضدنا.. وضد مواقع راجمات الصواريخ.. وعندما فشلوا في ذلك كلفوا قوة ضخمة بالقيام بهجوم كبير على مواقعنا وتولى قيادة هذه القوة رجل اسمه (رحيمي) ونائبه قائد يدعى إسماعيل، وتعهدوا لنجيب الله بأن يصلوا بهجومهم إلى منطقة (طورخم) ، و هي نقطة على الحدود بين باكستان وأفغانستان. والمسافة بينها وبين جلال آباد حوالي تسعون كيلو متراً وتقع على الطريق البري الرئيسي الذي يربط بين كابول - جلال آباد - بيشاور في باكستان وبدأ الهجوم يوم ٣ يوليو وكانت معركة

شديدة وكانت أخطر معركة خاضها الشباب العربي بعد معركة (جاجي) في رمضان سنة ١٤٠٧ . إلا أنها أصعب لأن المناطق المحيطة بجلال آباد مناطق سهول. والسهول هي أرض المدرعات.. بينما المناطق الجبيلة لا تقاتل فيها المدرعات بكفاءة بدأ الهجوم بإرسال قوة تشغل ميسرتنا، فاتصلت بنا قوة الميسرة بعد الفجر.. وقالت أن هناك دبابات تتقدم للهجوم علينا. أرسلوا لنا بعض المدد. فأرسلنا لهم سيارتين وفيها مدد من السلاح والرجال - واتصلت بنا القوة الموجودة بالميمنة وقالت أن هناك مجموعة أخرى من الدبابات تتقدم نحونا.. وكانت الميمنة قرب المطار (مطار جلال آباد) والمسافة بين مركز القيادة والميمنة حوالي خمسة كيلو مترات وطلبوا مدد.. وطلبوا قصف القوات المتقدمة بالصواريخ فحولنا راجمة صواريخ في اتجاه الميمنة. وراجمة صواريخ تجاه الميسرة.. وكان بين الميمنة والميسرة بعض النقاط فاتصلوا بنا وطلبوا المدد فأرسلنا إليهم بعض الأسلحة والقوة الاحتياطية التي كانت في المركز الرئيسي.. وكان كل ذلك خدعة من العدو.. حتى يهجم على مركز القيادة الرئيسي.. فتقدمت إلينا كتيبة مدرعة (حوالي٢٧ دبابة)، وكان الطيران في هذه الفترة يقصف المنطقة قصفاً شديداً.. وبعد صلاة الفجر كانوا قد أطلقوا سبعة صواريخ سكود كان اختيارهم ليوم الهجوم ذكياً لأنه كان أول أيام عيد الأضحى وهم يعرفون طبيعة المجاهد الأفغاني حيث أنه يغيب عن أهله طول العام.. ولهذا يحرص على قضاء العيد مع أهله تقدم العدو نحونا.. وكنا في المعسكر حوالي ثلاثين أخاً أو أقل وهجم علينا ب ٢٧ دبابة فكان موقفاً صعباً جداً وكنا من قبل أرسلنا القوة الاحتياطية إلى الميمنة والميسرة. والغريب أن الدبابة الوحيدة التي كانت معنا قد نقلناها إلى قرب الطريق الرئيسي خوفاً من أن يتقدم العدو من الطريق الرئيسي. أما الدبابة الثانية وكانت ٦٢ كنا قد أرسلناها إلى أقصى الميسرة. فتقدموا نحونا وما كان في أيدي القوة الباقية في مركز القيادة مدافع آر. بي. جي. حيث أصيب أحد رماة الآر. بي. جي. ولم يبق في النهاية سوى مدفع ٧٥ ملم مضاد للدبابات أخذ المدفع شفيق ، أكرمه الله.. وأرجو أن يتقبله شهيداً ونصبه وحده (طاقم المدفع في الحرب خمسة أفراد) وقام شفيق بإطلاق النيران من المدفع ٧٥ ملم بمفرده.. وإطلاق النار من المدفع أصعب من الأسلحة الأخرى المضادة المضاده للدبابات الصاروخية.. فلابد من وضع القذيفة في بيت النار وإطلاقها. ثم تفريغ طرف القذيفة الفارغ. ثم إعادة التعبئة.. أما الأسلحة المضادة للدبابات فلا يوجد ظرف فارغ.. لقد كان واضحاً من إصرار العدو على محاصرة الموقع وتطويقه رغبتهم في الإيقاع بالمجاهدين العرب أسرى ولم تكن هناك مقاومة فعالة بالأسلحة المضادة للدبابات الآ. بي. جي. فمدى الآ. بي. جي. لا يزيد عن ٣٠٠ متر.. ولهذا كانت تطلق الدبابات نيرانها علينا وهي مطمئنة على مسافة كبيرة.. ولهذا قلت للإخوة لا تطلقوا. الآ. بي. جي. إلا بعد وصول الدبابات إلى مسافة ٣٠٠ متر.. وعند وصول الدبابات لهذه المسافة أطلق الإخوة القذائف إلا أنها لم تكن مؤثرة أمام ٢٧ دبابة متقدمة. وقد أصيب أحد رماة الآ. بي. جي. من لغم كان مزروعا من قبل.. كانت الدبابات لا زالت تتقدم نحونا.. وفعلاً وصلت إلى أول تبة من تباب المركز الرئيسي وهي تبة صخرية و كانت هذه التبة هي أول موقع لنا باتجاه العدو بدأ شفيق - رحمه الله - يضرب عليهم بالمدفع ٧٥ ملم. وكانت الدبابات على مسافة ٤٠٠ متر فقط منا. وكانت تضرب علينا بمدفعيتها الأساسية بالإضافة إلى الرشاشات. كانوا يمشطون المنطقة تمشيطاً شديداً بالنيران. توزع الإخوة العرب عندما تقدمت بعض المدرعات في الوادي القريب الذي يفصل بين التبتين في موقعنا ونزل الجنود من المدرعات و بدأوا في الصعود إلينا.. فقمنا بإطلاق نيران مدفع رشاش ثقيل جلاينوف.. واستمر الأمر على هذا حوالي أربع ساعات.. وهي مدة خيالية.. أمامك ٢٧ دبابة.. ونحن لا نملك إلا مدفعاً واحداً.. يستخدمه فرد واحد.. ورغم هذا أنزل الله في قلوبهم الرعب..

وأمام ذلك قررنا التحرف للقتال والنزول من هذا الموقع إلى منطقة خلفية قريبة كثيرة الأشجار والتباب وهي نقطة ضعف للدبابات. وطلبنا من جميع النقاط أن يتحركوا إلى هذه المنطقة وهي جهة (ثمر خيل) وتم إبلاغ المجاهدين الأفغان بالوضع.. تقدم العدو إلى موقعنا لاحتلاله.. وبفضل من الله لم يكن به أحد.. فقد استشهد شفيق وهو على مدفعه. بنفس الهيئة التي تمناها.. وعلى نفس الصفة ونرجوا من الله سبحانه وتعالى أن يقبله من الشهداء. لقد كان شفيق - رحمه الله - أحد الثلاثة الذين من الله عليهم بتأسيس المأسدة. وقد تأثرت جداً لأستشهاده.

عندما انتقلنا إلى المنطقة الجديدة تقدم العدو بجرأة.. وتم صد الهجوم طيلة هذه الأيام. وكذلك قاوم الإخوة الذين كانوا على الطريق الرئيسي هذا إلى أن جاء اليوم العاشر وكان يوماً حاراً جداً درجة الحرارة وصلت فيه إلى ٥٤ درجة مئوية في منطقة جلال آباد.. عندما تقدموا قمنا بهجوم معاكس قبل المغرب بساعة.. واستطاع أخونا يعقوب أن يدمر دبابة بمدفع ٨٢ ملم وتم تدمير دبابة أخرى حيث أطلق عليها أحد المجاهدين صاروخ ميلان واستمرت الاشتباكات إلى منتصف الليل حيث قام الإخوة بعد الفجر بتفقد مواقع العدو. فإذا بهم يجدون ثماني دبابات سليمة تركها العدو وهرب.. فصعد إليها أخونا صالح الغامدي المعروف باسم حمزة. ومعه أمير الفتح وهو مصري.. وكانوا مدربين من قبل على الدبابات.. وتبادلوا إطلاق النار مع العدو.. واستطاعوا أن يحصلوا على دبابة من العدو بعد أن تبادلوا النيران وقادها الأخ حمزة إلى موقع (الزهراني).

كانت خسائر العدو كبيرة (٤٢ دبابة) بينها أكثر من ٢٠ دبابة غنائم. كان نصيب العربي منها خمس دبابات غنيمة منها دبابتان ت ٦٢.. وكانت هذه المعارك نهاية لسلسة معارك جلال آباد والتي سقط فيها من الشهداء العرب ما يفوق عدد الذين استشهدوا طوال سنوات الحرب في أفغانستان.. نسأل الله أن يتقبلهم شهداء

أسامة بن لادن.. من هو؟ وماذا يريد؟

حوار أجرته معه قناة الجزيرة أواخر عام ١٩٩٨

أسامة بن لادن: أسامة بن محمد بن عوض بن لادن، منّ الله -سبحانه وتعالى- عليه أن وُلد من أبوين مسلمين في جزيرة العرب، في الرياض، في حي الملز، عام ١٣٧٧ هجرية، ثم منّ الله -سبحانه وتعالى- علينا أن ذهبنا إلى المدينة المنورة بعد الولادة بستة أشهر، ومكثت باقي عمري في الحجاز ما بين مكة وجدة والمدينة، أبي الشيخ محمد بن عوض بن لادن هو من مواليد حضرموت، كما هو معلوم، وذهب للعمل في الحجاز منذ وقت مبكر جداً، منذ أكثر من ٧٠ سنة، ثم فتح الله -سبحانه وتعالى- عليه بأن شرف بما لم يشرف به أحداً من البنائين ببناء المسجد الحرام حيث الكعبة المشرفة، وفي نفس الوقت بفضل الله -سبحانه وتعالى- عليه قام ببناء المسجد النبوي، على نبينا أفضل الصلاة والسلام، ثم لما علم أن حكومة الأردن قد أنزلت مناقصة لترميم مسجد قبة الصخرة، فجمع المهندسين وطلب منهم أن يضعوا سعر التكلفة فقط، بدون أرباح، فقالوا له يعني نحن -إن شاء الله- نضمن المشروع مع ربح، قالوا إئتوا ضعوا فقط سعر التكلفة، فلما وضعوا سعر التكلفة تفاجؤوا أنه -رحمه الله- خفض السعر عن سعر التكلفة حتى يضمن خدمة البناء لمساجد الله ولهذا المسجد، فأرسي عليه المشروع، ومن فضل الله عليه كان يصلي أحياناً في اليوم الواحد في المساجد الثلاثة -عليه رحمة الله- ولا يخفى أنه كان أحد المؤسسين للبنية التحتية في المملكة العربية السعودية، وبعد ذلك درست في الحجاز ودرست الاقتصاد في جامعة جدة، أو ما يسمى بجامعة الملك عبد العزيز، وعملت مبكراً في الطرق، في شركة الوالد -عليه رحمة الله- مع العلم أن الوالد -عليه رحمة الله- توفي وكان عمري عشر سنوات، هذا باختصار عن أسامة بن لادن.

أما ماذا يريد؟ فالذي نريده ونطالب به هو حق لأي كائن حي، نحن نطالب بأن تحرر أرضنا من الأعداء، أن تحرر أرضنا من الأميركان، فهذه الكائنات الحية قد زودها الله -سبحانه وتعالى- بغيرة فطرية، ترفض أن يدخل عليها داخل، فهذه -أعزكم الله- الدواجن.. لو أن الدجاجة دخل عليها مسلح.. عسكري يريد أن يعتدي على بيتها، فهي تقاتله وهي دجاجة، فنحن نطالب بحق هو لجميع الكائنات الحية فضلاً عن الكائنات الإنسانية البشرية، فضلاً عن المسلمين، فالذي حصل على بلاد الإسلام من اعتداء -وخاصة للمقدسات- ابتداءً بالمسجد الأقصى حيث قبلة النبيّ -عليه الصلاة والسلام- الأولى، ثم استمر العدوان من التحالف الصليبي اليهودي تتزعمه أميركا وإسرائيل حتى أخذوا بلاد الحرمين -ولا حول ولا قوة إلا بالله- فنحن نسعى لتحريض الأمة كي تقوم لتحرير أرضها والجهاد في سبيل الله -سبحانه وتعالى- لتحكم الشرع ولتكون كلمة الله هي العليا.

موقفه من الهجوم الأميركي على الدول العربية والإسلامية

المحاور: لكن حدث مؤخراً هجوم أميركي - بريطاني مشترك على العراق، وأولاً كيف تقيمون مثل هذا الهجوم؟ وثانياً ردود الفعل الشعبية الإسلامية والعربية وردود الفعل الرسمية حتى الآن لم تكن -كما يقال- بالمستوى المطلوب لمقاومة مثل هذا الهجوم أو لم تكن كما يتطلع شعب العراق للرد على هذا الهجوم، ما موقفكم من هذه الـ..؟

أسامة بن لادن: الحمد لله.. الهجوم الأخير الذي حصل قبل بضعة أيام على العراق

قادته أميركا وبريطانيا آكد معاني كثيرة مهمة وخطيرة، ونحن لا نتحدث هنا عن الخسائر المادية أو البشرية ممن قتل من إخواننا المسلمين في العراق وإنما نتحدث عن دلائل هذا الهجوم، فالعراق تتهمه أميركا بأنه استخدم الغازات السامة ضد الأكراد، ضد شعبه، وتتهمه أنه استخدم أيضاً أسلحة فتاكة ضد إيران، ولكن الملفت للنظر الذي ينبغي أن يتوقف الناس عنده أنها لم تتحدث عنه في تلك المرحلة بهذا الكلام بل كانت تؤيده عبر وسطاء لها وعملاء في المنطقة، ولكن لما أصبح العراق قوة يعمل لها حساب في المنطقة، بل أصبحت أكبر قوة عربية في المنطقة تهدد الأمن اليهودي والأمن الإسرائيلي المحتل لمسرى نبينا، عليه الصلاة والسلام، من هنا بدأت تنبش هذه الأشياء وتدعي أنها تحاسبه عليها وتقول: "صحيح أن هناك أسلحة فتاكة وأسلحة دمار شامل كما في إسرائيل، ولكن إسرائيل لا تستخدمها، وإنما العراق استخدمها" فهذا كلام باهت مردود، أميركا هي تمتلك هذا السلاح، وهي التي ضربت شعوباً في أقصى المشرق، في (نجازاكي) و(هيروشيما) بعد أن سلمت اليابان، وبدأت الحرب العالمية تنتهي ومع ذلك أصرت على ضرب الشعوب عن بكرة أبيها، بأطفالهم ونسائهم وشيوخهم وكبارهم، فالحقيقة هنا ينبغي أن نستشعر أي هجوم اليوم على دولة في العالم الإسلامي إنما الهاجم الحقيقي هو إسرائيل، ولكن خشية أن يستيقظ الناس، وتبدأ حركات شعبية ضخمة تسقط الأنظمة العميلة التي تواطأت من أجل كراسيها عن نصرة الإسلام والمسلمين، فـ.. وقد خدرت مشاعر هذه الشعوب إلى حد ما بالنسبة لأميركا، فاستطاع اليهود أن يوظفوا النصارى من أميركان وبريطانيين للقيام بالواجب في ضرب العراق، وتدعي أميركا أنها تحاسبه وتحاكمه، ولكن الصواب أن السلطة الإسرائيلية، وال سلطة اليهودية التي تنفذت في داخل البيت الأبيض، كما هو أصبح واضح على الملأ، وزير الدفاع يهودي، وزيرة الخارجية يهودي، مسؤولي الـ A.I.C والأمن القومي، كبار المسؤولين يهود، فهم ساقوا النصارى لتقصيص أجنحة العالم الإسلامي، والمستهدف في الحقيقة هو ليس صدام حسين، وإنما المستهدف هي القوة الناشئة في العالم الإسلامي والعربي سواءً ضربوا الشعب العراقي، أو كما زعموا من قبل في محاصرة ليبيا بسبب أن يوجد لديها مصنع كيماوي، أو عندما ضربوا المصنع، مصنع الشفاء في السودان، وهو مصنع أدوية، فينبغي الانتباه إلى ذلك، مسألة أخرى من دلالات هذا الحدث الظاهر أكدت بشكل.. بشكلٍ واضح جلي ما ينبغي لمسلم ولا عاقل بعده أن يذهب إلى الأمم المتحدة، وأما المسلمون فشرعاً لا يجوز أن يتحاكموا إلى هذه الأنظمة الكفرية الوضعية، ولكن نقول عن العقلاء من غير المسلمين أيضاً هم لا يذهبون، فهذه كوريا الشمالية مثلاً.. هل يوجد عاقل -ولو كان كافراً- يذهب إلى محكمة القاضي فيها إن كان الحكم علينا ضربنا ضرباً شديداً موجعاً تحت ما يسمى زوراً وبهتاناً بالشرعية الدولية، وإن كان الحق لنا تستخدم أميركا حق الفيتو، فلا يذهب إلى هناك مسلم أصلاً لأن هذا يتنافى مع الإيمان، ولا يذهب عاقل ولو كان كافراً، والذين يكثرون من الحديث عن الأمم المتحدة، وقرارات الأمم المتحدة إما هم لا يفقهون دينهم أو هم يريدون أن يخذلوا ويخدروا الأمة بتعليق آمالهم على سراب وهوان.. وأوهام ولا حول ولا قوة إلا بالله.

المحاور: هذا الهجوم الأميركي البريطاني على العراق، هل ترون أنه يزيد من شعبية وتأييد الجماعات المناهضة لأميركا أم أنه سيعمل على إرهابها وإخضاعها ويجعلها تخشى أن تقوم بأي عمل من الأعمال العسكرية أو غير العسكرية حتى ضد الولايات المتحدة ومصالحها؟

أسامة بن لادن: الذي ينبني على ما سبق وعلى هذا السؤال آن الأوان للشعوب المسلمة أن تدرك بعد هذه الهجمات أن دول المنطقة هي دول ليست ذات سيادة، فأعداؤنا يسرحون ويمرحون في بحارنا وفي أراضينا وفي أجوائنا، يضربون دون أن يستأذنوا أحداً، وخاصة في هذه

المرة لم تستطع أميركا والولايات.. وبريطانيا أن يحشدوا معهم أحداً في هذه المؤامرة الفاضحة المكشوفة، ولم يعد هناك في أيديهم قدرة، الأنظمة الموجودة إما هي متواطئة أو فقدت القدرة على القيام بأي عمل ضد هذا الاحتلال السافر، فينبغي على المسلمين، وبخاصة أهل الحل والعقد وأهل الرأي من العلماء الصادقين والتجار المخلصين وشيوخ القبائل أن يهاجروا في سبيل الله ويجدوا لهم مكاناً يرفعوا فيه راية الجهاد ويعبؤوا الأمة للمحافظة على دينهم وعلى دنياهم وإلا سيذهب عليهم كل شيء، فإذا لم يعتبروا مما أصاب إخواننا في فلسطين، بعد أن كان الشعب الفلسطيني مشهور بنشاطه وزراعته التي يصدرها وحمضياته وصناعة النسيج، وصناعة الصابون، أصبح ذلك الشعب -وهم إخواننا- مشردين، مطرودين في كل أرض، وأصبحوا في الأخير أجراء عند اليهودي هذا المستعمر، متى شاؤوا أدخلوهم، ومتى شاؤوا منعوهم بأزهد الأسعار، فالأمر خطير، وإذا لم نتحرك وقد أعتدي على البيت العتيق، على قبلة ١٢٠٠ مليون مسلم، فمتى يتحرك الناس؟! هذا أمرٌ عظيم ينبغي السعي فيه، وأما من يظن أن هذا الضرب يرهب الحركات الإسلامية فهو واهم، فنحن كمسلمين نعتقد أن الآجال معلومة، محدودة، لا تتقدم ولا تتأخر، منذ أن كنا في بطون أمهاتنا، وأن الأرزاق هي بيد الله -سبحانه وتعالى- وهذه الأنفس الله -سبحانه وتعالى- هو خلقها، والأموال هو رزقها، ثم اشتراها بالجنة، فعلام يتأخر الناس عن نصرة الدين؟!

المحاور: بعد الهجوم الأميركي الأول على أفغانستان في الصيف الماضي ورد في وكالات الأنباء أو في تصريحات لكم أو لمندوبيكم أنكم ستردون على هذا الهجوم، لكن حتى الآن لم يقع أي رد أو لم نسمع بأي رد، في حال حصول هجوم أميركي جديد على أفغانستان، هل نتوقع هناك رد فعل عملي تجاههم وماذا سيكون هذا الرد؟

أسامة بن لادن: نحن واجبنا -والذي قمنا به- أن نحرض الأمة على الجهاد في سبيل الله ضد أميركا وإسرائيل وأعوانهم، وما زلنا في هذا الخط نحرض الناس، وما حصل بفضل الله -سبحانه وتعالى- من تحرك شعبي في هذه الشهور الأخيرة مبشر في الاتجاه الصحيح لإخراج الأميركان من بلاد المسلمين، نحن نظراً لكثير من الظروف التي تحيط بنا وعدم القدرة على الحركة خارج أفغانستان لمزاولة الأعمال من قرب، ما تيسر لنا، لكن بفضل الله كنا شكلنا مع عدد كبير من إخواننا (الجبهة الإسلامية العالمية لجهاد اليهود والصليبيين) فأنا أعتقد أن كثير من هؤلاء أمورهم تسير بشكلٍ جيد ولديهم حركة واسعة نرجو الله أن يفتح عليهم في نصرة الدين، والانتقام من اليهود والأميركان.

المحاور: هذه الجبهة الإسلامية العالمية مضى على تشكيلها قرابة سبعة أشهر أو ثمانية أشهر تقريباً أو الإعلان عن تشكيلها هذا الوقت حتى الآن لم يسمع لها أي صوت غير البيان الذي أشرتم إليه أو المؤتمر الصحفي الذي عقدتموه في مدينة (خوست) في الصيف الماضي هل تعتبر هذه الجبهة مجمدة الآن عملياً؟

أسامة بن لادن: هي غير مجمدة، وأفرادها من جنسيات متعددة جداً وعندهم هامش واسع في الحركة، وليس بالضرورة أن يعلنوا عن أي عملٍ قاموا به، مع العلم أن هذه الأشهر لا تعتبر كثيرة في سبيل إنهاض الأمة ومقاومة أكبر عدو في العالم.

المحاور: الولايات المتحدة الأميركية حذرت رعاياها في دول الخليج وفي المنطقة بشكل عام من عمليات ستقومون بها أنتم وأنصاركم خاصة في شهر رمضان الحالي.

أولاً: ما مدى جدية مثل هذه التحذيرات بالنسبة للرعايا الأميركان، وهل تستهدفون الرعايا الأميركان بشكلٍ عام أم القوات الأميركية المتواجدة في الخليج وفي بعض المناطق الإسلامية الأخرى؟

أسامة بن لادن: سمعت هذا الخبر قبل أيام في الإذاعات وأدخل السرور على قلبي وهو مبشر لنهوض الأمة بفضل الله، سبحانه وتعالى، ولكن مدى جدية هذا التهديد، إذا عرفت المهدد أستطيع أن أقول، لم أعرف للأسف إلى الآن من الذي قام بهذا الجهد المبارك، لكننا ندعو الله - سبحانه وتعالى- أن يوفقهم وأن يفتح عليهم وأن يمنحهم أكتاف الكافرين والأميركان وغيرهم، وأما الفتوى السابقة كانت تحدثت على أنه عندنا في ديننا هناك تقسيم مختلف عما يدعيه الكفار، وإن كان هم يدعون دعاوى ويمشون بخلافها، نحن نفرق بين الرجل وبين المرأة والطفل والشيخ الهرم، أما الرجل هو مقاتل سواء حمل السلاح أو أعان على قتالنا بدفعه للضرائب وبجمع المعلومات فهو مقاتل، أما ما ينشر بين المسلمين أنه فلان.. أسامة يهدد قتل المدنيين، فهم ماذا يقتلون في فلسطين؟ يقتلون الأطفال ليس المدنيين فقط، بل الأطفال، فأميركا استأثرت بالجانب الإعلامي، وتمكنت من قوى إعلامية ضخمة، فتكيل بمكاييل مختلفة في أوقات حسب ما يناسبها، فالمستهدف -إذا يسر الله سبحانه وتعالى للمسلمين- كل رجل أميركي هو عدو لنا من الذين يقاتلوننا قتال مباشر أو يدفعون الضرائب، ولعلكم سمعتم في هذه الأيام أن نسبة الذين يؤيدون (كلينتون) في ضرب العراق، تقريباً 3/4 الشعب الأميركي، فشعب ترتفع أسهم رئيسه عندما يقتل الأبرياء، شعب عندما يرتكب رئيسه الفواحش العظيمة، الكبائر تزيد شعبية هذا الرئيس، شعب منحط لا يفهم معنى للقيم أبداً.

المحاور: البنتاجون الأميركي نشر تقارير عن صحتكم وذكر أن هذه التقارير منسوبة لجهات استخبارية باكستانية تفيد أنكم تعانون من مرض عضال وقد لا تعمرون طويلاً، حسب هذه التقارير قيل أنكم قد لا تعمرون سوى خمسة إلى ستة أشهر على أكثر تقدير، أولاً: ما مدى صحة هذه التقارير؟ ثانياً: ما الهدف من نشر مثل هذه التقارير في هذه الظروف وبعد نشر التحذيرات للرعايا للأميركان من إمكانية قيامكم بعمليات أنتم وأنصاركم؟

أسامة بن لادن: الحمد لله.. أما من ناحية الصحة فلله الحمد والمنة، نشكره دائماً، فأنا أتمتع بصحة جيدة جداً بفضل الله ، وكما ترى نحن في الجبال يعني نتحمل هذا البرد القارص، ونتحمل أيضاً في الصيف حرارة المنطقة، وبفضل الله مازلت يعني هوايتي المفضلة ركوب الخيل وإلى الآن - بفضل الله- أستطيع أن أسير على الخيل مسافة ٧٠ كيلو بدون توقف، بفضل الله سبحانه وتعالى، فهذه إشاعات مغرضة لعل الغرض منها يعني محاولة تحبيط لبعض معنويات المسلمين المتعاطفين معنا، ولعل الغرض منها تهدئة روع الأميركان من أن أسامة ممكن ما يفعل شيء، ولكن الصواب أن الأمر ليس متعلق بأسامة، هذه أمة من ١٢٠٠ مليون مسلم لا يمكن قطعاً حتماً أن تدع بيت الله العتيق لهؤلاء المناجيس المناكيد من اليهود والنصارى، فالأمة -بإذن الله- مواصلة ونحن مطمئنون إلى أنهم سيواصلون الجهاد والضرب المؤلم لأميركا وأعوانها بإذن الله.

المحاور: يوم العشرين من شهر ٨ الماضي، شهر أغسطس الماضي، حينما تم القصف الأميركي على أفغانستان قيل أنكم كنتم تحضرون اجتماع في منطقة (خوست) التي تعرضت للقصف الأميركي الصاروخي وأن القصف الصاروخي تم توقيته بحيث تكونون في ذلك الاجتماع، أولاً: هل كنتم في ذلك الاجتماع أو هل كان هناك اجتماع؟

والمسألة الأخرى أنه قيل أن رسالة وصلتكم من دولة مجاورة - ويقصد بها باكستان- تطلب منكم الخروج من ذلك المكان مباشرة لإمكانية تعرضه للقصف، ما مدى علاقاتكم مع باكستان وكيف تقيمون موقفها منكم؟ وهل تظنون أن باكستان يمكن أن تتعاون مع الولايات المتحدة في توجيه الضربة لكم؟

أسامة بن لادن: الحمد لله.. المعلومة التي كانت عند الأميركان.. ظاهر -بفضل الله- أنها كانت معلومات خاطئة، لم أكن في (خوست) أصلاً في كل ولاية (باكتيا) لم أكن موجود فيها، بل كنت على بعد يعني بضع مئات من الكيلو مترات عن ذلك المكان، و أما ما قيل عن معلومات وصلتنا، فنحن -بفضل الله سبحانه وتعالى- وجدنا شعباً متعاطفاً، معطاءً في باكستان فاق جميع حساباتنا من تعاطفهم -نرجو الله أن يتقبل منهم- وتصلنا معلومات من أحبابنا ومن أنصار الجهاد في سبيل الله ضد الأميركان، والشعب والناس في باكستان أعطوا معيار واضح لمدى البغض والكره للغطرسة الأميركية على العالم الإسلامي، وأما ما ذكرته بالنسبة لباكستان فهناك أجنحة متعاطفة مع الإسلام ومتعاطفة مع الجهاد ضد الأميركان، وهناك أجنحة قليلة هي -بفضل الله- لكن للأسف مازالت تتعاون مع أعداء الأمة من هؤلاء الأميركان.

المحاور: على الصعيد الرسمي تقصدون؟

أسامة بن لادن: أقصد الحكومة يعني فيه أجنحة في داخل الحكومة.

المحاور: نشر في بعض الصحف العربية والأجنبية أيضاً مواضيع حول سعيكم لامتلاك سلاح نووي أو كيماوي أو بيولوجي خاصة عن طريق بعض التجار من دول وسط آسيا أو بقايا الاتحاد السوفيتي، ما صحة هذه المعلومات خاصة وأن الإدارة الأميركية في سجل الاتهامات الذي اتهمتكم به -والبالغ ٢٣٥ اتهاماً- سجلت هذه الاتهامات وأنكم تسعون جادين لامتلاك مثل هذه الأسلحة؟

أسامة بن لادن: نحن -كما ذكرت- نطالب بحقوقنا، بإخراجهم من بلاد العالم الإسلامي وعدم سيطرتهم علينا، ونعتقد أن هذا حق الدفاع عن النفس هو حق لكل البشر، ففي وقت تختزن إسرائيل فيه مئات ا لرؤوس النووية والقنابل النووية ويسيطر فيه الغرب الصليبي على هذا السلاح بنسبة كبيرة، فلا نعتبر هذا تهمة، بل هو حق ولا نقبل من أحد أن يوجه تهمة علينا بذلك، يعني كما تتهم رجل، كيف أن يكون فارساً شجاعاً مقاتلاً تقول أنت لماذا ذلك؟! لا يتهمه بذلك إلا رجل مختل، غير عاقل، وإنما هذا حق نحن أيدنا وهنأنا الشعب الباكستاني عندما فتح الله عليهم وامتلكوا هذا السلاح النووي، ونعتبر أنه حق من حقوقنا ومن حقوق المسلمين، ما نلتفت لهذه التهم المهترئة من أميركا.

المحاور: يعني هل هذا تأكيد للاتهامات أنكم تسعون للحصول على هذا السلاح؟

أسامة بن لادن: نحن نقول هذا ليس تهمة، يعني هذا واجب على المسلمين أن.. أن يملكوه، وأميركا تعلم اليوم أن المسلمين يملكون هذا السلاح، بفضل الله سبحانه وتعالى.

المحاور: الاتهامات التي وجهتها لكم الإدارة الأميركية أو المتعلقة بقضايا -كما يقولون- أنها تتعلق بالإرهاب ودعم جماعات إرهابية وغيرها وكذا، هل أنتم على استعداد لمواجهة مثل هذه الاتهامات والمحاكمة في دولة أخرى وفي محكمة محايدة؟

أسامة بن لادن: أقول هناك طرفان في الصراع: الصليبية العالمية بالتحالف مع اليهودية الصهيونية تتزعمهم أميركا وبريطانيا وإسرائيل، والطرف الآخر العالم الإسلامي، فمن غير المقبول في مثل هذا الصراع هو يعتدي ويدخل على أرضي ومقدساتي وينهب بترول المسلمين ثم عندما يجد أي مقاومة من المسلمين يقول هؤلاء هم إرهابيون!! هذا يعني حماقة أو بيستحمق الآخرين، فنحن نعتقد من واجبنا شرعاً أن نقاوم هذا الاحتلال بكل ما أوتينا من قوة ونعاقبه بنفس الطرق التي هو يستخدمها ضدنا.

المحاور: لكن حكومة طالبان أعلنت أنها مستعدة أو أنها ستسعى لمحاكمتكم في حال وجود أو ورود أي أدلة من.. قطعية من أي دولة ومن أي جهة لها حول الاتهامات التي وجهت إليكم من قبل هذه الدول، هل تقبلون بمحاكمة وفق القوانين التي تطبقها طالبان والشريعة الإسلامية؟

أسامة بن لادن: نحن خرجنا من بلادنا جهاداً في سبيل الله، سبحانه وتعالى، مَنّ الله -سبحانه وتعالى- علينا بهذه الهجرة المباركة، رغبةً في السعي لتحكيم الشريعة والتحاكم إلى الشريعة فهذا مطلبنا ونحن خرجنا من أجله، فأي محكمة شرعية تطبق الشريعة الإسلامية بعيداً عن الضغوط التي يمارسها أهل الأهواء، هذا هو هدفنا ومطلبنا، ونحن مستعدون في أي وقت لأي محكمة شرعية يقف فيها المدعي والمدعى عليه.

أما إذا كان المدعي هو الولايات المتحدة الأميركية فنحن أيضاً في نفس الوقت نكون أيضاً ندعي عليها بأشياء كثيرة، بعظائم الأمور التي ارتكبتها في بلاد المسلمين، لكن الأميركان -قاتلهم الله- عندما طلبوني من الطلبة، رفضوا التحاكم إلى الشريعة وقالوا نحن نطلب شيء واحد أن تسلموا أسامة بن لادن فقط، يتعاملون مع الناس كأنهم عندهم عبيد أو غلمان من كبرياءهم، نرجو الله أن يذلهم.

علاقته بتفجير السفارات الأميركية في شرق إفريقيا :

المحاور: التفجيرات التي حدثت ضد السفارات الأميركية في شرق إفريقيا، في نيروبي وفي دار السلام، هناك اتهامات وجهت لكم من خلال الاعترافات التي نشرت عن طريق بعض الصحف الباكستانية والعالمية منسوبة لمحمد صادق هويده الذي اعتقل في باكستان وسلّم للولايات المتحدة والسلطات الكينية، ادعى هو عليكم أنكم أنتم أعطيتموه أوامر وطلبتم منه تنفيذ هذه التفجيرات، ما حقيقة موقفكم من هذه التفجيرات؟ وما علاقتكم بمحمد صادق هويده؟

أسامة بن لادن: هو بفضل الله -سبحانه وتعالى- أدخلت السرور على المسلمين في العالم الإسلامي، والمتابع للصحافة أو للإعلام العالمي وجد مدى التعاطف في العالم الإسلامي لضرب الأميركان، وإن كان الناس قد أسفوا لمقتل بعض الأبرياء من أهل تلك البلاد، لكن الواضح هو الموجة العارمة من الفرح والسرور التي عمت العالم الإسلامي لأنهم يعتقدون أن اليهود وأميركا قد بالغوا في التعسف وفي احتقار المسلمين، وعجزت الشعوب عن أن تحرك الدول الإسلامية لأن تدافع عنها أو أن تثأر لدينها، فلذلك هذه الأفعال هي ردود أفعال شعبية بحتة من شباب قدموا رؤوسهم على أكفهم يبتغون رضوان الله، سبحانه وتعالى، فأنا أنظر بإجلال كبير واحترام إلى هؤلاء الرجال العظام على أنهم رفعوا الهوان عن جبين أمتنا سواء الذين فجروا في الرياض أو تفجيرات الخبر أو تفجيرات شرق إفريقيا وما شابه ذلك، أو إلى إخواننا الأشبال في فلسطين الذين يلقنون اليهود دروساً عظيمة في كيف يكون الإيمان وكيف تكون عزة المؤمن، ولكن للأسف بعد تلك العمليات الجريئة في فلسطين اجتمع الكفر العالمي، والمحزن أن يجتمعوا على أرض الكنانة في مصر، وجاؤوا بعملائهم من حكام المنطقة، من حكام العرب، بعد أن ضحكوا على الأمة أكثر من نصف قرن وكلما اجتمع ملك مع رئيس قالوا: "يحثوا القضية الفلسطينية" وبعد مرور نصف قرن تتضح الصورة جلية أنهم جاؤوا لا ليخذلوا المجاهدين في فلسطين وإنما جاؤوا ليدينوا أولئك الأشبال الذين قتل آبائهم وقتل إخوانهم، وسجنوا، وعذبوا، واضطهدوا، يدافعون عن دينهم، يريدون أن يجلوا الكفار منهم، فكما يقال "من المعضلات توضيح الواضحات"، فلا أدري ماذا ينتظر الناس بعد هذه العمالة الواضحة البينة والاستخزاء الذي يمارسه الحكام العرب لصالح اليهود أو أميركا، لعله جزء من السؤال ما أجبت عليه من طوله.. أتذكر.

المحاور: نعم، لكن الولايات المتحدة تقول أنها على قناعة ولديها أدلة بتورطكم بهذه العمليات، وحتى الآن لم تكشف هي عن هذه الأدلة غير أنه في التحقيقات يقال أن شخص كان من

جماعتكم أو من أنصاركم اعترف للمخابرات الأميركية بأشياء كثيرة عن تنظيمكم وعن علاقتكم بعمليات حتى مركز.. تفجير مركز التجارة الدولي.

أسامة بن لادن: ادعاءات أميركا كثيرة، ولكنها -على افتراض صحتها- لا تعنينا في شيء، هؤلاء يقاومون الكفر العالمي الذي احتل بلادنا، فما الذي يغضب.. يغضب أميركا عندما تعتدي على الناس والناس يقاومونها! لكن ادعاءاتها أيضاً مع ذلك باطلة، إلا إذا قصدت أنني لي صلة بتحريضهم فهذا واضح وأعترف به في كل وقت وحين أنني كنت أحد الذين وقعوا على الفتوى لتحريض الأمة للجهاد، وحرضنا منذ بضع سنين، وقد استجاب كثير من الناس -بفضل الله- كان منهم الإخوة الذين نحسبهم شهداء، الأخ عبد العزيز المعزم الذي قتل في الرياض، ولا حول ولا قوة إلا بالله، والأخ مصلح الشمراني، والأخ رياض الهاجري، نرجو الله -سبحانه وتعالى- أن يتقلب.. يتقبلهم جميعاً، والأخ خالد السعيد، فهؤلاء اعترفوا أثناء التحقيق أنهم تأثروا ببعض الإصدارات والبيانات التي ذكرناها للناس، نقلنا فيها فتاوى أهل العلم في وجوب الجهاد ضد هؤلاء الأميركان المحتلين، فكما ذكرت من قبل ما الخطأ في أن تقاوم المعتدي عليك؟ جميع الملل هذا جزء من كيانها، هؤلاء البوذيون، هؤلاء الكوريون الشماليون، هؤلاء الفيتناميون قاتلوا الأميركان، هذا حق مشروع، فبأي حق الإعلام العربي والإسلامي يطارد المجاهدين الذين اقتدوا واهتدوا بسيد الأنام محمد -صلى الله عليه وسلم- الذي جاء عنه في الصحيح "والذي نفس محمد بيده لوددت أن أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل"، فهذه أمنية لنا أن نجاهد في سبيل الله، وقد ذكرت من قبل مع بعض الجهات الإعلامية الغربية أنه شرف عظيم فاتنا أن لم نكن قد ساهمنا في قتل الأميركان في الرياض، فهذه تهم باطلة جملة وتفصيلاً، إلا إذا قصدوا الصلة بالتحريض فهذا صحيح، أنا حرّضت الأمة على الجهاد مع كثير من إخواني ومن علماء المسلمين.

المحاور: محمد صادق هويده ادّعى أنه تدرّب في معسكراتكم، وأنه كان على علاقة شخصية بكم، ما مدى صحة ادّعاءاته، أو الأقوال المنسوبة إليه في بعض وسائل الإعلام؟

أسامة بن لادن: الذي أعرفه أنه في معسكرات الجهاد في أفغانستان التي منّ الله -سبحانه وتعالى- علينا أن ساهمنا في فتحها أيام الجهاد ضد الاتحاد السوفيتي قد تدرّب في تلك المعسكرات أكثر من خمسة عشر ألف شاب -بفضل الله سبحانه وتعالى- معظمهم من بلاد العرب، وبعضهم من إخواننا من العالم الإسلامي، فأما ما يقال أني كلفته بالقيام بهذا التفجير فأعتقد جازماً أن هذا وهم مغالطة تفتعلها الحكومة الأميركية، وليس عندها أي دليل، وعلى افتراض أن الأخ هويده قال هذا الكلام فيكون تحت التعذيب أخذ منه اعترافات، كما لا يخفى أساليب التعذيب في باكستان أو في شرق أفريقيا.

المحاور: لكن أيضاً محمد صادق هويده ادّعى عليكم أنكم أنتم أعطيتم أوامر باغتيال الشيخ عبد الله عزّام في (بيشاور) في عام ١٩٨٩ م، وأنه كان هناك صراع على قيادة العرب أو الأفغان العرب ما يسمونهم المجاهدين العرب في أفغانستان بينكم وبين الشيخ عبد الله عزام، الذي كان يرأس مكتب الخدمات، ما مدى صحة هذه الادّعاءات، وما موقفكم منها؟ وكيف يمكن أن تصفوا علاقتكم مع الشيخ عبد الله لحين مقتله؟

أسامة بن لادن: الشيخ عبد الله عزام -عليه رحمة الله- هو رجل بأمة، وأظهر بوضوح بعد أن اغتيل -رحمه الله- مدى العقم الذي أصاب نساء المسلمين من عدم إنجاب رجل مثل الشيخ عبد الله -عليه رحمة الله- فأهل الجهاد الذين حضروا الساحة وعاشوا تلك المرحلة يعلمون أن الجهاد الإسلامي في أفغانستان لم يستفد من أحد كما استفاد من الشيخ عبد الله عزام، حيث أنه حرّض الأمة من أقصى المشرق لأقصى المغرب، والشيخ عبد الله عزام -رحمه الله- في فترة من ذلك الجهاد

المبارك زاد نشاطه مع إخواننا المجاهدين في فلسطين وبالذات حماس، وبدأت كتب الشيخ تدخل إلى.. داخل.. داخل فلسطين، وفي تحريض الأمة على الجهاد ضد اليهود، وخاصة كتاب "آيات الرحمن"، وبدأ ينطلق.. ينطلق الشيخ من الجو الذي ألفه الإسلاميون والمشايخ من جو القوقعة الضيق والإقليمي وأحياناً يكون داخل مدينته، انفتح إلى العالم الإسلامي لتحريض العالم الإسلامي، فعند ذلك وكنا وهو في مركب واحد كما لا يخفى عليكم مع أخينا وائل جليدان، فعملت مؤامرة لاغتيال الجميع، وكنا نحرص كثيراً على ألا نكون دائماً مع بعضنا، وكنت كثيراً ما أطلب من الشيخ -عليه رحمة الله- أن يبقى بعيداً عن (بيشاور) في (صدى)، نظراً لزيادة المؤامرات وخاصة اكتشف في المسجد قبل أسبوع.. أسبوعين قنبلة، المسجد الذي يخطب فيه الشيخ في (سبع الليل) فاليهود كانوا أكثر المتضررين من تحرك الشيخ عبد الله، فالمعتقد أن إسرائيل مع بعض عملائها من العرب هم الذين قاموا باغتيال الشيخ، وأما هذه التهمة نعتقد يروجها اليوم اليهود والأميركان وبعض عملائهم، ولكن هذه أدنى من أن ترد، يعني لا يعقل أن الإنسان يقطع رأسه، ومن عاشوا الساحة يعلموا مدى الصلة القوية بيني وبين الشيخ عبد الله عزام، وترهات.. يعني يذكرها بعض الناس لا أساس لها من الصحة، ولم يكن هناك تنافس، فالشيخ عبد الله -عليه رحمة الله- كان مجاله في باب الدعوة والتحريض، ونحن كنا في جبال (باكتيا) في الداخل، وهو يرسل إلينا الشباب، نأخذ توجيهاته في ما يأمرنا به عليه رحمة الله، ونرجو الله -سبحانه وتعالى- أن يتقبله شهيداً وابنيه محمد وإبراهيم، وأن يعوض الأمة من يقوم بالواجب الذي كان يقوم به.

تأثير الحصار الاقتصادي والمالي على أسامة بن لادن

المحاور: بعد القصف الصاروخي الأميركي على أفغانستان أمر الرئيس الأميركي بحرب اقتصادية أو مالية ضدكم، وضد المؤسسات التجارية أو المالية التي تديرونها أو تتعاملون معها، وقيل أن بدأت مرحلة تجفيف الينابيع والمصادر المالية لكم، هذا الأمر ألا يمكن أن يضع مواردكم المالية في أضيق حدودها، ويمكن أن يسبب لكم متاعب مالية وأن يسبب انفضاض أنصاركم عنكم في مرحلة قادمة؟

أسامة بن لادن: اللهم صلي وسلم وبارك عليه، الحرب سجال، يوم لنا ويوم علينا، فأميركا مارست ضغوط شديدة جداً على نشاطاتنا منذ وقت مبكر، وأثر ذلك علينا، وقد استجابت بعض الدول التي لنا فيها أملاك وأموال وأمرتنا بالكف عن العداء لأميركا، ولكن اعتقادنا أن هذا واجب علينا في تحريض الأمة، فاستمرينا في التحريض، وبفضل الله -سبحانه وتعالى- واصلنا، ونحن الآن لنا بضع سنين من الضغط الأميركي، لم يبدأ -في الحقيقة- مع القصف الأخير، ولكن بعض الدول العربية مارست علينا ضغوط اقتصادية منعتنا من حقوقنا، وضيقت علينا، ومنعت حتى أهلنا أن يدفعوا إلينا أموالنا، وهم في ذلك يقتدون بعبد الله بن أبيّ بن سلول زعيم المنافقين، ويقتدون بالمنافقين، الذين قال الله -سبحانه وتعالى- فيهم: (هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا، ولله خزائن السموات والأرض، ولكن المنافقين لا يفقهون) ، فعاقبهم الله سبحانه وتعالى، والآن هم يعيشون في تضييق أشد من تضييقهم علينا، وأما نحن، فكما صح عن نبينا عليه الصلاة والسلام: "من بات آمناً في سربه، معافاً في بدنه، حائزاً قوت يومه، فقد جمعت له الدنيا بحذافيرها" ، فوالله الذي لا إله إلا هو نشعر أن الدنيا بحذافيرها معنا، والمال ظلّ زائل، لكننا نخاطب المسلمين أن يبذلوا أموالهم في الجهاد مع الحركات الجهادية، التي خاصة تفرغت لقتال اليهود والصليبيين.

الحديث الطويل يقول يوم تبوك: " تخلفت وما كنت أيسر مني حالاً قط مني يوم ذاك، وما ملكت راحلتين إلا في تلك الغزوة، وقلت اليوم أتجهز، فيمضي اليوم ولم أجهز من أمري شيئاً" ويقول: "نادى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالجهاد عندما أينعت الثمار، وكنت إليها أصعر" أي أميل وأميل إلى الثمار.

فالإنسان بشر تتجاذبه أثقال الأرض، وهو من هو -رضي الله عنه- من السابقين، بل أحد الذين عقدوا بيعة العقبة الكبرى المباركة التي منها انطلقت دولة الإسلام في المدينة المنورة، تأخّر بغير عذر، ومما جاء في حديثه الطويل أنهم كانوا ثلاثة كما في كتاب الله: (وعلى الثلاثة الذين خلّفوا)، والروايات في السيرة أن الذين خرجوا إلى تبوك ثلاثون ألفاً، كم يعد ثلاثة من ثلاثين ألفاً؟ رقم لا يذكر اليوم، لو سألنا أي عسكري أو قائد في الجيش، نقول له: إذا تخلف عندك ثلاثة من ثلاثين ألف، رقم لا يذكر، لكن لعظيم الذنب أنزل الله -سبحانه وتعالى- من فوق سبع سماوات قرآناً يتلى إلى يوم القيامة في حساب هؤلاء، فيقول كعب رضي الله عنه: فلما ضاقت عليّ الأرض بما رحبت تسورت حائطاً لابن عمي أبي قتادة وكان أحبّ الناس إلي، فقلت: يا أبا قتادة، أنشدك بالله هل تعلم أني أحب الله ورسوله" ، أمر خطير جداً، أراد أن يطمئن على أعظم ما يملك في الوجود، حب الله والرسول عليه الصلاة والسلام، وإلا لا معنى لوجودنا بغير حبهما، حب الله ورسوله عليه الصلاة والسلام، "قال: فلم يجبني، قال: فناشدته الثانية، قال: فلم يجبني، قال: فناشدته الثالثة" فلم يستطع أبو قتادة -رضي الله عنه- أن يثبت له محبته لله والرسول، كيف يثبتها وهو قاعد مع الخوالف، وهذا دين الله، قد جاءت الأخبار أن الروم يريدون أن يعتدوا عليه في تبوك، وهذا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- خرج في الضح والحرور يريد نصرة الدين، وأنت جالس عن نصرته، كيف يثبت لك؟ فلم يثبت له محبة الله ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم، ولم ينفها عنه، ولكن قال: "الله ورسوله أعلم، فيقول كعب: فتوليت وفاضت عيناي" وحُقّ له، أحب الناس إليه لم يستطع أن يثبت له هذا الأمر العظيم، فالشاهد من قولنا أن هذا الجهاد اليوم هو متعيّن على الأمة وقد يسقط للعجز، لكننا نحن نعتقد أن الذين خاضوا الجهاد في أفغانستان أكثر ما يتوجب عليهم، لأنهم علموا أن بإمكانيات ضعيفة، بعدد قليل من الـ RBJ ، عدد قليل من ألغام الدبابات، عدد قليل من الكلاشينات تحطّمت أكبر أسطورة بشرية عرفتها.. عرفتها البشرية، وتحطّمت أكبر آلة عسكرية، وزال من أذهاننا مايسمى بالدول العظمى، ونحن نعتقد أن أميركا أضعف بكثير من روسيا، ومما بلغنا من أخبار إخواننا الذين جاهدوا في الصومال، وجدوا العجب العجاب من ضعف الجندي الأميركي ومن هزالة الجندي الأميركي ومن جبن الجندي الأميركي، ما قتل منهم إلا ثمانون فروا في ليل أظلم لا يلوون على شيء بعد ضجيج ملأ الدنيا عن النظام العالمي الجديد، فهذا اعتقادنا.. يسع الناس -إذا اتقوا الله- الذي يعلم إنه باستطاعته يجاهد، والذي يعلم أن الظرف الآن مازال يحتاج إلى استكمال يعمل في استكمال المقومات والله أعلم.

المحاور: المبلغ الذي رصدته الإدارة الأميركية للقبض عليكم أو للإدلاء بمعلومات تفيد في القبض عليكم واعتقالكم وهو خمسة ملايين دولار، البعض يظن أن هذا المبلغ قد يكون مغر للبعض من أنصاركم، وربما يدفعه لأن يدلي بمعلومات حولكم أو يخونكم، ألا تخشون من خيانة من أي طرف؟

أسامة بن لادن: الحمد لله، يعني أنت أتيت وترى ما عندنا، هؤلاء الشباب نرجو الله أن يتقبلهم ويتقبّل من قُتل منهم شهيداً طيلة هذا الجهاد المبارك، هم تركوا الدنيا، وجاؤوا إلى هذه الجبال وإلى هذه الأرض، تركوا أهلهم، تركوا آباءهم وأمهاتهم، وتركوا جامعاتهم، وجاؤوا هنا تحت القصف وتحت متابعات كروز وصواريخ الأميركان، وقد قتل بعضهم كما علمتم من إخواننا، ستة من الإخوان العرب، وأحد إخواننا من الترك، نرجو الله أن يتقبلهم جميعاً شهداء،

كان منهم أخونا الصدّيق من مصر، وأخونا حمدي من مصر، وثلاثة من إخواننا من اليمن منهم أخونا بشير كان مشهور باسم سراقة، وأخونا أبو جهاد أيضاً، وكذلك أخونا من المدينة المنورة زيد صلاح مطبقاني، فهؤلاء تركوا الدنيا، وجاؤوا إلى الجهاد، فأميركا لأن هي تعبد المال، تظن أن الناس هنا على هذه الشاكلة، والله ما غيرنا رجلاً من مكانه بعد هذه الدعايات، لأن لا نشك في إخواننا، نحسبهم على خير، نحسبهم كذلك، والله حسيبهم.

علاقته بحركة طالبان وحقيقة علاقته بالمخابرات الأميركية

المحاور: بالنسبة للعلاقة التي تربطكم بالحكومة الأفغانية أو حركة طالبان، ما هي طبيعة هذه الحركة؟ وهل أنتم تبع لها وجزء منها، أم أنكم تعملون باستقلالية، لكن في أرض أفغانية؟

أسامة بن لادن: حركة طالبان بارك الله -سبحانه وتعالى- في هذا التحرك بعد مرور أربعة عشر سنة من بدء الجهاد الذي قام به المجاهدون السابقون، وكان للطلاب أيضاً دور فيه، ووفقهم الله -سبحانه وتعالى- في تلك المرحلة لهزيمة الاتحاد السوفيتي، فالذين رفعوا راية الجهاد في تلك المرحلة المبكرة قد فتح الله عليهم في هزيمة أكبر دولة في العالم، وأكبر دولة عسكرية، ولكن للأسف بعد ذلك لم يكملوا الطريق ودخل بعض الخلاف تدخلت فيه أميركا وبعض الدول العربية ذات الصلة القوية بالعمالة لأميركا قاموا بعمل فتنة بين المجاهدين، وحصل القتال الذي أسف له الجميع، مما عانى وزاد من معاناة الشعب المسلم في أفغانستان، المؤسف هنا أن كثيراً من المحسنين أوقفوا دعمهم لأفغانستان بحجة الاقتتال الداخلي، وهذا في الحقيقة تصرف لم يحالفه صواب، لأن الأرامل والأيتام الذين قتل أزواجهم أو آباؤهم هؤلاء زادت عليهم المعاناة، وكان ينبغي على المحسنين من المسلمين أن يأتوا هنا لكفالة هؤلاء الأيتام وكفالة هؤلاء الأرامل، ولكن الشيطان زيّن لهم أن يتركوا نصرة المسلمين الذين ذادوا عن الإسلام هنا، كما أنهم ذادوا عن العالم الإسلامي أجمع، وبخاصة عن دول الخليج، فالمتتبع على الخريطة يعلم أن أفغانستان لم تكن هدفاً لذاتها، وإنما كانت معبر للقوات الروسية السوفيتية بعد أن حققت مكاسب كبيرة في العالم في تلك المرحلة، ففكر الروس أن يعطوا الغرب الضربة القاضية وأن يأخذوا مضيق هرمز ويحتلوا دول الخليج قاطبة، ويستولوا على أكبر احتياطي بترولي في العالم، فمن هنا كان سر اندفاع بعض دول الخليج، بل قل كل دول الخليج في دعم الجهاد الأفغاني هو دفاعاً عن نفسها، فهم شركاء في هذه المعركة، فبعد أن انكسر الروس قلبوا لهم ظهر المجن، وبدأ إعلام هذه الدول -للأسف الشديد- يشنع على الجهاد وعلى المجاهدين، فضلاً عن تواطؤ بعضهم في زرع الفتنة في داخل المجاهدين، مَنّ الله على المسلمين بمجيء حكومة طالبان، وكان هناك.. ليست قوة دفع من الخارج كما يصورها الإعلام الغربي الصليبي، وإنما قوة سحب من الداخل، الناس ملّت من قطاعين الطريق ومن أخذ الإتاوات والمكوس، فأي قبيلة لها طلبة علم لهم صلة بالطالبان فكانوا هم يذهبون يطلبون من الطلبة أن يأتوا إلى هذه الولاية وتلك، ولذلك نرى أن المهندس (حكمتيار) مكث أربع سنوات على حدود (كابول) وبدعم علني من باكستان حتى يتقدم أمتار لأخذ كابول لم يستطع، ومعلوم أن الحزب الإسلامي برئاسة (حكمتيار) هو أفضل الأحزاب الأفغانية من حيث القوة والترتيب، والتنظيم، والانتشار في داخل أفغانستان، ولم يستطع أن يتقدم، وفي المقابل معلوم أن الطلبة هم صغار سن في الجملة، وكثير من صغارهم لم يشاركوا في قتال، ولكن بسبب السحب الداخلي من الشعب بعد أن وصل إلى درجة من اليأس من الأعمال السابقة فتح الله عليهم، فنحن ننصح المسلمين في داخل أفغانستان وفي خارج أفغانستان أن ينصروا هذه الطلبة، وننصح المسلمين في الخارج أن كثيراً من الجهد الذي يقوم بعيداً عن وجود دولة للإسلام لا يأتي بالثمرة الكبيرة المرجوة، فهذا نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- مكث ثلاثة عشر سنة يدعو في مكة،

وكانت المحصلة بضع مئات من المهاجرين رضي الله عنهم، فلما وجدت دولة المدينة على صغرها في خضم دولة الفرس والروم وفي خضم عبس، وذبيان، وغطفان، وقبائل العرب المجاورة، والأعراب التي تنهش هذه الدويلة، ومع ذلك قام الخير، فنحن ندعو المسلمين أن ينصروا هذه الدولة بكل ما أوتوا من قوة بإمكانياتهم، وبأفكارهم، وبزكاواتهم وأموالهم، فهي -بإذن الله- اليوم تمثل راية الإسلام، وإن أي اعتداء من أميركا اليوم على أفغانستان هو ليس على أفغانستان لذاتها، وإنما على أفغانستان رافعة راية الإسلام في العالم الإسلامي، الإسلام الصحيح المجاهد في سبيل الله، فعلاقتنا -بفضل الله- معهم قوية جداً ووطيدة، وهي علاقة عقدية قائمة على معتقد وليس مواقف سياسية أو تجارية، ساهمت كثير من الدول وحاولت أن تضغط على الطلبة ترغيباً وترهيباً، ولكن الله -سبحانه وتعالى- ثبتهم.

المحاور: لكن ما هي صحة الأنباء التي تحدثت عن استعداد أو إمكانية أن تقوم حركة طالبان أو حكومة طالبان بتسليمكم لأي دولة في حال توجيه اتهامات رسمية و... مع وجود أدلة؟

أسامة بن لادن: فيما سمعت أن الطلبة نفوا مثل هذا الكلام، وهو كلام غير صحيح فيما نعلم، والله أعلم.

المحاور: تحدثتم قبل قليل عن مشاركتكم في الجهاد الأفغاني وأن بعض الدول خاصة دول الخليج شجعت المجاهدين، بل دعمتهم وقدمت لهم، ومن الدول الأخرى التي قدمت دعم للمجاهدين، في ذلك الوقت ضد الاتحاد السوفيتي، الولايات المتحدة الأميركية، وسائل الإعلام الغربية والعالمية تتحدث عن وجود صلة لكم مع الإدارة الأميركية أو المخابرات الأميركية أثناء الجهاد ضد الاتحاد السوفيتي، ما هي حقيقة هذه العلاقة إن كانت موجودة؟ وما هو موقفكم منها؟ وهل صحيح أنه كان لهم أي جهد في تنمية نشاطاتكم ضد الاتحاد السوفيتي في ذلك الوقت؟

أسامة بن لادن: عوداً على السؤال السابق في سؤالكم هل نحن نعمل هنا بصفة مستقلة، في الحقيقة نحن هنا لا نعمل بصفة مستقلة، بل نحن في دولة لها أمير مؤمنين، ملزمون شرعاً بطاعته فيما لا... ليس فيه مخالفة لله -سبحانه وتعالى- ونحن ملتزمون بهذه الدولة، وندعو الناس لنصرتها، ونحذر -كما ذكرنا- الخلط الذي تمارسه أميركا، هي تريد أن تضرب دولة الإسلام في أفغانستان، ولكنها ترفع شعار ضرب أسامة بن لادن، لكن هذا لن ينفعها، أما نحن -فبإذن الله- قد خرجنا ونحن نعلم هذا الطريق منذ البداية، ولا تخيفنا بفضل الله -سبحانه وتعالى- صواريخ أميركا، ولكننا نحذرها من أن أي ضرب لهذا الشعب هو اعتداء على دولة الإسلام، ولظروف كثيرة في أفغانستان هناك رأي للطلبة ألا تتحرك من داخل أفغانستان ضد أي دولة أخرى، وهذا كان قرار أمير المؤمنين كما هو معلوم، ولكن التحريض بفضل الله نحن نقوم به، والأمر ليس واقفاً على جهدنا المحدود في هذه المرحلة، وبفضل الله نحن مطمئنون إلى أن الأمة تسير بخطى حثيثة نحو العمل الجهادي ضد أميركا، وهو واجب المسلمين أجمع كما ذكرت.

المحاور: ذكر في وسائل الإعلام العالمية عن دعم أميركا للجهاد الأفغاني ضد الاتحاد السوفيتي الذي شاركتم أنتم في هذا الجهاد بنفسكم وبأموالكم، وكما ذكر أيضاً في وسائل الإعلام العالمية أنكم كنتم على صلة أو أن الاستخبارات الأميركية الـ A.I.C كانت هي التي تمول نشاطاتكم وتدعمكم في هذا الجهاد ضد الاتحاد السوفيتي، ما هي حقيقة هذه الادعاءات وما صحة الصلة بينكم وبين أميركا في ذلك الوقت؟

أسامة بن لادن: هي محاولة للتشويه من الأميركان، والحمد لله الذي رد كيدهم إلى الوساوس، فكل مسلم منذ أن يعي التمييز في قلبه بغض الأميركان، وبغض اليهود والنصارى وهو جزء من عقيدتنا ومن ديننا، فمنذ أن وعيت على نفسي وأنا في حرب وفي عداء وبغض وكره للأميركان،

وما حصل هذا الذي يقولونه قط، أما أنهم دعموا.. دعموا الجهاد أو دعموا القتال فهذا الدعم عندما تبين لنا، في الحقيقة هو دعم من الدول العربية وبخاصة الدول الخليجية لباكستان حتى تدعم الجهاد وهو لم يكن لوجه الله -سبحانه وتعالى- وإنما كان خوفاً على عروشهم من الزحف الروسي، وأميركا في ذلك الوقت كان (كارتر) لم يستطع أن يتكلم بكلمة ذات شأن إلا بعد مرور بضع وعشرين يوماً في ٢٠.. عام ١٣٩٩ كان يوافق ٢٠ يناير، قال: "إن أي تدخل لروسيا إلى منطقة الخليج نعتبره اعتداء على أميركا" لأنه هو محتل لهذه المنطقة، محتل للبترول، فقال نحن سوف نستخدم القوة العسكرية إذا حصل هذا التدخل، فالأميركيون يكذبون إذا زعموا أنهم تعاونوا معنا في يوم من الأيام، ونتحداهم أن يبرزوا أي دليل، وإنما هم كانوا عالة علينا وعلى المجاهدين في أفغانستان، ولم يكن باتفاق وإنما نحن كنا نقوم بواجب في نصرة الإسلام في أفغانستان، وإن كان هذا الواجب يتقاطع بغير رضانا مع مصلحة أميركية، كعندما قاتل المسلمون الروم، معلوم أن القتال الشديد بين الروم والفرس كان دائماً، فلا يمكن لعاقل أن يقول أن المسلمين لما بدؤوا بالروم في غزوة مؤتة كانوا هم عملاء للفرس، وإنما تقاطعت المصلحة، يعني فتلك للروم -وهو واجب عليك- كان يُفرح الفرس، لكن بعد أن أنهوا على الروم بل بعد غزوات منها، بدؤوا بفضل الله على الفرس، فتقاطع المصالح بدون اتفاق لا يعني الصلة أو العمالة، بل نحن نعاديهم من تلك الأيام ولنا محاضرات -بفضل الله- من تلك الأيام في الحجاز ونجد بوجوب مقاطعة البضائع الأميركية، وبوجوب ضرب القوات الأميركية وضرب الاقتصاد الأميركي منذ أكثر من اثني عشرة سنة.

المحاور: هناك تقارير منشورة في وسائل الإعلام العربية والعالمية عن وجود نشاطات لأتباعكم أو أنصاركم في بعض الدول العربية ومنها اليمن على سبيل المثال، ما صحة هذه التقارير؟

علاقته بالتنظيمات الإسلامية في الوطن العربي والعالم الإسلامي

أسامة بن لادن: يعني نحن صلتنا بالعالم الإسلامي أجمع، سواءً في اليمن، وفي باكستان أو في أي مكان، نحن جزء من أمة واحدة، وبفضل الله الذين اقتنعوا وتحفزوا للجهاد في كل يوم يزداد عددهم، وأعدادهم مبشرة، فلنا في اليمن وفي غير اليمن، وفي اليمن تربطنا علاقات قوية وقديمة بفضل الله سبحانه وتعالى، فضلاً عن أن جذورنا وجذور الوالد ترجع إلى اليمن.

المحاور: علاقاتكم بالتنظيمات الإسلامية الأخرى في الوطن العربي.. كيف تصفونها وكيف تقولون عنها في الوقت الحاضر؟ وما هي حقيقة موقف الجماعة الإسلامية بمصر من الجبهة الإسلامية العالمية؟ وهل انسحبت منها؟

أسامة بن لادن: بفضل الله علاقتنا بالجماعات الإسلامية في العالم الإسلامي -في الجملة- علاقات جيدة وحسنة، ونحن نتعاون معهم على البر والتقوى لنصرة هذا الدين، كلٍ في المجال الذي فتح الله -سبحانه وتعالى- به عليه، ونحن ندعو المسلمين وبخاصة العاملين للإسلام أن يترفعوا عن المشاكل الجزئية، واستطاع -للأسف- شياطين الإنس والجن وبخاصة الصليبيين أن يصرفوا الدول فضلاً عن الجماعات الصغيرة فيها إلى مشاكل إقليمية، فتجد مصر لها مشاكل مع ليبيا، والسعودية واليمن، وكذلك الجماعات تعيش في مشاكل ضيقة في الجملة إلا من رحم الله، بينما يتفرد الكفر الأكبر التحالف الصليبي الأميركي، يمزق العالم الإسلامي وينهب ثروات المسلمين بشكلٍ لم يسبق له مثيل، والجزء الثاني من السؤال؟

المحاور: الجماعة الإسلامية بمصر..

أسامة بن لادن: الجماعة الإسلامية تربطنا..

المحاور: هل كانت جزءاً من الجبهة الإسلامية العالمية وهل انسحبت منها؟

أسامة بن لادن: نعم.. تربطنا بهم علاقات قوية جداً بفضل الله -سبحانه وتعالى- منذ أيام الجهاد وكنا نقاتل في خنادق واحدة ضد الاتحاد السوفيتي، وكان لهم موقف مشرف ومؤيد في التوقيع على الفتوى التي تهدر دم الأميركان واليهود، فهم وقعوا على الفتوى ولكن حصل هناك لبس في مسألة إدارية عند تصدير الفتوى جاء إصدار الفتوى موافق تاريخياً لنشؤ الجبهة، فحصل لبس عند الناس، أن الجماعة الإسلامية هي جزء من الجبهة الإسلامية، لذلك هي اضطرت أن توضح موقفها، هي وقعت على الفتوى، لكن هي ليست جزء في الجبهة الإسلامية العالمية.

أهداف أسامة بن لادن :

المحاور: الأهداف التي ترونها لأنفسكم في النهاية، ما هي هذه الأهداف؟ وما هي الرسالة التي تريدون أن توجهوها للعالم العربي أو العالم الإسلامي بشكل عام؟

أسامة بن لادن: الحمد لله.. كما ذكرت أننا نعتقد اعتقاداً جازماً وأقول ذلك لشدة ما يمارسه الأنظمة والإعلام علينا، يريدوا أن يسلخونا من رجولتنا، نحن نعتقد أننا رجال، ورجال مسلمون ينبغي أن نذود عن أعظم بيت في الوجود، الكعبة المشرفة، أن نتشرف بالذود عنها، لا أن تأتي المجندات الأميركيات من اليهوديات والنصرانيات يذودون عن أحفاد سعد والمثنى وأبي بكر وعمر، والله لو لم يكن أكرمنا الله بالإسلام لأبى أجدادنا في الجاهلية أن تأتي هؤلاء، وأن يأتي هؤلاء العلوج الحُمر بحجة هذه الدعوة، وهي دعوة لم تعد تنطلي على الأطفال، فقد قال الحكام في تلك المنطقة: "إن مجيء الأميركان لبضعة أشهر" وهم كذبوا في البداية والنهاية "وثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة -كما ذكر رسولنا عليه الصلاة والسلام- فذكر منهم ملكٌ كذابٌ" فمرت الأشهر، ومرت السنة الأولى والثانية ونحن الآن في السنة التاسعة والأميركيون يكذبون الجميع، يقولوا نحن لنا مصالح في هذه المنطقة، ولن نتحرك قبل أن نطمئن عليها، فيعني عدو يدخل يسرق مالك، أنت تقول له أنت تسرق؟ يقول لك لأ.. أنا هذه مصلحتي، هذه مصلحتي، فيغالطوننا بالألفاظ، فالحكام في تلك المنطقة وقع.. لعل رجولتهم سُلبت، ويظنون أن الناس نساء، و والله النساء الحرائر من نساء المسلمين يأبين أن يدافعن عنهن هؤلاء المومسات من الأميركيات واليهوديات، فهدفنا العمل بشرع الله -سبحانه وتعالى- والذود عن الكعبة المشرفة، هذه الكعبة العظيمة وهذا البيت العتيق، الله -سبحانه وتعالى- جعل وجود البشر في هذه الأرض على توحيده بالعبادة ومن أعظم العبادة، بل أعظم العبادات بعد الإيمان الصلاة، كما في الصحيح "رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد" فالله -سبحانه وتعالى- لا يقبل منا صلاةً مكتوبة إذا لم نتجه إلى هذا البيت العتيق، واختار له خير الناس، أبو الأنبياء -عليه الصلاة والسلام- إبراهيم، بعد نبينا - عليه الصلاة والسلام لبناءه وإسماعيل، فهذا هدفنا أن نحرر بلاد الإسلام من الكفر وأن نطبق فيها شرع الله -سبحانه وتعالى- حتى نلقاه وهو راضٍ عنا.

أسامة بن لادن: كل هؤلاء الإخوة الذين مازالوا ينتظرون أن تتحسن الأوضاع بدون أن يقوموا بفعل جدي، أقول إن الأميركان يساوموننا على السكوت، وأميركا وبعض عملائها في المنطقة ساوموني أكثر من عشر مرات على السكوت على هذا اللسان الصغير، اسكت ونرجع لك الجواز، ونرجع لك أموالك، ونرجع لك البطاقة الهوية، لكن اسكت، وهؤلاء يظنون أن الناس يعيشون في هذه الدنيا من أجل الدنيا، ونسوا أنه لا معنى لوجودنا إن لم نسع لنيل رضوان الله -سبحانه وتعالى- فأقول: هذا الرسم يوضح الكثافة للسكان حسب أعمارهم، فالناس في.. منذ الولادة، الشريحة هذه عشر سنوات، هم أكبر قطاع في المجتمعات السويه، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، والأمة من ستين إلى سبعين سنة، في هذا الزمن ضاقت الشريحة المعطاة لخدمة الدين وخاصة في الجهاد، فكما

هو معلوم من سن الولادة إلى خمسة عشر سنة، الإنسان غير مكلف ولا يعي الأحداث العظام، ومن سن ٢٥ وما فوق يكون الإنسان قد دخل في التزامات أسرية، تخرج والتزامات وظيفية، ولديه زوجة وأولاد فعقله يزداد نضجاً، لكن القدرة على العطاء تصبح ضعيفة، يقول لك: أترك الأولاد لمن؟ وأترك.. من يصرف عليهم؟ وهكذا، وفي الحقيقة إذا دققنا نجد أن الشريحة من خمسة عشر سنة إلى ٢٥ هي الشريحة التي عندها القدرة على الجهاد، في أفغانستان معظم المجاهدين من هذا السن، فعندما دخل الأميركان في محرم في أول سنة ١٤١١ هجرياً، هؤلاء الصغار ما كانوا يعون الحدث، وصدرت -للأسف- فتاوى، دولة ودول الخليج ساهمت في الضغط على هؤلاء العلماء لإصدار مثل هذه الفتاوى التي زعموا لهم أنها مؤقتة، وقد حدثنا من نثق به من هؤلاء العلماء، أمثال الشيخ محمد بن صالح العثيمين في مجلسه وفي بيته، قال: نحن لم نصدر فتوى، وإنما بعد أن أدخلت الدولة الأميركان جمعونا وقالوا: لابد أن تصدروا فتوى، وإلا فإن الشباب سوف يقاتلون هذه القوات الأميركية، وتحدثت معه طويلاً في وجوب إصدار فتوى بإخراجهم من هيئة كبار العلماء، فقال لي بوضوح: يشهد الله الذي لا إله إلا هو، قال: يا أسامة، ليس من حقنا في هيئة كبار العلماء أن نصدر فتوى من.. من عند أنفسنا، وإنما إذا أحيلت إلينا من المقام السامي -كما.. على حد تعبيره- نحن نصدر فيها، فهذا حالنا للأسف الشديد، فهذه الشريحة من ١٥ إلى ٢٥ عندما سكت الناس لم يعلموا حقيقة الأمر، فنحن الآن تسع سنوات منذ الغزو، وهذه الشريحة بالكامل إلا.. إلا اللي عمرهم ١٦ سنة وصلت إلى.. هم أصبح عمرهم الآن ٣٤، فهم دخلوا في الشريحة التي نضجت عقلياً ولا تستطيع أن تعطي، والشريحة الصغيرة التي الآن تستطيع أن تعطي، الناس متوقفون عن تبيين الوضع لها، فإن سكتنا فسيصبح حالنا كما حصل للأندلس، تمضي عشر سنين ثم يتبلد الحس تدريجياً، فأمر خطير فيجب على الناس أن يبذلوا ما يستطيعوا في تحريض الأمة بكل ما يستطيعون بألسنتهم وبأقلامهم وبأنفسهم، ونحن -بفضل الله- قمنا بهذا الواجب اعتقاداً أنه متعين علينا، ونحن مستمرون فيه حتى نلقى الله سبحانه وتعالى.

وفي الختام أوجه نصيحة إلى جميع المسلمين بأن يتدبروا كتاب الله -سبحانه وتعالى- فهو المخرج وهو الذي انتشلنا من قاع الجاهلية المنتنة في تلك العصور المظلمة، فدواؤنا في الكتاب والسنة، وعندما يقرأ الإنسان القرآن يتعجب من قعود كثير من الناس، هل هم لا يقرؤون القرآن، أم أنهم يقرؤون ولا يتدبرون؟! يقول الله سبحانه وتعالى: (يأيها الذين ءامنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين)، قال أهل العلم: منهم، أي منهم في الكفر، يصبح مثلهم كافر، ثم الآية التي تليها يقول سبحانه: (فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين).

فأرجو من إخواني المسلمين أن يقرؤوا القرآن وأن يقرؤوا تفسير هذه الآيات، وهي كثيرة جداً في كتاب الله التي حذرنا الله -سبحانه وتعالى- فيها من الولاء للكفار، يقرؤوا تفسير ابن كثير ومختصر تفسير ابن كثير للشيخ محمد نسيم الرفاعي، وأقول أن العالم قد أجمع على أكل هذه العالم الإسلامي، العالم الصليبي قد أجمع على أكلنا، وقد تداعت علينا الأمم، ولم يبق لنا بعد الله -سبحانه وتعالى- إلا الشباب الذين لم تثقلهم أدران الدنيا، والله -سبحانه وتعالى- علمنا كيف نرد على الذين يتحججون بتأخير الجهاد، قال تعالى: (فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب)، وهذا الذي نصاب به اليوم، يقول لك: مش وقته الآن أخرها، (لولا أخرتنا إلى أجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلاً) ، فالذي أيقن أن متاع الدنيا قليل وأن

الآخـرة خـير وأبقـى، هـذا هـو الـذي يستجيب لأمر الله، سبحانه وتعالى، وفي الآيات التي مرت معنا: (يـا أيهـا الـذيـن آمـنـوا لا تـتـخـذوا الـيـهـود والنصارى أولـيـاء) يبين ابن كثير -رحمه الله- أن المسلمين اكتشفوا المـنافقين يـوم دافعـوا ووالـوا بـني قيـنقاع من اليهود، واليوم حكام العرب يوالون اليهود والنصـارى عـلـى المـلأ، ومـازال الـنـاس يمدحـون أعداء الإسلام والمسلمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فيـنـبغي وقفـة جـادة صـادقـة نبـتـغي بهـا رضـوان الله، سـبحانه وتعالى، وأن هذه الحياة الدنيا هي مـتـاع الغـرور، وعـلـى كل مسلم يستطيع أن ينفر بنفسه فعليه أن ينفر ويسأل عن مواطن الجهاد والإعـداد حـتـى يلقى الله -سبحانه وتعالى- وهو راضٍ عنه، وأحرض نفسي والمؤمنين بقول القائل بعد هذه المصائب العظام:

تأهّـب مـثـل أهـبـة ذي كفـاح	فـإن الأمـر جـلّ عـن الـتـلاح
سـألبس ثوبهـا وأذود عـنـها	بأطـراف الأسـنـة والصـفـاح
أتتركـنا وقـد كـثـرت علـيـنا	ذئـاب الكفـر تـأكل مـن جـنـاحي
ذئـاب الكفـر مـا فـتـأت تؤلـب	بـني الأشـرار مـن شـتـى الـبطاح
فـأين الحـر؟ أيـن الحـر مـن أبناء ديني	يـذود عـن الحرائـر بالسـلاح؟
وخـير مـن حـيـاة الـذل مـوت	وبعـض العـار لا يمحـوه مـاحي

أسأل الله العلي العظيم أن يمنّ على المسلمين بعودة إلى دينه الكريم، وأن ينصر الشباب الذي خرجوا جهاداً في سبيله يبتغوا رضوانه.

(ربنا أفرغ علينا صبراً وثبّت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين).

النص الكامل لأهم وأول حوار
أجري مع أسامة بن لادن
أجري الحوار بيتر أرنت مذيع شكبة CNN
الأمريكية الإخبارية وأذيع في مارس ١٩٩٧

المحرر : السيد أسامة بن لادن هل يمكن أن تعطينا فكرة عن النقاط الأساسية في انتقاداتك للأسرة الحاكمة في المملكة العربية السعودية؟

ابن لادن: بالنسبة لانتقاداتنا الموجهة للنظام الحاكم في المملكة السعودية وفي شبه الجزيرة العربية عموما فهي تنحصر في خضوعهم وولائهم التام للولايات المتحدة الأمريكية، ومشكلتنا الأساسية مع أمريكا أنها تعتبر النظام السعودي فرع أو عميل من عملائها، وبخضوع النظام السعودي وولائه التام للنظام الأمريكي فإن قد ارتكب إثما كبيرا ضد الإسلام حيث استبدل حكم الناس والولاء لهم بحكم الله والولاء له وهو المفترض به أن يحكم طبقا للشريعة الإسلامية ونحن لم نتطرق إلي الأفعال الأخري الخاطئة التي يرتكبها النظام فعندما تنتهك شريعة الله فإنه الفساد ينتشر في كل نواحي الدولة الاقتصادية والاجتماعية وما إلي ذلك .

المحرر: السيد ابن لادن لو أن الحركة الإسلامية تولت حكم المملكة العربية السعودية فأي نوع من المجتمع تريدونه وهل ستعود المملكة العربية السعودية مثلا إلي الحكم بالقرآن وقوانين القرآن مثلما كانت في عهد الرسول؟

ابن لادن: نحن علي ثقة تامة بمشيئة الله تعالي أن المسلمين سينتصرون في معركتهم داخل الجزيرة العربية وأن دين الله له الحمد وله الشكر سوف ينتشر مرة أخري في الجزيرة العربية وهذا ما نأمله ونتطلع إليه وسوف يعود الإسلام مرة أخري لحكم الجزيرة العربية مثلما كان أيام الرسول صلي الله عليه وسلم وإذا ما اتبعنا تعاليم الرسول سنكون في خير وسعادة وعزة وكرامة.

المحرر : أسامة بن لادن - لو أن الحركة الإسلامية استطاعت حكم المملكة فما هي نظرتكم واتجاهكم نحو الغرب وهل سترتفع أسعار البترول .

ابن لادن: نحن شعب لنا تاريخ طويل بمشيئة الله ونحن في القرن الخامس عشر عندما ظهر الإسلام أوضح لنا قواعد التعامل بين فرد وآخر وبين الواجبات تجاه الله أيضا وبيّن علاقة الدول الإسلامية بعضها ببعض وقت السلم ووقت الحرب ولو رجعنا إلي التاريخ سنكتشف أن هناك أنواع متعددة من التعامل بين الأمة الإسلامية والشعوب الأخري سواء في وقت السلم أو الحرب بما في ذلك المعاهدات والمسائل المتعلقة بالتجارة ولذلك فنحن لا نحتاج إلي شيء جديد ولكن شريعة الله موجودة أما بالنسبة للبترول فإن هذه سلعة سيخضع سعرها لاقتصاديات السوق (العرض والطلب) ونحن نعتقد أن الأسعار الحالية غير واقعية وذلك يرجع بالطبع إلي الدور الذي يلعبه النظام السعودي كعميل للولايات المتحدة الأمريكية كما يرجع أيضا إلي الضغوط التي تمارسها الولايات المتحدة الأمريكية علي النظام السعودي كعميل للولايات المتحدة الأمريكية كما يرجع أيضا إلي الضغوط التي تمارسها الولايات المتحدة الأمريكية علي النظام السعودي لزيادة الإنتاج وضخه مباشرة للأسواق العالمية بما أدي لهبوط أسعارها بالخارج.

ابن لادن: أقول إن إرادة الله عز وجل كانت دعما أساسيا لنا وللمجاهدين في أفغانستان حتي دون إعلان الجهاد وعندما أعلنت وسائل الإعلام والإذاعات العالمية عن غزو الاتحاد السوفيتي لدولة إسلامية كان ذلك بمثابة دافع أساسي لنا للشروع في مساعدة إخواننا ولقد استفدت خلال هذه الفترة لدرجة عظيمة من الجهاد في أفغانستان واستمديت خبرة طويلة كان مستحيلا أن أحصل عليها في أي مكان آخر أو فرصة أخري علي مدار عشرات السنين ورغم قوة السوفيت استطعنا بعون الله نقل المعدات الثقيلة من المملكة العربية السعودية وتقدر بمئات الأطنان وشملت البلدوزرات واللواري ووسائل النقل - الشاحنات والحفارات - وعندما شاهدنا القصف الروسي بمواقع المجاهدين قمنا بإنشاء الخنادق الضخمة والمخازن بالإضافة للخدمات مثل المستشفيات وشق الطرق ا لتي تستطيع أن تأتي عن طريقها إلينا ليلا لذلك استفدت خبرة كبيرة في تلك الحرب لدرجة أن أسطورة القوة العظمي قد تحطمت ليس فقط من مخيلتي ولكن أيضا من أذهان العالم الإسلامي وأعتقد أن صور الولايات المتحدة كدولة عظمي سوف يأتي يوما وتنتهي واليوم يحاول العالم الإسلا مي متمسكا بروح الإسلام وقوة المسلمين أن ينهي سيطرة الغرب والأمريكان علي أنظمتنا العربية .

المحرر: ما مغزي الحرب الأفغانية للحركة الإسلامية وهل يمكن توضيح ظاهرة المتطوعين الذين حاربوا ضمن الحركات الإسلامية في جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق مثل الشيشان، وفي البوسنة والجزائر؟

ابن لادن: كما ذكرت في إجاباتي السابقة فالجهاد له تأثير عظيم ليس فقط علي الحركات الإسلامية ولكن علي مستوي العالم الإسلامي أجمع ولقد نمت فينا روح القوة والثقة والعزة والكرامة وفي أولادنا وإخواننا في الإسلام لرفع كلمة الله عز وجل وقد وضح أمام الحركة الإسلامية الصورة الحقيقية لروح الإسلام والدين طبقا لما جاء في القرآن الكريم وسنة رسوله صلي الله عليه وسلم وخلفائه رضي الله عنهم وأساس الدين الجهاد ولا يمكن للأمة أن يكون لها حكم قوي إلا بالجهاد لذلك فالجهاد في أفغانستان كان له شأن عظيم وتأثير قوي علي العالم الإسلامي وسيفرض علي الشعوب الإسلامية استجماع قواهم ونبذ خلافاتهم وتوحيد جهودهم ضد العدو واليوم فإن الأمة تتصرف موحدة جهودها من خلال الجهاد ضد الولايات المتحدة وعملائها في الحكومة الإسرائيلية الذين شنوا حملة ضاربة علي العالم الإسلامي ومقدساته ودعني أقول إن الشباب المجاهدين في أفغانستان وغيرها كان تعدداهم كبيرا وانتشروا في كل الأماكن ضد الكافرين وما ذهابهم للبوسنة والشيشان وطاجاكستان إلا ثمرة لكفاحنا وأداء واجبنا - إننا ندرك تماما بأن تلك الدول جزءا من العالم الإسلامي لذلك فأي اعتداء عليها يفرض علي الدفع بأبنائهم للوقوف ضد هذا العدوان.

المحرر: هل من الممكن أن تحكي لنا عن كيفية طردك من السعودية وفترة إقامتك في السودان حتي وصولك إلي أفغانستان؟

ابن لادن: لقد كنت أقيم في أحب البقاع إلي الله (أرض الحجاز) خاصة مكة الشريفة حيث بيت الله العتيق ومع ذلك فالنظام السعودي قد فرض علي الناس حياة معينة إذ يريد منهم أن يأكلوا ويشربوا ويفرحوا فقط ولكن إذا أرادوا اتباع الحق والنهي عن المنكر فلا يستطيعون والأغرب أن النظام السعودي قد طرد العديد من وظائفهم وزج بهم في السجون لمجرد قولهم الحق وكنت أمقت هذه الحياة لذلك انتظرت الفرصة طويلا حتي سمح لي الله عز وجل أن أترك هذا البلد وأمل بمشيئة الله العودة مرة أخري عندما يحكم بشريعة الله، لقد ذهبت إلي السودان وأقمت خمس سنوات وخلالها زرت أفغانستان وباكستان في إطار خطة العمل للقضاء علي

الحكومة الشيوعية في كابول وعندما عمدت الحكومة السعودية للقضاء علي أصوات كل المثقفين والمنادين خاصة بعد منع الشيخ سلمان العوضي والشيخ صفر العوضي وعلماء آخرين من استكمال جزء من عملي الذى يقوم علي اتباع الحق والنهي عن الباطل، في هذا الوقت تعاونت مع بعض الإخوة وأنشأنا مجلسا لتقديم النصيحة ونشر بعض البيانات سمي «هيئة النصح والإرشاد» ولم يعجب هذا الإجراء الحكومة السعودية وشرعت في ممارسة بعض الضغوط علي الحكومة السودانية بمساعدة الحكومات المصرية واليمنية والأمريكية استمرت ضغوط تلك الحكومات علي السودان لدرجة أن السعودية أسقطت جميع القيود والاشتراطات المفروضة علي النظام السوداني مقابل طردي من السودان. واتخذت الحكومة الأمريكية نفس الموقف لدرجة سحب البعثة الدبلوماسية من الخرطوم ووضعوا شرط طردي مقابل عودتها مرة أخري ولسوء الحظ فالحكومة في السودان كانت في موقف صعب جدا، حيث تواجد اتجاه قوي داخل الحكومة يميل للاتفاق أو الاستسلام لذلك حين أصروا بشدة علي تكميم فمي قررت أن أبحث عن أرض جديدة لأتحدث وأتنفس فيها بحرية كاملة وأستطيع أداء عملي علي الوجه الأكمل في اتباع الحق والنهي عن الباطل وسألت الله عز وجل أن يمن عليّ بأرض جديدة فمن عليّ بأرض خراسان في أفغانستان حتي أكمل المسيرة وشكرت الله علي الاستجابة لي وللمسلمين جمعاء.

المحرر: الآن تقول الولايات المتحدة الأمريكية إنك تدعم معسكرات التدريب المسلح بأفغانستان والإرهاب الدولي رغم وصفك من الآخرين بأنك البطل الجديد في العالم العربي الإسلامي فهل الاتهامات صحيحة وكيف تصف أنت نفسك؟

ابن لادن: لم يكن للولايات المتحدة أي دور يذكر في انهيار الاتحاد السوفييتي السابق وإنما قام بهذا الدور الله سبحانه وتعالي والمجاهدين في أفغانستان ولكن بعد هذا الانهيار أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية أكثر عجرفة وطغيانا وأصبحت تنظر نفسها وكأنها سيد هذا العالم بل وذهبت إلي حد تأسيس مايسمي بالنظام العالمي الجديد ولكنها أدركت آنها لن تستطيع فعل ذلك طالما نحن موجدون.

ولذلك فقد كالت لي وللآخرين عدة اتهامات كيفما تريد وكيفما ترغب وهذه هي الاتهامات التي ذكرتها انت الآن ياآرنت، والولايات المتحدة اليوم وهي تتبني منهجا متعجرفا فقد وضعت معايير مزدوجة في التعامل فهي تعتبر كل من يقف ضدها إرهابيا وتريد احتلال بلادنا وسرقة مواردنا بل وتصنع عملاءها ليحكمون طبقا للرؤية التي تتفق معها وليس طبقا لم أنزله الله وإذا ما رفضنا ذلك تعتبرنا إرهابيين وبنظرة بسيطة للسلوك الأمريكي سنكتشف إنها تحكم سلوك الفقراء من أطفال فلسطين ستقول بإنهم إرهابيون وعندما يقوم الطيارون الإسرائيليون برمي القنابل حتي علي مبني الأمم المتحدة في قانا بلبنان التي كان يقيم فيها الأطفال والنساء أوقفت الولايات المتحدة أي خطة لإدانة إسرائيل في الوقت نفسه يدينون كل مسلم يطالب بحقوقه، لقد قاموا باستقبال قائد الجيش الأحمر الأيرلندي المسلح (جيري آدمز) في البيت الأبيض كقائد سياسي في حين أنهم يعتبرون المسلمين الذين يسعون للحصول علي حقوقهم آلد أعدائهم وعندما تنظر للولايات المتحدة نجدها زعيمة الإرهاب والإجرام في العالم لاتعتبر إلقاء القنابل النووية علي الشعوب علي بعد آلاف الأميال فعلا إرهابيا فهي ونحن نعتبر إلقاء هذه القنابل علي العديد من الشعوب بما في ذلك الأطفال والنساء والشيوخ فعلا إرهابيا ويمكن تقفي أثر ذلك اليوم بما خلفه إلقاء القنابل علي اليابان. والأغرب من ذلك أن الولايات المتحدة لا تعتبر هجومها علي العراق والذي راح ضحيته مئات الآلاف من إخواننا وأولادنا نتيجة للحصار ومنع الأدوية والغذاء نوعا من الإرهاب، إذن ليس هناك أساس لما تقوله الولايات المتحدة عنا وهذا القول لا يؤثر علينا

مطلقا لأننا نعتمد علي المولي عز وجل في حربنا ضد الولايات المتحدة الأمريكية، أما بالنسبة للشق الثاني من سؤالك: نحن نجحنا في تنفيذ أداء واجبات الله الذين نحن نصف هؤلاء بالبطولة لأنهم استطاعوا محو العار وخنوع حكامنا ونسأل الله عز وجل أن يحسبهم شهداء عنده.

المحرر: دعنا نسأل عن الانفجارات التي حدثت للقوات الأمريكية في الرياض؟

ابن لادن: قبل الإجابة علي هذا السؤال اسأل عن السبب الأساسي وراء هذا الهجوم، لقد كان رد فعل اتجاه إثارة الأمريكيين لشعور الشعوب الإسلامية حيث تتمادي الولايات المتحدة في عدوانها حتي علي قبلة المسلمين في العالم لذلك فإن هدف الهجومين الخبر والرياض هو القضاء علي الاحتلال الأمريكي في الجزيرة العربية فإذا لم ترد الولايات المتحدة قتل أبناءها الذين يخدمون في الجيش فعليها أن ترحل من علي أرض المملكة العربية السعودية.

المحرر: في نفس قضية الوجود الأمريكي في السعودية، هل تعتقد أن هناك تخطيط أو نية لهجوم آخر عليهم أو هجوم علي المدنيين الأمريكيين هناك أو محاولات اغتيال لأفراد من الأسرة الملكية؟

ابن لادن: من المعروف أن لكل فعل رد فعل فطالما استمر الهجوم الأمريكي فهذا هو الفعل إذن من الطبيعي أن هناك رد فعل ضد هذا الوجود أو بمعني آخر فإن الانفجارات وحوادث قتل الجنود الأمريكان ستستمر، هؤلاء هم القوات الذين تركوا بلادهم وعائلاتهم وجاءوا بكل غطرسة لسرقة البترول وتحقيرنا والهجوم علي ديننا، أما بالنسبة لما ذكر عن الأسرة الحاكمة في المملكة السعودية فعليهم تحمل مسئولية كل مايحدث لهم فهم الذين يحتمون بالوجود الأمريكي لذلك نجد الرجال يكرسون جهودهم علي الراعي وليس علي الرعية لذلك سنركز علي الجهاد ضد قوات الاحتلال الأمريكي .

المحرر: ماهو رأيكم في الشيخ عمر عبد الرحمن وهل قابلته من قبل وهل تعرفه؟

ابن لادن: الشيخ عمر عبد الرحمن أحد العلماء المسلمين المعروفين في العالم الإسلامي أجمع ويعتبر دليلا واضحا علي الظلم الذي تنتهجه الولايات المتحدة الأمريكية. لقد لفقوا له قضية في الوقت الذي لا يستطيع فيه الإبصار وهو رجل مسن ونسأل الله العزيز أن يفك أسره لقد حكمت الولايات المتحدة عليه بالسجن لمئات السنين وذلك لإرضاء النظام الداعر بمصر ويعامل الآن معاملة سيئة وغير لائقة بشيخ مسن وعالم إسلامي كبير.

المحرر: أحد المسئولين بالخارجية الأمريكية نقل عن المسئولين الباكستانيين قولهم إن رمزي يوسف المتهم بتفجير مركز التجارة العالمي بنيويورك يقيم الآن بمنزل شيدته انت بنفسك في بيشاو ر وأيضا الذين دربوه عسكريا أثناء الحرب الأفغانية فهل هذا صحيح؟ وهل يقيم رمزي يوسف بمنزلك في بيشاور.

ابن لادن: أنا لا أعرف رمزي يوسف لذلك فإن كل ماتروج له الحكومة الأمريكية والمخابرات الباكستانية غير صحيح مطلقا ولكني أقول إنه إذا كانت الحكومة الأمريكية جادة في محاولاتها لتجنب الانفجارات داخل أمريكا نفسها فعليها إيقاف إثارة شعور مليار و٢٥٠ مليون مسلم ومئات الآلاف الذين قتلوا وشردوا في كل من العراق وفلسطين ولبنان لهم إخوة وأقارب وسوف يتخذوا من رمزي يوسف مثلا حتذي به. بل ستدفعهم الولايات المتحدة لنقل الحرب داخل الولايات المتحدة الأمريكية نفسها ففي الوقت الذي يفعلون فيه كل شيء ممكن لحماية دماء المدنيين الأمريكيين فإن مذابح المسلمين مسموح بها في كل مكان ومثل هذا السلوك يجعل الحكومة الأمريكية تضر نفسها بنفسها وتضر بالمسلمين وبالشعب الأمريكي ذاته.

المحرر: السيد بن لادن- هل أنت متورط في عملية تفجير مركز التجارة العالمي في نيويورك؟

ابن لادن : ليس لي علاقة بهذا الانفجار.

المحرر: في مقابلة وحديث مع إحدي الصحف العربية قلت إن العرب المحاربين في الحرب الأفغانية قتلوا الجنود الأمريكيين بمقديشيو في الصومال؟ هل يمكن أن تحدثنا عن ذلك؟

ابن لادن: لقد ذهبت الحكومة الأمريكية بكل كبرياء وأقامت هناك بعض الوقت وصاحب ذلك دعاية قوية للوجود الأمريكي لإرهاب الشعب باعتبارهم القوة العظمي علي الأرض بل ذهبت بكل كبرياء ومعها ٢٨٠٠٠ جندي لمواجهة شعب أعزل من السلاح وكان هدف ذلك إرهاب العالم الإسلامي والعالم أجمع والتأكيد علي أنهم باستطاعتهم فعل ما يريدون وما أ ن وصلت القوات لشواطئ مقديشيو لم يجدوا إلا الأطفال وبدأت شبكة وكاميرات ووسائل الإعلام في تصوير الجنود الأمريكان رافعين الأعلام والأسلحة في محاولة لإظهارهم للعالم أنهم القوة العظمي علي الأرض، وسرعان ما بدأت عمليات مقاومة الغزو الأمريكي لأن المسلمين لا يصدقون ادعاءات الولايات المتحدة. بأنهم أرسلوا بقواتهم لتأمين الصوماليين والشعب الصومالي. فالرجل الذي يمتلك مشاعر إنسانية لا يفرق بين طفل قتل في فلسطين أو لبنان أو العراق أو البوسنة أو طفل قتل في الصومال لذلك كيف نصدق ادعاءاتهم أنهم جاءوا لحماية أطفال الصومال في الوقت الذي يقتلون فيه أطفالنا في كل مكان وبعون الله وتعاون المسلمون هناك مع بعض المجاهدين العرب في أفغانستان وشاركوا إخوانهم في الصومال في حربهم ضد قوات الاحتلال الأمريكي وتم قتل أعدادا كبيرة من الأمريكيين وبعد مقاومة بسيطة رحلت القوات الأمريكية ولم تحقق شيئا بعد آن ادعت إنها القوة العظمي علي الأرض، رحلوا بعد مقاومة شعب لا حول له ولا قوة فقير أعزل. كل سلاحهم الإيمان بالله وعدما لخوف من أكاذيب الإعلام الأمريكي المفبرك. ولقد علمنا من الذين حاربوا هناك مدي ما أصابهم من دهشة حين شاهدوا الروح المعنوية الهابطة للمقاتلين الأمريكيين بالمقارنة بالمقاتلين الروس. لقد كان الجنود الأمريكيون يفرون من المحاربين الذين يقاتلونهم ولو أن الحكومة الأمريكية مازالت تعتقد وتروج بأنها القوة العظمي بعد تلك الهزائم المحققة في فييتنام وبيروت وعدن والصومال إذن دعهم يذهبون للذين ينتظرون عودتهم.

المحرر: السيد ابن لادن معروف أن أسرتك قوية وغنية في المملكة السعودية. هل طلبوا منك وقف أنشطتك؟

ابن لادن: لقد فعلوا ذلك كثيرا ومارسوا ضغوطا علينا خاصة وأن جزءا كبيرا من أموالنا مازال في أيدي الأسرة المالكة السعودية لما تقوم به شركاتنا داخل المملكة السعودية ومجموعة بن لادن من أعمال التشييد والبناء بل قاموا بإرسال والدتي وخالي وإخوتي أكثر من تسع زيارات للخرطوم وطلبوا مني وقف نشاطي والعودة للمملكة السعودية والاعتذار للملك فهد، لقد ا عتذرت لأسرتي بلطف شديد لعلمي تماما أنهم إرغموا علي المجيء والتحدث إليّ، هذا النظام يريد خلق مشكلة بيني وبين أسرتي حتي يتخذ إجراءات ضدهم، لكن وبحمد الله وبعظمته لم يحقق هذا النظام هدفه ورفض العودة للمرة الثانية، علي الرغم من أن أسرتي قد حملت لي رسالة من الحكومة السعودية بأنهم سيجمدون كل أرصدتي مع إسقاط جنسيتي وجواز سفري وبطاقة الهوية السعودية مع نشر صورتي بوسائل الإعلام السعودية والأجنبية بوصفي إرهابي ومنشق لقد اعتقدوا أن هذا المسلم يمكن أن يراهن علي دينه وقلت لهم افعلوا ماتريدون إن إرادة الله ترفض العودة ونحن نعيش هناك معززين ومكرمين من من يشكرون الله والأفضل لنا العيش تحت شجرة عند هذه الجبال بالأرض التي باركها الله ونحن نؤمن بأنه ليس خير من القصور هناك قوة سوي الله سبحانه وتعالي.

المحرر: السيد ابن لادن هل حاول عملاء المخابرات السعودية اغتيالك؟ وهل كنت هدفا للحكومة الأمريكية؟ وهل تعيش فعلا مهددا في حياتك؟

ابن لادن: إن الضغوط والتهديدات الأمريكية ليست بخافية عليكم، بل إن الضغوط السعودية جاءت أيضا استجابة للضغوط الأمريكية لقد كان هناك العديد من المحاولات لإلقاء القبض علي واغتيالي وقد حدث ذلك أكثر من مرة علي مدار السبع سنوات الماضية وبحمد الله لم تنجح أي من تلك المحاولات وهذا يثبت للمسلمين والعالم أجمع أن الولايات المتحدة غير قادرة بل وأضعف من تلك الصور التي حاولت رسمها لنفسها في أذهان الشعوب وعلي المؤمن التيقن بأن الحياة بأيد الله واستمرارها بأيدي الله أيضا ا لعلي القدير أما بالنسبة للخوف علي حياتنا من الصعب أن نوضح لك كيف نفكر في أنفسنا إن لم يكن لديك الإيمان الكامل فنحن نؤمن تماما بأنه لا يوجد مخلوق يستطيع أن ينهي حياتنا كما كتبها المولي عز وجل ونحن نري أن الموت في سبيل الله شرفا عظيما نتمناه كما تمناه الرسول صلي الله عليه وسلم فلقد ذكر في حديثه «أقسم بالله أنني أتمني الجهاد في سبيل الله فأقتل وأعود مرة ثانية فاقتل والموت مرة أخري فأقتل».

والموت في سبيل الله شرفا يتمناه من يحارب من أمتي ونحن نحب هذا النوع من الموت في سبيل الله تماما مثل حبك للحياة وليس لدينا ما نخشاه بل إن ذلك كل ما نتمناه.

المحرر: لكن ماهي خططكم في المستقبل؟

ابن لادن: سوف تسمعها وسوف تراها في وسائل الإعلام بمشيئةالله.

المحرر: السيد ابن لادن لو جاءتك الفرصة لكي تبعث برسالة إلي الرئيس الأمريكي فماذا تتضمن تلك الرسالة؟

ابن لادن: أقول أن ذكر اسم الرئيس الأمريكي أو حتي الحكومة الأمريكية يثير غضبي واشمئزازي وثورتي هذا لأن اسم الحكومة الأمريكية أو اسم الرئيس الأمريكي في أذهاننا تماما صورة الأطفال الذين قطعت رؤوسهم وهم لم يتعدوا عمر سنة كما تعكس صورة الأطفال الذين قطعت أيديهم وماتوا في العراق وأيضا سورة الأيدي الإسرائيلية التي تحمل الأسلحة لتدمير أطفالنا لكل ذلك فقد امتلأت قلوب المسلمين بالكراهية تجاه الولايات المتحدة الأمريكية والرئيس الأمريكي الذي لا يعرف قلبه تلك الكلمات فالقلب الذي يقتل مئات الأطفال فإنه لا يعرف كلمات العطف والود علي الإطلاق و شعبنا في الجزيرة العربية سوف يبعث برسالة لا تتضمن أي كلمات علي الإطلاق فهو لا يعرف تلك الكلمات ولو أن هناك رسالة أرسلها من خلالك سوف تكون رسالة أوجهها إلي أمهات الجنود الأمريكيين الذين جاءوا بزيهم العسكري متفارخرين في مشيتهم علي أرضنا في الوقت الذي زج فيه بعلماء هذه الأمة في السجون وأعتقد أن ذلك سيكون بمثابة نوع من الإثارة وتحفيز مليار و٢٥٠٠٠٠ مسلم في العالم ولهؤلاء الأمهات أقول لو إنهن مهتمات بأبنائهن فعليهن أن يثرن ويعترضن علي السياسة الأمريكية وعلي الرئيس الأمريكي وعليهن ألا ينخدعن بوقفته أمام جثث الجنود الذين قتلوا واصفا المحاربين من أجل الحرية في المملكة العربية السعودية بأنهم إرهابيين أنه هو الإرهابي الذي دفع أبنائهم إلي هذا المصير بهدف حماية المصالح الإسرائيلية نحن نعلم تماما إن الجيش الأمريكي في السعودية جاء للتفريق بين المسلمين والشعب حتي لا يحكم طبقا لشريعة الله لقد جاءوا أيضا كنوع من الدعم للقوات الإسرائيلية في فلسطين المحتلة أرض إسراء رسولنا صلي الله عليه وسلم.

النص الكامل

لبيان الجبهة الإسلامية العالمية

لجهاد اليهود والصليبيين والذي وقع عليه في فبراير ١٩٩٨ ستة من قادة الجماعات الإسلامية التي تتبني العنف في العالم وهم :

١ ـ أسامة بن لادن زعيم تنظيم القاعدة.
٢ ـ د. أيمن الظواهري زعيم جماعة الجهاد المصرية.
٣ ـ منير حمزة سكرتير جمعية علماء باكستان.
٤ ـ فضل الرحمن خليل أمير حركة الأنصار بباكستان .
٥ ـ الشيخ عبدالسلام محمد خان أمير حركة الجهاد ببنجلاديش .
٦ ـ أبو ياسر رفاعي أحمد طه أحد قادة مجلس شوري الجماعة الإسلامية بمصر.

الحمد لله منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب والقائل في محكم كتابه ـ فإذا أنسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم وأحضروهم وأقعدوا لهم كل مقعد. والصلاة والسلام علي نبينا محمد بن عبدالله القائل بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتي يُعبد الله وحده وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجع الذل والشقاوة علي من خالف أمري. أما بعد فمنذ أن دحي الله جزيرة العرب وخلق فيها صحراءها وحملها ببحارها لم ترهبها غاشية كهذه الجحافل الصليبية التي انتشرت فيها كالجراد تزحم أرضها وتأكل ثرواتها وتبيد خضراءها كل ذلك في وقت تداعت فيه علي المسلمين الأمم كما تداعت الأكلة إلي قسعتها ويلزمنا حيث عظم الخطب وقل الناصر إن نقف وأياكم علي مكنون الأحداث الجارية كما يجب أن نتفق جمعيا علي فصل القضاء فيها.

لا أحد يجادل اليوم في حقائق ثلاث تواترت عليها الشواهد وأطبق عليها المنصفون ونحن نذكرها يتذكرها من يتذكر ويهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيا عن بينة وهي: أولا: منذ ما يربو عن سبع سنين وأمريكا تحتل أراضي الإسلام في أقدس بقاعها ـجزيرة العرب ـ وتنهب خيراتها وتملي علي حكامها وتذل أهلها وترعب جيرانها وتجعل من قواعدها في الجزيرة رأس حربة تقاتل بها شعوب الإسلام المجاورة وإذا كان في الماضي من جادل في حقيقة هذا الاحتلال فقد أطبق علي الاعتراف به أهل الجزيرة جمعيا ولا أدل عليه من تمادي الأمريكان في العدوان ضد شعب العراق انطلاقا من الجزيرة رغم أن حكامها جميعا يرفضون استخدام أرضهم لذلك لكنهم مغلوبون لذلك .

ثانيا: رغم الدمار الكبير الذي حل بالشعب العراقي علي يد التحالف الصليبي اليهودي ورغم العدد الفظيع من القتلي الذي جاوز المليون رغم كل ذلك يحاول الأمريكان مرة أخري معاودة هذه المجازر المروعة وكأنهم لم يكتفوا بالحصار الطويل بعد الحرب العنيفة ولا بالتمزيق والتدمير فها هم يأتون اليوم ليبيدوا بقية هذا الشعب وليذلوا جيرانه من المسلمين.

ثالثا: وإذا كانت أهداف الأمريكان من هذه الحروب دينية واقتصادية فأنها كذلك تأتي لخدمة دويلة اليهود وبصرف النظر عن احتلالها لبيت المقدس وقتلها للمسلمين فيه ولا أدل علي ذلك من حرصهم علي تدمير العراق أقوي الدول العربية المجاورة وسعيهم لتمزيق دول

المنطقة جميعا كالعراق والسعودية ومصر والسودان إلي دويلات ورقية تضمن بفرقتها وضعفها بقاء إسرائيل واستمرار الاحتلال الصليبي الغاشم لأرض الجزيرة .

إن كل تلك الجرائم والحوادث هي من الأمريكان إعلان صريح للحرب علي الله ورسوله وعلي المسلمين وقد أجمع العلماء سلفا وخلفا عبر جميع العصور الإسلامية علي أن الجهاد فرض عين إذا هدم العدو بلاد المسلمين وممن نقل ذلك الإمام «بن قدامه» المغني و«الإمام الغزالي «البدائع» والقرطبي في تفسيره وشيخ الإسلام في اختياراته حيث قال «أما قتال الدفع فهو أشد نوع ودفع الصائل عن الحرمة والدين واجب إجماعا فأدفعوا الصائل الذي يفسد الدين والدنيا «لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه».

ونحن بناء علي ذلك وامتثالا لأمر الله نفتي جميع المسلمين بالحكم التالي .

إن حكم قتل الأمريكان وحلفائهم مدنيين وعسكريين فرض عين علي كل مسلم أمكنه ذلك في كل بلد تيسر منه وذلك حتي يتحرر المسجد الأقصي والمسجد الحرام من قبضتهم وحتي تخرج جيوشهم من كل أرض الإسلام مشلولة اليد كسيرة الجناح عاجزة عن تهديد أي مسلم امتثالا لقوله تعالي.

وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة» وقوله تعالي وقاتلوهم حتي لا تكون فتنة ويكون الدين لله» وقوله تعالي «وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من النساء والولدان والذين يقولون ربنا أ خرجنا من هذه القرية الظالم أهلها وأجعل لنا من لدنك وليا وأجعل لنا من لدنك نصيرا» أننا بإذن الله ندعو كل مسلم يؤمن باله ويرغب في ثوابه إلي امتثال أمر الله بقتل الأمريكان ونهب أموالهم في أي مكان وجدهم فيه وفي كل وقت أمكنه ذلك كما ندعو علماء المسلمين وقادتهم وشبابهم وجنودهم إلي شن الغارة علي جنود إبليس الأمريكان ومن تحالف معهم من أعوان الشيطان وأن يشردوا بهم من خلفهم لعلهم يتذكرون وقال الله تعالي «يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم» وأعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون» وقوله تعالي «يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم إنفروا في سبيل الله أثاقلتم إلي الأرض ورضتيم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل الا تنفروا يعذبكم عذاب إليم ويستبدل قوما غيركم ولا تخسروه شيئا والله علي كل شيء قدير» وقال الله تعالي ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين».

بيان القاعدة ردا على مجموعة من العلماء السعوديين
كانوا قد أصدروا بيانا طالبوا فيه
بالحوار مع الأمريكان والغرب

فضلاً انبطحوا سراً.

الحمد لله الذي قال (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون (

والصلاة والسلام على نبيه القائل (لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) متفق عليه وبعد :-

في الوقت الذي يصاب فيه المسلمون اليوم في دمائهم وأعراضهم وأموالهم وأراضيهم في كل بقاع الأرض، بأيدي النصارى الحاقدين وعلى رأسهم حامية الكفر العالمي أمريكا، تُصاب بخروج بيان من المثقفين هو قمة في التخاذل والانهزامية والتلبيس وإظهار بعض الحق وترك أكثره، ولقد آلمنا خطاب المثقفين والمدموغ بعنوان (على أي أساس نتعايش ؟!) رداً على خطاب للمثقفين والقساوسة الصليبيين الذين كتبوه بعنوان (على أي أساس نقاتل) وبعدما كان الإسلام في قرونه الأولى عزيزاً ظاهراً، يملك أهله رقاب الكفار في كل بقاع الأرض تقريباً، يخرج لنا اليوم ممن ينتسبون إلى الأوائل يظنون أننا بحاجة ماسة إلى التعايش مع الصليبي بسلام فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وفي هذه الأسطر أقف وقفات مع ذلك البيان، لإيضاح وجه الخطأ فيه ولا أزعم أني سأقف مع كل خطأ، فهي أكثر مما وقفت عليه، ولكن أقف مع بعضها فما أصبت فيه فمن الله وما أخطأت به فمن نفسي والشيطان.

مـجـمـل الـبـيـان :

لقد جاء البيان في غير وقته فكنا ننتظر من أمثال هؤلاء خطاباً يشحذ همم رجال الأمة للدفاع عن دينهم وعن عقيدتهم وعن دمائهم التي يريقها اليهود والصليبيون في كل مكان، وبدلاً من أن نجد خطابات لنصرة المستضعفين في كل مكان بكل السبل الشرعية، نجد أنهم ظلوا الاتجاه وأخرجوا خطاباً هو في جملته يعد من أساليب التوسل واستعطاف الغرب ليتحاور معنا بعدما اعترفوا بجملة من قيمه ومبادئه، وخجلوا من ذكر حقيقة قيم الدين وأصوله، فالبيان دليل على الانهزامية من عنوانه الذي جاء فيه (على أي أساس نتعايش ؟!)، وكأن أحد أصول الدين هو كيف نتعايش مع الكفار!!، ولو أنهم وضحوا للغرب كيف يتعايش المسلم مع الكافر من خلال الآيات والأحاديث لكان الأمر خيراً، ولكن جاء مبدأ التعايش وفقاً لفهم الغرب وما يرضيهم عنا.

والأدهى من ذلك وأمر أن يأتي هذا البيان الانهزامي رداً على بيان عنيف لستين صليبيا جعلوه تحت عنوان (على أي شيء نقاتل) ، فإن تعجب فلا تعجب من صفاقة الصليبيين وهجومهم على دين يعد اليوم هو الأولى في العالم من حيث الأتباع والانتشار، ولكن نعجب ممن ينتسبون للإسلام حينما يهاجمهم الكافر ويسخر من دينهم ويعلنها صريحة (حرباً صليبية) ضد الإسلام، نفاجئ أنهم يردون عليه بأنهم لا يرغبون في الحرب بل يريدون التعايش والسلام الشامل والعادل فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وكان مما قاله الصليبيون في بيانهم ما يلي " باسم المبادئ الأخلاقية الإنسانية العامة، وبوعي كامل لقيود ومتطلبات الحرب ا لعادلة نؤيد قرار حكومتنا ومجتمعنا باستخدام حد السلاح.."

وقالوا " نرفع صوتا واحداً للقول إن انتصار أمتنا وحلفائها في هذه الحرب حاسم، إننا نقاتل للدفاع عن أنفسنا، ولأننا نؤمن أيضاً، أننا نقاتل من أجل حماية تلك المبادئ العامة المتعلقة بحقوق الإنسان والكرامة الإنسانية والتي تشكل الأمل الأفضل للنوع الإنساني " وقالوا عن الحركات الإسلامية التي أيدوا حكومتهم لمواصلة حربها ضدها " وهي تجهر علناً برغبتها في استخدام القتل العمد لتنفيذ أهدافها " ثم قالوا عن القاعدة والجماعات الجهادية وهي المقصودة في أكثر حديثهم " إن هذه الحركة تمتلك اليوم ليس الرغبة المعلنة فحسب بل القدرة والخبرة بما في ذلك احتمال الوصول والرغبة في استخدام الأسلحة الكيميائية والبيولوجية والرؤوس النووية للانتقام عبر تدمير ضخم ومروع لأهدافها". فعندما يطلب الصليبيون من دولتهم ودول التحالف الصليبي أن يواصلوا حربهم ضد الإسلام التي افتتحها بوش بقوله (هذه حرب صليبية) أليس من المحزن و العار أن يرد عليهم المثقفون بقولهم نحن لنا معكم أهداف مشتركة ونشجب الإرهاب وعمليات سبتمبر ونريد أن نعالج التطرف معكم لنجنب شعوبنا الحروب ونعيش في أمان وسلام شامل، ألا يعد هذا انهزاماً ؟ ألا يعد هذا تشويهاً لإسلام محمد صلى الله عليه وسلم ؟ أين هم من قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم) ، إن سطور البيان كانت تنضح بنبذ المجاهدين والتبرء من فعلهم والعلو عليهم، وفيها من عبارات الذلة والاستعطاف والاستجداء للصليبيين وإنكار جهاد الطلب الشيء الكثير والبحث عن أي أدلة توافق هوى الصليبيين ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الوجه الآخر للبيان

إن هذا البيان الانهزامي الذي يشوه أصول ديننا، إنما يعد وجهاً آخر من أوجه حوار الأديان أو مؤتمرات وحدة الأديان، فمؤتمرات وحدة الأديان لم يتحدث الذين يمثلون الإسلام فيها عن أصول الدين ومواطن المفاصلة بينهم وبين الأديان الأخرى، إنما تحدثوا عن فروع جاءت في كل الشرائع كنبذ الظلم وحرمة قتل النفس والإحسان للناس والعدل وغير ذلك من المعاني التي جاءت في الإسلام ولكنها لا تعارض الأديان الأخرى، أما ما تميز الإسلام به فإنهم يستحيون من ذكره والدعوة إليه بل ويطمسونه خشية غضب الغرب علينا، فإسلام أصحاب حوار الأديان ليس فيه ولاء ولا براء، وليس فيه جهاد ولا حدود شرعية، إن هذه المفاهيم هي التي تقلق الغرب والغرب يعلم علم اليقين أن هذه الأصول هي موطن النزاع مع المسلمين وليست المبادئ الأخرى.

فالهنود يحرقون المرأة مع زوجها إذا مات، والبوذيون يبيعون المراة ويشترونها كما تباع السلع بل إنه يجب عليها أن تعبد زوجها مع عبادة وثنها، والشيوعيون تباح فيه المرأة للقاصي والداني

ولا يوجد ملكية لأحد، ويوجد من المبادئ والقوانين التي تخالف الفطرة عند تلك الأمم الشيء الكثير، ولو كان الأمريكيون يزعمون أنهم يحاربون من يحارب الحرية والعدل فكان الأولى بهم أن يحاربوا الأمم الأخرى غير الأمة الإسلامية التي فيها من العدل والحرية المنضبطة مالا يوجد في دين أبداً.

ولكن بيان المثقفين جاء وفق أنظمة الأمم المتحدة وبنودها الإنسانية والتي تقوم على ثلاث ركائز المساواة والحرية والعدل، ولا يقصدون بالمساواة والحرية والعدل ما جاء به النبي محمد صلى الله عليه وسلم، بل يقصدون بها مفاهيم غربية قذرة نراها اليوم في أمريكا وأوربا، جعلت الناس كالأنعام وقد صدق الله حينما وصفهم بقوله (أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون)، فالبيان إذاً كان حريصاً على طمس أصول العقيدة للحوار مع الغرب من منطلق مفاهيمهم هم، وليس من منطلق مفاهيم الإسلام وهذا سوف يتضح في الفقرات القادمة.

لا عذر للموقعين

قد يقول قائل بأن هؤلاء كتبوا البيان واستجدوا فيه الغرب وبينوا لهم أنه يوجد من المسلمين من لا يؤيد العنف ويؤيد حوار الحضارات، كل ذلك ليخففوا الضغط على المسلمين الذين يلاقون الويلات من الأمريكان، فهم كتبوا ما كتبوا ليس عن قناعة ولكن من باب قوله تعالى (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير) ومن باب عزم النبي صلى الله عليه وسلم إعطاء غطفان ثلث ثمار المدينة لينسحبوا من ميدان المعركة.

والصحيح أن إحسان الظن إلى هذه الدرجة ليس بمستساغ من منطلق الأدلة الشرعية، فقوله تعالى (إلا أن تتقوا منهم تقاة) لا ينطبق عليهم بل إنه ينطبق على المكره، والإكراه له حدوده وشروطه ولم يقع على مثل هؤلاء شيء منها، ولم يكونوا بملزمين لمثل هذا البيان، والمكره يقول ما يريده عدوه على أضيق نطاق وليس على أوسعه لو صح الإكراه، ثم إن رفع الظلم عن المسلمين له طرق شرعية وليس هذا البيان منها.

أما من احتج بفعل النبي صلى الله عليه وسلم مع غطفان فهذا مع الفارق فواقع النبي صلى الله عليه وسلم مخالف تماماً لهؤلاء، ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم إمام المسلمين، وهؤلاء لا يمثلون إلا أنفسهم فضلاً عن تمثيلهم للمسلمين، ثم إن هؤلاء لا قيمة لهم ولا وزن لا عند حكوماتهم ولا عند أصحاب القرار الدولي ولا حتى في الإعلام المحلي، فلو تشابه الواقعان لبحثنا عن القياس.

ثم إننا نقول لمن حرصوا على التعذير لهؤلاء والذين صوروا أن الموقعين دافعهم الدفاع عن المسلمين أليس لكم أن تسألوا (أكثر) من وقعوا، أين بياناتكم وشجبكم واستنكاركم على المذابح التي تحصل للمسلمين في فلسطين وفي أفغانستان وفي العراق وفي الفلبين وفي أندونيسيا وفي الشيشان وفي أرتريا وفي كشمير بل وفي كوجرات التي حرق فيها خلال عشرين يوماً ألفي مسلم بالنار وهم أحياء ؟ بل أين بياناتكم التي على الأقل تعزون فيها تلك الشعوب المنكوبة وتدعونهم للصبر ؟ بل أين بياناتكم في إيجاد الحلول لقضايا المسلمين المعقدة والتي تحتاج إلى بينات منكم ؟ بل أين بياناتكم التي تصف المجرم الحقيقي والمتعاونين معه بالإرهاب ؟ أين بياناتكم من أسرى المسلمين الذين بين أيدي الصليبيين ؟ أم أن الانبطاح أهم من ذلك كله ؟.

إننا نحسن الظن ببعض الموقعين لاسيما المعروف منهم بالعلم والصلاح، ونقول إن توقيعه لم يكن بناءً على قراءة للبيان بل على معرفة مجملة لفحواه، وقد صرح بعضهم بأن اسمه أدرج بغير

علـم مـنه وبعضـهم قـال لقـد وثقـت بـالموقعين ووقعت معهم ولم أقرأ البيان، وعلى كل حال فلا عذر لمن أد رج اسمه ضمن الموقعين وهو غير راض إلا أن يكتب بياناً يعرب فيه عن رأيه وما يخالف فيه ذلك البيان المنهزم وخاصة في أمور المعتقد.

- **ما المقصد من البيان**

إنـنا حيـنما نقرأ البيان نجد أنه اشتمل على جملة من المخالفات الشرعية لا سيما في الأصول، واحتوى أيضاً عـلى تقريـر للمفاهـيم الغربـية القائمـة عـلى مـبادئ أرضية مقيتة أساسها هيئة الأمـم بفـروعها، وفيه أيضاً تقرير لحوار الحضارات ورفض لصدامها، وهذا مفهوم كفري جاء من الغـرب جملة وتفصيلاً، وفيه أيضاً تلبيس على المسلمين بأن هذا دينهم وهو يتوافق مع كثير مما عـند الغـرب، ومـا جاء في البيان لا يمكن أبداً أن تحدد ملامـح الخطر فيه عـلى عقيدة المسلم فضلاً عـن حصـرها، ونحـن نتسـائل إذا كـان البـيان موجها للغرب بلغة لا يفهمها إلا هم، فلماذا لم يكتب البـيان باللغـة الإنجلـيزية ويعطـى لهـم فقـط دون نشره بـين المسلمين ؟ لماذا ينـشـر البـيان بـين المسلمين، ويدخل بـ يوتهم ويقع في أيدي العامة وهو موجه للغرب ؟ فهل الهدف من هذا البيان هو تمييـع عقـائد المسلمين ومسخها بمفاهـيم انهزامـية كهـذه ؟ أم المقصـد دعـوة الغـرب وهدايـتهم للإسلام ؟ أم توضيح مبادئ الإسلام لهم ؟.

هـذه الأسـئلة يسـتطيع القـارئ أن يجيـب عـنها مـن خـلال تمعنه بعبارات البيان، ولعلنا نقف على ما يساعد على الإجابة عنها.

جهل أم تجاهل ؟

إن الملاحـظ مـن لغـة الخطـاب وفحـواه أنـه جـاء بعـبارات تـدل على أن كاتبه يحاول أن يصور للقـارئ بـأن الغـرب يجهـل عقيدتـنا وأصـول ديـننا، ولذلك هم بحاجة إلى أن يتحاوروا لكي يفهموا حقـيقة ديـنـنا وأصوله ومبادئه التي توافق الغرب، وقد نسي المسكين أو تـناسـى أن الغـرب هو الذي استعمر بـلاد المسـلمين لعشـرات السـنين وأنـه هـو الـذي ألغـى نظـم التعلـيم الشرعية واستبدلها بالتعلـيم الحديـث الـذي بقيت آثاره نعاني منها في بلاد المسلمين حتى اليوم، لقد نسي المسكين أن الغـرب مـن خـلال الاسـتعما ر استطاع أن يعـرف كـل دقـيق وجلـيل في الإسلام، ونسي المسكين أن الغـرب لديه مراكز متخصصة لدراسة شئون المسلمين الفكرية والعقدية والفقهية والاجتماعية، بـل إن المستشـرقين حيـنما قدمـوا بـلاد الإسـلام قدمـوا دراسـات ضخمة عن ديننا، ومن أشهر ما يسـتفيد مـنه علـماء المسلمين حتـى الـيوم مـن بحوث الغـرب في ديننا هو المعجم المفهرس لألفاظ الحديـث، حيـث جمـع ثلـة مـن المستشـرقين أحاديـث الـنبي صـلى الله علـيه وسـلم كـلها وقـاموا بفهرسـتها لـيعرفوا طبـيعة الدين ويخرجوا المتشابه منها ليحاربوا به الإسلام، ومـع كل ذلك يأتي مـثل هـؤلاء ويصـورون أن مشـكلتنا مـع الغـرب أنهـا مشـكلة سـوء فهـم مـن الغـرب للإسـلام مما يحـتاجون معـه إلى تصـحيح وحـوار ليفهموا ديننا، فياحسرة على هذه الثقافة التي لم تنفع حتى بمعرفة أكثر الأمور وضوحاً.

أين أصول الدين ؟.

وكمـا أن البـيان اخـتزل المشـكلة بيـنـنا وبـين الكفـار الصليبيين بأنه سوء فهم من الغرب لديننا ومـبادئه، فقـد حـاول البـيان جـاهداً أن يعـيد ويـزيد لـيوجد قواسـم مشـتركة بـين المسـلمين والصليبيين، ولم يقف عـند هـذا الحد حتـى وصل لأعظم من هذا الخلل الفكري والمنهجي، حيث

وصل إلى خلل في الأصول، إذ أن البيان خلا تماماً من تحديد معالم ديننا وهو الإيمان بالله وحده وبالأنبياء جميعاً واتباع محمد صلى الله عليه وسلم، وتقرير عقيدة الولاء والبراء، والتبرء من كل معبود سوى الله والكفر بكل طاغوت وعابده، والجهاد في سبيل الله تعالى، إن أساس مشكلتنا مع الغرب هي هذه المبادئ، لذا فإن النبي صلى الله عليه وسلم عندما كتب يدعوا النصارى إلى الإسلام كتب لهم قول الله تعالى (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم) ولم يسكت عند ذلك ويقول يوجد بيننا وبينكم قواسم مشتركة من العدل والحرية والقيم كلا، بل أكمل الآية وقال (ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئًا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) فهل يستطيع كتاب البيان أن يصرحوا للصليبيين بهذه الآية وحدها ؟.

فالغرب يعادينا من أجل الولاء والبراء ومن أجل الجهاد، فكيف يخاطب كتاب البيان هؤلاء الكفار الذي يهاجمون ديننا باليد واللسان بأمور جزئية ليست هي موطن الخلاف، إن الغرب يريد منا أن نترك عقيدة الولاء والبراء وأن نترك الجهاد، هذا هو عين ما يطلبه ويريده منا، فهل يرى المثقفون أنه يجوز للمسلمين التنازل عن هذين الأمرين لنتعايش مع الغرب ؟.

هل أجواء التفاهم من المطالب الشرعية جاء في بيانهم أنهم يريدون أن يبينوا وجهة نظرهم متطلعين لتأسيس أجواء تفاهم مشترك تتبناها الحكومات والمؤسسات، ألم يعلم المثقفون بأن الحكومات (الإسلامية) والحكومات الغربية تتواصى لضرب حقيقة الإسلام والتدين في بلدان العالم الإسلامي، وتسعى لعلمنة الشعوب وواقع المسلمين، وفصل الدين عن الدولة، كيف تتبنى الحكومات التي تحارب حقيقة الإسلام ما ينفع المسلمين، لا نعلم هل هذه سذاجة أم انه جهل أم ضحك على المسلمين، وواقع حرب الحكومات اليوم إنما هو لحقيقة التدين والإسلام وفصل الدين عن الدولة، وهذا واضح و لا يحتاج إلى طول شرح، فالاستعمار انسحب من ديار نا وترك له أذناباً ينفذون ما يريد، فكيف يتصور المثقفون بأن الحكومات يمكن أن تتبنى أي طرح ينفع المسلمين، وكل طرح يمكن أن يناسب الحكومات فهو طرح مضاد للشريعة الإسلامية علمنا هذا بالاستقراء والمعايشة والتجربة.

ثم إنهم يتطلعون لأجواء للتفاهم المشترك، بأي دليل يصبح التطلع للتفاهم المشترك أصلاً يسعى إليه المسلمون، هل كان النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة من بعده رضي الله عنهم والسلف الصالح، هل كانوا يسعون لجهاد الكفار وغزوهم في كل بقاع الأرض وإدخالهم تحت حكم الإسلام صاغرين، أم كانوا يبعثون الرسل ليوجدوا قواسم مشتركة بينهم وبين الكفار يمكن أن يتفاهموا حولها ويعم الأمن والسلم والتطبيع المشترك بهذه الطريقة الشيطانية، إن الشريعة جاءت بطرق عادلة صحيحة تكفل الأمن للمسلمين وتكفل السلم للعالم، يجب على المسلمين سلوكها إذا ما أرادوا ذلك، والغرب يعلم تلك الطرق علماً يقينياً ويحاربنا من أجلها.

لا للتطاحن والصراع !!

لقد جاء في بيان المثقفين قولهم " وفي مثل هذا المفصل المهم من التاريخ فإننا ندعو المفكرين الأحرار إلى حوار جاد يحقق الفهم الأفضل للفريقين، وينأى بشعوبنا عن دائرة التطاحن والصراع، ويمهد لمستقبل أفضل لأجيالنا التي تنتظر منا الكثير ".

وقالوا " يفترض أن ندعو جميعاً لشروع حوار نقدمه لعالمنا تحت مظلة العدل والأخلاق والحقوق، مبشرين العالم بمشروع يصنع الخير والأمن له ".

وقالوا " لا بد أن يلفت الحدث أنظارنا إلى أن الإفراط في القوة مهما تعددت صورها ليس سبباً كافياً للحماية ".وقالوا " وقد تعلمنا من التاريخ أن الضمانات لتحقيق الأمن لا تفرض بالقوة

فقط، لأن الضمانات التي تفرض بالقوة تحمل معها بذور الفشل والانهيار، وتكون مصحوبة بالسخط والتذمر من طرف، والغطرسة والكبر من طرف آخر، أما حينما تكون الضمانات مبنية على العدل فإن فرص نجاحها تكون أكبر".

لا حول ولا قوة إلا بالله، إننا لم نكن نظن أبداً أن يصدر مثل هذا الكلام ممن يعدون أنفسهم من دعاة هذا الدين، إن هذه العبارات ومثلها كثير جداً يخيل للقارئ أن الذي كتبها هم المثقفون الغربيون لا المسلمون، فالعبارات السابقة عبارات صريحة في هدم البراءة من الكافرين، وهي عبارات صريحة أيضاً في نبذ الجهاد وخاصة جهاد الطلب، والمشكلة أن جهاد الطلب من المسلمات في هذا الدين وهو من الفروض التي لا ينكرها إلا ضال، فكيف يدعو هؤلاء إلى إلغاء هذه الفريضة ويناشدون الغرب للتفاهم والحوار تحت مظلة العدل والأخلاق والحقوق، فحلت هذه الأسس التي جاءت من داخل أروقة الأمم المتحدة، محل الأسس الإلهية التي تقوم على البغضاء للكفار ومنابذتهم باللسان والسنان حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، ومهما نكتب من نقد للجمل السابق ذكرها فإننا لن نوفيها حقها من سوئها وتجنيها على ديننا.

فكيف توصف طريقة النبي صلى الله عليه وسلم وطريقة أصحابه من بعده بأنها فاشلة، وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده وجعل رزقه تحت ظل رمحه وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره، لماذا جاء السيف ركيزة أساسية لتعبيد الناس لربهم، إن مراجعة منهج النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من بعده يوضح شناعة قولهم، ومهما قالوا بأننا نقصد كذا أو نعني كذا فالعبارات واضحة لا تحتاج إلى شرح ولسنا مكلفين بمعرفة المقاصد، وما يأتي يوضح.

ثم إن المسلم وخاصة العالم منهم ينبغي أن يقدم للعالم مشروع الإسلام فقط، لا مشروعاً تحت مظلة العدل والأخلاق والحقوق بالمفهوم المشترك، بل إن مشروع الإسلام هو الأصل، ومن أهم أمور الإسلام توحيد الله سبحانه وتعالى والذي ينبغي أن يظهر جلياً واضحاً في أي طرح نقدمه للكفار.

ومن قال لكم أيها المثقفون بأن القوة ليست سبباً كافياً للحماية ؟، إن الغرب الصليبي لم يستطع حماية نفسه إلا بالقوة وبعد أن ضحى بثلاثمائة مليون نسمة في حروبه كلها، ويكفينا أن الإجماع منعقد بين علماء المسلمين أن حماية حوزة هذا الدين إنما هو بشعيرة الجهاد دون سواها، فحماية المسلمين إنما هو بالجهاد لا بالحوار والتعايش، واعلموا أن راية الجهاد لن تفشل ولن تنهار أبداً إلى يوم القيامة وهو خيارنا الوحيد للعزة كما تواترت بذلك النصوص.

تلبيس ومراوغة

قال الموقعون في بيانهم " و تعاليم الإسلام تصف النصارى بأنهم أقرب للمسلمين من غيرهم، والتاريخ يذكر أن نبي الإسلام محمد - صلى الله عليه وسلم - أرسل مجموعة من أصحابه في سنوات الإسلام الأولى إلى أحد الملوك المسيحيين في الحبشة ".

وقالوا " وأن النبي محمداً -صلى الله عليه وسلم- كتب كتاباً لملك المسيحيين الرومان، ولملك المسيحيين الأقباط ولقي الكتابان حفاوة بالغة، وقد أخبر القرآن الكريم بأن المسيحيين هم الأفضل في أخلاقيات التعامل من بين كل المجموعات الدينية المخالفة للإسلام في قوله :) لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى..)

كما أن العبارات السابقة حق لا شك فيها إلا أنها كلمات حق لم يرد بها إلا التلبيس والمراوغة، فكيف تذكر هذه العبارات اليسيرة وتترك عشرات النصوص التي لعن فيها النصارى وذكر فيها كفرهم وخداعهم، فهذه العبارات جاءت ككلمات حق أريد بها باطل.

فإن كان المقصود من هذا الكلام أن نثبت أن فيهم خيراً يقره الإسلام ويمكن لنا أن نتعايش معهم على أساسه ؟ فهذا أمر باطل، فالخير الذي عندهم إنما هو خير في جزئيات يسيرة لا تصلح أن تكون أرضية تعايش معهم ولا نقاش ولا حوار كما يسمونه، فهم أولاً يكفرون بالمسيح عليه السلام ويكفرون بمحمد صلى الله عليه وسلم، ولا يدينون دين الحق، فلا هم بدينهم متمسكون ولا بدين محمد موقنون، فعلى أي شيء يمدحون وعلى أي شيء نتفاهم معهم، إن شيخ الإسلام رحمة الله عليه عندما حاور النصارى في كتابه الجواب الصحيح وكذلك ابن القيم في كتابه هداية الحيارى وغيرهم من العلماء، لم يكونوا يحرصون إلا على شيء واحد هو أن يثبتوا للنصارى أنهم كفار بنبيهم عيسى عليه السلام وكفار بمحمد صلى الله عليه وسلم، وأن دينهم محرف ولن يقبل الله منهم صرفاً ولا عدلاً إلا بالإسلام، فمن كان فيه هذه الصفات وهو في الحقيقة لا ديني أو يدين بدين من صنع البابوات فأي فائدة في التفاهم والتعايش معه ؟.

ثم لماذا تذكر الآية كدليل على قرب النصارى من المسلمين ولا تكمل الآية وهو قوله (ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون) ولا يؤتى بالذي بعدها، فالآية وردت في وصفهم أقرب من اليهود والمشركين وحينما نقول إن القمر أقرب من الشمس لا يدل ذلك على أن القمر قريب منا، فهذا أمر نسبي، وأيضاً الآية التي بعد هذه الآية توضح من هم الذين أقرب مودة للذين آمنوا منهم، وهذا يتضح بقوله (وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين) فهذا يبين أن المقصود بالقريبين من الإسلام هم الذين آمنوا من النصارى لأن الآية التي بعدها لا يقولها إلا مؤمن، وقد ذكر ذلك المفسرون، بل ذكر بعض أهل العلم كالقاضي أبي يعلى وغيره إن مقالة النصارى أقبح من مقالة اليهود، فهذا هو معنى قربهم ولهذا كانوا قريبين فكانوا يؤمنون بعيسى ولما جاء محمد صلى الله عليه وسلم عرفوا الحق من سماعه فآمنوا، وليس وصف قربهم مطلقاً لكل النصارى حتى يوصف الأمريكان بذلك.

والنبي صلى الله عليه وسلم أرسل رسالته لملوك النصارى ولم يكتب لهم هذه الآية ليستعطفهم، بل كتب لهم قوله تعالى (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم.. الآية).

ولماذا لم يذكر المثقفون قول الله تعالى الذي ينطبق على الغرب المخاطب (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة) وقوله (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم) ولماذا لم يذكر قوله تعالى (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) ولماذا لم يذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم (لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبياءهم مساجد) متفق عليه، أم أن هذه النصوص وغيرها كثير لا تناسب عبارات الانبطاح والانهزام المتبعة، فالمقصد في البيان هو البحث عن ما يلبسون به على الأمة وما يصورون به ديننا تصويراً جزئياً يلغيه وذلك بإلغاء البراءة من الكفار ومعبوداتهم والجهاد في سبيل الله.

ثم إن عداوة المسلمين للأمم ليست معلقة باسم الأمة أو تاريخها، بل هي معلقة بضرر هذه الأمة أو تلك على الإسلام والمسلمين، فلو أن مشركا كان في زمن أقل ضرراً على الإسلام والمسلمين من النصراني، فإن الواجب هو قتال النصراني وتأجيل أمر المشرك رغم أنه موصوف بأنه أشد

عـداوة، وكـل عاقل يعرف اليوم أن أمريكا الصليبية ومن ورائها بريطانيا وألمانيا وفرنسا وكندى واستراليا أعظم خطراً وعداوة على المسلمين من اليابان وكوريا بشقيها والصين وغيرها.

ثـم لماذا ينسب كفار أمريكا إلى المسيح عليه السلام، فاسم المسيحيين لم يرد في الشرع أبداً إنما سماهم الله ورسوله نصارى، فلماذا تترك تسمية الله ورسوله إلى تسمية هم أطلقوها على أنفسهم نسبة لعيسى عليه السلام بالباطل فنوافقهم على باطلهم تقرباً منهم وإرضاء لهم، وعجباً إذا جاء الحديث عن النصارى والطواغيت رأيت العبارات اللينة والألفاظ المنتقاة الجميلة، وحينما يأتي الكلام على المجاهدين ترى العجب من اللمز والتشهير والافتراء والوصف بالتطرف والإرهاب وغير ذلك، ويحق لنا أن نسأل من توالون ؟ وممن تتبرأون ؟.

تـحـد فـي مـحـلـه !!

قالوا في بيانهم " ولذا نقول وبكل صراحة ووضوح إن كل قضية يطرحها الغرب فلدينا القدرة على فتح حوار ناضج حولها، مدركين أن مجموعة من المفاهيم في الأخلاق والحقوق والقضايا المعرفية هي قاسم مشترك مع الغرب ومؤهلة للتطوير الذي يصنع الأفضل لنا جميعاً، وهذا يعني أننا نملك أهدافاً مشتركة، إلا أننا ننفرد كما تنفردون بأولويات مختلفة هي من مرتكزات السيادة وأولوياتنا الحضارية ".

على رسلكم على رسلكم فلماذا هذا التقرب للغرب بهذه العبارات الدالة على حسن النوايا، فإن من يقرأ أول البيان يعرف أنكم على مستوى هذا التحدي، فبإمكانكم بعبارات جهنمية أن تلبسوا الحق بالباطل وتخفوا معالم الدين فأنتم مصدقون وأهل للتحدي فلا داعي لهذا التأكيد والصراحة والوضوح، وعن أي مفاهيم مشتركة يمكن أن نتفق مع الغرب الإباحي بها، الغرب العلماني الذي لا يدين بدين يزعم المثقفون بأن بيننا وبينه قواسم مشتركة، بما أن الأصل بيننا وبينهم متناقض فلا فائدة بالفروع المشتركة لو وجدت، إن كل قيم الغرب الإباحي لا توافق الشريعة الإسلامية، وما يوافقوننا به مثل الصدق مع بعضهم أو الانضباط في المواعيد وغيرها إنما هي أمور فرعية ليست هي أساس المشكلة بيننا وبينهم، وهؤلاء يزعمون أن كل قضية يطرحها الغرب يمكن أن نفتح حواراً معه ليصنع الأفضل لنا جميعاً، إن قضايا العلمانية والشذوذ والجنس والإلحاد هذه من القضايا المطروحة بقوة في الغرب، فما هو القاسم المشترك حتى نطور الحوار لنصنع الأفضل لنا جميعاً، وما هي الأهداف المشتركة الدينية التي هي محور الخلاف التي نتفق مع الغرب فيها.

الله يقول عنهم كالأنعام وهم يزعمون أنهم مكرمون !!

قالوا في بيانهم " الإنسان من حيث هو كينونته مخلوق مكرم، فلا يجوز أن يعتدى عليه مهما كان لونه أو عرقه أو دينه، قال الله تعالى: (ولقد كرمنا بني آدم..) ".

(مهما كان لونه أو عرقه أو دينه) عبارات جميلة وردت في مواثيق منظمة دول عدم الانحياز تستحق الإشادة بالتطور الفكري لدى المثقفين السعوديين الذين بدءوا يرددون نفس المفاهيم الواردة في مواثيق الأمم.

ثـم كيف لكم أن تقولوا على الله بغير علم، من قال لكم بأنه لايجوز الاعتداء على الإنسان إذا كان كافراً، أين جهاد الطلب ؟ الله سبحانه وتعالى يقول (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم) ويقول (فإذا انسلخ ا لأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم) إن عباراتكم

هذه هي مبنية على مبدأ المساواة الواردة في مواثيق الأمم المتحدة، والتي لا تفرق بين الناس لا من منـ طلق ديـني أو عرقي أو جنسي، إن الإسلام يعلو ولا يعلى عليه، إن المسلم ولو كان عبداً خير من ألف ألف سيد كافر قال تعالى (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم أولئك يدعون إلى النار والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون) فلا وجه للمساواة بين دعاة النار ودعاة الجنة، فرغم إبطالكم في هذه العبارات للجهاد أبطلتم أوجه التفاضل بين المسلمين والكفار، وهذا المفهوم أخطر ما حاولتم تأصيله في بيانكم.

وبما أن البيان يخاطب الغرب الصليبي الكافر فمن التلبيس والكذب والتضليل على المسلمين أن تخاطب الكفار بآيات وردت في جنس الإنسان لا علاقة لها بالغرب دون إكمالها، فأين باقي الآية التي توضح وجه تكريم الله تعالى لكافة بني آدم وهو قوله (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) فالتفضيل المقصود في الآية هو إحسان الخلق وتيسير السبل للتنقل في البر والبحر وأنواع الرزق والطيبات كما قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية، فكيف توضع هذه الآية بغير موضعها ويوصف الكافر بأنه مكرم ليفهم الغرب من التكريم هو الاحترام والمحافظة على الحقوق المكتسبة، فالتكريم في الخلق بينما هؤلاء يسوقون الآية كدليل على ضرورة تكريم الكافر الغربي والمحافظة على حقوقه المكتسبة، وحينما يرتبط جنس الإنسان بالكفر فمن الفقه والعلم أن تذكر الآيات التي تناسب ذلك المخاطب وهم الذين وصفهم الله بأنهم كالأنعام بل هم أضل فقال (ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون) وقال أيضاً (أم تحسب أن أكثرهم يسمعو ن أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا) وقال (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة) وقال (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم) وغيرها من الآيات التي تصف حقيقة هؤلاء.

وقد يقول قائل لا داعي لإقحام تلك الآيات في موضع البيان الذي وردت فيه آية تكريم الإنسان، نقول إن موضع الآية جاء في البيان ليبين المفاهيم المشتركة بين الموقعين والغرب، والموقعون يزعمون أنهم يتكلمون باسم الدين، فمن الخطأ أن يورد بأن الدين يكرم بني آدم، وبنو آدم المقصودون في موضع البيان هم الشعوب الغربية و إلا لما كان هناك أدنى فائدة من إيراد الآية ضمن القواسم المشتركة بين الموقعين والصليبيين، والدين أبداً لا يمكن أن يكرم الإنسان الغربي الذي كفر بالله العظيم بل وصفه بأنه كالأنعام ولعنه وأعد له نار جهنم خالداً فيها، وهذا ما يفترض أن يذكره المثقفون في بيانهم في هذا الموضع.

لم تلبسون الحق بالباطل ؟!

قالوا في بيانهم " لا يجوز إكراه أحد في دينه، قال الله تعالى: (لا إكراه في الدين)، بل إن الإسلام نفسه لا يصح مع الإكراه ".

هذا لبس للحق بالباطل، الخلاف مع الصليبيين ليس في عقيدة القلب وهذا لا إشكال فيه، فالآية تنهى عن إكراه الناس لتغيير عقائد قلوبهم، وأسباب نزول الآية التي ذكرها المفسرون توضح هذا المفهوم.

وأيضاً لماذا يأخذ المثقفون أول الآية ويتركوا آخرها وهو قوله (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم (لماذا لم يوضحوا معنى الكفر بالطاغوت للغرب، فكما أن ديننا ليس فيه أكراه،

فليس فيه أيضاً إلا كفر بالطاغوت وإيمان بالله على طريقة إبراهيم عليه السلام، فاستشهادهم بأول الآية جاء في موضع لا يناسب آخرها.

ثم إن طائفة من المفسرين قالوا كما نقل ابن كثير بأن هذه الآية منسوخة بقول الله تعالى (ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون) وقوله (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين) وقوله (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير) وهذا النسخ محمول على من رأى أن النهي في الإكراه لإدخالهم تحت حكم الدين ظاهراً، أما من رأى أن المقصود بها عقائد القلوب فلا تعارض بين الآيات.

أما الأهم وهو الذي حوله النقاش المطروح وهو الذي يستحي من ذكره الموقعون هو قول الرسول صلى الله عليه وسلم كما رواه أحمد وغيره عن ابن عمر رضي الله عنهما قوله (بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم) وقوله كما في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله (وقوله كما في حديث بريدة رضي الله عنه عند مسلم وأحمد حيث قال (كان رسول الله صلى ا الله عليه وسلم إذا أمر أميرا على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا ثم قال اغزوا باسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال أو خلال فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم.. ثم قال.. فإن هم أبوا فسلهم الجزية فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم (فنقاشنا مع الغرب الكافر وخلافنا معهم وهو الأمر الذي ينبغي أن نقف وراءه بكل قوة ونرفع به العقيرة، هو هل الإسلام يجبر الناس بقوة السيف أن يدخلوا تحت حكمة بأبدانهم وليس بقلوبهم أم لا ؟ نعم الإسلام ليس فيه إلا ثلاث خيرات إما الإسلام رغبة أو الجزية ليدخل تحت حكم الإسلام ببدنه وليس بقلبه أو له السيف لأنه لايصلح أن يعيش، فانحصر الأمر لكل إنسان بين أن يسلم أو يعيش تحت سلطان الإسلام أو القتل، وكان ينبغي للموقعين أن يوضحوا ذلك الأمر للغرب، لا أن يكونوا كمن آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض، فيأتوا بما ليس له علاقة بالصراع ويلبسوا أن هذا هو الإسلام، بل إن الآية لا تدل على مايريد ون ويقصدون من سياقها في هذا الموضع، إن الغرب ينقم على الإسلام أنه يخير الكفار بين ثلاث الإسلام أو الجزية أو السيف، فيا أيها المثقفون هل هذه الخيارات من الدين أم لا ؟ هذا ما يدور النقاش حوله فلا تراوغوا وتلبسوا الحق بالباطل.

أصبح المستثنى أصلاً والأصل معدوماً

قالوا في بيانهم " ولهذا فإن أساس العلاقات بين المسلمين وغيرهم في الأصل هو العدل والإحسان والبر، وهذا من القسط الذي يحبه الله وأمرنا به، قال الله تعالى : (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين (". لقد تغيرت المفاهيم حتى أصبح الإسلام غير الذي كنا نعرف فظهرت له أسس وأصول كنا نظن أنها فروع في الدين وليست بأصول، فالعلاقة التي بين المسلمين والكافرين يلخصها قوله تعالى (قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء

منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده) فهناك عداوة ظاهرة بالجوارح، وبغضاء باطنة بالقلوب، وقد تنتفي العداوة الظاهرة بالجوارح - أي القتال - بسبب أن الكافر ذمياً أو ممن حرم دمه أو لضعف المسلمين، ولكن البغضاء إذا انتفت من القلوب فهي ردة جامحة لا يقبل الله من صاحبها صرفا ولا عدلاً، ثم إن قول الله تعالى لنبيه يعد ملخصاً للعلاقة الصحيحة (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير (.فهذه أصول وأسس العلاقة بين الكافر والمسلم، فالقتال والعداوة والبغضاء من المسلم للكافر هو من أصول ديننا، ونحن نعد هذا هو العدل والإحسان إليهم، والغرب يرى أن القتال والعداوة والبغضاء من أجل الدين يرى أنه ظلم وعدوان وشر، فمن أصدق قولاً، مفهومنا للعدل والإحسان أم مفهومهم.

ثم استدل المثقفون بآية تدل على أنهم يرون فهم الغرب لا فهم الشرع في العلاقة بيننا، فاستدلوا على الإحسان والبر والعدل بقوله تعالى (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين) وهذا قول على الله بغير علم، فما جاء في هذه الآية هو من الأمور المستثناه من الأصل وهو لذوي القربى ومن ليس من أهل القتال، فكيف يجعل الاستثناء أصلاً والأصل مهملاً ومعدوماً، لماذا لم يقولوا بأن أصل العلاقة بين المسلم والكافر هو العداوة والبغضاء اتباعاً لملة إبراهيم، ورغم ذلك فقد قال العلماء عن هذه الآية التي جعلها المثقفون أصلاً أنها متقدمة نسختها آية السيف، وهي أيضاً رد على المثقفين الذين يسعون للتعايش مع الغرب بأن الله لا ينهاكم عن الذين لم يقاتلوكم وجاء بعدها (إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) فكيف لكم بمخالفة نهي الله سبحانه وتعالى، فتسعون لبر من قاتلنا وأخرجنا من ديارنا والإحسان إليه والتعايش معه والاتفاق على أرضية مشتركة، ألا تخشون بأن تكونوا من الظالمين ؟.

عن أي المفاهيم تعبرون

قالوا في بيانهم " العدل بين الناس حق لهم والظلم محرم فيما بينهم مهما كانت أديانهم أو ألوانهم أو قومياتهم، قال الله تعالى (وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى)".

لقد امتلأ البيان بعبارات ومفاهيم ضبابية مطاطة لا حدود ولا ضوابط، فنفي الفوارق الدينية والعرقية والجنسية تتكرر لتأصيل الانبطاح للغرب وهذه إحدى ميزات البيان الرئيسية، ومن تلك العبارات ما جاء في الفقرة السابقة حول العدل والظلم، وعدم تفرقة الألوان والأديان والقوميات، علماً أن هذه العبارة وردت بنصها في ميثاق مجلس الأمن حول مهام المجلس في رفع الظلم عن الشعوب.

وكلمة العدل هنا مجملة فماذا تعني، فالحوار هنا مع الغرب، والغرب يرون أن المقصود بالعدل أن تتيح له الحرية أن يفعل ما يريد وأن يدعو لعبادة من يريد، ويرون العدل أن تطلق له الحرية الجنسية وتطلق له الزمام ليفعل كل شيء لأن العدل ألا ينهى عن حريته، لذلك أطلق خبيثهم بوش على هذه الحرب الصليبية اسم (الدفاع عن الحرية)، أي أنهم يفهمون أن أمريكا تمثل الحرية وهي

الإباحـيـة.

وكلمة الظلم يفهمها المخاطبون بأن الظلم أن تدخله تحت سلطة الإسلام بالسيف كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم مع الكفار، ويرون الظلم أن تمنعه من ممارسة الفواحش والكفر والشرك، ويرون الظلم أن تغزوه في أرضه بجهاد الطلب إلى غير ذلك من المفاهيم.

ثم يأتي المثقفون ويقولون بأن العدل حق والظلم محرم، فإن كانوا يقصدون العدل والظلم بمفهوم المخاطب، وهم الذين ساقوا هذا الكلام لإثبات القواسم المشتركة بينهم، فهذه طامة كبرى وكلمة كفر قيلت، وإن كانوا يقصدون الظلم والعدل بمفهوم الإسلام، فهو عين ما يحاربه الصليبيون وما حروبهم التي شنوها على المسلمين إلا لخلافهم معنا في مفهوم العدل والظلم، فالعدل أن تخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، والظلم كل الظلم أن تتركهم على كفرهم ولا تتسبب لهم بالجهاد ليدخلوا في الدين كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم معهم.

عجباً الحملة الصليبية فيها خير للبشرية !!

قالوا في بيانهم " وهي تتفق - بقدر مشترك - مع بعض الأسس التي أوردها المثقفون الأمريكيون في بيانهم، ونرى أن هذا الاتفاق يشكل أرضية جيدة للحوار لما فيه خير البشرية".

يقر المثقفون هنا أن طرح الصليبيين الذين كان ينادون بوش ليواصل حملته الصليبية أن هذا الطرح يشكل أرضية للحوار وفيه خير للبشرية، وأصل بيانهم كان يدور حول هذه العبارات التي قالوا فيها " باسم المبادئ الأخلاقية الإنسانية العامة، وبوعي كامل لقيود ومتطلبات الحرب العادلة نؤيد قرار حكومتنا ومجتمعنا باستخدام حد السلاح " هكذا كان بيان الصليبيين الذي قابله بيان المثقفين الذين انبطحوا أرضاً وقالوا طرحكم يشكل أرضية مشتركة للحوار وخير للبشرية، إن الرد المناسب على بيان المثقفين الصليبيين هو أن ننهض أفراداً ومجتمعات لندعم الجهاد والمجاهدين، ومزيد من دعم و تأييد العمليات الاستشهادية، يحتاج منا أن نرد عليه بنقل المعركة من المجال العسكري إلى المجال السياسي و الاقتصادي والمجال الثقافي و الفكري و الاجتماعي وجميع مجالات الحياة، إن هذا الطرح لا يشكل إلا شراً على البشرية جمعاء حيث يفرض فيه الكفر ويدرس الإسلام، أيها المثقفون إن خير البشرية هو في الإسلام، والإسلام لا ينتشر إلا بالسيف ولا غيره الذي بعث به النبي صلى الله عليه وسلم، فكيف يقر الموقعون بأن خير البشرية في طرح الصليبيين الذين ينادون باستئصال الإسلام، وما دعوا في بيانهم له من حرية وعدل ورحمة وحقوق إنما هو بمفهومهم الكافر لا بالمفهوم الإسلامي .

ليس لكم الحق إلا أن تتحدثوا عن أنفسكم فقط

قالوا في بيانهم "إن كثيرين في العالم الإسلامي وغيره لم تكن هذه الهجمات في سبتمبر محل ترحيب وحفاوة عندهم، لجملة من الأسباب القيمية والمبدئية والمصلحية والأخلاقية التي تعلمناها من الإسلام".

وقالوا " وليس من العقلانية أن نفترض أن الذين هاجموا الولايات المتحدة في الحادي عشر من سبتمبر لا يشعرون بنوع من المبررات الذاتية صنعتها فيهم ودفعتهم إليها القرارات الأمريكية في مناطق عالمية متعددة، وإن كنا لا نرى واقعية هذه المبررات لضرب الأمن المدني ؛ لكنه استقراء لنوع من العلاقة السببية بين الأحداث والسياسات الأمريكية ".

لقد جاء البيان مخيباً لآمال كثير من الصالحين خاصة، ورغم أنه خيب الآمال وحز في النفوس إلا أن الأمر الذي يؤلم أكثر من إصداره، هو أن تصدر هذه الترهات والتلبيس والانبطاح

باسم المسلمين جميعاً وخاصة في بلاد الحرمين، و ليس للموقعين أبداً الحق بأن يتحدثوا باسم المسلمين في أرض الحرمين كما قدموا في بيانهم، فالسواد الأعظم من الموقعين لا يعرفون أصول عقيدة السلف بل يعدون في عداد العامة، وشهاداتهم في العلوم الطبيعية ليست مبرراً لهم بأن يتحدثوا بمثل هذه الأمور الشرعية وعن الأمة جميعاً.

ثم إن العبارات في الفقرتين السابقتين تضمنت استجداءً مقيتاً للكفار لا نرضاه أن يخرج باسمنا، ثم إن الموقعين يؤكدون كاذبين أن كثيرين في العالم الإسلامي لا يرحبون بغزوة سبتمبر، وهذا مجانب للواقع بل إن كثيراً من بيوت المسلمين لم يدخله الفرح والسرور بما يصيب الصليبيين منذ عقود كما دخله السرور بهذه الضربات المباركة التي نسأل الله لهم أمثالها، وإن كان الإعلام ركز على شريحة قليلة أظهرت نقمتها فالإعلام عادة لا يظهر إلا ما تريده الحكومات التي يؤلمها ما يصيب الأسياد.

ثم كيف يختزل هؤلاء أسباب عدم الترحيب عند القلة إلى جملة من الأسباب القيمية والمبدئية والمصلحية والأخلاقية التي تعلمناها من الإسلام، إذا كانت هذه هي الأسباب فلماذا لم نر لواحد من الموقعين بحثاً شرعياً (وليس سياسياً) مفصلاً يشرح هذه الأسباب بالدليل الشرعي لا بالمنطق والعقل، سوى كتابة واحد أو اثنين حشدت فيها المفاسد التي تراجعوا عنها فيما بعد وأثبتوا بأنها مصالح.

هل علمتم أنفسكم ؟.

قالوا في بيانهم " لماذا نفترض تجاهل هذا التاريخ، ونتسامح في قراءة سطحية مبتسرة للأحداث ؟! ليس هذا فحسب، بل إن النظم والتشريعات التي جاء بها الإسلام تؤسس لحياة مستقرة للمؤمنين به وغير المؤمنين "

إصرار على نفي الفوارق بين المسلم وغير المسلم، ثم لماذا لم يسمح الموقعون لأنفسهم بأن يقرأوا التاريخ القديم والحديث، فعندما أحسن ملك القبط في مصر إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأكرم رسوله وبعث له بدابة وكسوة وجارية، فهل منع ذلك الإحسان الصحابة رضي الله عنهم من أن يغزوا ديار القبط ويدخلوهم تحت حكم الإسلام بالقوة.

وأيضاً ألم يسمع الموقعون عن الحملات الصليبية التي شنتها الكنيسة الأوربية ضد بلاد الإسلام فأهلكت الحرث والنسل، ألم يسمع الموقعون بما يسمى الاستعمار البريطاني والفرنسي والبلجيكي والإيطالي لبلاد المسلمين، ألا يعلم الموقعون أن الاستعمار لازال قائماً ولكن بطريقة غير مباشرة، لماذا تناسيتم التاريخ وخاطبتم الجلاد بمثل هذا الخطاب المنهزم، إذا لم تستطيعوا قول الحق ومواجهة العدو الغاشم مع المجاهدين فاسكتوا ولا تشوهوا صورة الإسلام وتدنسوا مفاهيمه الشاملة وذلك ببتر النصوص وتحويل الصراع من كليات إلى جزئيات، رجاءً لا تعوقوا المسلمين عن مواجهة العدو مع المجاهدين.

دعوة للتقريب بين الإسلام والنصرانية !!

قالوا في بيانهم " إن من المدركات لدينا اليوم أن التجمعات الشرقية في اليابان والصين تبدو أكثر تباعداً في المفاهيم مع العالم الإسلامي مما عليه الناس في الغرب، وثمة جسور تواصل مع الغرب أكثر مما هي مع تلك المجتمعات الشرقية و علاقات متبادلة ومصالح مشتركة، ويفترض أن الغرب يدرك أن من الأفضل له حدوث التوازن والاستقرار في العالم الإسلامي، وأن يحفظ أن

الأرض الإسلامية قدمت له الكثير لاسيما في مجال التكوين الاقتصادي الغربي، فالغرب هو المستفيد الأول من القوى الاقتصادية الإسلامية ".

وقالوا " و الخلاف بيننا وبين المجتمع الأمريكي ليس في قيم العدل، أو خيار الحريات ذلك أن القيم عندنا قسمان: قيم إنسانية عامة متفقة مع الفطرة وديننا يدعو إليها، وقيم خاصة بشعب معين آثرها واختارها فنحن لا نكر هه على تركها، ذلك أن ديننا علمنا أن لا إكراه في الدين، فضلاً عن كون مجموعة منها خيارات اجتماعية في الأصل ترتبط بالبيئة القائمة كما أننا لا نقبل أن يفرض أحد علينا تغيير قيمنا أو يصدنا عنها، ونرى أن من حقنا -كما هو من حق أي شعب- أن نوضح حقيقة ما نؤمن به من قيم للغير من الشعوب من أجل تحقيق فهم أكثر بين شعوب الأرض، تحقيقاً للسلام العالمي، وخلق فرص استفادة للباحثين عن الحقيقة والخير ".

إن ما تقدم من عبارات منهزمة لم يكن نمطاً نشازاً في البيان، بل إن البيان جاء وسمته الرئيسية محاولة التقريب وعدم مواجهة الغرب بكفره وشره على الإسلام والمسلمين، وما تقدم نموذجاً مظلماً من نماذج الانبطاح الفكري والاستجداء الهابط للغرب وللأمريكان خاصة لعلهم أن يرحموا من كتب، و إلا كيف يوصف الغرب الذي استعمر بلاد الإسلام وقتل وشرد الملايين كيف يوصف بهذه الأوصاف، وبدلاً من وصف إجرامه وتصديره للكفر والزندقة إلى بلاد المسلمين، يثني المثقفون عليه ويصفونه بأنه أقرب إلينا من الشرق وأن هناك جسورا للتواصل معه، وأن الغرب استفاد اقتصاديا منا، وكأنهم

يقولون رجاءً لا تقطع ما جادت به يمينك عنا حتى لا تتضرر أنت أيها المسكين.

ثم لماذا الكذب والزعم بأن الخلاف مع الأمريكان ليس في قيم العدل أو خيارات الحرية، بلى إن الخلاف مع الصليبيين الأمريكيين هو في قيم العدل من ناحية المفهوم و من ناحية التطبيق وكذلك في معنى الحريات مفهوماً وتطبيقاً، واعلموا أن الكذب لإرضاء الغرب والتبرم من ديننا أمر يزيد من ضعف المسلمين ولا ينفعهم لا حاضراً ولا مستقبلاً.

ثم كيف يزعمون بأنه لا يحق لنا أن نجبر شعباً على تغيير قيمه الخاصة به والتي هي خارج نطاق الفطرة، فهذا كذب بل يجب على المسلمين أن يغزوا بلاد الكفار، ويحتلوها ويبدلوا نظامها إلى نظام إسلامي ويمنعوا أي ممرسات تخالف الشريعة يجاهر بها بين الناس، كما حصل في صدر الإسلام.

إذا كان الإسلام حقاً فلم لا تدعون الغرب إليه ؟.

قالوا في بيانهم " إننا نؤمن أن الإسلام هو الحق، ولكن من غير الممكن أن يكون العالم كله مسلماً ؛ إذ ليس بمقدورنا جعله كذلك، وليس من شريعتنا أن نلزم الآخرين بمفاهيمنا الخاصة، هذا هو خيارنا الشرعي ".

لقد تجرأ الموقعون في هذه العبارات وقالوا في وجه الغرب إن الإسلام هو الحق، ولكن لم يكملوا هذه الجراءة ويدعوا الغرب إلى الإسلام كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم مع ملوك الكفر ومن لقيه من أفرادهم كافراً، بل أوجدوا مخرجاً لهم بأننا لا نستطيع أن نجعل العالم كله مسلماً.

ثم زعموا وقالوا على الله بغير علم وقالوا بأن شريعتنا لا تلزم الآخرين بمفاهيمنا الخاصة، وهذا قول باطل، إن من ديننا أن نلزم الآخرين بمفاهيمنا الخاصة، ومن شك في ذلك فليرجع لسيرة الصحابة رضوان الله عليهم حيث غزوا بلاد النصارى وألزمهم عمر رضي الله عنه بأحكام أهل الذمة، وهذه الأحكام تتدخل بالمفاهيم والألبسة والأحوال والهيئات، عرفها العلماء بالشروط العمرية وهي أشهر من نار على علم، فليرجع إليها الموقعون ليعلموا أننا نجبر الناس بقوة السيف

على مفاهيم وعادات وأوضاع خاصة تلزمهم الذل والصغار كما أمر الله بذلك حيث قال (حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون (.

وإذا كنتم لا تستطيعون الجهاد وإدخال الناس في الدين كما فعل الصحابة فعجزكم لا يعني أنه ليس من قطعيات الدين والخيارات الشرعية، بل هو أمر جاء بسبب انهزاميتكم وطلبكم للتعايش مع النصارى.

نحن لا نريد وسطيتكم بل نريد وسطية النبي صلى الله عليه وسلم قالوا في بيانهم " إن المسلمين من حقهم أن يكونوا متمسكين بدينهم وقيمه وتعليماته، هذا خيار من الصعب محاولة تعويقه ، لكننا نقدم المفهوم الوسطي المعتدل، ونسعى لإشاعته، وسيجد العالم الغربي فيه فرقاً كبيراً عن المفاهيم والتصورات التي يحملها عن الإسلام، هذا إذا كان جاداً في الاعتراف بنا وبديننا ومقدراتنا، أو - على أقل تقدير - في القراءة المنصفة لحقيقة ديننا ومعرفة قيمنا".

زعموا أنهم سيقدمون منهجاً وسطياً معتدلاً، فيه فرق كبير عن المفاهيم والتصورات التي يحملها الغرب عن الإسلام، إذا كانت وسطيتكم فيها فرق كبير عما يحمله الغرب عنا وخاصة المثقفين منهم فهو ليس إسلاماً ولا علاقة له بدين الله تعالى، لأن المتتبع لطرح الغرب ورؤيته للإسلام أنه يفهم مبادئ الدين وأصوله أكثر من كثير من المسلمين، فالتصور الذي يوجد لدى الحكومات الغربية والأوساط المثقفة فيهم إنما هو التصور الدقيق عن الإسلام، وهم يبحثون ويدرسون الإسلام ويخصصون له الإمكانات والكوادر منذ بداية الاستعمار، كل ذلك ليخرجوا بتصور واضح عن الإسلام، فتصور الغرب عن ديننا وأنه دين جهاد وبراءة من أديان الكفر ومن الكفار تصور واضح وصحيح، فإذا أراد المثقفون أن يقدموا نموذجاً وسطياً معتدلاً فلابد أن يلغوا الولاء والبراء والجهاد وخاصة جهاد الطلب، بعدها ينطبق قول الله عليهم (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم (. والوسطية والاعتدال الذي يمكن أن يرضى عنه الغرب إنما هو الدين المنسلخ من حقيقته، فالاعتدال والوسطية التي تعزمون على تقديمها للغرب، بالتأكيد أنها ستكون مخالفة للتشدد والتطرف الذي يمثله عدو أمريكا الأول الشيخ أسامه بن لادن، بل إن وسطيتكم ستكون مخالفة لوسطية النبي صلى الله عليه وسلم الذي بعث بين يدي الساعة بالسيف وأمر أن يقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وسطية الرسول صلى الله عليه وسلم الذي قال كما جاء عند مسلم وأحمد وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال (لا تبدءوا اليهود ولا النصارى بالسلام فإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه) هذا قوله في حق المعاهدين في المدينة لا في حق الحربيين، والحربيون أمثال من تخاطبون من الأمريكان قال في حقهم كما جاء عند أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال (لقد جئتكم بالذبح) فهذا النموذج الذي نحتاج منكم أن تقدموه ويعبر عن وسطية النبي صلى الله عليه وسلم، وأما وسطيتكم الجديدة، وطليعتها هذا البيان فهي هدم الدين وإلغاء الفوارق بيننا وبين الكافرين.

مهلاً لا تنضموا إلى الدول المحاربة للإرهاب الإسلامي

قالوا في بيانهم " إن الغرب يتحدث كثيراً عن مشكلة الإرهاب والتطرف، ومن وجهة نظرنا فإن هذه مشكلة جادة في العالم، ويفترض أن تكون هنالك مشاريع متعددة لمعالجتها، وأيضاً فإن التطرف الديني ليس مرتبطا بديانة معينة وإن كنا نعترف بأشكال متطرفة مرتبطة ببعض المسلمين كغيرهم ".

ويعلن المثقفون أخيراً أنهم سينضمون إلى الحملة الأمريكية لمحاربة الإرهاب الإسلامي (الجهاد)، هذا آخر ما خرجنا به من هؤلاء الوسطيين المعتدلين، إنهم يرون أن التطرف مشكلة جادة في العالم يجب علاجها ويفترض أن تكون هناك مشاريع لمعالجتها، وأقروا أن من ضمن أشكال التطرف هو

التطرف الإسلامي، وبالطبع فإن التطرف الإسلامي ينصرف بشكل أولي إلى الشيخ أسامه بن لادن وإلى القاعدة وإلى جماعة أبي سياف وإلى المجاهدين في الشيشان وإلى حماس وغيرها، وإذا لم يكن هؤلاء كلهم أو بعضهم يمثلون التطرف الإسلامي كما يسميه المثقفون فإلى أي جماعة ينصرف ؟! ومن يقصدون ؟! لا سيما وأنهم أقروا بأنهم يتفقون مع الغرب في هذا الشكل من التطرف.

وبعدما كان المجاهدون ينتظرون المناصرة من أمثال هؤلاء فإذا بهم يقرون بتعريف التطرف الغربي ولكن بعد توسيع النطاق، ويقرون أيضاً بضرورة إيجاد طرق للعلاج، وطرق العلاج للتطرف إلغاء عقيدة الولاء والبراء وشعيرة الجهاد أيها المثقفون.

فياحسرة على هؤلاء لا للإسلام نصروا ولا للكفر كسروا، المجاهدون يتسربلون ألوان الخسف والعذاب دفاعاً عن الدين وعن المستضعفين، وهؤلاء يقرون بأنهم متطرفون ويقترحون مشاريع لعلاج التطرف اللهم غفرانك.

إن التعاون مع الغرب ضد ما يسمونه بالتطرف الإسلامي لو بكلمة واحدة أو ببيان أو بأي طريقة مباشرة أو غير مباشرة إنما هو ردة عن دين الله تعالى، وكفى بهذا الكلام شراً وهو الاعتراف بأنه يوجد أشكال متطرفة إسلامية، والتطرف الذي يقصده الغرب هو قول الله تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم (فالذي يرفض مبدأ إرهاب الأعداء إنما يرفض أمر الله سبحانه وتعالى ويرفض شرعه، والغرب يعد العمل بمقتضى هذه الآية تطرفاً، فهل فهم المثقفون أنهم ينكرون حقيقة الدين، ولكن الذي يزيل العجب هو أنهم وعدوا بمنهج وسطي معتدل هذه أول ملامحه.

الغرب يحارب حقيقة الإسلام فلا تخدعوا المسلمين أيها المثقفون

قالوا في بيانهم " إننا ندعو إلى انفتاح جاد من الغرب على الإسلام، وقراءة مشاريعه، والتعامل بهدوء مع الواقع الإسلامي، وأن يُجري الغرب مراجعة جادة في الموقف من الإسلام، وندعوه كذلك إلى فتح قنوات حوار بين النخب المثقفة الممثلة لتيار الإسلام العريض وبين المفكرين وصناع القرار في الغرب ".

رغم أنهم مثقفون إلا أنهم لا زالوا يجهلون أو يتجاهلون بأن الغرب يفهم دينهم وأصول عقيدتهم خاصة أكثر من عامة المسلمين، فيظنون أن موقف الغرب منا إنما هو بسبب أنه لا يعرف الإسلام ولا مبادءه ولا مشاريعه، إن الغرب لم يتعامل مع الإسلام بهذه الطريقة وبهذه الفضاعة إلا بعدما عرف حقيقة الإسلام وعرف جوهره ولبه، والغرب عرف الأديان كلها ولكنه لم يواجهها أبداً ولم يضطهد شعوبها، بل حرص لسحق المسلمين بعدما عرف مشاريعهم.

ورغم جهلهم بأن الغرب يعرف تفاصيل وأصول دينهم إلا أنهم زادوا الطين بلة حينما دعوا المفكرين الغرب وصناع القرار إلى الحوار مع النخب المثقفة الممثلة لتيار الإسلام، كفى تلبيساً وخداعاً وتلاعباً بالألفاظ، إننا لا نقبل أن ينطق باسم الأمة إلا العلماء حقاً، إننا لا نقبل النخب المثقفة المنهزمة أن تتحدث باسمنا وتحاور الغرب وتدعوه للتعايش معنا وهدم البراءة منه والجهاد ضده، إن هؤلاء الذين يدعون الغرب للحوار، لم ينادوا بأن يكون الحوار مع العلماء لأنهم يعلمون أن العلماء يحرمون التعايش مع الغرب، فأحالوا هذه القضية الخطرة إلى النخب المثقفة التي لا تميز بين الأصول والفروع .

أي اعتدال تقصدون ؟.

قالوا في بيانهم " من المهم أن يدرك الغرب أن غالبية الحركات الإسلامية في العالم الإسلامي وغيره تمتلك قدراً ذاتياً من الاعتدال، من المهم المحافظة عليه، وفرض نظام الحقوق لهذه

المجموعات العاملة بهدوء، وعدم صناعة الاستفزاز أو السماح به من أي طرف وتحت أي مبرر ؛ حتى يمكن مراجعة التصرفات بعقلانية وأمانة ".

لا يزال تلاعب المثقفين بالألفاظ والمصطلحات الضبابية هو السمة الرئيسية لبيانهم، فهم يصفون غالبية الحركة الإسلامية بالاعتدال، ما هو مفهوم الاعتدال ؟ هل هو المفهوم الشرعي أم هو المفهوم الغربي ؟ إن سياق الكلام يدل على أن المقصود هو المفهوم الغربي لا الشرعي، لأن المفهوم الشرعي للاعتدال يمثله قوله تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) وقوله (ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه) فالوسطية هو ما كان عليه نبينا صلى الله عليه وسلم الذي لم يقم في المدينة أكثر من ثلاثة أشهر بلا غزوة أو سرية يسيرها إلى بلاد الكفار ليدك حصونهم ويستبيح أموالهم ودماءهم وأعراضهم، إن الوسطية واضحة من نظرة واحدة لسيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وسيرة أصحابه من بعده، والوسطية تتضح من فعل النبي صلى الله عليه وسلم عندما اتبع ملة أبينا إبراهيم عليه السلام، هذا هو الاعتدال الشرعي يا معشر المثقفين، وقطعاً أنتم لا تقصدون بالاعتدال الذي تطلبون من الغرب أن يحافظ عليه لا تقصدون الاعتدال الشرعي بل تقصدون الاعتدال الغربي الذي يرضى عنه ، وأهم ميزات الاعتدال الذي يرضى عنه الغرب هو نبذ الجهاد وخاصة جهاد الطلب، ونبذ البراءة من الكافرين ومن معبوداتهم وأديانهم ومن الطواغيت أو على الأقل تحجيم هذه المفاهيم أو قصرها على الجانب النظري، نعم هذا هو الاعتدال الذي يعمل بهدوء، و يتوسل المثقفون إلى الغرب أن يحرصوا على عدم استفزازه حتى لا يموت، وماذا يعني لو حصل استفزاز للمعتدلين فهل سينتفضون للدفاع عن الدين وعن الأعراض ؟ أبداً إنهم سيقدمون بياناً للمعتدين الصليبيين يستجدونهم ويتوسلون إليهم بأن يرضوا عنهم ويتفهموهم ويتبرءوا ممن أثار الغرب عليهم، ويطلبوا بحث سبل التعايش غير الشرعي، ففي الوقت الذي يقف المثقفون ورجال الدين في الغرب خلف حكوماتهم وخلف اليهود لتنفيذ المجازر ضد المسلمين في كل مكان، يكتب مثقفونا عريضة انبطاح ليرضى الغرب عنا.

انتقلت مفاهيم (كامب ديفد) إلى عقول المثقفين قالوا في بيانهم " وإذا كان الهدف استئصال الإرهاب من جذوره فإن الوسيلة الملائمة ليس الحرب الشاملة بل السلام العادل وهذا ما يبحث عنه العالم في فلسطين وغير فلسطين ".

وعجباً على مثقفينا فبعدما كان عدد كبير منهم يحذر من السلام والتطبيع مع اليهود ومع الغرب عموماً بل ومع العلمانيين الذين يعترفون بالإسلام بشكل عام، نجد اليوم أن تجارب الاستنساخ نجحت ولكن بنقل المفاهيم والعبارات من دهاليز كامب ديفد إلى عقول المثقفين، فبدأوا يدعون للسلام العادل والشامل في فلسطين وفي غير فلسطين، إن مفهوم السلام المطروح اليوم والذي ينادي به الغرب ويعده المثقفون من القواسم المشتركة إنما هو الاستسلام وبيع الأرض للعدو، فتوبوا إلى الله ودعوا عنكم هذه العبارات المائعة.

طعنة غادرة في ظهور المجاهدين

قالوا في بيانهم " إن الإرهاب بالمعنى الاصطلاحي الشائع اليوم إنما هو صورة واحدة من صور الاعتداء الظالم على الأنفس والممتلكات، وإنه لمن العمى الأخلاقي أن يركز على صورة واحدة من صور الاعتداء الظالم ويغض الطرف عن صورها الأخرى حتى لو كانت أكثر بشاعة وأكثر إزهاقا للنفوس وإفسادا في الأرض، بطريقة انتقائية، ذات معيار مزدوج ".

كم كان يرجى من كثير من الموقعين نصرة الإسلام وإصدار بيانات في نصرة الدين وأهل الدين والمجاهدين، فإذا بهم اليوم يقرون بمعنى الإرهاب بالمصطلح الأمريكي الشائع اليوم وهو الاعتداء على الأنفس والممتلكات، وهذا التعريف بالطبع ينسحب ليشمل النبي صلى الله عليه وسلم الذي اعتدى على أنفس الكفار وممتلكاتهم وحريمهم الذين كانوا في مجتمعات مدنية آمنة وكذلك فعل أصحابه من بعده، فلم يكن هذا الاعتداء بمفهوم الغرب مبرراً، ولم يكن هذا الاعتداء موافقاً لمفهوم الغرب لمعنى حرية الأديان، فأصبح نبينا وأصحابه والسلف من بعده إرهابيين، يقر المثقفون بأن المعنى الاصطلاحي الشائع اليوم هو إرهاب مقيت، إلا إن كانوا يقصدون بالاصطلاحي أي الشرعي فهذا شأن آخر، ولكن الخطاب للغرب وهم لا يفهمون بالاصطلاحي إلا الاصطلاح الدولي أي الأمريكي.

وهذه الانبطاحية تعد طعنة قوية في ظهور المجاهدين الذين ينتظروا النصرة والتأييد من كل مسلم، فإذا بهم يقرون بإرهاب المجاهدين المرفوض الذي يتعدى على الأرواح والممتلكات، فإذا عاداكم المثقفون أيها المجاهدون فالله معكم ولن يخذلكم أبداً.

الله يقول عن الجهاد خير لكم والمثقفون يقولون ليس كذلك !

قالوا في بيانهم " إن افتعال الصراع لا يصنع الأفضل بالضرورة لأي من الطرفين المتصارعين، والذين يمثلون الصراع ليسوا دائماً هم الأفضل لتمثيل هذا التجمع أو ذاك، ولا شيء يبعد شبح الصدام كما يفعله العدل ورعاية الحقوق والالتزام بالقيم والأخلاق حتى في الحروب إذا اضطررنا إليها".

إصرار منهم على أن الجهاد وهو ما أسموه بالصراع لا يصنع الأفضل للطرفين مخالفين بذلك قول الله سبحانه وتعالى (كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون) وقوله (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم) قال طائفة من السلف ما يحيكم هو الجهاد، وقول النبي صلى الله عليه وسلم (ما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا) فهؤلاء يزعمون أن الصراع (الجهاد) لا يصنع الأفضل للطرفين، وما يهمنا هنا هو طرف المسلمين والجهاد بالدليل والإجماع لا يصنع لهم إلا الأفضل دائماً سواء جهاد الدفع أو جهاد الطلب، ولو قتلوا عن بكرة أبيهم.

وأصبح الجهاد عند المثقفين شبحا وصداماً، وصدام الحضارات مرفوض عند هؤلاء ولا بد من إبعاد شبحه بالعدل وحماية الحقوق والقيم، وأي حقوق لدى الغرب وأي قيم يمكن أن نتفق عليها.

إن التبرم من الاعتراف بأن جهاد الطلب خاصة إحدى سمات ديننا طامة لا تدل إلا على الانهزام، ولكن الإقرار بأن الصدام والصراع لا يصنع الأفضل فهذا ضلال عظيم وكلمة عظيمة يخشى على قائلها أن توبق عمله.

كنا ننتظر منهم أن يخرجوا للجهاد فإذا بهم يقولون..

قالوا في بيانهم " ولذا فإن إيجاد مساحة أوسع للحوار، وتبادل الرأي يلتقي فيها أهل الفكر والعلم والثقافة هي - من وجهة نظرنا - البديل للغة العنف والتدمير، وهذا هو دافعنا لكتابة هذه الورقة وإدارة هذا الحوار ".

لقد نطقوا في هذه الفقرة بمرادهم ودافعهم وهو الحوار بين أهل الفكر والثقافة والعلم، لجعل ذلك بديلاً للعنف والتدمير وبالتأكيد من الطرفين وطرفنا ليس فيه إلا (جهاد) في سبيل الله نغزو به عقر دار الكافرين، فعندما أبعد بنا خيالنا تصورنا في يوم من الأيام أن يخرج أمثال هؤلاء ويكونوا في مقدمة المجاهدين اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم والصحابة رضي الله عنهم

أجمعين وبالسلف الصالح، فإذا بهم يصعقون كل محسن للظن بهم، فيدعون إلى حوار لإنهاء العنف والتدمير المتبادل، فلا حول ولا قوة إلا بالله كم كنا ننتظر جهاد هؤلاء فإذا بهم يعزمون على حرب المجاهدين عن طريق الحوار وإدانة المجاهدين، وما هذا البيان إلا أول المسير والقادم أعظم نسأل الله السلامة والعافية.

وختاما :

حقا إن هذا البيان صاعقة نزلت على كثير من الصالحين الذين قرءوه، وخاصة لأنه قد احتوى على بضعة من أسماء الشخصيات العلمية، ولكننا نلتمس لأمثال هؤلاء عذرا أنهم وافقوا على مضمون البيان ولم يطلعوا على تفاصيله وأدرجت أسماؤهم بغير علمهم بالصياغة النهائية كما قال أفاضلهم، وهؤلاء ليعلموا أنهم لا يعذرون أمام الله تعالى إلا بالتبرء مما بان لهم من خطأ في البيان لا سيما ما تعلق بالأصول منها، وما كتبناه من نقد لا نعني به هؤلاء الأفاضل الذين غرر بهم، بل نحسن الظن بهم وندعو لنا ولهم بالهداية.

وكما حز في نفوسنا عزم المثقفين باسم الإسلام والمسلمين على التعايش مع الغرب وفقا لمبادئ الغرب وقيمه، فإنه قد حز في نفوسنا بشكل أكبر ما قام به من تبنى البيان، حيث وطلب في موقعه من عامة الناس ودهمائهم أن يوقعوا معه تأييدا على هذا البيان، ولو كان صادقاً بطلب رأي الناس لوضع خانة للتأييد وخانة أخرى للرفض، ولكنه يعلم أن الناس كلهم يرفض ذلك، وهذه الطريقة بالتصويت على الحق والباطل هي من الطرق التي استفادها صانع البيان من الغرب، فهم يصوتون على كل شيء حتى على جواز اللواط من عدمه، فقد صوتوا عليه في كل برلماناتهم فأجازوه، وليفهم الذي أحال هذه الأمور العقدية على الناس أن هذا استكثار لا يزيده إلا سقوطاً من أعينهم، فالباطل باطل ولو رضي به مليار شخص، والحق حق ولو تمسك به واحد من المسلمين، فالكثرة والقلة ليست دليلاً على الحق والباطل، والله يقول (وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون) وقال (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) والرسول صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين يقول أن النبي يوم القيامة يأتي وليس معه أحد والنبي يأتي ومعه الرجل والرجلان، فهل هؤلاء الأنبياء على خطأ لأنه لم يؤيدهم أحد، وبوش الذي يصوت بصواب قراراته ضد الإسلام والمسلمين ٨٥٪ من الأمريكيين هل يعني ذلك أنه على صواب، إن تأييد الناس لك على باطل لا يعني تحول الباطل إلى حق ولا الخطأ إلى صواب، فالباطل باطل ولو أيده الناس أجمعون وقاتلوا من أجله، والحق حق ولو خذله الناس أجمعون وحاربوه، إن الحق والباطل يعرف بأدلة الكتاب والسنة لا بكثرة أصوات المؤيدين، فهل لك أن ترجع إلى العلماء الراسخين في العلم لتسألهم هل بيانكم حق أو باطل، بيننا وبينكم الكتاب والسنة لا مليون توقيع أيها المثقفون.

نسأل الله جلت قدرته أن يرينا وإياهم الحق حقا ويرزقنا اتباعه ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه إنه ولي ذلك والقادر عليه.

نص مقابلة بن لادن التى أجراها معه
الكاتب الصحفى/ جمال إسماعيل
لصالح قناة الجزيرة وأمتنعت القناة عن إذاعتها آنذاك

في مكان ما من جبال ولاية هلمند الجنوبية في أفغانستان نرحب بضيفنا الشيخ أسامة بن محمد بن لادن، فأهلاً ومرحباً به.

من هـــو ؟

س: أولا وفي البداية نسأل من هو أسامة بن لادن وماذا يريد؟

أسامة: الحمد لله، أسامة بن محمد بن عوض بن لادن، من الله علي أن ولدت من أبوين مسلمين، في جزيرة العرب في الرياض في حي الملز عام ١٣٧٧ هجرية، ثم من الله علينا أن ذهبنا إلى المدينة بعد الولادة بستة أشهر، ومكثت بقية عمري بعد ذلك في الحجاز بين مكة والمدينة وجدة. أبي الشيخ محمد بن عوض بن لادن من مواليد حضرموت، ذهب للعمل في الحجاز منذ أكثر من سبعين سنة، ثم فتح الله عليه بأن شرف بما لم يشرف به أحد من البنائين وهو بناء المسجد الحرام الذي فيه الكعبة المشرفة، ثم قام ببناء المسجد النبوي في المدينة المنورة، ثم لما علم أن الحكومة الأردنية قد أنزلت مناقصة لترميم قبة الصخرة، جمع المهندسين وطلب منهم أن يضعوا سعر التكلفة بدون أرباح. فقالوا له نحن نضمن الربح مع سعر التكلفة، فقام رحمه الله بتخفيض سعر التكلفة حتى يضمن رسو المناقصة عليه، فكان أن رسا عليه العطاء، وكان من فضل الله عليه أنه كان يصلي أحياناً في المساجد الثلاثة في يوم واحد. ولا يخفى أنه كان أحد المؤسسين للبنية التحتية في المملكة العربية السعودية، وبعد ذلك درست في الحجاز ودرست الاقتصاد في جامعة جدة أو ما يسمى بجامعة الملك عبد العزيز، وعملت مبكراً في الطرق في شركة الوالد عليه رحمة الله، رغم أن الوالد توفي وكان عمري عشر سنوات. هذا باختصار عن أسامة بن لادن.

الأهداف والمطالب

أما ماذا يريد ؟ الذي نريده ونطالب به هو حق لأي كائن حي، نحن نطالب بأن تحرر أرضنا من الأعداء وأن تحرر أرضنا من الأمريكان، فهذه الكائنات الحية قد زودها الله سبحانه وتعالى بغيرة فطرية، ترفض أن يدخل عليها داخل. فهذه أعزكم الله الدواجن، لو أن الدجاج دخل عليها مسلح عسكري يريد أن يعتدي على بيتها فهي تقاتله وهي دجاجة، فنحن نطالب بحق لجميع الكائنات الحية، فضلا عن الكائنات الإنسانية البشرية، فضلا عن المسلمين. الذي حصل على بلاد المسلمين من اعتداء خاصة على المقدسات المسجد الأقصى حيث قبلة النبي صلى الله عليه وسلم الأولى، ثم استمر العدوان من التحالف اليهودي الصليبي الذي تتزعمه أمريكا وإسرائيل، حتى أخذوا بلاد الحرمين ولا حول ولا قوة إلا بالله. فنحن نسعى لتحريض الأمة كي تقوم بتحرير أرضها، والجهاد في سبيل الله سبحانه وتعالى لتحكم الشرع وتكون كلمة الله هي العليا.

الموقف من الأمريكان

سؤال : حدث مؤخراً هجوم مشترك أمريكي بريطاني على العراق. أولاً كيف تقيمون مثل هذا الهجوم؟ وثانياً ردود الفعل التي صدرت حتى الآن الإسلامية والعربية لم تكن كما يقال بمستوى هذا الهجوم أو بمستوى ما يتطلع إليه شعب العراق من الرد على هذا الهجوم، ما موقفكم من هذا ؟؟

أسامة : الحمد لله. الهجوم الأخير الذي حصل قبل أيام على العراق، قادته أمريكا وبريطانيا، أكد معاني كثيرة خطيرة ومهمة، ونحن لن نتحدث هنا عن الخسائر المادية والبشرية ومن قتل من إخواننا المسلمين من الشعب العراقي، وإنما نتحدث عن دلائل هذا الهجوم، العراق تتهمه أمريكا بأنه استخدم الغازات السامة ضد شعبه وضد الأكراد، وتتهمه أمريكا باستخدام أسلحة فتاكة ضد إيران، ولكن الملفت للنظر الذي ينبغي أن يتوقف الناس عنده، أن أمريكا لم تتحدث عنه في تلك المرحلة بهذا الكلام، بل كانت تؤيده وتدعمه عبر وسطاء لها وعملاء في المنطقة، ولكن لما أصبح العراق قوة يعمل لها حساب في المنطقة، وأصبح أكبر قوة عربية في المنطقة تهدد الأمن اليهودي والأمن الإسرائيلي المحتل لمسرى نبينا عليه الصلاة والسلام، من هنا بدأت تنبش هذه الأشياء، وتدعي أنها تحاسب عليها وتقول: صحيح أن هناك أسلحة فتاكة وأسلحة دمار شامل في إسرائيل، ولكن إسرائيل لا تستخدمها، إنما العراق استخدمها! هذا الكلام مردود. أمريكا هي التي تمتلك هذا السلاح وهي التي ضربت شعوباً في أقصى المشرق في ناجازاكي وهيروشيما، بعد أن استسلمت اليابان وبدأت الحرب العالمية تنتهي، مع ذلك أصرت أمريكا على ضرب الشعوب عن بكرة أبيها، بأطفالهم ونسائهم وشيوخهم وكبارهم. الحقيقة هنا ينبغي أن نستشعر أن أي هجوم اليوم على أي دولة في العالم الإسلامي إنما المهاجم الحقيقي هو إسرائيل ولكن خشية أن يستيقظ الناس وتبدأ حركات شعبية ضخمة تسقط الأنظمة العميلة التي تواطأت من أجل كراسيها عن نصرة الإسلام والمسلمين، وقد قطع مشاعر هذه الشعوب إلى حد بالنسبة لأمريكا، فاستطاع اليهود أن يوجهوا النصارى من أمريكان وبريطانيين من قيام بالواجب في ضرب العراق، وتدعي أمريكا أنها تحاسبه وتحاكمه،ولكن الصواب أن السلطة الإسرائيلية السلطة اليهودية التي تنفذت داخل البيت الأبيض كما هو أصبح واضحاً على الملأ، وزير الدفاع يهودي، وزيرة الخارجية الأمريكية يهودية، مسئولو سي أي إيه والأمن القومي، كبار المسئولين يهود. إنهم ساقوا النصارى لقصقصة أجنحة العالم الإسلامي والمستهدف في الحقيقة هو ليس صدام حسين وإنما المستهدف هو القوة الناشئة في العالم الإسلامي والعربي، سواء ضربوا الشعب العراقي أو كما فعلوا من قبل في محاصرة ليبيا، أو عندما ضربوا مصنع الشفاء في السودان وهو مصنع أدوية، مسألة أخرى من دلالات هذا الحدث الظاهر، أكدت بشكل واضح جلي ينبغي للمسلمين وكل عاقل بعده ألا يذهب إلى الأمم المتحدة، أما المسلمون فشرعاً لا يجوز أن يتحاكموا إلى هذه الأنظمة الكفرية الوضعية، ولكن نقول عن العقلاء من غير المسلمين ألا يذهبوا، فهذه كوريا الشمالية، هل يوجد عاقل ولو كان كافرا يذهب إلى القاضي في هذه المحافل؟! إن كان الحكم علينا ضربنا ضرباً شديداً موجعاً تحت ما يسمى زوراً وبهتاناً بالشرعية الدولية، وإن كان الحق لنا تستخدم أمريكا حق الفيتو. فلا يذهب إلى هناك عاقل ولو كان كافراً، والذين يكثرون الحديث عن الأمم المتحدة وقرارات الأمم المتحدة فربما هم لا يفهمون دينهم أو هم يريدون أن يخذلوا أو يخدروا الأمة بتعليق آمالهم على سراب، وأوهام ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أتخشونهم؟

سؤال: هذا الهجوم الأمريكي البريطاني على العراق هل ترون أنه يزيد من شعبية وتأييد الجماعات المعادية لأمريكا ؟ أم أنه سيعمل على إرهابها وإخضاعها وجعلها تخشى أن تقوم بأي عمل من الأعمال العسكرية وغيرها من الأعمال ضد الولايات المتحدة ومصالحها ؟

أسامة: الحمد لله. الذي ينبني على ما سبق وهذا السؤال هو آن الأوان للشعوب المسلمة أن تدرك بعد هذه الهجمات أن دول المنطقة هي دول ليست ذات سيادة، فأعداؤنا يسرحون ويمرحون في بقاعنا وفي أراضينا وفي أجوائنا، يضربون دون أن يستأذنوا أحداً وخاصة في هذه المرة. لم تستطع أمريكا وبريطانيا أن يحشدوا معهم أحداً في هذه المؤامرة الفاضحة المكشوفة، ولم يعد هناك في أيديهم القدرة. الأنظمة الموجودة إنما هي متآمرة متواطئة، وفقدت القدرة على القيام بأي عمل ضد هذا الاحتلال السافر. فينبغي على المسلمين وبخاصة أهل الحل والعقد، وأهل الرأي من العلماء الصادقين والتجار المخلصين وشيوخ القبائل أن يهاجروا في سبيل الله ويجدوا لهم مكانا يرفعوا فيه راية الجهاد، ويعبئوا الأمة للمحافظة على دينهم ودنياهم، وإلا سيذهب عليهم كل شيء. فإذا لم يعتبروا مما أصاب إخواننا في فلسطين بعد أن كان الشعب الفلسطيني مشهوراً بنشاطه وزراعته التي يصدرها، وحمضياته وصناعة الصابون والنسيج، أصبح ذلك الشعب وهم إخواننا مشردين مطرودين في كل أرض، وأصبحوا في الأخير أجراء عند اليهودي المستعمر، من شاءوا أدخلوه ومن شاءوا منعوه بأزهد الأسعار. فهذا الأمر خطير. وإذا لم نـ تحرك وقد اعتدي على البيت العتيق وعلى قبلة ألف ومائتي مليون مسلم فمتى نتحرك؟! هذا أمر عجيب ينبغي السعي فيه. أما من يظن أن هذا الضرب يرغم الحركات الإسلامية فهو واهم. فنحن كمسلمين نعتقد أن الآجال معلومة محدودة، لا تتقدم ولا تتأخر منذ أن كنا في بطون أمهاتنا، و أما الأرزاق فهي بيد الله سبحانه وتعالى، وهذه الأنفس الله سبحانه وتعالى هو الذي خلقها، والأموال هو الذي رزقها ثم اشتراها بالجنة فعلام يتأخر الناس عن نصرة الدين ؟!

الهجوم القادم

سؤال: بعد الهجوم الأمريكي البريطاني هل تتوقعون أن يكون هناك هجوم مماثل على أفغانستان خاصة أن وزير الدفاع الأمريكي وليم كوهين صرح بعد الهجوم على أفغانستان في الصيف الماضي أن هذا الهجوم ليس نهاية المطاف في الحرب ضد الإرهاب كما يسمونها وأن واشنطن قد تشن هجمات صاروخية جديدة على أفغانستان لإيوائها جماعات تتهمها الإدارة الأمريكية بالإرهاب؟

أسامة: إذا علمنا الأصل، وأن هناك حملة مستمرة للحروب الصليبية اليهودية على الإسلام، فإن من الطبيعي جداً أن نتوقع ضربات أخرى على كل من يرفع راية الإسلام، فإن أمريكا واليهود يسعون لضربه، وإن كان هناك عجز وقصور في تطبيق الشريعة عند بعض الدول التي رفعت هذه الراية. لكن مجرد التوجه نحو السعي لتطبيق الشريعة فهذا كاف لاستجلاب القصف واستجلاب الضرب. فماذا فعلت السودان حتى يضرب أكبر مصنع للدواء فيها؟ ولا يخفى عليكم أن المصنع كان ينتج دواء الملاريا بنسبة كبيرة، والملاريا داء منتشر في السودان وضحاياه بعشرات الآلاف سنويا، لا لشيء إلا لأن السودان كان قد أعلن أنه يريد تطبيق الشريعة، وهو لم يكمل بعد ما نواه ومع ذلك قصف. وأما طالبان فبفضل الله سبحانه وتعالى عليهم هداهم الله إلى السداد والصواب، وأنقذوا جهاد أمة كادت أن تضيعه أمريكا بما يسمى بالحكومات الموسعة والعريضة بدعمها لحكومة نجيب وغيره. فنتوقع أن يضرب أي كيان يدافع عن الإسلام، وبالتالي نتوقع أن

يضرب طالبان، إلا أنه من الممكن أن يعجل من هذا الضرب إذا تورط الرئيس الأمريكي كلينتون في جريمة أخلاقية أخرى، فيمكن أن يعجل وأصبح العالم الإسلامي وبلاد المسلمين وشعوب الأمة، كأنما هي إزار يستر عورات هؤلاء المجرمين وهذه الفضائح.

أين أنتم؟

سؤال : بعد الهجوم الأمريكي الأول على أفغانستان في الصيف الماضي ورد في وكالات الأنباء أو في تصريحات لكم أو لأنصاركم أنكم سترّدون على هذا الهجوم لكن إلى الآن لم يقع أي رد ولم نسمع بأي رد. ترى في حال حصول هجوم أمريكي جديد على أفغانستان هل نتوقع أن نسمع رد فعل عملي وماذا سيكون هذا الرد ؟؟

أسامة: نحن واجبنا والذي قمنا به هو أن نحرض الأمة على الجهاد في سبيل الله، ضد أمريكا وضد إسرائيل وضد أعداء الله، ومازلنا في هذا الخط نحرض الناس. وما حصل بفضل الله سبحانه وتعالى من تحرك شعبي في هذه الشهور الأخيرة يبشر في الاتجاه الصحيح لإخراج الأمريكان من بلاد المسلمين. نحن ونظرا للظروف التي تحيط بنا، وعدم القدرة على الحركة خارج أفغانستان لمزاولة أعمالنا ما تيسر لنا. لكن بفضل الله نحن شكلنا مع عدد كبير من إخواننا الجبهة الإسلا مية العالمية لجهاد اليهود والصليبيين، ونعتقد أن كثيرا من هؤلاء أمورهم تسير بشكل جيد، ولديهم حركة واسعة نرجو الله أن يفتح عليهم في المستقبل في نصرة الدين والانتقام من اليهود والنصارى وأمريكا.

سؤال: هذه الجبهة الإسلامية العالمية مضى على تشكيلها قرابة سبعة أشهر أو ثمانية أشهر، وحتى الآن لم يسمع لها أي صوت غير البيان الذي أشرتم إليه أو المؤتمر الصحفي الذي عقدتموه في مدينة خوست في الصيف الماضي، هل تعتبر هذه الجبهة مجمدة عملياً الآن؟؟

أسامة: هي غير مجمدة، وأفرادها من جنسيات مختلفة متعددة جداً، وعندهم نشاط واسع في الحركة، وليس بالضرورة أن يعلنوا عن أي عمل قاموا به، مع العلم أن هذه الأشهر لا تعتبر كبيرة في سبيل إنهاض الأمة ومقاومة أكبر عدو في العالم.

حقيقة أم تهويل؟

سؤال : الولايات المتحدة حذرت رعاياها في دول الخليج وفي المنطقة بشكل عام من عمليات ستقومون بها أنتم وأنصاركم خاصة في شهر رمضان الحالي. أولاً ما مدى جدية مثل هذه التحذيرات بالنسبة للرعايا الأمريكان وهل تستهدفون الرعايا الأمريكان بشكل عام أم القوات الأمريكية المتواجدة في الخليج وفي بعض المناطق الإسلامية الأخرى ؟؟

أسامة : سمعت هذا الخبر قبل أيام في الإذاعات، وهو مبشر على نهوض الأمة بفضل الله سبحانه وتعالى. ولكن ما مدى جدية هذه التهديدات، إذا عرفت من يهدد لاستطعت أن أقول، لكن إلى الآن لم أعرف من هو الذي قام بهذا الجهد المبارك، لكن نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقهم ويفتح عليهم، وأن يمنحهم رقاب الأمريكان وغيرهم.

ولكن عن الفتوى السابقة لدينا تقسيم مختلف عما يدعيه الكفار، وإن كانوا هم يدعون دعاوي يمشون بخلافها. نحن نفرق بين الرجل وبين المرأة والطفل والشيخ الهرم. أما الرجل فهو مقاتل سواء حمل السلاح أو أعان على قتالنا بدفعه الضرائب وجمعه المعلومات فهو مقاتل، أما ما ينشر بين المسلمين من أن أسامة يهدد بقتل المدنيين، فهم ماذا يقتلون؟ في فلسطين يقتلون الأطفال وليس المدنيين فقط، بل الأطفال، فأمريكا استأثرت بالجانب الإعلامي وتمكنت بقوة

إعلامية ضخمة وهي تكيل بمكيالين مختلفين في أوقات حسبما يناسبها، فالمستهدف حسب ما ييسر الله للمسلمين كل رجل أمريكي هو عدو سواء كان من الذين يقاتلوننا قتالاً مباشراً أو من الذين يدفعون الضرائب، ولعلكم سمعتم هذه الأيام أن نسبة الذين يؤيدون كلينتون في ضرب العراق تقريباً ثلاثة أرباع الشعب الأمريكي! فشعب ترتفع أسهم رئيسه عندما يقتل الأبرياء، شعب عند ما يقترف رئيسه الفواحش العظيمة والكبائر تزيد شعبية هذا الرئيس، شعب منحط لا يعرف معنى للقيم أبدا.

قصة المرض

سؤال: البنتاغون الأمريكي نشر تقارير عن صحتكم وذكر أن هذه التقارير منسوبة لجهات باكستانية واستخبارية تفيد بأنكم تعانون من مرض عضال وأنكم قد لا تعمرون سوى خمسة أو ستة أشهر حسب هذه التقارير، أولا ما مدى صحة هذه التقارير؟، ثانيا ما الهدف من نشرها في هذه الظروف وبعد نشر التحذيرات للرعايا الأمريكان من إمكانية قيامكم بعمليات أنتم وأنصاركم ؟؟

أسامة : أما من ناحية الصحة فلله الحمد والمنة نشكره دائما، وأنا أتمتع بصحة جيدة جداً بفضل الله، وكما ترى فنحن هنا في الجبال نتحمل هذا البرد القارس ونتحمل في الصيف حرارة المنطقة، وبفضل الله ما زالت هوايتي المفضلة ركوب الخيل، وإلى الآن بفضل الله أستطيع أن أسير على الخيل مسافة سبعين كيلومتراً دون توقف بفضل الله سبحانه وتعالى، فهذه إشاعات مغرضة لعل الغرض منها محاولة التثبيط لمعنويات المسلمين المتعاطفين معنا، ولعل الغرض منها تهدئة روع الأمريكان من أسامة، وأنه لا يمكن أن يفعل شيئا. لكن الأمر ليس متعلق بأسامة. هذه الأمة من ألف ومائتين مليون مسلم لا يمكن قطعا حتما أن تدع بيت الله العتيق لهؤلاء المجرمين من اليهود والنصارى، فالأمة بإذن الله متواصلة ونحن مطمئنون أنهم سيواصلون الجهاد والضرب المؤلم للأمريكان وأعوانهم بإذن الله.

خدعة أم ارتباط؟

سؤال: في العشرين من شهر أغسطس الماضي عندما وقع القصف الأمريكي على أفغانستان قيل إنكم كنتم تحضرون اجتماعاً في منطقة خوست التي تعرضت للقصف الصاروخي الأمريكي وأن هذا القصف الصاروخي تم توقيته بحيث تكونون في الاجتماع، أولاً هل كنتم في ذلك الاجتماع وهل كان هناك اجتماع أصلاً ؟. والمسألة الأخرى قيل أن رسالة وصلتكم من دولة مجاورة (يقصد بها باكستان) تطلب منكم الخروج من ذلك المكان مباشرة، لاحتمال تعرضه للقصف. ما مدى علاقتكم بباكستان؟ وكيف تقيمون موقفها منكم وهل تظنون أن باكستان يمكن أن تتعاون مع الولايات المتحدة في توجيه ضربة لكم؟؟

أسامة:الحمد لله. المعلومات التي كانت عند الأمريكان ظاهر بفضل الله أنها كانت معلومات خاطئة. لم أكن في خوست أصلا ولا حتى في كل الولاية. لم أكن موجوداً فيها أصلاً، بل كنت على بعد بضع مئات من الكيلو مترات من هذا المكان، وأما ما قيل عن معلومات وصلتنا فنحن بفضل الله سبحانه وتعالى وجدنا شعبا متعاطفاً معطاءً في باكستان فاق جميع حساباتنا بتعاطفه معنا، ونرجو الله أن يتقبل منه، وتصلنا معلومات من أحبائنا ومن أنصار الجهاد في سبيل الله ضد الأمريكان، الشعب والناس في باكستان أعطوا معياراً واضحاً لمدى البغض والكره للغطرسة الأمريكية على العالم الإسلامي، وأما ما ذكرتم بالنسبة لباكستان فهناك أجنحة متعاطفة مع

الإسلام ومتعاطفة مع الجهاد في سبيل الله، وهناك أجنحة (قليلة هي بفضل الله) ولكن مع الأسف ما زالت تتعامل مع أعداء الأمة من هؤلاء الأمريكان.

سؤال: تقصدون على الصعيد الرسمي؟

أسامة: أقصد الحكومة، نعم أجنحة داخل الحكومة.

سؤال: ذكرتم قبل قليل كلاماً عن مصنع الدواء السوداني الذي تعرض أيضاً للقصف الأمريكي في نفس اليوم، الولايات المتحدة الأمريكية تتهمكم بأنكم على علاقة تمويل بهذا المصنع وأنكم كنتم ترغبون في استخدامه لإنتاج أسلحة كيماوية أو بيولوجية لاستخدامها ضد مصالح ورعايا أمريكان. هل لكم أي علاقة تمويل مباشرة أو غير مباشرة بهذا المصنع؟؟

أسامة: كما ذكرنا الأحداث الأخيرة سواء قصف أفغانستان أو قصف السودان أو العراق أو تهديد ليبيا بالقصف، كل هذا يظهر أن الذي يحكم العالم اليوم هو شريعة الغاب، شريعة صاروخ كروز، والقصف عن بعد من قبل هؤلاء الجبناء. فجميع من له أدنى معرفة وأدنى عقل يعرف أن مصنع الدواء في السودان كان مصنع دواء، وإلا لمات من أهل الخرطوم عشرات الآلاف. أنا ليس لي صلة به ولا أعرف المالك الذي يسمى إدريس، ليس هناك معرفة سابقة ولكن الثابت أن أمريكا تفعل ما تشاء وتريد من الناس أن تقتنع بجبروتها.

أسلحة الرعب الإسلامية

سؤال: نشر في بعض الصحف العربية والأجنبية أيضا مواضيع حول سعيكم لامتلاك سلاح نووي أو كيماوي أو بيولوجي، وخاصة عن طريق بعض التجار من وسط آسيا أو بقية دول الاتحاد السوفيتي السابق خاصة وأن الإدارة الأمريكية في سجل الاتهامات الذي اتهمتكم به والبالغ حوالي ٢٣٥ اتهاماً سجلت هذه الاتهامات وأنكم تسعون جادين لامتلاك مثل هذه الأسلحة ؟

أسامة: نحن كما ذكرت نطالب بحقوقنا، نطالب بإخراج الأمريكان من العالم الإسلامي وعدم سيطرتهم عليه، ونعتقد أن هذا حق الدفاع عن النفس هو حق لكل البشر، ففي وقت تخزن إسرائيل فيه المئات من الرؤوس النووية والقنابل النووية، ويسيطر فيه الغرب الصليبي على هذا السلاح بنسبة كبيرة، لا تعتبر هذه تهمة بل هو حق ولا نقبل من أحد أن يوجه تهمة لنا. يعني كما تتهم رجلاً كيف يكون فارساً شجاعاً مقاتلا تقول له لماذا أنت كذلك؟! فلا يتهمه بذلك إلا رجل مختل غير عاقل. وإنما هذا حق ونحن أيدنا وهنأنا الشعب الباكستاني عندما فتح الله عليهم وامتلكوا هذا السلاح النووي، نعتبر هذا من حقوقنا وحقوق المسلمين، ولا نلتفت لمثل هذه التهم من قبل أمريكا.

سؤال: هل يعني هذا تأكيدا للاتهامات من انكم تسعون للحصول على السلاح؟

أسامة: هذا ليس تهمة. هذا واجب على المسلمين أن يملكوه. وأمريكا تعلم اليوم أن المسلمين يملكون هذا السلاح بفضل الله سبحانه وتعالى.

محاسبة أمريكا

سؤال: الاتهامات التي وجهتها لكم الإدارة الأمريكية المتعلقة بقضايا كما يقولون بدعم الإرهاب ودعم جماعات إرهابية وغيرها، هل أنتم على استعداد لمواجهة مثل هذه الاتهامات والمحاكمة في دول أخرى أو في محكمة محايدة؟

أسامة: هناك طرفان في الصراع، الصليبية العالمية والمتحالفة مع الصهيونية اليهودية والتي تتزعمها أمريكا وبريطانيا وإسرائيل، والطرف الآخر هو العالم الإسلامي. فمن غير المقبول في

مثل هذا الصراع أن يعتدي ويدخل على أرضي وممتلكاتي ومقدساتي وينهب بترول المسلمين، ثم عندما يجد أي مقاومة من المسلمين يقول إن هؤلاء إرهابيون! هذا يعني حماقة أو أنهم يستحمقون الآخرين. نحن نعتقد أن من واجبنا شرعاً أن نقاوم هذا الاحتلال بكل ما أوتينا من قوة ونعاقبه بنفس الطريقة التي هو يستخدمها ضدنا.

الطالبان أحبابنا

سؤال: لكن حكومة طالبان أعلنت أنها مستعدة أو أنها ستسعى لمحاكمتكم في حال وجود أو ورود أي أدلة قطعية من أي دولة أو أي جهة حول الاتهامات التي وجهت لكم من هذه الدول. هل تقبلون بمحاكمة وفق القوانين التي تطبقها طالبان ووفق الشريعة الإسلامية؟؟

أسامة: نحن خرجنا من بلادنا جهاداً في سبيل الله سبحانه وتعالى، وقد من الله سبحانه وتعالى علينا بهذه الهجرة المباركة، رغبة في السعي لتحكيم الشريعة والتحاكم إلى الشريعة فهذا مطلبنا. ونحن خرجنا من أجله. فأي محكمة شرعية تطبق الشريعة الإسلامية بعيداً عن الضغوط التي يمارسها أهل الأهواء هو هدفنا ونحن مستعدون في أي وقت لأي محكمة شرعية، يقف فيها المدعي والمدعى عليه، أما إذا كان المدعي هو الولايات المتحدة الأمريكية فنحن في نفس الوقت ندعي عليها بأشياء كثيرة، وبعجائب الأمور التي اقترفتها في بلاد المسلمين. لكن الأمريكان قاتلهم الله عندما طلبوني من الطلبة رفضوا التحاكم إلى شريعة الله، وقالوا نحن نطلب شيئاً واحداً أن تسلموا أسامة بن لادن فقط. يتعاملون مع الناس كأنهم عبيد أو غلمان لكبريائهم، نرجو الله أن يذلهم.

نيروبي ودار السلام : أوكار الإرهاب

سؤال: التفجيرات التي حدثت ضد السفارات الأمريكية في شرق إفريقيا في نيروبي ودار السلام في الصيف الماضي تأخر ردكم في الإعلان عنها كما أن هناك اتهامات وجهت لكم حتى من خلال الاعترافات التي نشرت عن طريق بعض الصحف الباكستانية والعالمية والمنسوبة لمحمد صادق هويدا الذي اعتقل في باكستان وسلم للولايات المتحدة الأمريكية والسلطات الكينية، ادعى هو عليكم أنكم أنتم أعطيتموه أوامر وأنكم أنتم طلبتم منه تنفيذ هذه التفجيرات، ما حقيقة موقفكم من هذه التفجيرات وما علاقتكم بمحمد صادق هويدا؟؟

أسامة: السؤال طويل. المهم هذا بالنسبة للتفجيرات في شرق إفريقيا أنها بفضل الله سبحانه وتعالى أدخلت السرور على المسلمين في العالم الإسلامي. والمتابع للصحافة أو الإعلام العالمي وجد مدى تعاطف العالم الإسلامي لضرب الأمريكان، وإن كان هناك من أسفوا لمقتل بعض الأبرياء من أهل تلك البلاد، لكن الواضح هو الموجة العارمة من الفرح والسرور التي عمت العالم الإسلامي، لأنهم يعتقدون أن اليهود وأمريكا قد بالغوا في التعسف وفي احتقار المسلمين، وعجزت الشعوب عن أن تحرك الدول الإسلامية لأن تدافع عنها أو أن تثأر لدينها. فلذلك هذه الأفعال هي ردود أفعال شعبية بحتة من شباب قدموا رؤوسهم على أكفهم يبتغون رضوان الله سبحانه وتعالى، أنا أنظر بإجلال كبير واحترام إلى هؤلاء الرجال العظام على أنهم رفعوا الهوان عن جبين أمتنا سواء الذين فجروا في الرياض أو تفجيرات الخبر أو تفجيرات شرق إفريقيا وما شابه ذلك، أو إلى إخواننا الأشبال في فلسطين الذين يلقنون اليهود دروساً عظيمة في كيف يكون الإيمان وكيف تكون عزة المؤمن، ولكن للأسف بعد تلك العمليات الجريئة في فلسطين، اجتمع الكفر العالمي، والمحزن أن يجتمعوا على أرض الكنانة في مصر، وجاءوا بعملائهم من حكام المنطقة من حكام العرب بعد أن ضحكوا على الأمة أكثر من نصف قرن، وكلما اجتمع ملك مع رئيس قالوا اجتمعوا من أجل قضية فلسطين وبعد مرور نصف قرن أضحت الصورة الجلية أنهم جاءوا لا لينصروا المجاهدين،

وإنما جاءوا ليدينوا أولئك الأشبال الذين قتل آباؤهم وقتل إخوانهم وسجنوا وعذبوا واضطهدوا وهم يدافعون عن دينهم يريدون أن يجلوا الكفار منها. فكما يقال من المعضلات توضيح الواضحات، فلا أدري ماذا ينتظر الناس بعد هذه العمالة الواضحة البينة، والاستفزاز الذي يمارسه حكام العرب لصالح اليهود وأمريكا؟!.

لنا حق في قتلهم وقتالهم

سؤال: لكن الولايات المتحدة تقول إنها على قناعة ولديها أدلة على تورطكم بهذه العمليات وحتى الآن لم تكشف هي عن هذه الأدلة غير أنه في التحقيقات يقال إن شخصاً كان من جماعتكم أو من أنصاركم اعترف للمخابرات الأمريكية بأشياء كثيرة عن تنظيمكم وعن علاقتكم بالعمليات حتى عن تفجير مبنى التجارة الدولي في نيويورك؟

أسامة: ادعاءات أمريكا كثيرة، ولكنها على افتراض صحتها لا تعنينا في شيء. هؤلاء يقاتلون ويقاومون الكفر العالمي، فما الذي يغضب أمريكا عندما تعتدي على الناس والناس يقاومونها؟! لكن ادعاءاتها مع ذلك أيضاً باطلة، إلا إذا قصدت أن لي صلة بتحريضهم فهذا واضح، وأعترف به في كل وقت وحين، أتى كثير من الناس بفضل الله كان منهم الأخوة الذين نحسبهم شهداء، الأخ عبد العزيز المعثم الذي قتل في الرياض ولا حول ولا قوة إلا بالله، والأخ مصلح شمراني، والأخ رياض الهاجري، نرجو الله سبحانه وتعالى أن يتقبلهم جميعاً والأخ خالد السعيد، فهؤلاء اعترفوا أثناء التحقيقات أنهم تأثروا ببعض الإصدارات والبيانات التي ذكرناها للناس ونقلنا فيها فتاوى أهل العلم بوجوب الجهاد ضد هؤلاء الأمريكان المحتلين، فكما ذكرت من قبل ما الخطأ في أن تقاوم المعتدي عليك؟! جميع الملل هذا جزء من كيانها، هؤلاء البوذيون،هؤلاء الكوريون الشماليون والفيتناميون قاتلوا الأمريكان. هذا حق مشروع فبأي حق الإعلام العربي والإسلامي يطارد المجاهدين الذين اقتدوا بسيد الأنام عليه الصلاة والسلام الذي جاء في الصحيح عنه : " والذي نفس محمد بيده، لوددت لو أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل " فهذه أمنية لنا أن نجاهد في سبيل الله، وقد ذكرت من قبل مع بعض الجهات الإعلامية الغربية أنه شرف عظيم فاتنا أن لم نكن قد ساهمنا في قتل الأمريكان في الرياض، نعم فهذه التهم باطلة جملة وتفصيلاً،إلا إذا قصدت بالصلة التحريض، فهذا صحيح أنا حرضت الأمة على الجهاد، نعم وكثير من إخواننا ومن علماء المسلمين حرضوا على الجهاد.

ادعاءات أم اعتراف؟

سؤال: محمد صادق هويدا ادعى أنه تدرب في معسكراتكم وأنه كان على علاقة شخصية بكم، ما مدى صحة ادعاءاته والأقوال المنسوبة له في بعض وسائل الإعلام؟

أسامة: الذي أعرفه أنه في معسكرات الجهاد في أفغانستان أن من الله علينا بأن ساهمنا في فتحها أيام الجهاد ضد الاتحاد السوفيتي، وقد تدرب في تلك المعسكرات أكثر من خمسة عشر ألف شاب بفضل الله سبحانه وتعالى، معظمهم من بلاد العرب وبعضهم من إخواننا من العالم الإسلامي، فأما ما يقال إنني كلفته بالقيام بهذا التفجير فإني أعتقد جازماً أن هذا وهم ومغالطة ترتكبها الحكومة الأمريكية وليس عندها أي دليل، وعلى افتراض أن الأخ هويدا قال هذا الكلام فيكون تحت التعذيب وأخذت منه اعترافات بالقوة، كما لا يخفى أساليب التعذيب في باكستان أو في شرق إفريقيا أو المخابرات الأمريكية.

عقمت النساء أن يلدن مثله!

سؤال: لكن أيضا محمد صادق هويدا ادعى عليكم أيضاً أنكم أعطيتم أوامر باغتيال الشيخ عبد الله عزام في بيشاور في العام ١٩٨٩ وأنه كان هناك صراع على قيادة العرب أو الأفغان العرب كما يسمونهم أي المجاهدون العرب في أفغانستان، ما مدى صحة هذه الادعاءات وما موقفكم منها وكيف يمكن أن تصفوا علاقتكم بالشيخ عبد الله عزام لحين قتله؟

أسامة: الشيخ عبد الله عليه رحمة الله هو رجل بأمة، أظهر بوضوح بعد أن اغتيل رحمه الله مدى العقم الذي أصاب نساء المسلمين من عدم إنجاب رجل مثل الشيخ عبد الله رحمه الله، فأهل الجهاد الذين جاءوا وعاشوا تلك المرحلة يعلمون أن الجهاد الإسلامي في أفغانستان لم يستفد من أحد كما استفاد من الشيخ عبد الله عزام، حيث أنه حرض الأمة من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب على الجهاد. الشيخ عبد الله عزام في فترة من ذلك الجهاد المبارك زاد نشاطه مع إخواننا المجاهدين في فلسطين وبالذات حماس، وبدأت كتب الشيخ تدخل داخل فلسطين لتحريض الأمة على الجهاد وخاصة كتاب آيات الرحمن، وبدأ الشيخ ينطلق من الجو الذي ألفه الإسلاميون من جو المساجد والقوقعة الضيقة والإقليمية من داخل مدينته وانفتح لتحرير العالم الإسلامي، فعند ذلك وكنا وإياه في مركب واحد كما لا يخفى عليكم مع أخينا وائل جليدان، فعملت مؤامرة لاغتيال الجميع وكنا نحرص كثيراً على ألا نخرج مع بعضنا وكنت دائما أطلب من الشيخ عليه رحمة الله، أن يبقى بعيداً عن بيشاور في (معسكر صدى) نظراً لزيادة المؤامرات وخاصة بعد أن اكتشفنا في مسجد سبع الليل قبل أسبوعين أو أسبوع من اغتيال الشيخ قنبلة. واليهود كانوا أكثر المتضررين من تحرك الشيخ عبد الله، فالمعتقد أن إسرائيل مع بعض عملائها من العرب هم الذين قاموا باغتيال الشيخ عبد الله، أما هذه التهمة نعتقد أنها من تقولات اليهود والأمريكان وبعض عملائهم، وهي أدنى من أن يرد عليها ولا يعقل للإنسان أن يقطع رأسه ومن عاش الساحة يعلم مدى الصلة القوية بيني وبين الشيخ عبد الله عزام رحمه الله، وهذه ترهات يذكرها بعض الناس ولا أساس لها من الصحة ولم يكن هناك تنافس. فالشيخ عبد الله عزام عليه رحمة الله كان يجاهد في باب الدعوة والتحريض ونحن كنا في جبال بكتيا في الداخل، وهو يرسل لنا الشباب ونأخذ بتوجيهاته وبما يأمرنا به عليه رحمة الله، ونرجو الله سبحانه وتعالى أن يتقبله شهيداً وابنيه محمد وإبراهيم وأن يعوض الأمة بمن يقوم بالواجب الذي كان يقوم به.

حتى ينفضوا

سؤال: بعد القصف الصاروخي الأمريكي على أفغانستان أمر الرئيس الأمريكي بيل كلينتون بحرب اقتصادية أو مالية ضدكم وضد المؤسسات المالية والتجارية التي تديرونها، أو تتعاملون معها، وقيل إن مرحلة تجفيف الينابيع والمصادر المالية بدأت ضدكم. هذا الأمر ألا يمكن أن يضع مواردكم المالية في أضيق حدودها، ويمكن أن يسبب لكم متاعب مالية ويسبب انفضاض أنصاركم عنكم في المرحلة القادمة؟

أسامة: الحرب سجال يوم لنا ويوم علينا، أمريكا مارست ضغوطاً شديدة جداً على نشاطاتنا منذ وقت مبكر، وأثر ذلك علينا وقد استجابت بعض الدول التي لنا فيها أملاك وأموال وأمرتنا بالكف عن العداء لأمريكا، ولكن اعتقادنا أن هذا واجب علينا، وهو تحريض الأمة فاستمرينا في التحريض وبفضل الله سبحانه وتعالى واصلنا، ونحن الآن لنا بضع سنين. الضغط الأمريكي لم يبدأ في الحقيقة مع القصف الأخير ولكن بعض الدول العربية مارست علينا ضغوطاً اقتصادية ومنعتنا من حقوقنا وضيقت علينا ومنعت حتى أهلنا أن يدفعوا إلينا أموالنا، وهم في ذلك

يقتدون بعبد الله بن أبي بن سلول زعيم المنافقين ويقتدون بالمنافقين الذين قال الله سبحانه وتعالى فيهم ﴿ هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السماوات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون ﴾ فعاقبهم الله سبحانه وتعالى الآن وهم يعيشون في تضييق أشد من تضييقهم علينا، وأما نحن فكما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من بات آمناً في سربه، معافى في بدنه، حائزاً قوت يومه فقد جمعت له الدنيا بحذافيرها "، فوالله الذي لا إله إلا هو نشعر أن الدنيا بحذافيرها معنا والمال ظل زائل، لكننا نخاطب المسلمين أن يبذلوا أموالهم في الجهاد ومع الحركات الجهادية خاصة التي تفرغت لقتال اليهود والصليبيين.

السير ضد التيار

سؤال: أعلنتم الدعوة للجهاد ضد اليهود وضد الأمريكان في فبراير من عام ١٩٩٨ في الفتوى التي صدرت في تلك الفترة، ولكن هذا الإعلان بدأ يتزامن مع توجه عديد من الحركات الإسلامية التي مارست العمل المسلح إلى العودة عن هذا العمل المسلح كما نسمع حالياً في الجزائر، وكما شاهدنا في كثير من الدول العربية من أن الحركات الإسلامية بدأت تتجه للتعاطي مع البرلمانات وما يسمى باللعبة الديمقراطية، ألا ترون أنكم بالدعوة للجهاد وفي هذا الوقت أنكم تسيرون ضد التيار الذي تسير فيه الحركات الإسلامية الأخرى؟

أسامة: الحمد لله. نعتقد أن الجهاد فرض عين اليوم على الأمة ولكن ينبغي التفريق بين الحكم والقدرة على القيام به، ففي أي بلد توفرت المقومات اللازمة من العدد والعدة وما يلزم لأركان الجهاد أن تقوم فعند ذلك يجب على المسلمين في ذلك المكان أن يشرعوا بالجهاد ضد الكفر الأكبر المستبين، ولكن في بعض البلدان قد يكون ظهر لبعض الناس أن المقومات قد اكتملت وبعد فترة من الزمن أخذوا الخبرة والتجربة وظهر لهم أن المقومات لم تكتمل فعندئذ فهم مأمورون في هذه الحالة بالعفو والصفح ولكن من الذي يحدد هذه المقومات؟ هل هم الذين ركنوا إلى الدنيا أم هم الذين لم يأخذوا حظاً من العلم الشرعي؟ وإذا ما تيسر لهم أن يأخذوا حظاً من العلم العسكري فالصواب في هذه المسألة أن الجهاد رغم أنه فرض عين قد يسقط أحياناً للعجز لكن لا يسقط الإعداد الحقيقي لاستكمال العدد والعدة، أما ما انتشر بين المسلمين اليوم من القول أن الجهاد ليس وقته الآن، فهذا الكلام إذا لم يقيد فهو غير صحيح. كثير من طلبة العلم يقولون أن الجهاد ليس وقته الآن، وهذا في الحقيقة مغالطة شديدة، إذا لم يقيد. أما إذا قيل فرض عين اليوم فيجب علينا أن نسعى بكل ما أوتينا من قوة لاستكمال العدد والعدة والمقومات، فالكلام هنا يستقيم، وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في هذا الموطن يبين أن الذي يفتي في أمور الجهاد هو الذي له علم بالدين الشرعي وله علم بالجهاد وأصول الجهاد، وأن يكون مارس الجهاد. ولكن لما غاب الجهاد عن الأمة زمناً طويلاً نشأ لدينا جيل من طلبة العلم لم يخوضوا معامع الجهاد وتأثروا بالغزو الإعلامي الأمريكي الذي غزا بلاد المسلمين. فهو دون أن يخوض حرباً عسكرية قد أصيب بالهزيمة النفسية، يقول لك : صحيح أن الجهاد لازم لكن لا نستطيعه، لكن الصواب أن الذين من الله سبحانه وتعالى عليهم بالجهاد كما حصل في أفغانستان أو في البوسنة أو الشيشان، ونحن من الله علينا بذلك، فنحن على يقين أن الأمة اليوم تستطيع بإذن الله سبحانه وتعالى أن تجاهد ضد أعداء الإسلام وبخاصة ضد العدو الأكبر الخارجي التحالف الصليبي اليهودي.

أسباب القعود

وأشير هنا إلى مسألة أن بعض الشباب (نرجو الله أن يحفظهم ويبارك فيهم) يتأثرون بقعود بعض الكبار، ويظنون أن هؤلاء الكبار الذين يشار إليهم بالبنان ما قعدوا إلا لأنهم يعلمون مصلحة، وعند التحقيق في الأمر نجده ليس كذلك قطعاً، فليس بالضرورة أن يكون تأخر الذي يشار إليه بالبنان ناتج عن معرفة بالمصلحة، فعند تدبر كتاب الله عز وجل نجد أن الخيار رضي الله عنهم وأرضاهم قد عاتبهم الله سبحانه وتعالى على التأخر، فإذا الخيار الأبرار الأطهار رضي الله عنهم أصابهم هذا الداء، داء التأخر عن الجهاد، فكيف تزعم اليوم لكبارنا أنهم يتأخرون لمصلحة؟ الله سبحانه وتعالى في سورة الأنفال قال مخاطبا نبيه صلى الله عليه وسلم هو وخير الناس رضي الله عنهم ﴿ كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون، يجادلونك في الحق بعدما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون ﴾ هذا الوصف جاء لخيار الناس رضي الله عنهم أهل بدر، فهو داء يصيبنا، هذا كعب بن مالك رضي الله عنه كما حديثه في الصحيحين البخاري ومسلم حديث طويل يقول: يوم تبوك تخلفت وما كنت أيسر حالاً مني يومذاك وما ملكت راحلتين إلا في تلك الغزوة وقلت لنفسي اليوم أتجهز ويمضي اليوم ولم يجهز من أمري شيء، ويقول نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجهاد عندما أينعت الثمار وكنت إليها أصعر (أي أميل إلى الثمار) فالإنسان بشر تتجاذبه أثقال الأرض وهو من هو رضي الله عنه؟ من السابقين الذين أخذوا بيعة العقبة الكبرى المباركة التي منها انطلقت دولة الإسلام في المدينة المنورة تأخر غزوة ثم جاء في حديثه الطويل أنهم كانوا ثلاثة كما في كتاب الله ﴿ وعلى الثلاثة الذين خلفوا ﴾ والروايات من السيرة أن الذين خرجوا إلى تبوك ثلاثون ألفاً. كم عدد ثلاثة من ثلاثين ألفاً رقم لا يذكر اليوم، إنسان عسكري أو قائد عسكري في الجيش تقول له: تخلف عندك ثلاثة من ثلاثين ألفاً رقم ما يذكر لكن لعظيم الذنب أنزل الله سبحانه وتعالى من فوق سبع سماوات قرآنا يتلى إلى يوم القيامة في حساب هؤلاء، فيقول كعب بن مالك رضي الله عنه فلما ضاقت علي الأرض بما رحبت تسورت حائطا لابن عمي أبو قتادة وكان أحب الناس إلي وقلت: يا أبا قتادة أنشدك بالله هل تعلم أني أحب الله ورسوله؟ أمر خطير جداً أراد أن يطمئن على إيمانه. على أعظم ما يملك في الوجود حب الله وحب الرسول عليه الصّلاة والسلام، وإلا لا معنى لوجودنا بغير حبهما، حب الله وحب الرسول صلى الله عليه وسلم، قال: لم يجبني، قال: فناشدته الثانية قال لم يجبني، قال: فناشدته الثالثة، قال: لم يجبني فلم يستطع أبو قتادة رضي الله عنه أن يثبت له محبته لله ورسوله عليه الصلاة والسلام. كيف يثبتها وهو قاعد مع الخوالف وهذا دين الله قد جاءت الأخبار أن الروم يريدون أن يعتدوا عليه في تبوك. هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج في الحر والحرور لنصرة الدين وأنت جالس عن نصرته فكيف يثبت له، فلم يثبت له محبة الله والرسول عليه الصلاة والسلام ولم ينفها عنه، ولكنه قال: الله ورسوله أعلم. فيقول كعب بن مالك فتوليت وفاضت عيناي وحق له، أحب الناس إليه لم يستطع أن يثبت له هذا الأمر العظيم، فالشاهد من قولنا هذا الجهاد اليوم هو متعين على الأمة وقد يسقط للعجز لكننا نحن نعتقد أن الذين خاضوا الجهاد في أفغانستان من أكثر ما يتوجب عليهم لأنهم علموا أنه بإمكانيات ضعيفة وعدد قليل من الـ RPJ عدد قليل من ألغام الدبابات، عدد قليل من الكلاشينات تحطمت أكبر أسطورة عسكرية عرفتها البشرية وتحطمت أكبر آلة عسكرية وزال من أذهاننا ما يسمى بالدول العظمى، ونحن نعتقد أن أمريكا أضعف بكثير من روسيا ومما بلغنا من أخبار إخواننا الذين جاهدوا في الصومال وجدوا العجب العجاب من ضعف الجندي الأمريكي ومن

هـزالة الجندي الأمريكي ومن جبن الجندي الأمريكي، ما قتل منهم إلا ثمانون ففروا في ليل أظلم لا يلوون على شيء بعد ضجيج ملأ الدنيا عن النظام العالمي الجديد، فهذا اعتقادنا يسع الناس إذا اتقوا الله عـز وجـل الذي يعلم أن باستطاعته أن يجاهد والذي يعلم طاقته الآن ما تزال يحتاج إلى استثمار يعمل على استثمار المقومات والله أعلم.

شراء الذمم

سـؤال: المبلغ الـذي رصـدتـه الإدارة الأمريكيـة للقـبض عليكم أو الإدلاء بـأي معلومـات تفيد القبض عليكم واعـتقالكم وهـو خمسـة ملايـين دولار البعض يظن أن هذا المبلغ قد يكون مغرياً للبعض من أنصاركم وكما يدعون ليدلوا بمعلومات حولكم أو من يرافقونكم، ألا تخشون الخيانـة من أي طرف ؟؟

أسـامـة: الحمـد لله، يعـني أنـت أتيـت ومـا تـرى مـا عـنـدنـا، هؤلاء شباب نـرجو الله أن يحفظهم ويتقبلهم ويتقبل من قتل منهم شهيداً طيلة هذا الجهاد المبارك. هم تـركوا الدنيا وجاءوا إلى هذه الجبال وإلى هـذه الأرض، تـركوا أهلهم وتـركوا آبـاءهم وأمهاتهم وتـركوا جامعـاتهم، وجاءوا هنا تحت القصف وتحت قصف الكـروز وقصف الأمـريكان وقد قتل بعضهم كما علمتم من إخواننا ستة من الإخوان العرب وأحد إخواننا الترك نرجو الله أن يتقبلهم جميعا شهداء، كان منهم أخونا صـديق مـن مصـر، وأخونا حمدي من مصر، وثلاثة من إخواننا من اليمن منهم أخونا بشير وأخ آخـر اسمـه سـراقة، أخونـا ابو جهاد أيضا وكذلك أخونا من المدينة المنورة صلاح مطبقاني،هؤلاء تـركوا الدنيا وجاءوا إلى الجهاد. فأمريكا لأنها تعبد المال تظن أن الناس هنا على هذه الشاكلة، والله مـا غيرنـا رجـلاً واحـداً مـن مكانـه بعـد هـذه الدعايات والذي نظنه في إخواننا نحسبهم على خير وهم كذلك، والله حسيبهم.

قادة أم رعية؟

سـؤال: الآن أنـتـم مـتـواجدون عـلـى الأرض الأفغانـيـة وتقـيـمون في مـناطق تابعـة لـلحكومة الأفغانـيـة (حـركة طالـبان). مـا هي طبيعة العلاقة بينكم وبين هذه الحركة والحكومة الأفغانية هل أنتم تبع لها أم أنكم تعملون باستقلالية في عملكم وتصرفاتكم ولكن ضمن الأرض الأفغانية؟

أسـامـة: ذكـرت أننا كنا في حزن شديد أثناء اختلاف الفصائل الأفغانية والمجاهدين، ولكن من الله سـبحانه وتعـالى عـلى الأمـة بحـركة طالـبان وجاءت وأنقذت هذا الجهاد من المخطط الأمريكي الـذي كـان خلـف نجيـب وكـان يضغط على المجاهدين عبر باكستان لتشكيل حكومة علمانية فيها خمسون في المائـة مـن الشيوعيين السابقين وبعـض الذيـن درسوا في الغرب والبقية من الأحزاب الأفغانـيـة الجهاديـة السبعة، والحمـد لله أن وفـق لمجيء هذه الحركة وجاءت في وقت قد بلغ السيل الـزبى وبلـغ التعـب بالـنـاس مـبلغه، وكـثـر قطاع الطرق للأسـف الشـديد واسـتطاع الأمـريكان وحلفـاؤهم أن يقسـمـوا أفغانسـتان إلى خمس دويلات وأنتم في باكستان لا شك أنكم تتابعون ذلك. فكـان هـنـاك دولـة في المشرق أو ما يسمى حوزة شرق (جلال آباد) وتشمل ولايات ننجرهار، كونار لغمان، بقيـادة حـاجي قديـر، وفي الغـرب دولـة أخـرى حوزة غـرب، بقيادة محمد إسماعيل خان، الذي كان لديه ولايات هيرات، نيمروز، فراه، بادغيس، وأيضا حكومة أخرى مستقلة حقيقة عن أفغانسـتان وفي الشـمال الدولـة التي يدعمها الشيوعيون من قبل وهو دوستم وكان له هناك بعض الولايـات في الشمال، كان هناك دولة لأحمد شاه مسعود ونجيب وسياف ومن المستغرب أن المسلمين في كل مـرة يضـحك عليهم، يعـني كيف يمكن أن نصدق حكومة تقوم في كابل في هذا الحي نجيب

الشيوعي الذي قتل من المسلمين سبعين ألفا وبجواره أحمد شاه مسعود وحكومة مشتركة بكل ما تحمل الكلمة من معنى، ويوقع نجيب على ميزانيتها نجيب الشيوعي الرئيس السابق! ثم يقال لنا نحن لسنا شيوعيين ولسنا مع الشيوعيين!! هذه في الحقيقة كانت حكومة مشتركة بدعم من أطرافه خارجية، ونجيب فيها وفي الجنوب كانت دولة طالبان من ولاية قندهار وزابل وهلمند، فكانت هناك خمس دويلات في هذه الدولة الصغيرة، فضلا عن قطاع الطرق الذين يعتبرون دويلات داخل الدولة، فمن الله على المسلمين بمجيء حكومة طالبان وكان هناك ليس قوى دفع من الخارج كما يصورها الإعلام الغربي الصليبي وإنما قوة سحب من الداخل، الناس ملت من قطاعي الطرق ومن أخذ الإتاوات والمكوس فأي قبيلة لها طلبة علم لهم صلة بالطالبان فكانوا هم يذهبون ويطلبون من الطلبة أن يأتوا إلى هذه الولاية أو تلك، ولذلك نرى أن المهندس حكمتيار مكث أربع سنوات على حدود كابل وبدعم من باكستان حتى يتقدم أمتار لأخذ كابل ولم يستطع، ومعلوم أن الحزب الإسلامي برئاسة حكمتيار هو أفضل الأحزاب الأفغانية من حيث القوة والترتيب والتنظيم والانتشار في داخل أفغانستان ولم يستطع أن يتقدم، وفي المقابل معلوم عن الطلبة هم صغار سن في الجملة وكثير من صغارهم لم يشاركوا في قتال، ولكن بسبب السحب الداخلي من الشعب بعد أن وصل إلى دور برز فيه اليأس من الأعمال السابقة فتح الله عليهم، فنحن ننصح المسلمين في داخل أفغانستان وفي خارجها أن ينصروا هؤلاء الطلبة وننصح المسلمين في الخارج أن كثيراً من الجهد إن كان بعيداً عن وجود الدولة الإسلامية فلن يأتي بالثمرة المرجوة الكبيرة، فهذا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مكث ثلاثة عشر سنة يدعو في مكة المكرمة وكانت المحصلة بضع مئات من المهاجرين رضي الله عنهم فلما وجدت دولة المدينة على صغرها في خضم دولة الفرس ودولة الروم وفي خضم عبس وذبيان وغطفان وقبائل العرب المجاورة والأعراب التي تنهش هذه الدويلة، ومع ذلك قام الخير فنحن ندعو المسلمين أن ينصروا هذه الدولة بكل ما أوتوا من قوة، من قوة بإمكانياتهم وأفكارهم وبزكواتهم وبأموالهم التي هي بإذن الله اليوم تمثل راية الإسلام وأن أي اعتداء من أمريكا اليوم على أفغانستان هو ليس على أفغانستان في ذاتها وإنما على أفغانستان رافعة راية الإسلام في العالم الإسلامي، الإسلام الصحيح المجاهد في سبيل الله، فعلاقتنا بفضل الله تعالى معهم قوية جداً ووطيدة وهي علاقة عقدية قائمة على معتقد وليس مواقف سياسية أو تجارية، ساهمت كثير من الدول وحاولت أن تضغط على الطالبان ترغيباً وترهيباً ولكن الله سبحانه وتعالى ثبتهم.

سؤال: لكن ما هي صحة الأخبار التي تحدثت عن استعداد أو إمكانية قيام حركة أو حكومة طالبان بتسليمكم لأي دولة في حال توجيه اتهامات رسمية مع وجود أدلة؟

أسامة: فيما سمعت أن الطلبة نفوا مثل هذا الكلام، وهو كلام غير صحيح فيما نعلم والله أعلم.

سؤال: تحدثتم قبل قليل عن مشاركتكم في الجهاد الأفغاني وأن بعض الدول خاصة دول الخليج شجعت المجاهدين بل دعمتهم وقدمت لهم، ومن الدول الأخرى التي قدمت دعماً في ذلك الوقت ضد الاتحاد السوفيتي الولايات المتحدة الأمريكية، وسائل الإعلام الغربية والعالمية تتحدث عن وجود صلة لكم مع الإدارة الأمريكية أو المخابرات الأمريكية أثناء الجهاد ضد الاتحاد السوفيتي. ما هي حقيقة هذه العلاقة إن كانت موجودة وما هو موقفكم منها، وهل صحيح أنه كان لهم أي جهد في تنمية نشاطاتكم ضد الاتحاد السوفيتي في ذلك الوقت؟؟؟

جنود لشرع الله

أسامة: عودة إلى سؤالكم السابق لسؤالكم هذا، نحن هنا لا نعمل بصفة مستقلة، بل نحن في دولة لها أمير مؤمنين، ملزمون شرعاً بطاعته فيما ليس فيه مخالفة لله سبحانه وتعالى ونحن ملتزمون بهذه الدولة وندعو الناس لنصرتها ونقدر كما ذكرنا الخلط الذي تمارسه أمريكا، هي تريد أن تضرب دولة الإسلام في أفغانستان ولكنها ترفع شعار ضرب أسامة بن لادن، لكن هذا الأمر لن ينفعها، أما نحن فبإذن الله قد خرجنا ونحن نعلم هذا الطريق منذ البداية، ولا تخيفنا بفضل الله سبحانه وتعالى صواريخ أمريكا، ولكننا نحذرهم من أي ضرب لهذا الشعب لأنه اعتداء على دولة الإسلام، ولظروف كثيرة في أفغانستان هناك رأي للطلبة ألا نتحرك من داخل الأراضي الأفغانية ضد أي دولة أخرى، وهذا كان قرار أمير المؤمنين كما هو معلوم، ولكن التحريض بفضل الله نحن نقوم به وليس واقفاً على جهدنا المحدود في هذه المرحلة وبفضل الله نحن مطمئنون إلى أن الأمة تسير بخطى حثيثة نحو العمل الجهادي ضد أمريكا وهو كما ذكرت.

أنا والأمريكان أيام زمان

سؤال: ذكر في وسائل الإعلا م العالمية عن دعم أمريكا للجهاد الأفغاني ضد الاتحاد السوفيتي الذي شاركتم أنتم في هذا الجهاد بنفسكم ومالكم وكما ذكر أيضا في وسائل الإعلام العالمية أنكم كنتم على صلة أو أن الاستخبارات الأمريكية كانت هي التي تمول نشاطكم وتدعمكم في هذا الجهاد ما هي حقيقة هذه الادعاءات وما صحة الصلة بينكم وبين أمريكا في ذلك الوقت؟

أسامة: هذه محاولة للتشويه من الأمريكان. الحمد لله الذي رد كيدهم إلى الوساوس، وكل مسلم منذ أن يعي التمييز وفي قلبه بغض الأمريكان، وبغض اليهود والنصارى هو جزء من عقيدتنا وجزء من ديننا، ومنذ أن وعيت على نفسي وأنا في حرب وفي عداء وبغض وكره للأمريكان، وما حصل هذا الذي يقولونه قط. أما أنهم دعموا الجهاد أو دعموا القتال فهذا الدعم عندما تبين لنا، في الحقيقة هو دعم من دول عربية وخاصة الدول الخليجية لباكستان حتى تدعم الجهاد وهو لم يكن لوجه الله سبحانه وتعالى وإنما كان خوفا على عروشهم من الزحف الروسي، وأمريكا في ذلك الوقت كان كارتر لم يستطع أن يتكلم بكلمة ذات شأن إلا بعد مرور بضع وعشرين يوما في عام ١٣٩٩ هجرية الموافق من عشرين يناير ١٩٨٠ قال إن أي تدخل من روسيا إلى منطقة الخليج فإن أمريكا سوف تعتبره اعتداءً عليها، لأنه محتل لهذه المنطقة محتل للبترول فقال نحن نستخدم القوة العسكرية إذا حصل هذا التدخل، فالأمريكان يكذبون، إذا زعموا أنهم تعاونوا معنا في يوم من الأيام ونحن نتحداهم ليبرزوا أي دليل، وإنما هم كانوا عالة علينا وعلى المجاهدين في أفغانستان، ولم يكن أي اتفاق، وإنما كنا نحن نقوم بالواجب لنصرة الإسلام في أفغانستان وإن كان هذا الواجب يتقاطع بغير رضانا مع مصلحة أمريكية. عندما قاتل المسلمون الروم، ومعلوم أن القتال كان شديداً بين الروم والفرس وكان دائماً، ولا يمكن لعاقل أن يقول إن المسلمين عندما بدأوا بالروم في غزوة مؤتة كانوا هم عملاء للفرس، وإنما تقاطعت المصلحة، يعني قتلك الروم وهو واجب عليك كان يفرح الفرس، لكن بعد أن هم أنهوا الروم بعد عدة غزوات بدأوا بالفرس، فتقاطع المصالح لا يعني العمالة، بل نحن نعاديهم من تلك الأيام ولنا محاضرات بفضل الله سبحانه وتعالى منذ تلك الأيام في الحجاز ونجد بوجوب مقاطعة البضائع الأمريكية وبوجوب ضرب القوات الأمريكية وبوجوب ضرب الاقتصاد الأمريكي منذ أكثر من ١٢ سنة.

سؤال: هناك تقارير منشورة في وسائل الإعلام العربية والعالمية عن وجود نشاط لبعض أتباعكم وأنصاركم في بعض الدول العربية ومنها اليمن على سبيل المثال ما صحة هذه التقارير؟

الشبكة الدولية

أسامة: نحن صلتنا بالعالم الإسلامي في كل مكان منه، سواء في اليمن أو في باكستان أو في أي مكان آخر. نحن جزء من أمة واحدة وبفضل الله الذين اقتنعوا وتحفزوا للجهاد في كل يوم يزداد عددهم، وأعدادهم مبشرة، لنا أنصار في اليمن وفي غير اليمن، في اليمن تربطنا علاقات قوية وقديمة بفضل الله سبحانه وتعالى فضلاً عن أن جذورنا، أي جذور الوالد من اليمن.

سؤال: قبل شهرين تقريبا اعتقلت السلطات الألمانية شخصاً يدعى ممدوح محمود سالم يقال إنه كان المدير المالي لكم وسلمته ألمانيا قبل أيام للولايات المتحدة الأمريكية وهذا الشخص متهم بأنه كان يدير أعمالكم التجارية. ما مدى العلاقة التي تربطكم بهذا الشخص، وما مدى تأثير اعتقاله وتسليمه للسلطات الأمريكية على نشاطاتكم أو تمويلكم؟؟

أسامة: أخونا ممدوح والمعروف بين الشباب باسم أبي هاجر رجل من خيرة من عرفنا من الرجال، كان حافظاً لكتاب الله سبحانه وتعالى، أعطاه الله صوتا جميلاً وهو إمامنا في بيشاور، ولا يخفى على أحد، وكان في تلك الفترة يقوم بأعمال إغاثية متعاونا مع بعض الهيئات الإسلامية الإغاثية في بيشاور، كما لا يخفى عليكم. الصلة به قديمة ومن تلك الأيام، لكن نحن نتابع الأخبار العالمية وأنهم يلقون القبض على عدد من الشباب منهم أبو عبيدة ومنهم خالد الفواز، ومنهم ممدوح وغيرهم، وهذا في الحقيقة لمحاولة تغطية الفشل الأمريكي الذي أصابهم بعد حادثي نيروبي ودار السلام، وخاصة حسبما نشرت التقارير الاستخبارية العالمية أنها كانت ضربة مؤلمة، ولم يأخذوا مثلها منذ تفجير مقر المارينز في لبنان، حيث أن سفارة أمريكا في نيروبي كانت عبارة عن ست سفارات أمريكية مركبة ومنها انطلق الغزو الأمريكي إلى الصومال، وقتل من إخواننا ونسائنا وأبنائنا في الصومال ١٣ ألفاً، بل تحت راية الأمم المتحدة وذكرت الأخبار بالصور أنهم كانوا يشوون إخواننا الصوماليين كما تشوى النعاج ولا حول ولا قوة إلا بالله، ولم يتكلموا عن مدى الوحشية أو عن الاعتداء وغير ذلك، وإنما اللوم يأتي دائما على المسلمين إذا دافعوا عن أنفسهم. ومن هناك ومن بضع عقود تدار المؤامرات الأمريكية لتقسيم السودان وتنطلق من نيروبي، والذي دبر الأمر في تلك الدولة هي السفارة الأمريكية كما هو معلوم، وأكبر مركز للمخابرات الأمريكية في شرق إفريقيا هو تلك السفارة، ومن فضل الله على المسلمين كانت ضربة موفقة كبيرة جداً، كانوا أهلاً لها حتى يذوقوا مما ذقناه في صبرا وشاتيلا وفي دير ياسين وقانا وفي الخليل وغيرها. الشاهد هو أن الأخ ممدوح هو أخ كريم وفاضل لكن والحق يقال أنه ليس له صلة بأي شيء مما اتهم فيه وصلاتنا به للأسف مقطوعة بعد خروجنا، وقد التزم بأعمال أخرى مدنية ليست لها صلة بنا بتاتاً فهو ظلم مركب عليه كما اتهموا الشيخ عمر عبد الرحمن وهو رجل مسن قد ذهب بصره ومن كبار علماء المسلمين نرجو الله أن يفرج عنه، وهذا الاتهامات محاولة للتغطية على الفشل الذي وقعت فيه السي أي إيه.

تعالوا إلى كلمة سواء

سؤال: علاقاتكم بالتنظيمات الإسلامية الأخرى في الوطن العربي كيف تصفونها، في الوقت الحاضر؟ وما هي حقيقة موقف الجماعة الإسلامية في مصر من الجبهة الإسلامية العالمية وهل انسحبت منها؟

أسامة: بفضل الله سبحانه علاقتنا بالجماعات الإسلامية بالجملة علاقات جيدة وحسنة ونحن نتعاون معهم على البر والتقوى لنصرة هذا الدين كل في المجال الذي فتح الله سبحانه وتعالى عليه به، ونحن ندعو المسلمين وخاصة العاملين للإسلام أن يترفعوا عن المشاكل الجزئية،

واستطاعت للأسف شياطين الجن والإنس وبخاصة من الصليبيين أن يصرفوا الدول فضلا عن الجماعات الصغيرة فيها إلى مشاكل إقليمية، فتجد أن مصر لها مشاكل مع ليبيا، والسعودية مع اليمن، وكذلك الجماعات تعيش في مشاكل ضيقة في الجملة إلا من رحم الله، بينما يقترب الكفر الأكبر والتحالف الصليبي الأمريكي يمزق العالم الإسلامي، وينهب ثروات المسلمين بشكل لم يسبق له مثيل، وأما بخصوص الشطر الثاني من السؤال حول الجماعة الإسلامية في مصر وانسحابها من الجبهة الإسلامية العالمية، فنحن تربطنا بإخواننا في الجماعة الإسلامية علاقات قوية بفضل الله سبحانه وتعالى منذ أيام الجهاد وكنا نقاتل في خنادق واحدة ضد الاتحاد السوفيتي، وكان لهم موقف مشرف ومؤيد في التوقيع على الفتوى التي تهدر دم الأمريكان واليهود، فهم وقعوا على الفتوى ولكن حصل هناك لبس في مسألة إدارية عند تصدير الفتوى، جاء إصدار الفتوى موافق تاريخيا لنشوء الجبهة، فحصل لبس عند الناس أن الجماعة الإسلامية هي جزء من الجبهة الإسلامية العالمية، لذلك اضطرت الجماعة لتوضيح موقفها وأنها وقعت على الفتوى لكنها ليست جزءا من الجبهة الإسلامية العالمية.

مقدسات في حراسة.... المومسات

سؤال: الأهداف التي ترونها لأنفسكم في النهاية : ما هي هذه الأهداف وما هي الرسالة التي تريدون أن توجهوها للعالم العربي والإسلامي بشكل عام؟؟

أسامة: الحمد لله، كما ذكرت أننا نعتقد اعتقاداً جازما وأقول ذلك لشدة ما تمارسه الأنظمة والإعلام علينا، يريدوا أن يسلخونا من رجولتنا، نحن نعتقد أننا رجال ورجال مسلمون، ينبغي أن نذود عن أعظم بيت في الوجود، الكعبة المشرفة، وأن نتشرف بالذود عنها، لا أن تأتي المجندات الأمريكيات من اليهوديات والنصرانيات يذدن عن أحفاد سعد والمثنى وأبي بكر وعمر، والله لو لم نكن قد أكرمنا الله بالإسلام لأبى أجدادنا في الجاهلية أن تأتي هؤلاء ويأتي هؤلاء الهنود الحمر بحجة هذه الدعوة وهي دعوى لم تعد تنطلي على الأطفال، وقد قال الحكام في تلك المنطقة أن مجيء الأمريكان لبضعة أشهر وهم كذبوا في البداية والنهاية، وثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة كما ذكر رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام. منهم ملك كذاب، ومرت الأشهر ومرت السنة الأولى والثانية ونحن الآن في السنة التاسعة والأمريكان يكذبون الجميع، يقولون نحن لنا مصالح في المنطقة ولن نتحرك قبل أن نطمئن عليها، يعني أن العدو يدخل يسرق مالك وأنت تقول له أنت تسرق يقول لك لا هذه مصلحتي، فيغالطوننا بالألفاظ، فالحكام في تلك المنطقة وقع على رجولتهم شيء، لعل رجولتهم سلبت ويظنون أن الناس نساء. ووالله إن النساء الحرائر من المسلمين يأبين أن يدافع عنهن هؤلاء المومسات من الأمريكان واليهوديات، فهدفنا العمل بشرع الله سبحانه وتعالى والذود عن الكعبة المشرفة، هذه الكعبة العظيمة، وهذا البيت العتيق، الله سبحانه وتعالى جعل وجود البشر في هذه الأرض على توحيده بالعبادة، ومن أعظم العبادة بل أعظم العبادات بعد الإيمان الصلاة كما في الصحيح، رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد، فالله سبحانه وتعالى لا يقبل منا صلاة مكتوبة إذا لم نتجه نحو هذا البيت العتيق، والله سبحانه وتعالى اختار له خير الناس بعد نبينا، أبو الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام وابنه إسماعيل عليه الصلاة والسلام. وهذا هدفنا أن نحرر بلاد الإسلام من الكفر، وأن نطبق فيها شرع الله سبحانه وتعالى حتى نلقاه وهو راض عنا، وأما رسالتي إلى المسلمين فنقول لهم: إن الدين والدنيا إذا لم نتبع أمر الله سبحانه وتعالى فستذهب ولا يبقى لنا دين ولا دنيا ولا حول ولا قوة إلا بالله، وأما الدين فنحن نرى الكفر الأكبر في بلاد الإسلام، ونرى الكفار وقد استحلوا بلادنا.

وهناك فرق بين القاضي الذي يحكم في مسألة واحدة بغير الشرع وإنما بهوى وبرشوة أو يخاف من السلطان إن حكم على أحد من أقربائه والذي يصدر منه مخالفة للشرع أو نحوه فهذا كفر لأن الله سبحانه وتعالى سماه كفراً، لكنه لا يخرج من الملة، ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ فهذا الذي قال عنه الشيخ محمد بن إبراهيم أما الذي وضع قوانين بدل شريعة الله حتى يتحاكم الناس إليها فهذا كفر أكبر يخرج من الملة، وللأسف هذا انتشر انتشاراً واسعاً في العالم الإسلامي.

أكبر سرقة في التاريخ : فاقطعوا أيديهما !!

أما من ناحية الدنيا فهذا البترول كان يؤخذ بمبالغ زهيدة، ففي دول الخليج وفي السعودية شركة أرامكو وفي فترة مبكرة في عهد الملك فيصل كان لا يدفع للمملكة من البترول إلا بضع وسبعون سنتا للبرميل الواحد، يعني أقل من دولار، ثم شاء الله سبحانه وتعالى أن قامت الحرب ضد اليهود في عام ١٩٧٣ ، وقطع العرب البترول فكسبوا أيضاً في دنياهم وارتفعت الأسعار إلى أن وصلت إلى ما يقرب من أربعين دولاراً للبرميل الواحد. ووصلت إلى ستة وثلاثين في الثمانينات، ثم قام الأمريكان باحتلالهم وضغطهم على دول الخليج وإجبارها على زيادة حجم إنتاجها النفطي ومن عرضها له في السوق، مما أدى إلى نزول الأسعار، فنحن نتكلم عن أكبر سرقة عرفتها البشرية في التاريخ، يمكن أن نوضح هذا من خلال الخريطة:

((هنا فتح الشيخ أسامة خريطة كانت معه يبين فيها ما قال عنه أكبر سرقة عرفتها البشرية وكانت فيها المعلومات التالية:

سعر البترول المفترض حاليا: ٣٦×٤=١٤٤ دولار.

سعر البترول حالياً: ٩ دولار.

حجم السرقة الأمريكية في كل برميل:١٤٤-٩=١٣٥ دولار.

الإنتاج اليومي من البترول للدول الاسلامية:٣٠,٠٠٠,٠٠٠ برميل يومياً.

حجم السرقة اليومي: ١٣٥×٣٠,٠٠٠,٠٠٠=٤٠٥٠ مليون دولار يومياً.

حجم السرقة السنوية :٤٠٥٠×٣٦٥=١,٤٧٨,٢٥٠ مليون دولار.

حجم السرقة الكلية خلال ٢٥سنة:١٤٧٨٢٥٠×٢٥=٣٦ تريليون دولار.

حجم ما يطالب به كل مسلم أمريكا من سرقتها:

٣٦تريليون ÷١٢٠٠ مليون مسلم =٣٠,٠٠٠ دولار لكل مسلم)).

سعر البترول وصل إلى أربعين دولار، لو أخذنا متوسط السعر ٣٦ دولار للبرميل الواحد، فكما هو معلوم الأسعار الآن هي تسعة دولارات للبرميل وهو أقل سعر للبرميل منذ ربع قرن ومعلوم أن البترول هو السلعة الأساسية، والصناعات الأخرى متفرعة عنه، فلا معنى لوجود السيارات الفارهة بهذا الحجم ووجود كثير من الصناعات بهذا الحجم إلا وهي متفرعة عن البترول، فنجد أن الدول الصناعية رفعت أسعار السلع إلى ثلاثة أو أربعة أضعاف على الأقل بينما للأسف البترول نزل سعره أربع مرات للأسفل في حين أنه كان ينبغي رفعه أربع أضعاف أو خمسة على الأقل، فمن هنا عندما كان البترول سعره ٣٦ دولاراً فلو رفعنا سعره أربع مرات يكون عندنا ١٤٤ دولار للبرميل الواحد، في حين أن سعره الحالي هو تسعة دولارات، فحجم السرقة والخسارة في كل برميل من التي تسرقها أمريكا وحلفاؤها هو ١٤٤-٩=١٣٥ دولار حجم السرقة للبرميل الواحد، وإذا علمنا أن أوبيك أو الدول الإسلامية وحدها في أوبيك تنتج وتصدر ٢٥ مليون برميل في اليوم الواحد، وأن الدول الإسلامية خارج الأوبيك تنتج وتصدر خمسة ملايين برميل يومياً

فالإجمالي عندنا هو ٣٠ مليون برميل يومياً، وإذا ضربنا هذا العدد بالرقم أعلاه لحجم السرقة في البرميل الواحد يومياً، يكون حجم السرقة في اليوم الواحد أربعة مليارات وخمسين مليون دولار يومياً.

كالعيس في البيداء يقتلها الظمأ

وهذا الحجم لم تشهد له البشرية مثيلا، ويكفي للتدليل على حجم هذه السرقة أن هذا المبلغ يكفي لإعاشة شعب في السودان من ثلاثين مليون شخص مدة أربعة أعوام، ويكفي لإعاشة شعب مثل اليمن بشماله وجنوبه مدة سنتين، إذ أن ميزانية اليمن هي مليارا دولار سنوياً، وأما بالنسبة للمملكة فخمسة أضعاف هذا الرقم أو أربعة أضعافه وقليل يساوي ميزانية المملكة السعودية، وإذا حسبنا كم حجم السرقة في سنة فيكون عندنا تريليون و٤٧٨ مليار دولار، فإذا حسبنا حجم السرقة خلال ربع قرن فيكون عندنا٣٦ تريليون دولار، حجم السرقة الذي سرق من المسلمين فقط على مستوى البترول فضلا عن المعادن الأخرى في بلاد المسلمين ولو قسمنا هذا المبلغ على عدد المسلمين الآ ن في العالم البالغ ألفا ومائتي مليون مسلم، فيكون لكل مسلم طفلا كان أو شيخا في ذمة أمريكا وحلفائها ثلاثون ألف دولار ولا حول ولا قوة إلا بالله، بينما شعوب العالم الإسلامي ترزح تحت الفقر والمرض والجوع، كيف نتخيل سرقة يوم واحد ماذا كانت يمكن أن تفعل في شعب مثل إخواننا في بنغلاديش الذين هم في مهب السيول والفيضانات في كل عام؟ والأمراض منتشرة فيهم وفي كثير من الشعوب الإسلامية، فلذلك أمريكا لا ترغب في كل من يقول كلمة الحق ضدها.

احرث وادرس لبطرس !!

وتريد منه أن يسكت لحجم السرقة الضخم الذي تسرقه، والمؤسف أن أمريكا استطاعت أن تدخل دول الخليج نتيجة الاحتلال في دوامة الديون، فرغم انخفاض الأسعار، تلزمهم أمريكا بأن يشتروا أسلحة لا قبل لهم بها ولا حاجة لهم بها، جديدة وقديمة، خردة من عند الأمريكان يلزمون دول الخليج بشرائها، ولما نفد الاحتياطي أصبحوا يلزمونهم الشراء بالدين، فاليوم كما في التقارير الموثقة من مراكز الدراسات في الجزيرة العربية وفي رسالة موجهة من الدكتور عبد العزيز الدخيل (وهو رئيس أحد مراكز الدراسات الاقتصادية) إلى أمراء البلاد يتحدث عن حجم الدين الخارجي والداخلي وهو ما يساوي تقريباً مائتي مليار دولار، ولو سألنا عن نسبة خدمة الربا وأقلها عشرة في المائة فيكون مطلوباً عشرين مليار دولار ضريبة الدين فقط، فضلا عن سداد أصل الدين، في حين أن دخل دول الخليج، مثل الكويت، هي أيضاً في نفس المشكلة، الدخل من البترول، إذا اقتطعنا تكلفة الإنتاج، واقتطعنا ما ينبغي لإعادة الصيانة والاستثمار في مجال البترول فدولة مثل المملكة يكون ناتجها من البترول يساوي ١٦ مليار دولار فقط. وتحتاج إلى عشرين مليار دولار لخدمة الديون، فالأمريكان أدخلوا دول المنطقة في دوامة الديون التي لا يمكن أن يخرجوا منها إلا بالرجوع إلى الله سبحانه وتعالى وأن يعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف، فإذا عبدوه حق العبادة فهو الذي يدفع الخوف وهو الذي يطعم الناس من جوع سبحانه وتعالى.

الساكت عن الحق

مسألة أخرى هنا أيضا أقول لإخواننا الذين ركنوا إلى الخوف وعزفوا عن الصدع بالحق وينتظرون أن تمر العاصفة، هاهي مرت سنوات وبدأت تمر العقود والحملة الصليبية لم تنته، أقول لهم إننا في هذا الزمن أقول إن الأمريكان يساوموننا على السكوت، وأمريكا وبعض عملائها في المنطقة ساوموني أكثر من عشر مرات على إسكات هذا اللسان السليط، قالوا اسكت ونرجع لك الجواز، ونرجع لك أموالك وبطاقة الهوية، لكن بشرط أن أسكت. وهؤلاء يظنون أن الناس يعيشون في هذه الدنيا من أجل الدنيا، وهم نسوا أنه لا معنى لوجودنا إن لم نسع لنيل رضوان الله سبحان وتعالى.

وهذا الرسم يوضح كثافة السكان حسب أعمارهم:

((هنا فتح الشيخ أسامة بن لادن رسماً بيانياً كان بحوزته وفيه الرسم التالي: هنا يجب أن تضع الرسم البياني)).

فالناس منذ الولادة وحتى العاشرة هم أكبر قطاع في المجتمعات السوية، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم من ستين إلى سبعين، وفي هذا الزمن ضاقت الشريحة المعطاءة لخدمة الدين وخاصة في الجهاد، وكما هو معلوم فإنه من سن الو لادة وحتى الخامسة عشرة يكون الإنسان غير مكلف ولا يعي الأحداث العظام، ومن سن ٢٥ فما فوق يكون الإنسان دخل في التزامات أسرية، تخرجه من الجامعة والتزامات الوظيفة ولديه زوجة وأولاد، فعقله يزداد نضجا لكن قدرة العطاء تصبح ضعيفة جداً: أترك الأولاد لمن؟من يصرف عليهم؟

نصرت بالشباب

وهكذا، ففي الحقيقة نجد أن الشريحة من خمسة عشر إلى خمسة وعشرين هي الشريحة التي لديها قدرة على العطاء والجهاد وهذا الذي لاحظناه في الجهاد في أفغانستان، معظم المجاهدين من هذا السن، فعندما دخل الأمريكان في محرم من أول سنة ١٤١١ هجرية، هؤلاء الصغار ما كانوا يعون الحدث، وصدرت للأسف فتاوى، الدولة، ودول الخليج ساهمت في الضغط على هؤلاء العلماء لإصدار مثل هذه الفتاوى التي زعموا أنها مؤقتة، وقد حدثنا من نثق به من هؤلاء العلماء أمثال الشيخ محمد بن صالح العثيمين في مجلسه وفي بيته، قال نحن لم نصدر فتوى، وإنما بعد أن أدخلت الدولة الأمريكان جمعونا وقالوا لا بد أن تصدروا فتوى، وإلا فإن الشباب سوف يقاتلون هذه القوات الأمريكية، وتحدثت معه طويلاً في وجوب إصدار فتوى لإخراجهم، فتوى من هيئة كبار العلماء، فقال لي بوضوح ويشهد الله الذي لا إله إلا هو قال: يا أسامة ليس من حقنا في هيئة كبار العلماء أن نصدر فتوى من عند أنفسنا وإنما إذا أحيلت إلينا من المقام السامي (على حد تعبيره) نحن نصدر فيها، فهذا حالنا للأسف الشديد.

فهذه الشريحة من ١٥-٢٥ عاما عندما سكت الناس لم يعلموا حقيقة الأمر، فنحن الآن مرت علينا تسع سنوات منذ ا لغزو، وهذه الشريحة بالكامل، إلا الذين عمرهم أكثر من ستة عشر عاماً ووصلت إلى سن ٣٤ عاماً، فهم دخلوا في الشريحة التي نضجت عقلياً ولا تستطيع أن تعطي، والشريحة الصغيرة التي تستطيع أن تعطي الناس متوقفون الآن عن تبيين الوضع لها. فإن سكتنا فسيصبح حالنا كما صار الحال في الأندلس، تمضي عشر سنوات ثم يتبلد الحس تدريجيا.

وذكرهم بأيام الله

أمـر خطـير، يجب عـلى الـناس أن يبذلوا ما يستطيعون في تحريض الأمة بكل ما يستطيعون بألسنتهم وأقلامهم وبأنفسهم ونحن بفضل الله قمنا بهذا الواجب اعتقادا منا بأنه متعين علينا، ونحن مستمرون فـيه حتى نلقى الله سبحانه وتعالى، وفي الختام أوجه نصيحة إلى جميع المسلمين بـأن يـتدبروا كتاب الله سبحانه وتعالى فهو المخرج وهو الذي انتشلنا من الجاهلية المنتنة في تلك العصور المظلمة، فدواؤنـا في الكتاب والسنة، عندما يقرأ الإنسان القرآن يتعجب لقعود كثير من الناس، هل هم لا يقرأون القرآن أم أنهم يقرأون ولا يتدبرون. يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿ يـا أيها الذيـن آمنوا لا تـتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾.

منهم: أي منهم في الكفر فيصبح كافراً.

ثم في الآية التي تليها يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ فـترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة، فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين﴾.

فـأرجو إخواني المسلمين أن يقرأوا القـرآن وأن يقـرأوا تفسير هذه الآيات وهي كثيرة جدا في كتاب الله سبحانه وتعالى، والتي حذرنـا الله فيها مـن الولاء للكفار. فليقرأوا مختصر تفسير ابن كثير للشيخ محمد نسيب الرفاعي، وأقول إن العالم الصليبي قد أجمع على أكل العالم الإسلامي، وقد تداعت علينا الأمم، ولم يبق لنا بعد الله سبحانه وتعالى إلا الشباب الذين لم تثقلهم أدران الدنيا، فالله سبحانه وتعالى علمنا كيف نرد الذين يتحججون في تأخير الجهاد قال تعالى:

﴿ فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية، وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب، قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا﴾.

لولا أخرتنا إلى أجل قريب هو الذي نصاب به اليوم.

فـالذي أيقـن أن متاع الدنيا قليل وأن الآخرة خير وأبقى هذا الذي يستجيب لأمر الله سبحانه وتعالى وفي الآيات التي مرت معنا:

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء﴾

يبين ابن كثير يقول إن المسلمين اكتشفوا المنافقين يوم دافعوا ووالوا بني قينقاع من اليهود، واليوم حكام العرب يوالـون اليهود والنصارى عـلى المـلأ، وما زال الناس يمدحون أعداء الإسلام والمسلمين ولا حول ولا قـوة إلا بالله العلي العظيم. فينبغي وقفة جادة صادقة نبتغي بها رضوان الله سبحانه وتعالى وأن هـذه الحياة الدنـيا هي مـتاع الغـرور، وعـلى كل مسلم يستطيع أن ينفر بنفسه فعليه أن يـنفر ويسأل عـن مواطن الجهاد والإعـداد في سبيل الله حتى يلقى الله سبحانه وتعالى وهو راض عنه، وأحرض نفسي والمؤمنين بقول القائل بعد هذه المصائب العظام:

تأهب مثل أهبة ذي كفاح	فإن الأمر جل عن التلاحي
سألبس ثوبها وأذود عنها	بأطراف الأسنة والصفاح
أتتركنا وقد كثرت عليها	ذئاب الكفر تأكل من جناحي
ذئاب الكفر ما فتئت تؤلب	بني الأشرار من شتى البطاح
فأين الحر من أبناء ديني	يذود عن الحرائر بالسلاح
وخير من حياة الذل موت	وبعض العار لا يمحوه ماحي

أسأل الله العلي العظيم أن يمن على المسلمين بعودة إلى دينه الكريم، وأن ينصر الشباب الذين خرجوا جهاداً في سبيله يبتغون رضوانه، ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين، اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم، اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، اللهم انصرنا على الأمريكان وإسرائيل ومن والاهم، إنك على كل شيء قدير. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. انتهى.

على هذا النحو انتهت مقابلة الشيخ أسامة بن لادن، وأؤكد مرة أخرى أنني لم أتصرف في كلماتها زيادة أو نقصانا، وإنما تركت الألفاظ كما هي، حرصا مني على أمانة النقل، وحفاظاً مني على إيصال رأي الرجل كما يرتأيه.

* المراجع والمصادر *

أولاً: الوثائق :

وثائق عبد الله عزام

إتحاف العباد بفضائل الجهاد
الإسلام ومستقبل البشرية
الدفاع عن أراضي المسلمين
الجهاد فقه واجتهاد
شهر بين العمالقة
السرطان الأحمر
القومية العربية
العقيدة وأثرها
الهجرة والإعداد
آيات الرحمن فى جهاد الأفغان
حماس الجذور تاريخية
فى الجهاد آداب وأحكام
وصية عبد الله عزام الأخيرة

وثائق أسامة بن لادن

توجيهات منهجية ١، ٢
رسالة إلى بن باز
رسالة إلى العراقيين
بيان تأسيس الجبهة العالمية لقتال الأمريكان
حوار شبكة السي أن أن
حوار قناة الجزيرة
كلمة بن لادن بمناسبة مرور عامين على التفجيرات

وثائق أيمن الظواهري وجماعة الجهاد

الولاء والبراء
فرسان تحت راية النبي
الحصاد المر
الكتاب الأسود
الحوار مع الطواغيت مقبرة الدعاة
جهاد الطواغيت سنة ربانية
الرد على الألباني
فتح الرحمن فى الرد على الأخوان
كشف الزور والبهتان فى حلف الكهنة والسلطان
نصح الأمة لاجتناب مجلس الأمة
وجوب الجهاد وفضل الشهادة

الوثائق العسكرية :
مبادئ الأمن
الأمن الدفاعى
الأمن والإستخبارات

إحياء سنة الإغتيال
حكم قتل ضباط المباحث
جواز قتل الأسرى
جواز الإنتحار خوف إفشاء الإسرار
حكم نحر الكفار

ثانياً : محاضر النقاش :

أبو العلا ماضي ... "وكيل مؤسسي حزب الوسط"
أحمد راشد ... "أحد قيادات تنظيم الجهاد"
أحمد العادلي ..."المدير الأسبق لمباحث أمن الدولة"
أحمد يوسف ..."أمير جماعة الجهاد ببني سويف"
اكرم فوزي ..." أحد قادة الجماعة الإسلامية"
جابر عبد الستار ..."أمير الجناح العسكري لتنظيم الجهاد"
حسن أبو باشا ..."وزير الداخلية الأسبق"
حسن الألفي ..."وزير الداخلية السابق"
حسن الهلاوي ..."أحد قيادات تنظيم الفنية العسكرية"
منتصر الزيات ..."محامي الجماعات الإسلامية"

ثالثاً :كتب ودراسات :

بولي "ميشائيل" وخالد دوران : أسامة بن لادن والإرهاب الدولي
جاكار " رولان " : باسم بن لادن
جمال إسماعيل : أنا والجزيرة
حقاني " حفيظ الله" : طالبان
عبد الرحيم علي : المخاطرة في صفقة الحكومة وجماعات العنف
: أسامة بن لادن .. الشبح الذي صنعته أمريكا
: المقامرة الكبرى
: سيناريوهات ما قبل السقوط
د. عبد المتعال الصعيدي : القرآن والاستعمار
لابيفير "ريتشارد" : دولارات الرعب
د.محمد سليم العوا : الفقه الإسلامي في طريق التجديد
د.محمد سعيد رمضان البوطي : الجهاد . كيف نفهمه وكيف نمارسه ؟
محمد عبد السلام : الأفغان العرب .. صناعة العنف العابر للحدود
محمد الغزالي : جهاد الدعوة ..بين عجز الداخل وكيد الخارج
ناصر الدين الألباني : شرح العقيدة الطحاوية
نبيل شرف الدين : أمراء ومواطنون
د.نشأت عبد الماجد : الأفغان العرب .. محاولة للتعريف
هالة مصطفى : الدولة والحركات الإسلامية المعارضة
ويليامس "بول إل" : القاعدة ..الإخوة الإرهابيون
د.يوسف القرضاوي : في الجهاد
: الصحوة الإسلامية بين الجمود والتخلف

رابعاً : تقارير:

- تقرير الحالة الدينية في مصر- ١٩٩٥
- " " " " - ١٩٩٨
- ملف الأهرام الاستراتيجي- ١٩٩٩

- التقرير الاستراتيجي العربي ١٩٩٣
- " " " " - ١٩٩٨

خامسا : صحف عربية و أجنبية :

الأهرام- الحياة- الرأي العام- الشرق الأوسط- القدس العربي- الوطن الخ
يو اس إيه توداي
هيرالد تريبون
نيوزويك
نيويورك تايمز
شبكة CNN الإخبارية
شبكة ABC الإخبارية

سادساً : مواقع على شبكة الإنترنت :

موقع إسلام أون لاين.نت
موقع الصحوة
موقع النداء
موقع الجزيرة نت
موقع عبد الله عزام
موقع التوحيد

هذا الكتاب

المرتكز الفكرى الأساسى عند تنظيم "القاعدة"، هو ما يعبر عنه أيمن الظواهرى فى وصيته "فرسان تحت راية النبى" أن تنظيمهم يمثل حلفاً أصولياً، مضاداً للقوى الغربية المعادية للإسلام.
وقد توقفنا فى الجزء الأول من كتاب " حلف الإرهاب"، أمام مؤسس التنظيم الدكتور عبد الله عزام، وها هو الجزء الثانى، يصل بنا إلى الاسم الأكثر شهرة، وقدرة على بث الرعب والذعر فى قلوب صفوف التحالف الغربى : أسامة بن لادن.
يقع الجزء الثانى فى خمسة فصول، يتطرق من خلالهما المؤلف إلى كل ما يفيد فى فهم أسامة بن لادن، ليس على المستوى الشخصى فحسب، ولكن أيضا من حيث أنه يمثل ظاهرة، ويعبر عن فكرة، قد نختلف معها، ولكن لا نملك إلا أن نعترف بخطورة تأثيرها.
منذ نشأته منتمياً إلى أسرة سعودية بالغة الثراء، وصولاً إلى علاقته مع طالبان، مروراً بتنظيم القاعدة، الذى يتوج البداية الحافلة ويجدد النهاية بكل أبعادها المتشابكة.
ومثلما ينتهى الجزء الأول، من الكتاب بمجموعة من الوثائق المهمة، التى تتعلق بالدكتور عبد الله عزام، فإن الجزء الثانى يضم عدداً من الوثائق المهمة، التى تلقى الضوء ساطعاً على ابن لادن وأفكاره وتوجهاته، كما أنها تكشف عن التطور الملموس فى شخصيته، ذاتيا، وموضوعيا.
وليس من شك فى أن الكتاب، بأجزائه الأربعة – فى طبعته الثانية – يمثل أهمية خاصة لمن يريدون فهم جذور الظاهرة والمستقبل الذى ينتظرها.
وهذا هو الكتاب الثانى فى إطار مشروع "موسوعة الحركات الإسلامية" الذى ي
العربى لدراسات الإسلام والديموقراطية" وتنشره تباعا "دار المحروسة للنشر والمعلو

